(فهرست الجزء الثاني عشر من تاريخ الكامل)

وحصر

(تمت)

(فهرست الجزء الثانى عشر من تاريخ العلامة الجبرتى)

(ما شاء الله كان)

الجزء الثاني عشر من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن أبي
الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري
الملقب بعز الدين رحمه الله تعالى

وبهامشه التاريخ المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار للمؤرخ
العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الأولى بالمطبعة الأزهرية
المصرية سنة ١٣٠١ هجرية

(تمت)

الفرنج والاستولوا به بكل من يجيء من المجروان همال ثم جزا اذا لقيهم الذاتي اصحابهم من القتل والاسر فانقلب على وجهه ورجع الى اصحابه

ذكر فتح صهيون وعدة من الحصون

ثم رحل صلاح الدين عن لاذقية في السابع والعشرين من جمادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهي قلعة منيعة شاهقة في الهواء صعبة المرتقى على قرنة جبل يطيف بها واد عميق فيه ضيق في بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الا ان الجبل متصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقا عميقا الارى قعره وخمسة اسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونصب عليه المنجنيقات ورماها وتقدم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادي ونصب عليه المنجنيقات ايضا فرمى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبيين كثير وهم في الشجاعة بالمنزلة المشهورة ودام رشق السهام من قسي اليد والجرخ والزنبورك والزيار فجرح اكثر من بالحصن وهم يظهرون التجلد والامتناع وزحف المسلمون اليهم ثاني جمادى الآخرة فتعلقوا بقرنة من ذلك الجبل قد اغفل الفرنج احكامها فتسلقوا منها بين الصخور حتى التحقوا بالسور الاول فملكوا منه ثلاثة وغنموا ما فيها من ابقار ودواب وذخائر وغير ذلك واحتمى الفرنج بالقلة التي للقلعة فقاتلهم المسلمون عليها فنادوا وطلبوا الامان فلم يجبهم صلاح الدين اليه فقرر واعلى انفسهم مثل قطيعة البيت المقدس وتسلم الحصن وسلمه الى امير يقال له ناصر الدين منكورس صاحب قلعة ابي قبيس فحصنه وجعله من احصن الحصون ولما ملك المسلمون صهيون تفرقوا في تلك النواحي فملكوا حصن بلاطنوس كان من به من الفرنج قد هربوا منه وتركوه خوفا ورعبا وملك ايضا حصن العيد وحصن الجماهرتين فاتسعت المملكة الاسلامية بتلك الناحية الا ان الطريق اليها من البلاد الاسلامية على عقبة بكسرائيل شاق شديد لان الطريق السهلة كانت غير مسلوكة لان بعضها بيد الاسماعيلية وبعضها بيد الفرنج

ذكر فتح حصن بكاس والشغر

ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الآخرة ووصل الى قلعة بكاس فرأى الفرنج قد اخلوها وتحصنوا بقلعة الشغر فملك قلعة بكاس بغير قتال وتقدم الى قلعة الشغر وهي وبكاس على الطريق السهل المسلوك الى لاذقية وجبلة والبلاد التي ادركها صلاح الدين من بلاد الشام الاسلامية فلما نازلها رآها منيعة حصينة لا ترام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الا انه امر بزاحفتهم ونصب المنجنيق عليهم ففعلوا ذلك ورمى بالمنجنيق فلم يصل من احجاره الى القلعة شئ الا القليل الذي لا يؤذي فبقي المسلمون عليها اياما لا يرون فيها طمعا واهلها غير مهتمين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرق اليهم وبلاء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده اصحابه وهم في ذكر

ثلثيها واخر لهم الثلث وهو مقدار كثير ايضا نحو خمسة آلاف من زرهم ان تأخر لهم منها شئ او من الخزينة ولازم الجماعة الطلوع والنزول في كل ليلة الفجر بواقي المتوجبات وايضا استقر لاهل خان الجمزاوي نحو من ثلاثة آلاف كيس كذلك ولطائفة العسكرية نحو من سبعين كيسا خصصت لهم من ثمن السكر الذي يبتاعونه من الباشا واستمر الباشا بالقلعة يدبر اموره ويجاب قلوب الناس من الرعية وا كابر دولته بما يفعله من بذل المال ورد المنهوبات حتى ترك الناس يسخطون على العسكر ويترضون عنه ولو لم يفعل ذلك وثارت العساكر هذه الثورة ولم يقع منهم نهب ولا تعد لما عدتهم الرعية واجمعت عليهم اهالي القرى وارباب الاقطاعات لشدة نكايتهم من الباشا بضبط الرزق والالتزامات وقياس الاراضي وقطع المعايش وذلك من سوء تدبير العسكر وسعادة الباشا وحسن سياسته باستجلابه الخواطر وتلقيه بالكلام اللين والتصنع ويلوم على فعل العسكر ويقول بمسمع الحاضرين ما ذنب الناس معهم خصوصا خصامهم مع اوسع الرعية هاانا لي منزل بالازبكية فيه اموال وجواهر وامتعة واشياء كثيرة وسراية ابني اسمعيل باشا ببولاق ومنزل الدفتردار ونحو ذلك ويحصل ويقول ويعمل فيلزمه ويدبر امره في قيام العسكر وعثمانيتهم

ثامن عشر جمادى الاولى وتسلمها وقت وصوله وكان قاضيها قد سبق اليها ودخل فلما وصل صلاح الدين رفع اعلامه على سورها وسلمها اليه وتحصن الفرنج الذين كانوا بها بحصنها واحتموا بقلعتها فما زال قاضي جبلة يخوفهم ويرغبهم حتى استنزلهم بشرط الامان وان يأخذ رهائن منهم يكونون عنده الى ان يطلق الفرنج رهائنهم من المسلمين من اهل جبلة وكان بيمند صاحب انطاكية قد اخذ رهائن القاضي ومسلمي جبلة وتركهم عنده بانطاكية فأخذ القاضي رهائن الفرنج وجاء رؤساء اهل الجبل الى صلاح الدين بطاعة اهله وهو من امنع الجبال واشدها مسلكا وفيه حصن يعرف ببيكسرائيل بين جبلة ومدينة حماة فملكه المسلمون وصار الطريق في هذا الوقت عليه من بلاد الاسلام الى العسكر وكان الناس يلقون شدة في سلوكه وقرر صلاح الدين احوال جبلة وجعل فيها لحفظها الامير سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر وسار عنها

٥(ذكر فتح لاذقية)٥

لما فرغ السلطان من امر جبلة سار عنها الى لاذقية فوصل اليها في الرابع والعشرين من جمادى الاولى فترك الفرنج المدينة لعجزهم عن حفظها وصعدوا الى حصنين لها على الجبل فامتنعوا بهما فدخل المسلمون المدينة وحصروا القلعتين اللتين فيهما الفرنج ونقبوا السور سبعين ذراعا وعلقوه وعظم القتال واشتد الامر عند الوصول الى السور فلما ايقن الفرنج بالعطب ودخل اليهم قاضي جبلة فخوفهم من المسلمين فطلبوا الامان فأمنهم صلاح الدين ورفعوا الاعلام الاسلامية الى الحصنين وكان ذلك في اليوم الثالث من النزول عليها وكانت عمارة اللاذقية من احسن الابنية واكثرها زخرفة مملوءة بالرخام على اختلاف انواعه فخرب المسلمون كثيرا منها ونقلوا رخامها وشعثوا كثيرا من بيعها التي قد غرم على كل واحدة منها الاموال الجليلة الثقيلة وسلمها الى ابن اخيه تقي الدين عمر فعمرها وحصن قلعتها حتى اذا رآها اليوم من رآها انكرها فلا يظن ان هذه تلك وكان عظيم الهمة في تحصين القلاع والغرامة الوافرة عليها كما فعل بقلعة حماة

٥(ذكر حال اسطول صقلية)٥

لما نازل صلاح الدين لاذقية وصل اسطول صقلية الذي تقدم ذكره فوقف بازاء مينا لاذقية فلما سلمها الفرنج الذين بها الى صلاح الدين عزم اهل هذا الاسطول على اخذ من يخرج منها من اهلها غيظا وحنقا حيث سلموها وامر بهذا سمع بذلك اهل لاذقية فاقاموا وبذلوا الجزية وكان سبب مقامهم ان مقدم هذا الاسطول طلب من السلطان الامان ليحضر عنده فأمنه وحضر وقبل الارض بين يديه وقال ما معناه انك سلطان رحيم كريم وقد فعلت بالفرنج ما فعلت فذلوا فاتركهم يكونون غلمانك وبجندك تفتح بهم البلاد والممالك وترد عليهم بلادهم والا جاءك من البحر ما لا طاقة لك به فيعظم ... الامر ويشتد الحال فاجابه صلاح الدين بنحو من كلامه من اظهار

واحدة وافى جميع ... ووصلها الى القلعة وكبولوت قوابشوارع المدينة

والطاعة وامتثلوا لامره واماهم المناداة بالامان واحضر الباشا المعمار وامره بجمع النجارين والمعمارين واشغالهم في ترميم ما تكسر من اخشاب الدكاكين والاسواق ويدفع لهم اجرتهم وكذلك الاخشاب على طرف الميرى

٥(واستهل شهر رمضان يوم الاثنين سنة ١٢٢٠)٥

والناس في امر مريج وخوف شديد وملازمون السهر على الدكاكين ويشعلون المشاعل والسراج والقناديل وكل اهل خطة ملازم لخطته وحارته وكل وقت يذكرون وينقلون بينهم روايات وحكايات ووقائع ترهات وتداولت ايدى العساكر بالتعدي والاذية والخطف والقتل لمن ينفردون به من الرعية (وفى ثانى ليلة) طلع السيد محمد المحروقى وطلع بصحبته الشيخ محمد الدواخلى نقيب الاشراف وابن الشيخ العروسى وابن الصاوى المتعينون فى مشيخة الوقت وصحبتهم مشايخ الغورية وما يليه وقد ابتدؤا بهم فى املاء ما يطلب منهم من حوائجهم بعد ما حرر وما احتقد السيد محمد المحروقى وتحليفهم بعد الاملاء على صدق دعواهم وبعد التحليف والمطابقة بينهما وزعن بعضهم بحضرة الباشا ثم يثبتون له الب فى ذاته تقرلاهل الغورية خاصة ... كما قدمنا

ذلك وأما النصارى فلم يعنهم وقد تقدم ذكره مع رضوان كاشف عندما سك ٧ بابدا رموه وقبضه من جهة أخرى وعزروه

المسلمون ونصبوا عليه المجانيق ونصب أهل القلعة عليهم منجنيقا أبطلها ورأيت أنا من رأس جبل عال يشرف على القلعة لكنه لا يصل منه شيء إليها امرأة ترمي من القلعة عن المنجنيق وهي التي أبطلت منجنيق المسلمين فلما رأى صلاح الدين أن المنجنيق لا ينتفعون به عزم على الزحف ومكاثرة أهلها بجموعه فقسم عسكره ثلاثة أقسام قسم يزحف فإذا تعبوا وكلوا عادوا وزحف القسم الثاني فإذا تعبوا وضجروا عادوا وزحف القسم الثالث ثم يدور الدور مرة بعد أخرى حتى يتعب الفرنج وينصبوا فإنهم لم يكن عندهم من الكثرة ما يتقسمون كذلك فإذا تعبوا وأعيوا سلموا القلعة فلما كان الغد وهو السابع والعشرون من جمادى الآخرة تقدم أحد الأقسام وكان المقدم عليهم عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار وزحفوا وخرج الفرنج من حصنهم فقاتلوهم على فصيلهم ورماهم المسلمون بالسهام من وراء الجفتيات والجنويات والطارقيات ومشوا إليهم حتى قربوا إلى الجبل فلما قاربوا الفرنج عجزوا عن الدنو منهم لخشونة المرتقى وتسلط الفرنج عليهم لعلو مكانهم بالنشاب والحجارة فإنهم كانوا يلقون الحجارة الكبار فتتدحرج إلى أسفل الجبل فلا يقوم لها شيء فلما تعب هذا القسم انحدروا وصعد القسم الثاني وكانوا جلوسا ينتظرونهم وهم حلقة صلاح الدين الخاص فقاتلوا قتالا شديدا وكان الزمان حرا شديدا فاشتد الكرب على الناس وصلاح الدين في سلاحه يطوف عليهم ويحرضهم وكان تقي الدين ابن أخيه كذلك فقاتلوهم إلى قريب الظهر ثم تعبوا ورجعوا فلما رآهم صلاح الدين قد عادوا تقدم إليهم وبيده جماق يردهم وصاح في القسم الثالث وهم جلوس ينتظرون نوبتهم فوثبوا ملبين وساعدوا إخوانهم وزحفوا معهم فأتى الفرنج ما لا قبل لهم به وكان أصحاب عماد الدين قد استراحوا فقاموا أيضا معهم فحينئذ اشتد الأمر على الفرنج وبلغت القلوب الحناجر وكانوا قد اشتد تعبهم ونصبهم فظهر عجزهم عن القتال وضعفهم عن حمل السلاح لشدة الحر والقتال فخالطهم المسلمون فعاد الفرنج يدخلون الحصن فدخل المسلمون معهم وكان طائفة قليلة في الخيام شرقي الحصن فرأوا الفرنج قد أهملوا ذلك الجانب لأنهم لم يروا فيه مقاتلا ولم يكونوا في الجهة التي فيها صلاح الدين فصعدت تلك الطائفة من العسكر فلم يمنعهم مانع فصعدوا أيضا الحصن من الجهة الأخرى فالتقوا مع المسلمين الداخلين مع الفرنج فملكوا الحصن عنوة وقهرا ودخل الفرنج القلة التي للحصن وأحاط بها المسلمون وأرادوا نقبها وكان الفرنج قد رفعوا من عندهم من أسرى المسلمين إلى سطح القلة وأرجلهم في القيود والخشب المثقوب فلما سمعوا تكبير المسلمين في نواحي القلعة كبروا في سطح القلة وظن الفرنج أن المسلمين قد صعدوا على السطح فاستسلموا وألقوا بأيديهم إلى الأسر فملكها المسلمون عنوة ونهبوا ما فيها وأسروا وسبوا من فيها وأخذوا صاحبها وأهله وأمست خالية لا ديار بها وألقى المسلمون النار في بعض بيوتها فاحترقت ومن أعجب ما يحكى من السلامة أنني رأيت رجلا من المسلمين على حد القلعة جاء من طائفة من المؤمنين شمالي القلعة إلى

وضربه ويهدله بوسط الديوان (وفيه) وصل نجيب أفندي وهو كتخدا الباشا عند الدولة إلى بولاق فركب إليه كتخدا بك وأكابر الدولة والأغاوات والوجاقلية وتقدموا أمامه وركبا من بولاق إلى القلعة ودخل من باب النصر وحضر صحبته خلع برسم الباشا وولده طوسون باشا وسيفان وشلنجان وهدايا واحقاق نشوق مجوهرة وعملوا لوصوله شنكا ومدافع من القلعة وبولاق (وفيه) ارتحل الدلاة المسافرون إلى الحجاز ودخل جوبك إلى المدينة بطائفته (وفي ضحوة) ذلك اليوم بعد انفضاض أمر الموكب حصل في الناس زعجة وكرشات وأغلقوا البوابات والدروب واتصل هذا الانزعاج بجميع النواحي حتى بولاق ومصر القديمة ولم يظهر لذلك أصل ولا سبب من الأسباب مطلقا (وفي تلك الليلة) ألبس الباشا جوبك خلعة وتوجه بطرطور طويل وجعله أميرا على طائفة من الدلاة وانقطع هو وأتباعه من طريقتهم التركية التي كانوا عليها وهؤلاء الطائفة التي يقال لهم دلاة ينتسبون أنفسهم إلى طريقة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأكثرهم من نواحي الشام وجبال الدروز والمتاولة وتلك النواحي ويركبون الأكاديش

ويقسم عليهم ويعطيهم الاموال الكثيرة والاكياس العديدة فلاتخدعوهم وما كرهم وننتبذ ما اتفقتم عليه ويقولون نحن لم

القلعة واعمال الحيلة في الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فما
اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا فقال صلاح الدين او يأتي الله بنصر من عنده
وفتح فبينما هم في هذا الحديث اذ قد اشرف عليهم فرنجي ونادى بطلب الامان لرسول
يحضر عند صلاح الدين فاجيب الى ذلك ونزل رسول وسأل انتظارهم ثلاثة ايام فان
جاءهم من يمنعهم والا سلموا القلعة بما فيها من ذخائر ودواب وغير ذلك فاجابهم اليه
واخذ رهائنهم على الوفاء به فلما كان اليوم الثالث سلموها اليه واتفق انه يوم الجمعة
سادس عشر جمادى الآخرة وكان سبب استمهالهم انهم ارسلوا الى البيمند صاحب
انطاكية وكان هذا الحصن له يعرفونه انهم محصورون ويطلبون منه ان يرحل عنهم
المسلمين فان فعل والا سلموها وانما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله تعالى في قلوبهم والا فلو
اقاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم احد ولا بلغ المسلمون منه غرضا فلما تسلم صلاح
الدين الحصن سلمه الى امير يقال له قلج وامره بعمارته ورحل عنه

(ذكر فتح سرمينية)

لما كان صلاح الدين منه ولابهذه القلاع والحصون سير ولده الظاهر غازي صاحب
حلب فحصر سرمينية وضيق على اهلها واستنزلهم على قطيعة قررها عليهم فلما انزلهم
واخذ منهم المقاطعة هدم الحصن وعفى اثره وعالى بنيانه وكان فيه وفي هذه الحصون
من اسارى المسلمين الجم الغفير فاطلقوا واعطوا كسوة ونفقة وكان فتحه في يوم الجمعة
الثالث والعشرين من جمادى الآخرة واتفق ان فتح هذه المدن والحصون جميعها من
جبلة الى سرمينية مع كثرتها كان في ست جمع مع انها في ايدي اشجع الناس واشدهم
عداوة للمسلمين فسبحان من اذا اراد ان يسهل الصعب فعل وهي جميعها من اعمال
انطاكية ولم يبق لها سوى القصير وبغراس ودربساك وسيأتي ذكرها ان شاء الله
تعالى في مكانه

(ذكر فتح برزية)

لما رحل صلاح الدين من قلعة الشغر سار الى قلعة برزية وكانت قد وصفت له وهي
تقابل حصن افامية وتناصفها في اعمالها وبينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصي وعيون
تتفجر من جبل برزية وغيره وكان اهلها اضر شيء على المسلمين يقطعون الطريق
ويبالغون في الاذى فلما وصل اليها نزل شرقيها في الرابع والعشرين من جمادى
الآخرة ثم ركب من الغد وطاف عليها ينظر موضعا يقاتلها منه فلم يجده الا من جهة
الغرب فنصب له هناك خيمة صغيرة ونزل فيها ومعه بعض العسكر جريدة لضيق
المواضع وهذه القلعة لايمكن ان تقاتل من جهة الشمال والجنوب البتة فانها لا يقدر
احد ان يصعد جبلها من هاتين الجهتين واما الجانب الشرقي فيمكن الصعود منه لكن
لغيره مقاتل لعلوه وصعوبته واما جهة الغرب فان الوادي المطيف بجبلها قد ارتفع
هناك ارتفاعا كثيرا حتى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق والسهام فنزل

تنهب ولم يحصل لنا كسب
فيعطيهم ويفرق فيهم المقادير
العظيمة فانهم صرف عليهم
مات بالف كيس واكثر دون
ذلك (وفي اثناء ذلك) اخرج
جرذة من عسكر الدولة
ليسافروا الى الديار الحجازية
فبرزوا الى خارج باب الفتوح
حيث المكان المسمى بالشيخ
قمر ونصبوا هناك وطاقهم
وخرجت احمالهم واثقالهم
(وفي ليلة الخميس) ثارت
طائفة الطبجية وخاضوا وضجوا
وهم نحو الاربعمائة وطلبوا
نفقة قدرها لهم بخمسة وعشرين
كيسا تفرقت فيهم فسكتوا
وفي يوم الخميس المذكور نزل
كتخدا بك وشق من وسط
المدينة ونزل عند جامع
الغورية وجلس فيه ورسم
لاهل السوق بفتح حوانيتهم
وان يجلسوا فيها فامتثلوا وفتحوا
الحوانيت وجلسوا على تخوف
كل ذلك مع عدم الراحة
والهدو وتوقع المكروه والتجاهر
من العسكر وتعدى السفهاء
منهم في بعض الاحايين والحرز
والاحتراس واما النصارى
فانهم حصنوا مساكنهم
ونواحيهم وحاراتهم وسدوا
المنافذ وتراكا نك واستعدوا
بالاسلحة والبنادق وامدهم
الباشا بالبارود وآلات الحرب
دون المسلمين حتى انهم اتفقوا
كتخدا بك في سد بعض الحارات النافذة التي يحضرون ويقع الضرر منها يمنع من

المسلمين

حذرين من الخوف من اهلها ان يقتلوا القريبين منها وصلاح الدين في بعض اصحابه على القلعة يقاتلها ونصب المنجنيقات فلم تؤثر فيها شيئا لعلوها وارتفاعها فغلب على الظنون تعذر فتحها وتأخر ملكها واشتق على المسلمين قلة الماء عندهم الا ان صلاح الدين نصب الحياض وامر بحمل الماء اليها فخفف الامر عليهم فبينما هو على هذه الحال اذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان فاجيب الى ذلك فاذن له في الحضور فحضر وطلب الامان لمن في الحصن حتى يسلموا اليه بما فيه على قاعدة دربساك فاجابهم الى ما طلبوا فعادوا الرسول ومعه الاعلام الاسلامية فرفعت على راس القلعة ونزل من فيها وتسلم المسلمون القلعة بما فيها من ذخائر واموال وسلاح وامر صلاح الدين بتخريبه فخرب وكان ذلك ضررا عظيما على المسلمين فان ابن ليون صاحب الارمن خرج اليه من ولايته وهو مجاوره فجدد عمارته واتقنه وجعل فيه جماعة من عسكره يغيرون منه على البلاد فتأذى بهم السواد الذي بحلب وهو الى الآن بايديهم

ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكية

لما فتح صلاح الدين بغراس عزم على التوجه الى انطاكية وحصرها فخاف البيمند صاحبها من ذلك واشفق منه فارسل الى صلاح الدين يطلب الهدنة وبذل اطلاق كل اسير عنده من المسلمين فاستشار من عنده من اصحاب الاطراف وغيرهم فاشار اكثرهم باجابته الى ذلك ليعود الناس ليستريحوا ويجددوا ما يحتاجون اليه فاجاب الى ذلك واصطلحوا ثمانية اشهر اولها اول تشرين الاول وآخرها آخر ايار وسير رسوله الى صاحب انطاكية يستحلفه ويطلق من عنده من الاسرى وكان صاحب انطاكية في هذا الوقت اعظم الفرنج شانا واكثرهم ملكا فان الفرنج قد سلموا اليه طرابلس بعد موت القمص وجميع اعمالها مضافا الى ما كان له لان القمص لم يخلف ولدا فلما سلمت اليه طرابلس جعل ولده الاكبر فيها نائبا عنه واما صلاح الدين فانه عاد الى حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرق العساكر الشرقية كعماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار والخابور وعسكر الموصل وغيرها ثم رحل من حلب الى دمشق وجعل طريقه على قبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فزاره وزار الشيخ الصالح ابا زكريا المغربي وكان مقيما هناك وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع صلاح الدين الامير عز الدين ابو الفليتة قاسم بن المهنا العلوي الحسيني وهو امير مدينة النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهده وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبرك برؤيته وتيمن بصحبته وكان يكرمه كثيرا وينبسط معه ويرجع الى قوله في اعماله كلها ودخل دمشق اول شهر رمضان فاشير عليه بتفريق العساكر فقال ان العمر قصير والاجل غير مأمون وقد بقي بيد الفرنج هذه الحصون كوكب وصفد والكرك وغيرها ولا بد من الفراغ منها فانها في وسط بلاد الاسلام ولا يؤمن شر اهلها وان اغفلناهم ندمنا فيما بعد والله اعلم

الملك ركب ايضا وتقول الناس حول نهار ذلك اليوم اصنافا وانواعا من الروايات والاقاويل التي لا اصل لها (وفي يوم الاربعاء) سابع عشره حضر الشريف سرور شريف مكة من الحجاز ودخل المدينة وهو راكب على هجين وصحبته خمسة انفار على هجن ايضا ومعهم اشخاص من الارنؤد من اتباع حسن باشا الذي بالحجاز فطلعوا به الى القلعة ثم نزلوا الى منزل احمد اغا اخي كتخدا بك (وفي ليلة الخميس) قلد الباشا عبد الله اغا المعروف بصاري جله وجعله كبيرا على طائفة من الينكجرية ايضا وجعل على راسه الطربوش الطويل المرخى على ظهره كما هي عادتهم هو واتباعه وكان من جملة المتهومين بالخلاف على الباشا (وفيه) برز امر الباشا لكبار العسكر بركوب جميع عساكرهم الخيول ومعهم من حمل البنادق ولا يكون منهم راجل او حامل للبندقية الا من كان من اتباع الشرطة والاحكام مثل الوالي والاغا واغات التبديل ولازم كتخدا بك وايوب اغا تابع ابراهيم اغا اغات التبديل والوالي المرود بالشوارع والجلوس في مراكز الاسواق مثل الغورية والحمالية وباب الخرنفش وباب زويلة وباب الخرق واكثر اتباعهم مفطرون في نهار رمضان ومتجاهرون بذلك من غير احتشام ولا مبالاة بانتهاك الشهر

طائفة أخرى من الشبان جنو بى القلعة وهو يعدو فى الجبل عرضا فالقيت عليه الحجارة وجاء حجر كبير فوقع تلقاء لوجهه فنزل عليه فاداه الناس يحذرونه فالتفت ينظر ما الخبر فسقط على وجهه من شدة ما تسرعه فرجع الناس وجاء الحجر اليه فلما قاربه وهو منبطح على وجهه لقيه حجر آخر ثابت فى الارض فوق الرجل فضرب به الصدر فارتفع عن الارض وجاز الرجل ثم عاد الى الارض من جانبه الآخر ولم ينله منه اذى ولا ضرر وقام يعدو حتى لحق باصحابه فكان ... وطيب نجاته فتعجبت ام الجبان واما صاحب برزية فانه اسر هو واصحابه وامرأته واولاده ومنهم بنت له معها زوجها فتفرقهم العسكر فارسل صلاح الدين فى الوقت وبحث عنهم واشتراهم وجمع شمل بعضهم ببعض فلما قارب انطاكية اطلقهم وسيرهم اليها وكانت امرأة صاحب برزية اخت امرأة البرنس صاحب انطاكية وكانت تراسل صلاح الدين وتهاديه وتعلمه كثيرا من الاحوال التى تؤثر فاطلق هؤلاء لاجلها

ذكر فتح دربساك

لما فتح صلاح الدين حصن برزيه رحل عنه من الغد فاتى جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من انطاكية فاقام عليه حتى وافاه من تخلف عنه من عسكره ثم سار عنه الى قلعة دربساك فنزل عليها ثامن رجب وهى من معاقل الداوية الحصينة وقلاعهم التى يدخرونها لحماية اتهم عند نزول الشدائد فلما نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمى بالحجارة فهدمت من سورها شيئا يسيرا فلم يبال من فيه بذلك فامر بالزحف عليها ومهاجمتها فبادرها العسكر بالزحف وقاتلوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدم النقابون فنقبوا منها برجا وعلقوه فسقط واتسع المكان الذى يريد المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثم باكروا الزحف من الغد وكان من فيه قد ارسلوا الى صاحب انطاكية يستنجدونه فصبروا واظهروا التجلد وهم ينتظرون جوابه اما بانجادهم وازاحة المسلمين عنهم واما بالتخلى عنهم ليقوم عذرهم فى التسليم فلما علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليها واخذهم بالسيف وقتلهم واسرهم ونهب اموالهم طلبوا الامان فامنهم على شرط ان لا يخرج احد الا بثيابه التى عليه بغير مال ولا سلاح ولا اثاث بيت ولا دابة ولا شئ مما بها ثم اخرجهم منه وسيرهم الى انطاكية وكان فتحه تاسع عشر رجب

ذكر فتح بغراس

ثم سار عن دربساك الى قلعة بغراس فحصرها بعد ان اختلف اصحابه فى حصرها فمنهم من اشار به ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكية ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج ان يكون اكثر العسكر فى اليزك مقابل انطاكية فاذا كان الامر كذلك قل المقاتلون عليها ويتعذر الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل اكثر عسكره يزكا مقابل انطاكية يغيرون على اعمالها وكانوا

وحفه من جلود الغنم الصفار طول الطرطور نحو ذراع واذا دخل الكنيف وعلى رؤسهم الطراطير السود يرفعه من على راسه ويضعه على عتبة الكنيف وما ادرى ان ذلك تعظيم له عن مصاحبته معه فى الكنيف او الخوف وحذر من سقوطه ان اصطدم بأسكفة الباب فى صحن المرحاض او الملاقى وهؤلاء الطائفة مشهور رزقى دولة العثمانيين بالشجاعة والاقدام فى الحروب ويوجد فيهم من هو على طريقة جيدة ومنهم دون ذلك وقليل ماهم ولكونهم من تمام النظام ونيتهم التشاوش اجناسه واتراك خلاف الاجناس الغربية ومن بقى من اولئك يكون تبعا لا متبوعا (وفى يوم الثلاثاء سادس عشره) حصل مثل ذلك المتقدم من الانزعاج والكركشات بل اكثر من المرة الاولى ورمحت الراعدون واغلقت الحوانيت وطلبت الناس السقائين الذين ينقلون الماء من الخليج وبيعت القربة بعشرة انصاف فضة والراوية بار بعين ونزل الاغاوات التبديل وامامهم المناداة بالامان و ينادون على الصا كر ايضا ومنهم من حمل البنادق و يامرون الناس بالحفظ واستمر هذا الامر والانزعاج الى قبيل العصر وسكن الحال وكثر مرور السقائين وبيعت القربة بخمسة انصاف والراوية بخمسة عشر ولم يظهر

صلاح الدين وهو على صفد فاحضرهما ليقتلهما وكانت عادته قتل الداوية
والاسبتارية لشدة عداوتهم للمسلمين وشجاعتهم فلما امر بقتلهما قال له احدهما
ما اظن ينالنا سوء وقد نظرنا الى طلعتك المباركة ووجهك الصبيح وكان رحمه الله كثير
العفو يفعل الاعتذار والاستعطاف فيه فيعفو ويصفح فلما سمع كلامه عفا ولم يقتلهما
وامر بهما فسجنا ولما فتح صفد عاد منها الى كوكب ونازلها وحصرها وارسل الى
من بها من الفرنج يبذل لهم الامان ان سلموا ويتهددهم بالقتل والسبي والنهب ان
امتنعوا فلم يسمعوا قوله واصروا على الامتناع فجد في قتالهم ونصب عليهم المجانيق
وتابع رمي الاحجار اليهم وزحف مرة بعد مرة وكانت الامطار كثيرة لا تنقطع ليلا ولا نهارا
فلم يتمكن المسلمون من القتال على الوجه الذي يريدونه وطال مقامهم عليها وفي آخر
الامر زحف اليها دفعات متناوبة في يوم واحد ووصلوا الى باشورة القلعة ومعهم النقابون
والرماة يحمونهم بالنشاب عن قوس اليد والجروخ فلم يقدر احد منهم ان يخرج رأسه
من اعلى السور فنقبوا الباشورة فسقطت وتقدموا الى السور الاعلى فلما رأى الفرنج
ذلك اذعنوا بالتسليم وطلبوا الامان فامنهم وتسلم الحصن منهم منتصف ذي القعدة
وسيرهم الى صور فوصلوا اليها واجتمع بها من شياطين الفرنج وشجعانهم كل صنديد
فاشتدت شوكتهم وحميت جمرتهم وتابعوا الرسل الى من بالاندلس وصقلية وغيرها من
جزائر البحر يستغيثون ويستنجدون والامداد كل قليل تأتيهم وكان ذلك كله
بتفريط صلاح الدين في اطلاق كل من حصره حتى عض بنانه ندما واسفا حيث لم
ينفعه ذلك واجتمع للمسلمين بفتح كوكب وصفد من حد ايلة الى اقصى اعمال بيروت
لا يفصل بينه غير مدينة صور وجميع اعمال انطاكية سوى القصير ولما ملك صلاح
الدين صفد سار الى البيت المقدس وعيد فيه عيد الاضحى ثم سار منه الى عكا فاقام بها
حتى انسلخت السنة

•(ذكر ظهور طائفة من الشيعة بمصر)•

في هذه السنة ثار بالقاهرة جماعة من الشيعة عدتهم اثنا عشر رجلا ليلا ونادوا بشعار
العلويين يا آل علي يا آل علي وسلكوا الدروب ينادون ظنا منهم ان رعية البلد يلبون
دعوتهم ويخرجون معهم فيعيدون الدولة العلوية ويخرجون بعض من بالقصر
محبوسا منهم ويملكون البلد فلم يلتفت احد منهم اليهم ولا اعارهم سمعه فلما رأوا ذلك
تفرقوا خائفين فاخذوا وكتب بذلك الى صلاح الدين فاهمه امرهم وازعجه فدخل
عليه القاضي الفاضل فاخبره الخبر فقال القاضي الفاضل ينبغي ان تفرح بهذا الحال ولا
تحزن ولانهم حيث علمت من بواطن رعيتك المحبة لك والنصح وترك الميل الى عدوك
ولو وضعت جماعة يفعلون مثل هذه الحالة لم بواطن اصحابك ورعيتك وخسرت
الاموال الجليلة عليهم لكان قليلا فسري عنه وكان هذا القاضي الفاضل صاحب
دولة صلاح الدين واكثر من بها وصاياه من مناقبه عنده وفاته ما تراه

ذلك كثيرا وانقضى شهر رمضان والناس في امر مريج وخوف وانزعاج وتوقع المكروه ولم يترك الباشا من القلعة
طول الشهر وذلك على خلاف
عادته فانه لا يقدر على
الاستقرار وكان اياما وطبيعته
الحركة حتى في الكلام
وكبار العساكر والسيد محمد
المحروقي ومن يصحبهم من
المشايخ ونقيب الاشراف
مستمرون على الطلوع
والنزول في كل يوم وليلة
للتنديد بالمهم وبين ذلك ديوان
خاص وفرق الباشا كساوي
العيد على اربابها ولم يظهر في
هذه القضية نقض معنى
والكثير من العساكر الذين
يمشون مع الناس في الاسواق
يظهرون الخلاف والسخط
ويظهر منهم التعدي ويخطفون
عمائم الناس والنساء جهارا
ويتوعدون الناس بعودهم
في النهب وكانما بينهم وبين
اهل البلدة عداوة قديمة
او ثارات يخلصونها منهم
وفيهم من يظهر التأسف
والتندم واللوم على المتعدين
ويسفه رايهم وهو المحروم
الذي خاب من ذلك وبالجملة
فكل ذلك تقادير الهية وقضايا
سماوية ونقمة حلت باهل
الاقليم واهله من كل ناحية
نسأل الله العفو والسلامة
وحسن العاقبة • ومما
اتفق ان بعض الناس زاد
بهم الوهم فنقل ماله من
حانوته او حاصله الدكان
ببعض الوكائل او الخانات الى منزله او حرزه فسرق فيما السراق وحانوته او حاصله لم يصبه ما اصاب غيره وتقدم

العموم يجلسون على الحوانيت ١٠ والمساطب بالكوف ويشربون الدخان ويأتي أحدهم بيده شبك الدخان

(ذكر فتح الكرك وما يجاوره)

كان صلاح الدين قد جعل على الكرك من يحصره فلازموا الحصار هذه المدة الطويلة حتى فنيت أزوادهم وذخائرهم وأكلوا دوابهم وصبروا حتى لم يبق للصبر مجال فراسلوا الملك العادل أخا صلاح الدين وكان جعله صلاح الدين على قلعة الكرك في جمع من العسكر يحصرها ويكون مطلعا على هذه الناحية من البلاد لبعده الى دربساك وبغراس وصلته رسل الفرنج من الكرك يبذلون تسليم القلعة اليه ويطلبون الامان فأجابهم الى ذلك وأرسل الى مقدم العسكر الذي يحصرها في المعنى فتسلم القلعة منهم وأمنهم وتسلم أيضا ما يقاربها من الحصون كالشوبك وهرمز والوعيرة والسلع وفرغ القلب من تلك الناحية وألقى الاسلام هناك جرانه وأمنت قلوب من في ذلك الصقع من البلاد كالقدس وغيره فانهم كانوا من تلك الحصون وجلين ومن شرهم مشفقين

(ذكر فتح قلعة صفد)

لما وصل صلاح الدين الى دمشق وأشير عليه بتفريق العساكر قال لابد من الفراغ من صفد وكوكب وغيرهما فأقام بدمشق الى منتصف رمضان وسار عن دمشق الى قلعة صفد فحصرها وقاتلها ونصب عليها المنجنيقات وأدام الرمي اليها ليلا ونهارا بالحجارة والسهام وكان أهلها قد قاربت ذخائرهم وأزوادهم أن تفنى في المدة التي كانوا فيها محاصرين فان عسكر صلاح الدين كان يحاصرهم كما ذكرناه فلما رأى أهلها جد صلاح الدين في قتالهم خافوا أن يدوم الى أن يفنى ما بقي معهم من أقواتهم وكانت قليلة ويأخذهم عنوة ويهلكهم أو أنهم يضعفون عن مقاومته قبل فناء ما عندهم من القوت فيأخذهم فأرسلوا يطلبون الامان فأمنهم وتسلمها منهم فخرجوا منها وساروا الى مدينة صور وكفى الله المؤمنين شرهم فانهم كانوا وسط البلاد الاسلامية

(ذكر فتح كوكب)

لما كان صلاح الدين يحاصر صفدا اجتمع من بصور من الفرنج وقالوا ان فتح المسلمون قلعة صفد لم تبق كوكب ولو أنها معلقة بالكوكب وحينئذ ينقطع طمعنا من هذا الطرف من البلاد فاتفق رأيهم على انفاذ نجدة لها سرا من رجال وسلاح وغير ذلك فأخرجوا مائتي رجل من شجعان الفرنج وأجلادهم فساروا الليل مستخفين وأقاموا النهار مكمنين فاتفق من قدر الله تعالى أن رجلا من المسلمين الذين يحاصرون كوكب خرج متصيدا فلقي رجلا من تلك النجدة فاستغربه بتلك الارض فضربه ليعلمه بحاله وما الذي أقدمه الى هنالك فأقر بالحال ودله على أصحابه فعاد الجندي المسلم الى قايماز النجمي وهو مقدم ذلك العسكر فأعلمه الخبر والفرنجي معه فركب في طائفة من العسكر الى الموضع الذي قد اختفى فيه الفرنج فكبسهم فأخذهم وتتبعهم في الشعاب والكهوف فلم يفلت منهم أحد فكان معهم مقدمان من فرسان الاسبتار فحملوا الى

فيبقى بحجره لا تعرف ابن البلد على غفلة منهم ينفخ فيه على سبيل السخرية والمذيان بالصائم وزادوا في البغي والتعدي وخلاف الشرع جهارا وجهارا حتى اتفق ان شخصا منهم ادخل امراة الى الجامع الاشرفية وزنى بها في المسجد بعد صلاة الظهر في نهار رمضان (وفي اواخره) عملوا حساب اهل سوق مرجوش فبلغ ذلك الشار بمائة وخمسين كيسا قبضوا ثلثيها وتأخر لهم الثلث كل ذلك خلاف النقود لهم ولغيرهم مثل تجار الحمزاوي وهو شيء كثير ومبالغ عظيمة فان الباشا امتنع من ذكرها وقال لاي شيء يؤخرون في حوانيتهم وحواصلهم النقود ولا يتجرون فيها واتفق لتاجر من اهل سوق امير الجيوش انه ذهب من حاصله من حواصل الخان ثمانية آلاف فرانسه فلم يذكرها ومات قهرا وكذلك ضاع لاهل خان الحمزاوي من صرر الاموال والنقود والودائع والرهونات والمصاغ والجوهر ما يرهنه النساء على عن ما يشترونه من التجار والتفاصيل والقصبات او على ما يتأخر عليهم من الاثمان مالا يدخل تحت الحصر ويستحيا من ذكره وضاع لرجل يبيع الفسيخ والبطارخ بخان الحمزاوي من حانوته اربعة آلاف فرانسه فلم يذكرها وامثال

بالرملة وفيها توفي علاء الدين تنامش وحمل تابوته الى مشهد الحسين عليه السلام وفيها توفي خادم الخليفة وكان أكبر امير ببغداد ومات ابو الفرج بن النقور العدل ببغداد وسمع الحديث الكثير وهو من بيت الحديث رحمه الله

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة)

(ذكر فتح شقيف ارنوم)

في هذه السنة في ربيع الاول سار صلاح الدين الى شقيف ارنوم وهو من أمنع الحصون ليحصره فنزل بمرج عيون فنزل صاحب الشقيف وهو ارناط صاحب صيدا وكان هذا ارناط من اعظم الناس دهاء ومكرا فدخل اليه واجتمع به وأظهر له الطاعة والمودة وقال له انا محب لك ومعترف باحسانك وأخاف أن يعرف المركيس ما بيني وبينك فينال أولادي وأهلي منه أذى فانهم عنده فأشتهي أن تمهلني حتى أتوصل في تخليصهم من عنده وحينئذ احضر انا وهم عندك ونسلم الحصن اليك ونكون انا وهم في خدمتك نقنع بما تعطينا من اقطاع فظن صلاح الدين صدقه فاجابه الى ما سأل فاستقر الامر بينهما ان يسلم الشقيف في جمادى الآخرة وأقام صلاح الدين بمرج عيون ينتظر الميعاد وهو قلق مفكر لقرب انقضاء مدة الهدنة بينه وبين البيمند صاحب انطاكية فامر تقي الدين ابن أخيه أن يسير فيمن معه من عساكره ومن يأتي من بلاد المشرق ويكون مقابل انطاكية لئلا يغير صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضاء الهدنة وكان أيضا منزعج الخاطر كثير الهم لما بلغه من اجتماع الفرنج بمدينة صور وما يتصل بهم من الامداد في البحر وان ملك الفرنج الذي كان قد أسره صلاح الدين وأطلقه بعد فتح القدس قد اصطلح هو والمركيس بعد اختلاف كان بينهما وانهم قد اجتمعوا في خلق لا يحصى فانهم قد خرجوا من مدينة صور الى ظاهرها فكان هذا اشياء مما يزعجه ويخاف من ترك الشقيف وراء ظهره والتقدم الى صور وفيها الجموع المتوافرة فتنقطع الميرة عنه الا انه مع هذه الاشياء مقيم على العهد مع ارناط صاحب الشقيف وكان ارناط في مدة الهدنة يشتري الاقوات من سوق العسكر والسلاح وغير ذلك مما يحصن به شقيفه وكان صلاح الدين يحسن الظن واذا قيل له عنه ما هو فيه من المكر وان قصده المطاولة الى ان يظهر الفرنج من صور وحينئذ يبدي صفحته ويظهر مخالفته لا يقبل فيه فلما قارب انقضاء الهدنة تقدم صلاح الدين من عسكره الى القرب من شقيف ارنوم واحضر عنده ارناط وقد بقي من الاجل ثلاثة أيام فقال له في معنى تسليم الشقيف فاعتذر باولاده واهله وان المركيس لم يمكنهم من المجيء اليه وطلب التأخير مدة أخرى فحينئذ علم السلطان مكره وخداعه فأخذه وحبسه وامره بتسليم الشقيف فطلب قسيسا ذكره ليحمل رسالة الى من بالشقيف ليسلموه فاحضروه عنده فساره بما لم يعلم ومضى ذلك القسيس الى الشقيف فأظهر اهله العصيان فسير صلاح الدين ارناط الى دمشق وسجنه وتقدم الى الشقيف فحصره وضيق عليه وجعل

ولا الصبوات ماعلى المقابر ولم يحصن في هذه الحادثة الامتناع هذه الامور وخصوصا خروج النساء الى المقابر فانه لم يخرج منهن الا بعض حرافيش على تخوف ووقع لبعضهن من العسكر ما وقع عند باب النصر والجامع الاحمر (وفي ثالثه) نزل الباشا من القلعة من باب الجبل وهو في عدة من عسكر الدلاة والاتراك الخيالة والمشاة وصحبته عابدين بك وذهب الى ناحية الآثار فعيد على يوسف باشا المنفصل عن الشام لانه مقيم هناك لتغيير الهواء بسبب مرضه ثم عدى الى الجيزة وبات بها عند صهره محرم بك ولما أصبح ركب السفائن وانحدر الى شبرا وبات بقصره ورجع الى منزله بالازبكية ثم طلع الى القلعة (وفي يوم الثلاثاء ثامنه) عمل ديوانا وجمع المشايخ المتصدرين وخاطبهم بقوله انه يريد ان يفرج عن حصص الملتزمين ويترك لهم وساياهم يؤجرونها او يزرعونها لانفسهم ويرتب نظاما لاجل راحة الناس وقد امر الافندية كتاب الروزنامه بتحرير دفاتر وامهلهم اثني عشر يوما يحررون في ظرفها الدفاتر على الوجه المرضي فاثنوا عليه خيرا ودعوا له فقال الشيخ الشنواني ونرجو من افندينا ايضا الافراج عن الرزق الاحباسية كذلك فقال كذلك يفارق محاسبات الملتزمين ويحررها على الوجه المرضي ايضا ومن اراد منهم ان يتصرف في حصته ويلتزم

(ذكر انهزام عسكر الخليفة من السلطان طغرل)

في هذه السنة جهز الخليفة الناصر لدين الله عسكرا كثيرا وجعل المقدم عليهم وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس وسيرهم الى مساعدة قزل ليكف السلطان طغرل عن البلاد فسار العسكر ثالث صفر الى ان قارب همذان فلم يصل قزل اليهم واقبل طغرل اليهم فالتقوا ثامن ربيع الاول بداي مرج عند همذان واقتتلوا فلم يثبت عسكر بغداد بل انهزموا وتفرقوا وثبت الوزير قاعدا ومعه مصحف وسيف فاتاه من عسكر طغرل من اسره واخذ ما معه من خزانة وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد العسكر الى بغداد متفرقين وكنت حينئذ بالشام في عسكر صلاح الدين يريد الغزاة فاتاه الخبر مع النجابين بمسير العسكر البغدادي فقال كأنكم وقد وصل الخبر بانهزامهم فقال له بعض الحاضرين وكيف ذلك فقال لا شك ان اصحابي واهلي اعرف بالحرب من الوزير واطوع في العسكر منه ومع هذا فما ارسل احدا منهم في سرية للحرب الا واخاف عليه وهذا الوزير غير عارف بالحرب وقريب العهد بالولاية ولا يراه الامراء اهلا ان يطاع وفي مقابلة سلطان شجاع قد باشر الحروب بنفسه ومن معه يطيعه وكان الامر كذلك ووصل الخبر اليه بانهزامهم فقال لاصحابه كنت اخبرتكم بكذا وكذا وقد وصل الخبر بذلك ولما عادت عساكر بغداد منهزمة قال بعض الشعراء وهو احمد بن الواثق بالله

اتركونا من حديث الهزيمه ○ طالعة طالعة تشكرون وخيمه
بركات الوزير قد شملتنا ○ فلهذا امورنا مستقيمه
خرجت جندنا تريد خراسا ○ ن جميعا بابهات عظيمه
بخيول وعدة وحديد ○ وسيوف مجربات قديمه
ووزير وطاق طنب ونقش ○ وخيول معدة للهزيمه
هم راوا غبرة العدو وقد اقبـ ○ ـل ولوا واعجل عقد العزيمه
واتونا ولا تحقق حسبين ○ بوجوه سود وقباح ذميمه
لو راى صاحب الزمان ولوعا ○ بين افعالهم وقبح الجريمه
قابل الكل بالنكال وناهيـ ○ ـك بهم ساسة عليهم مقيمه

كان ينبغي ان تتقدم هذه الحادثة وانما اخرت لتتبع الحوادث المتقدمة بعضها بعضا لتعلق كل واحدة منها بالاخرى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي شيخنا ابو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن سويدة التكريتي كان عالما بالحديث وله تصانيف حسنة وفيها توفيت ملجوقة خاتون بنت قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان زوجة الخليفة وكانت قبله زوجة نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن فلما توفي عنها تزوجها الخليفة ووجد الخليفة عليها وجدا عظيما ظهر للناس كلهم وبني على قبرها تربة بالجانب الغربي والى جانب التربة رباط مشهور

وذلك من فعل اهل البلد فيراقبون بعضهم بعضا ويبادرونهم في نظير ذلك لاشخاص كثيرة اوقات الغفلات في مثل هذه الحركات ومنهم من اتهم خدمه واتباعه وتهددهم وشكاهم الى حكام الشرطة ويغرم مالا على ذلك ايضا وغيرهم يؤنب ولا يفيده الا ارتكاب الاثم والفضيحة وعداوة الاهل والخدم وزيادة الغرم وغالب ما بايدي التجار واموال الشركاء والودائع والرهونات ويطالبه اربابها ومنهم قليل الديانة ذهب من حانوته اشياء وبقي اشياء فادعى ضياع الكل لقوة الشبهة

(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠)

وهو يوم عيد الفطر وكان في غاية البرودة والخمول عديم البهجة من كل شيء لم يظهر فيه من علامات الاعياد الا فطر الصائمين ولم يغير احد ما عليه بل ولا فصل ثيابا مطلقا ولا شيئا جديدا ومن اتفق له ثوب وقطعه وفصله في شعبان تأخر عند الخياط برهونات على مصاريفه ولوازمه لتعطل جميع الاسباب من بطالة ومقاطعة وغيرها حتى انه اذا مات ميت لم يدرك اهله كفنه الا بمشقة عظيمة وكسد في هذا العيد صنف الخياطين وما اشبههم من لوازم الاعياد ولم يعمل فيه كعك ولا شريك ولا سمك مملح ولا نقل ولم يخرجوا الى الجبانات والمدافن ايضا كعادتهم

جمادى الآخرة ايلافرهم من الجانبين ورتب كمناء فى عدة مواضع من تلك الاودية
والشعاب واختار جماعة من شجعان عسكره وأمرهم انهم اذا حمل عليهم الفرنج قاتلوهم
شيئا من قتال ثم تطاردوا لهم واروهم العجز عن مقاتلتهم فاذا تبعهم الفرنج استجروهم
الى ان يجوزوا موضع الكمين ثم يعطفوا عليهم ويخرج الكمين من خلفهم
فخرجوا على هذه العزيمة فلما تراءى الجمعان والتقت الفئتان انف فرسان المسلمين
ان يظهروا لهم الهزيمة وثبتوا فقاتلوهم وصبر بعضهم لبعض واشتد القتال وعظم
الامر ودامت الحرب وطال على الكمناء الانتظار فخافوا على اصحابهم فخرجوا من
مكامنهم يجدون مسرعين واليهم قاصدين فاتوهم وهم فى شدة الحرب فازداد الامر شدة
على شدة وكان فيهم اربعة امراء من ربيعة من بنى وكانوا جهالا بتلك الارض فلم يسلكوا
مسالك اصحابهم فسلكوا الوادى ظنا منهم انه يخرج بهم الى اصحابهم وتبعهم بعض
مماليك صلاح الدين فلما رآهم الفرنج بالوادى علموا انهم جاهلون فاتوهم وقاتلوهم
واما المملوك فانه نزل عن فرسه وجلس على صخرة وأخذ قوسه بيده وحمى نفسه وجعلوا
يرمونه بسهام الزنبورك وهو يرميهم فجرح منهم جماعة وجرحوه جراحات كثيرة فسقط
فاتوه وهو بآخر رمق فتركوه وانصرفوا وهم يحسبونه ميتا ثم ان المسلمين جاؤا من الغد
الى موضعهم فرأوا القتلى ورأوا المملوك حيا فحملوه فى كساء وهو لا يكاد يعرف من
الجراحات فأيسوا من حياته وعرضوا عليه الشهادة وبشروه بالشهادة فتركوه ثم عادوا
اليه فرأوه وقد قويت نفسه فاقبلوا عليه بتمر وبصقوا فى ثم كان بعد ذلك لا يحضر
مشهدا الا كان له فيه الاثر العظيم

(ذكر مسير الفرنج الى عكا ومحاصرتها)

لما كثر جمع الفرنج بصور على ما ذكرناه من ان صلاح الدين كان كلما فتح مدينة
او قلعة اعطى اهلها الامان وسيرهم اليها باموالهم ونسائهم واولادهم فاجتمع بها منهم
عالم كثير لا يعد ولا يحصى ومن الاموال ما لا يفنى على كثرة الانفاق فى السنين الكثيرة
ثم ان الرهبان والقسس وخلقا كثيرا من مشهوريهم وفرسانهم لبسوا السواد واظهروا
الحزن على خروج البيت المقدس من ايديهم واخذهم البترك الذى كان بالقدس
ودخل بهم بلاد الفرنج يطوف بهم جميعا ويستنجدون اهلها ويستجيرون بهم ويحثونهم
على الاخذ بثار البيت المقدس وصوروا المسيح عليه السلام وجعلوا صورة رجل عربى
والعربى يضربه وقد جعلوا الدماء على صورة المسيح عليه السلام وقالوا لهم هذا المسيح
يضربه محمد نبى المسلمين وقد جرحه وقتله فعظم ذلك على الفرنج فحشروا وحشدوا حتى
النساء فانهم كان معهم على عكا عدة من النساء يبارزن الاقران على ما نذكره ان شاء
الله تعالى ومن لم يستطع الخروج استأجر من يخرج عوضه او يعطيهم مالا على قدر حالهم
فاجتمع لهم من الرجال والاموال ما لا يتطرق اليه الاحصاء (ولقد حدثنى) بعض
المسلمين الذين بحصن الاكراد وهو من اجناد اصحابه الذين سلموه الى الفرنج قديما

باشا وعبد الله بن مسعود الذى تولى بعد موت ابيه كبيرا على الوهابية وان عبد الله المذكور
ترك الحروب والقتال
واذعن للطاعة وحقن الدماء
وحضر من جماعة الوهابية
نحو العشرين نفرا من الانفار
الى طوسون باشا ووصل
منهم اثنان الى مصر فكان
الباشا لم يعجبه هذا الصلح ولم
يظهر عليه علامات الرضا
بذلك ولم يحسن نزل الواصلين
ولما اجتمع بهما وخاطبهما
عاتبهما على المخالفة فاعتذرا
وذكرا ان الامير مسعودا
المتوفى كان فيه عناد وحدة
مزاج وكان يريد الملك واقامة
الدين واما ابنه الامير عبد الله
فانه لين الجانب والعريكة
ويكره سفك الدماء على
طريقة سلفه الامير عبد
العزيز المرحوم فانه كان
مسالما للدولة حتى ان المرحوم
الوزير يوسف باشا حين
كان بالمدينة كان بينه وبينه
غاية الصداقة ولم يقع بينهما
منافرة ولا مخالفة فى شئ
ولم يحصل التفاقم والخلاف
الا فى ايام الامير مسعود
ومعظم الامر الشريف غالب
بخلاف الامير عبد الله فانه
احسن السير وترك الخلاف
وأمن الطرق والسبل للحجاج
والمسافرين ونحو ذلك من
الكلمات والعبارات
المستحسنات وانقضى المجلس
وانصرفا الى المحل الذى امرا
بالنزول فيه ومعهما بعض
اتراك ملازمون لصحبتهما مع اتباعهما فى الذهاب والاياب فانه اطلق لهما الاذن الى اى محل اراده

عليه من يحفظه ويمنعه من الذخيرة والرجال

(ذكر وقعة اليزك مع الفرنج)

لما كان صلاح الدين بمرج عيون وعلى الشقيف جاءه كتب من أصحابه الذين جعلهم يزكا في مقابل الفرنج على صور يخبرونه فيها ان الفرنج قد اجمعوا على عبور الجسر الذي لصور وعزموا على حصار صيدا فسار صلاح الدين جريدة في شعبان الى أصحابه سوى من جعله على الشقيف فوصل اليهم وقد فات الامر وذلك ان الفرنج قد فارقوا صور وساروا واهتم لقصدهم فلقيهم اليزك على مضيق هناك وقاتلوهم ومنعوهم وجرى لهم معهم حرب شديدة يشيب لها الوليد وأسروا من الفرنج جماعة وقتلوا جماعة وقتل من المسلمين ايضا جماعة منهم مملوك لصلاح الدين كان من أشجع الناس حمل وحده على صف الفرنج فاختلط بهم وضربهم بسيفه يمينا وشمالا فتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله ثم ان الفرنج عجزوا عن الوصول الى صيدا فعادوا الى مكانهم

(ذكر وقعة ثانية للغزاة المتطوعة)

لما وصل صلاح الدين الى اليزك وشاهد تلك الوقعة أقام عندهم في خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج لينتقم منهم ويأخذ بثار من قتلوه من المسلمين فركب في بعض الايام في مدة يسيرة على ان ينظر الى مخيم الفرنج من الجبل ليعمل بمقتضى ما يشاهده فظن من هناك من غزاة العجم والعرب المتطوعة انه على قصد المصاف والحرب فساروا واجدين وأوغلوا في أرض العدو مبعدين وفارقوا الحزم وخلفوا السلطان وراءهم وقاربوا الفرنج فارسل صلاح الدين عدة من الامراء يردونهم ويحمونهم الى ان يخرجوا فلم يسمعوا ولم يقبلوا وكان الفرنج قد اعتقدوا ان وراءهم كمينا فلم يقدموا عليهم فارسلوا من ينظر حقيقة الامر فاتاهم الخبر انهم منقطعون عن المسلمين وليس وراءهم مدد فحملت الفرنج عليهم حملة رجل واحد فقاتلوهم فلم يلبثوا ان اناموهم وقتل معهم جماعة من العرب وعز ذلك على صلاح الدين والمسلمين ما جرى عليهم وكان ذلك بتفريطهم في حق انفسهم رحمهم الله ورضي عنهم وكانت هذه الوقعة تاسع جمادى الاولى فلما راى صلاح الدين ذلك انحدر من الجبل اليهم في عسكره فحملوا على الفرنج فالحقوهم الى الجسر وقد اخذ واطار بقيتهم فالقوا انفسهم في الماء فغرق منهم نحو مائة دارع سوى من قتل وعزم السلطان على مصابرتهم ومحاصرتهم فتسامع الناس فقصدوه واجتمع معه خلق كثير فلما راى الفرنج ذلك عادوا الى مدينة صور فلما عادوا اليها عاد صلاح الدين الى تبنين ثم الى عكا ينظر حالها ثم عاد الى العسكر والخيم

(ذكر وقعة ثالثة)

لما عاد صلاح الدين الى العسكر اتاه الخبر ان الفرنج يخرجون من صور للاحتطاب والاحتشاش متبددين فكتب الى من بعكاء من العسكر وواعدهم يوم الاثنين ثامن

جمادى

بخلاص ما تحرر عليها من المال الذي يحصله الديوان من الفلاحين بموجب المساحة والقياس بحصره فيها والا ابقاها على طرفنا ويقبض فائظه الذي يقع عليها التحرير من الخزينة نقدا وعدا فدهوا له ايضا وسكتوا فقال لهم تكلموا فيما قلنا لكم الا المشاورة معكم فلم يفتح الله عليهم بكلمة فتوقف احدهم شيخ السادات على ان الكلام ضائع لانها حيل ومخادعة تروج على اهل الغفلات ويتوصل بها الى ابراز ما يرومه من المرادات وعند ذلك انفض المجلس وانطلقت المبشرون على الملتزمين بالبشائر وعود الالتزام لتصرفهم وياخذون منهم البقاشيش مع ان الصورة معلولة والنكتة خفية مجهولة ومعظم السبب في ذكر ذلك ان معظم حصص الالتزام كان بايدي العساكر وعظمائهم وزوجاتهم وقد انحرفت طباعهم وتكدرت امزجتهم بمنعهم عنه وحجزهم عن التصرف ولم يسهل بهم ذلك فمنهم من كظم غيظه وفي نفسه ما فيها ومنهم من لم يطق الكتمان وبادر بالمخالفة والتسلط على من لا يجد اية عليه فلذلك الباشا اعلن في ديوانه بهذا الكلام ليستجمع منهم الشكر حقهم وتبرد حرارتهم الحاذ بتمام ندامتهم معهم (وفيه) وصفات حيثياته واخباره ومكاتبات من الديار الحجازية وتوقيع الصلح بين بلوسون

زين الدين وهو صاحب حران والرها وكانت الامدادات تأتي المسلمين في البر وتأتي الفرنج في البحر وكان بين الفريقين مدة مقامهم على عكا حروب كثيرة ما بين صغيرة وكبيرة منها اليوم المشهور ومنها ما هو دون ذلك وما عداها كان قتالا يسيرا من بعضهم مع بعض فلا حاجة الى ذكره ولما نزل السلطان عليهم لم يقدر على الوصول اليهم ولا الى عكا حتى انسلخ رجب ثم قاتلهم مستهل شعبان فلم ينل منهم ما يريد وبات الناس على تعبية فلما كان الغد باكرهم القتال بجده وحديده واستدار عليهم من سائر جهاتهم من بكرة الى الظهر وصبر الفريقان صبرا حار له من رآه فلما كان وقت الظهر حمل عليهم تقي الدين حملة منكرة من الميمنة على من يليه منهم فأزاحهم عن مواقفهم فركب بعضهم بعضا لا يلوي اخ على اخ والتجؤا الى من يليهم من اصحابهم واجتمعوا بهم واخلوا نصف البلد وملك تقي الدين مكانهم والتصق بالبلد وصار ما اخلوه بيده ودخل المسلمون البلد وخرجوا منه واتصلت الطرق وزال الحصر عمن فيه وادخل صلاح الدين اليه من اراد من الرجال وما اراده من الذخائر والاموال والسلاح وغير ذلك ولو ان المسلمين لزموا قتالهم الى الليل لبلغوا ما ارادوه فان للصدمة الاولى روعة لكنهم لما نالوا منهم هذا القدر اخلدوا الى الراحة وتركوا القتال وقالوا نباكرهم غدا ونقطع دابرهم وكان في جملة من ادخله صلاح الدين الى عكا من جملة الامراء حسام الدين ابو الهيجاء السمين وهو من اكابر امراء عسكره وهو من الاكراد الحكمية من بلد اربل وقتل من الفرنج هذا اليوم جماعة كبيرة

(ذكر وقعة اخرى ووقعة العرب)

ثم ان المسلمين نهضوا الى الفرنج من الغد وهو سادس شعبان عازمين على بذل جهدهم واستفراغ وسعهم في استئصالهم فتقدموا على تعبيتهم فرأوا الفرنج حذرين محتاطين قد ندموا على ما فرطوا فيه بالامس وهم قد حفظوا اطرافهم ونواحيهم وشرعوا في حفر خندق يمنع من الوصول اليهم فألح المسلمون عليهم في القتال فلم يتقدم الفرنج اليهم ولا فارقوا مرابضهم فلما رأى المسلمون ذلك عادوا عنهم ثم ان جماعة من العرب بلغهم ان الفرنج تخرج من الناحية الاخرى الى الاحتطاب وغيره من اشغالهم فكمنوا لهم في معاطف النهر ونواحيه سادس عشر شعبان فلما خرج جمع من الفرنج على عادتهم حملت عليهم العرب فقتلوهم عن آخرهم وغنموا ما كان معهم وحملوا الرؤس الى صلاح الدين فأحسن اليهم واعطاهم الخلع

(ذكر الوقعة الكبرى على عكا)

لما كان بعد هذه الوقعة المذكورة بقي المسلمون الى العشرين من شعبان كل يوم يغادون القتال مع الفرنج ويراوحونه والفرنج لا يظهرون من معسكرهم ولا يفارقونه ثم ان الفرنج اجتمعوا للمشورة فقالوا ان عسكر مصر لم يحضر والحال مع صلاح الدين هكذا فكيف يكون اذا حضر والرأي اننا نلقى المسلمين غدا لعلنا نظفر بهم قبل اجتماع

وقد كانت نضارة المراكب السالفة في ايام المصريين ونظامها وحسنها وترتيبها وفخامتها وجمالها وزينتها التي لم يكن لها نظير في الربع المعمور ويضرب بها المثل في الدنيا كما قال قائلهم فيها

مصر السعيدة ما لها من مثيل
فيها الثلاثة من المنى والسرور
مراكب السلطان وبحر الوفا
ومحمل الهادي نهارا يدور

وقد فقدت هذه الثلاثة في جملة المفقودات (وفي ثالث عشرينه) وصل قابجي وعلى يده تقرير ولاية مصر لمحمد علي باشا على السنة الجديدة فعملوا الالاي الواصل موكبا من بولاق الى القلعة وضربوا المدافع وشنكا وبنادق

(واستهل شهر ذي القعدة الحرام بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٠)

(في سادس عشره) سافر الباشا الى الاسكندرية واخذ صحبته عابدين بك واسمعيل باشا ولده وغيرهما من كبرائهم وعظمائهم وسافر ايضا نجيب افندي وسليمان اغا وكيل دار السعادة سابقا تابع صالح بك المصري الهدية الى دار السلطنة وأصحب الباشا الى الدولة وأكابرها الهدايا من الخيول والمهاري والسروج المكللة بالذهب واللؤلؤ والفصوص وتعابي الاقمشة الهندية المتنوعة من الكشمير والقصبيات والتحف ومن الذهب المضروب السكة اربعة قناطير ومن الفضة المقبولة في الوزن والعيار عدة قناطير ومن السكر المكرر

فكانا يركبان ويمران بالشوارع بانبائهما ومن يحضر سماعه ويتفرجان على البلدة واهلها ودخلا الى الجامع
الازهر في وقت لم يكن به
احد من المتصدرين للاقراء
والتدريس وسالوا عن اهل
مذهب الامام احمد بن حنبل
رضي الله عنه وعن الكتب
الفقهية المصنفة في مذهبه
فقيل انقرضوا من ارض مصر
بالكلية واشتريا نسخا من
كتب التفسير والحديث
مثل الخازن والكشاف
والبغوي والكتب الستة
المجمع على صحتها وغير ذلك
وقد اجتمعت بهما مرتين
فوجدت منهما انسا وملاذة
لسان واطلاعا وتضلعا ومعرفة
بالاخبار والنوادر ولهما من
التواضع وتهذيب الاخلاق
وحسن الادب في الخطاب
والتفقه في الدين واستحضار
الفروع الفقهية واختلاف
المذاهب فيها ما يفوق الوصف
واسم احدهما عبد الله
والآخر عبد العزيز وهو
الاكبر سنا ومعنى (وفي يوم
السبت تاسع عشره) خرجوا
بالمحمل الى الحصوة خارج باب
النصر وشقوا به من وسط
المدينة وامير الركب شخص
من الدلاة يسمى اوزون اوغلي
وفوق راسه طرطور د
الدلاتية ومعظم الموكب من
عساكر الدلاة وعلى رؤوسهم
الطراطير السود بذاتهم
المستبشعة وقد عم الاقاليم
المصرية في كل شيء فقد تشمئز الطبيعة
وتتكدر النفس اذا شاهدت ذلك او سمعت به

وكان هذا الرجل قد قدم على ما كان منه من موافقة الفرنج في الغارة على بلاد الاسلام
والقتال معهم والسعي معهم وكان سبب اجتماعي به ما اذكره سنة تسعين وخمسمائة ان
شاء الله تعالى قال لي هذا الرجل انه دخل مع جماعة من الفرنج من حصن الاكراد الى
البلاد البحرية التي للفرنج والروم في اربع شواني يستنجدون قال فانتهى بنا التطواف
الى رومية الكبرى فخرجنا منها وقد ملأنا الشواني نقرة (وحدثني) بعض الاسرى منهم
ان له والدة ليس لها ولد سواه ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته وجهزته بثمنه
وسيرته لاستنقاذ البيت المقدس فاخذ اسيرا وكان عند الفرنج من الباعث الديني
والنفساني ما هذا حده فخرجوا على الصعب والذلول برا وبحرا من كل فج عميق ولولا الله
تعالى لطف بالمسلمين واهلك ملك الالمان لما خرج على ما نذكره عند خروجه الى
الشام والا كان يقال ان الشام ومصر كانتا للمسلمين فهذا كان سبب خروجهم فلما
اجتمعوا بصور وموج بعضهم في بعض ومعهم الاموال العظيمة والبحر يمدهم بالاقوات
والذخائر والعدد والرجال من بلادهم ضاقت عليهم صور باطنها وظاهرها فارادوا
قصد صيدا وكان ما ذكرناه فعادوا واتفقوا على قصد عكا ومحاصرتها ومصابرتها
فساروا اليها بفارسهم وراجلهم وقضهم وقضيضهم ولزموا البحر في مسيرهم لا يفارقونه
في السهل والوعر والضيق والسعة ومراكبهم تسير مقابلهم في البحر فيها سلاحهم
وذخائرهم ولتكون عدة لهم ان جاءهم ما لا قبل لهم به ركبوا فيها وعادوا وكان رحيلهم
ثامن رجب ونزولهم على عكا منتصفه ولما كانوا سائرين كان يزك المسلمين يتخطفونهم
ويأخذون المنفرد منهم ولما وصلوا جاء الخبر الى صلاح الدين برحيلهم فسار حتى قاربهم
ثم جمع امراءه واستشارهم هل يكون المسير محاذاة الفرنج ومقاتلتهم وهم سائرون او
يكون في غير الطريق التي سلكوها فقالوا لا حاجة بنا الى احتمال المشقة في مسايرتهم
فان الطريق وعر وضيق ولا يتهيأ لنا ما نريده منهم والرأي ان نسير في الطريق المهيع
ونجتمع عليهم عند عكا فنفرقهم ونمزقهم فعلم ميلهم الى الراحة فوافقهم
وكان رأيه مسايرتهم ومقاتلتهم وهم سائرون وقال ان الفرنج اذا نزلوا ضربوا بالارض
فلا يتهيأ لنا ازعاجهم ولا نيل الغرض منهم والرأي قتالهم قبل الوصول الى عكا فخالفوه
فتبعهم وساروا على طريق كفر كنا فسبقهم الفرنج وكان صلاح الدين قد جعل في
مقابل الفرنج جماعة من الامراء يسايرونهم ويناوشونهم القتال ويتخطفونهم ولم يقدم
الفرنج عليهم مع قلتهم خلوا من العساكر ثم تبين رأي صلاح الدين في مسايرتهم ومقاتلتهم
قبل نزولهم على عكا لكان بلغ غرضه وصدهم عنها ولكن اذا اراد الله امرا هيأ اسبابه
ولما وصل صلاح الدين الى عكا رأى الفرنج قد نزلوا عليها من البحر الى البحر من الجانب
الآخر ولم يبق للمسلمين اليها طريق فنزل صلاح الدين عليهم وضرب خيمته على تل
كيسان وامتدت ميمنته الى تل العياضية وميسرته الى النهر الجاري ونزلت الاثقال
بصفورية وسير الكتب الى الاطراف باستدعاء العساكر فأتاه عسكر الموصل وديار
بكر وسنجار وغيرها من بلاد الجزيرة واتاه تقي الدين ابن اخيه واتاه مظفر الدين بن

زين

من أمر مقدم الشاويه الذي كان قد أسره صلاح الدين وأطلقه وإنما نفر به الآن قتله وكانت عدة القتلى سوى من كان الى جانب البحر نحو عشرة آلاف قتيل فأمر بهم فألقوا في النهر الذي يشرب الفرنج منه وكان عامة القتلى من فرسان الفرنج فإن الرجالة لم يلحقوهم وكان في جملة الأسرى ثلاث نسوة فرنجيات كن يقاتلن على الخيل فلما أسرن وألقي عنهن السلاح عرفن أنهن نساء وأما المنهزمون من المسلمين فمنهم من رجع من طبرية ومنهم من جاوز الأردن وعاد ومنهم من بلغ دمشق ولولا أن العساكر تفرقت في الهزيمة لكانوا بلغوا من الفرنج الاستئصال والإهلاك مرادهم على أن الباقين بذلوا جهدهم وجدوا في القتال وصمموا على الدخول مع الفرنج في معسكرهم لعلهم يفرغون منهم فجاءهم الصريخ بأن رحالهم وأموالهم قد نهبت وكان سبب هذا النهب أن الناس لما رأوا الهزيمة حملوا أثقالهم على الدواب فثار بهم أوباش العسكر وغلمانه فنهبوها وأتوا عليه وكان في عزم صلاح الدين أن يباكرهم القتال والزحف فرأى اشتغال الناس بما ذهب من أموالهم وهم يسعون في جمعها وتحصيلها فأمر بالنداء بإحضار ما أخذ فأحضر منه ما ملأ الأرض من المفارش والعيب المملوءة والثياب والسلاح وغير ذلك فرد الجميع على أصحابه ففاته ذلك اليوم ما أراده من دوخ الفرنج واستئصال الباقين منهم

■(ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكنهم من حصر عكا)■

لما قتل من الفرنج ذلك العدد الكثير جافت الأرض من نتن ريحهم وفسد الهواء والجو ووجدت الأمزجة فسادا وانحرف مزاج صلاح الدين وحدث له قولنج مبرح كان يعتاده فحضر عنده الأمراء وأشاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع وترك مضايقة الفرنج وحسنوه له وقالوا قد ضيقنا على الفرنج ولو أرادوا الانفصال عن مكانهم لم يقدروا والرأي أننا نبعد عنهم بحيث يتمكنون من الرحيل والعود فإن رحلوا فقد كفينا شرهم وكفوا شرنا وإن أقاموا عاودنا القتال ورجعنا معهم الى ما نحن فيه ثم إن مزاجك منحرف والألم شديد ولو وقع إرجاف لهلك الناس والرأي على كل تقدير البعد عنهم ووافقهم الأطباء على ذلك فأجابهم اليه الى ما يريد الله أن يفعله وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال فرحلوا الى الخروبة رابع شهر رمضان وأمر من بعكا من المسلمين بحفظها وإغلاق أبوابها والاحتياط وأعلمهم بسبب رحيله فلما رحل هو وعساكره أمن الفرنج وانبسطوا في تلك الأرض وعادوا وحصروا عكا وأحاطوا بها من البحر الى البحر ومراكبهم أيضا في البحر تحصرها وشرعوا في حفر الخندق وعمل السور من التراب الذي يخرجونه من الخندق وجاؤوا بما لم يكن في الحساب وكان اليزك كل يوم يواقعهم وهم لا يقاتلون ولا يتحركون إنما هم معتمدون بحفر الخندق والسور عليهم ليتحصنوا به من صلاح الدين إن عاد الى قتالهم فحينئذ ظهر رأي المشيرين بالرحيل وكان اليزك كل يوم يخبرون صلاح الدين بما يصنع الفرنج ويعظمون الأمر عليه وهو مشغول بالمرض لا يقدر على النهوض للحرب وأشار عليه بعضهم بأن يرسل العساكر

ارساله الى دار السلطنة فلم يصل بأيديهم الا شيء من علبة فيها رقعة ونحو ذلك كونه

لمرد وسائر صحبته طوسون باشا نجيب افندي عائدا الى الاسكندرية (وفي يوم السبت عشرينه) حضر طوسون باشا الى مصر راجعا من الاسكندرية في أثر مدة ومعه ولده فكانت مدة غيبته ذهابا وايابا ثمانية أيام فطلع الى القلعة وصار ينزل الى البستان بطريق بولاق تجاه الشبابة عمره كتخدا بك وبنى به قصرا فيقيم به غالب الأيام التي أقامها بمصر وانقضت السنة وما تجدد فيها من استمرار المبتدعات والمكوس والتحكير واهمال السوقة والمتسببين حتى من غلو الأسعار في كل شيء حتى بلغ سعر كل صنف عشرة أمثال سعره في الأيام الخالية مع تحجير على الايراد وأسباب المعاش فلا تجد أحدا يعيش في الجملة الا من كان ملكا أو في خدمة من خدم الدولة مع كونه على خطر فانه وقع لكثير ممن تقدم في منصب أو خدمة أنه حوسب وأهين وألزم بما ادعوه فيه وقد استهلكه في نفقات نفسه وحواشيه فباع ما يملكه واستدان وأصبح مديونا وصارت المعايش ضنكا وخصوصا الواقع في اختلاف المعاملات والنقود والزيادة في صرفها وأسعارها واحتياج الباعة والتجار

والمتسببين بذلك وتباعدت عليهم مرمالة المتاس مع ما عندهم ايضا وخصوصا سفلة الاسواق ويأتي

العساكر والامداد اليهم وكان كثير من عسكر صلاح الدين غائبا عنه بعضهم مقابل انطاكية ليردوا غارة البيمند صاحبها عن اعمال حلب وبعضهم في حمص مقابل طرابلس لحفظ ذلك الثغر ايضا وعسكر في مقابل صور لحماية تلك البلاد وعسكر بمصر يكونون بثغر دمياط والاسكندرية وغيرهما والذي بقي من عسكر مصر كانوا لم يصلوا لطول بيكارهم كما ذكرناه قبل وكان هذا مما اطمع الفرنج في الظهور الى قتال المسلمين واصبح المسلمون على عادتهم منهم من يتقدم الى القتال ومنهم من هو في خيمته ومنهم من قد توجه في حاجة من زيارة صديق وتحصيل ما يحتاج اليه هو واصحابه ودوابه الى غير ذلك فخرج الفرنج من معسكرهم كانهم الجراد المنتشر يدبون على وجه الارض قد ملؤها طولا وعرضا وطلبوا ميمنة المسلمين وعليها تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين فلما رأى ان الفرنج نحوه قاصدين حذر هو واصحابه فتقدموا اليه فلما قربوا منه تأخر عنهم فلما رأى صلاح الدين الحال وهو في القلب امد تقي الدين برجال من عنده ليتقوى بهم وكان عسكر ديار بكر وبعض الشرقيين في جناح القلب فلما رأى الفرنج قلة الرجال في القلب وان كثيرا منهم قد سار نحو الميمنة مددا لهم عطفوا على القلب فحملوا حملة رجل واحد فاندفعت العساكر بين ايديهم منهزمين وثبت بعضهم فاستشهد جماعة منهم كالامير مجلي بن مروان والظهير اخي الفقيه عيسى وكان والي البيت المقدس قد جمع بين الشجاعة والعلم والدين وكالحاجب خليل الهكاري وغيرهم من الشجعان الصابرين في مواطن الحرب ولم يبق بين ايديهم في القلب من يردهم فقصدوا التل الذي عليه خيمة صلاح الدين فقتلوا من مروا به ونهبوا وقتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة منهم شيخنا جمال الدين ابو علي بن رواحة الحموي وهو من اهل العلم وله شعر حسن وما ورث الشهادة من بعيد فان جده عبد الله بن رواحة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل بمؤتة وم يوم مؤتة وهذا قتله الفرنج يوم عكا وقتلوا غيره وانحدروا الى الجانب الآخر من التل فوضعوا السيف فيمن لقوه وكان من لطف الله تعالى بالمسلمين ان الفرنج لم يلقوا خيمة صلاح الدين ولو القوها لعلم الناس وصولهم اليها وانهزام العساكر بين ايديهم فكانوا انهزموا اجمعون ثم ان الفرنج نظروا وراءهم فرأوا امدادهم قد انقطعت عنهم فرجعوا خوفا ان ينقطعوا عن اصحابهم وكان سبب انقطاعهم ان الميمنة وقفت مقابلتهم فاحتاج بعضهم يقف مقابلها وحملت ميسرة المسلمين على الفرنج فاشتغل المدد بقتال من بها عن الاتصال باصحابهم وعادوا الى طرف خنادقهم فحملت الميسرة على الفرنج الواصلين الى خيمة صلاح الدين فصادفوهم وهم راجعون فقاتلوهم وثار بهم غلمان العسكر وكان صلاح الدين لما انهزم القلب قد تبعهم يناديهم ويأمرهم بالكرة ومعاودة القتال فاجتمع معه منهم جماعة صالحة فحمل بهم على الفرنج من وراء ظهورهم وهم مشغولون بقتال الميسرة فاخذتهم سيوف الله من كل جانب فلم يفلت منهم احد بل قتل اكثرهم واخذ الباقون اسرى وفي جملة

من

مرارا وانواع الشراب بطاقة في القدور والصيني وغير ذلك (وفيه وردت الاخبار) بوصول طوسون باشا الى الطور فهرعت اكابرهم واعيانهم الى ملاقاته واخذوا في الاهتمام واحضار الهدايا والتقادم وركبت الخوندات والنساء والستات افواجا افواجا يطلعن الى القلعة ليهنين والدته بقدومه (وفي ثانيه) وصل طوسون باشا الى السويس فضربوا مدافع الاعلام بقدومه وحضر نجيب افندي واجما من الاسكندرية لاجل ملاقاته لانه في ذلك اليوم ايضا اعتمد الدولة كما هو لواقعه

(واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠)

(في رابعه يوم الاثنين) نودي بزينة الشارع الاعظم لدخول طوسون باشا شهرورا بقدومه فلما اصبح يوم الثلاثا خامسه احتفل الناس بزينة الحوانيت بالشارع ووصل الى مركبا حافلا ودخل من باب النصر وعلى رأسه الطلخان وشعار الوزارة وطلع الى القلعة وضربوا في ذلك اليوم مدافع كثيرة وشنكا وسرايات (وفي ليلة الجمعة خامس عشره) سافر طوسون باشا المذكور الى الاسكندرية ليراه ابوه ويسلم هو عليه وابرى هو ولده الدولة في غيبته يسمى عباس بك أحضروه له فوجده مع حاضنته وسنه دون السنتين فقال ان جده فقد

الكرخي مدرس النظامية وكان من اصحاب ابي الحسن بن الخل وكان صالحا خيرا له عند الخليفة والعامة حرمة عظيمة وجاه عريض وكان حسن الخط يضرب به المثل

(ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة)

(ذكر وقعة الفرنج واليزك وعود صلاح الدين الى منازلة الفرنج)

قد ذكرنا رحيل صلاح الدين عن عكا الى الخروبة لمرضه فلما برأ اقام بمكانه الى ان ذهب الشتاء وفي مدة مقامه بالخروبة كان يزكه وطلائعه لا تنقطع عن الفرنج فلما دخل صفر من سنة ست وثمانين وخمسمائة سمع الفرنج ان صلاح الدين قد سار للصيد ورأى العسكر الذي في اليزك عندهم قليلا وان الوحل الذي في مرج عكا كثير يمنع من سلوكه من اراد ان ينجد اليزك فاغتنموا ذلك وخرجوا من خندقهم على اليزك وقت العصر فقاتلهم المسلمون وحموا انفسهم بالنشاب واحجم الفرنج عنهم حتى فني نشابهم فحملوا عليهم حينئذ حملة رجل واحد فاشتد القتال وعظم الامر وعلم المسلمون انه لا ينجيهم الا الصبر وصدق القتال فقاتلوا قتال مستقتل الى ان جاء الليل وقتل من الفريقين جماعة كثيرة وعاد الفرنج الى خندقهم ولما عاد صلاح الدين الى العسكر سمع خبر الوقعة فندب الناس الى نصر اخوانهم فاتاه الخبر ان الفرنج عادوا الى خندقهم فاقام ثم انه رأى الشتاء قد ذهب وجاءته العساكر من البلاد القريبة منه دمشق وحمص وحماة وغيرها فتقدم من الخروبة نحو عكا فنزل بتل كيسان وقاتل الفرنج كل يوم ليشغلهم عن قتال من بعكا من المسلمين فكانوا يقاتلون الطائفتين ولا يسأمون

(ذكر احراق الابراج ووقعة الاسطول)

كان الفرنج في مدة مقامهم على عكا قد عملوا ثلاثة ابراج من الخشب عالية جدا طول كل برج منها في السماء ستون ذراعا وعملوا كل برج منها خمس طبقات كل طبقة مملوءة من المقاتلة وقد جمعت اخشابها من الجزائر فان مثل هذه الابراج العظيمة لا يصلح لها من الخشب الا القليل النادر وغشوها بالجلود والخل والطين والادوية التي تمنع النار من احراقها واصلحوا الطرق لها وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات وزحفوا بها في العشرين من ربيع الاول فاشرفت على السور وقاتل من بها من عليه فانكشفوا وشرعوا في طم خندقها فاشرف البلد على ان يملك عنوة وقهرا فارسل اهلها الى صلاح الدين انسانا سبح في البحر فاعلمه ما هم فيه من الضيق وما قد اشرفوا عليه من اخذهم وقتلهم فركب هو وعساكره وتقدموا الى الفرنج وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالا عظيما دائما يشغلهم عن مكاثرة البلد فافترق الفرنج فرقتين فرقة تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل اهل عكا الا ان الامر قد خف عمن بالبلد ودام القتال ثمانية ايام متتابعة آخرها الثامن والعشرون من الشهر وسئم الفريقان القتال وملوا منه لملازمته ليلا ونهارا والمسلمون قد تيقنوا استيلاء الفرنج على البلد لما رأوا من عجز من فيه عن دفع الابراج فانهم لم يتركوا حيلة الا عملوها فلم يفد ذلك ولم يغن عنهم شيئا وتابعوا رمي

على الصعيدي والشيخ الدردير وتلقى الكثير من الفقه ولازم الشيخ محمد الشنواني الشهير بالتاجي وهو مالكي ولازم الوالد حسنا الجبرتي مدة طويلة وتلقى عنه وبواسطته الشيخ محمد بن اسمعيل النفراوي علم الحكمة والهيئة والهندسة وفن التوقيت وحضر عليه ايضا في فقه الحنفية وفي المطول وغيره برواق الجبرت بالازهر وتصدر للاقراء والتدريس وافادة الطلبة وكان فريدا في تسهيل المعاني وتبيين المباني يفك كل مشكل بواضح تقريره ويفتح كل مغلق برائق تحريره ودرسه مجمع اذكياء الطلاب والمهرة من ذوي الافهام والالباب مع لين جانب وديانة وحسن خلق وتواضع وعدم تصنع واطراح تكلف جاريا على سجيته لا يرتكب ما يتكلفه غيره من التعاظم وفخامة الالفاظ ولهذا كثر الآخذون عليه والمترددون اليه وله تأليفات واضحة العبارات سهلة المأخذ ملتزمة بتوضيح المشكل فمن تآليفه حاشية على مختصر السعد على التلخيص وحاشية على شرح الشيخ الدردير على سيدي خليل في فقه المالكية وحاشية على شرح الجلال المحلي على البردة وحاشية على الكبرى للامام السنوسي وحاشية على شرحه الصغرى وحاشية على شرح الرسالة الوضعية هذا ما تيسر جمعه وكتابته وبقي مسودات لم يتيسر له جمعها ولم يزل على حالته في

جميعها اليها ليمنعهم من الخندق والسور ويقاتلوهم ويتخلف عوضهم من الى اذا لم
احضر معهم لا يفعلون شيئا وربما كان من الشر اضعاف ما ترجوه من الخير فتأخر
الامر الى ان عوفى فتمكن الفرنج وعملوا ما ارادوا واحكموا امورهم وحصنوا
نفوسهم بما وجدوا اليه السبيل وكان من بعكا يخرجون اليهم كل يوم ويقاتلونهم
وينالون منهم بظاهر البلد

(ذكر وصول عسكر مصر والاسطول المصرى فى البحر)

فى منتصف شوال وصلت العساكر المصرية ومقدمها الملك العادل سيف الدين ابو بكر ابن ايوب فلما وصل قويت نفوس الناس به وبمن معه واشتدت ظهورهم واحضر معه من آلات الحصار من الدرق والطارقيات والنشاب والاقواس شيئا كثيرا ومعهم من الرجالة الجم الغفير وجمع صلاح الدين من البلاد الشامية راجلا كثيرا وهو على عزم الزحف اليهم بالفارس والراجل ووصل بعده الاسطول المصرى ومقدمه الامير لؤلؤ وكان شهما شجاعا مقداما خبيرا بالبحر والقتال فيه ميمون النقيبة فوصل بغتة فوقع على بطسة كبيرة للفرنج فغنمها وغنم منها اموالا كثيرة وميرة عظيمة فادخلها الى عكا فسكنت نفوس من بها بوصول الاسطول وقوى جنانهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى صفر خطب لولى العهد ابى نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ونثرت الدنانير والدراهم وارسل الى البلاد فى اقامة الخطبة ففعل ذلك وفيها فى شوال ملك الخليفة تكريت وسبب ذلك ان صاحبها وهو الامير عيسى قتله اخوته وملكوا القلعة بعده فسير الخليفة اليهم عسكرا فحصروها وتسلموها ودخل اصحابه الى بغداد فاعطوا اقطاعا وفيها فى صفر فتح الرباط الذى بناه الخليفة بالجانب الغربى من بغداد وحضر الخلق العظيم فكان يوما مشهودا وفى هذه السنة فى رمضان مات شرف الدين ابو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن ابى عصرون الفقيه الشافعى بدمشق وكان قاضيها وقد اضر وولى القضاء بعده ابنه وكان الشيخ من اعيان الفقهاء الشافعية وفيها فى ذى القعدة توفى الفقيه ضياء الدين عيسى الهكارى بالخروبة مع صلاح الدين وهو من اعيان امراء عسكره ومن قدماء الاسدية وكان فقيها جنديا شجاعا كريما ذا عصبية ومروءة وهو من اصحاب الشيخ الامام ابى القاسم بن البرزى تفقه عليه بجزيرة ابن عمر ثم اتصل باسد الدين شيركوه فصار امامه له فرأى من شجاعته ما جعل له اقطاعا وتقدم عند صلاح الدين تقدما عظيما وفيها فى صفر توفى شيخنا ابو العباس احمد بن عبد الرحمن ابن وهبان المعروف بابن افضل الزمان بمكة وكان رحمه الله عالما متبحرا فى علوم كثيرة خلاف فقه مذهبه والاصولين والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك وختم اعماله بالزهد ولبس الخشن واقام بمكة حرسها الله تعالى مجاورا فتوفى بها وكان من احسن الناس صحبة وخلقا وفيها فى ذى القعدة مات ابو طالب المبارك بن المبارك

الخضارات والجوزيين والرمانيين فانهم يدفعون ماهو مرتب عليهم للمحتسب مياومة ومشاهرة ويطلبون اضعافه من الناس ولا رادع لهم بل يسعرون لانفسهم حتى ان البطيخ فى اوان كثرته يباع الواحدة التى كانت تساوى نصفين بعشرين وثلاثين والرطل من العنب الشرقاوى الذى كان يباع فى السابق بنصف واحد يبيعونه يوما بعشرة ويوما باثنى عشر ويوما بثمانية وقس على ذلك الخوخ والبرقوق والمشمش واما الزبيب والتين واللوز والبندق والجوز والاشياء التى يقال لها اليميش التى تجلب من بلاد الروم فبلغت الغاية فى الثمن بل قد لا يوجد فى اكثر الاوقات وكذلك ما يجلب من الشام مثل الصابون والقمر الدين والمشمش الحموى والعناب وكذلك الفستق والصنوبر ونحو ذلك مما يطول شرحه ويزداد بطول الزمان قبحه

(ومات) فى هذه السنة العلامة الاوحد والفهامة الامجد محقق عصره ووحيد دهره الجامع لاشتات العلوم والمنفرد بتحقيق المنطوق والمفهوم بقية الفصحاء والفضلاء المتقدمين والمتميز من المتأخرين الشيخ محمد بن احمد بن عرفة الدسوقى المالكى ولد ببلده دسوق من قرى مصر وحضر الى مصر وحفظ القرآن وجوده على الشيخ محمد المنير ولازم حضور دروس الشيخ

الكرخي

مضى حادث يعقبه آخر مسرعا ... وحل بنا ما لم نكن في حسابه ... من الدهر ما يبكي العيون وأفزعا

الاسطول الاسلامي سالما

(ذكر وصول ملك الالمان الى الشام وموته)

في هذه السنة خرج ملك الالمان من بلاده وهم نوع من الفرنج من أكثرهم عددا واشدهم باسا وكان قد ازعجه ملك الاسلام البيت المقدس فجمع عساكره وازاح عللهم وسار عن بلاده وطريقه على القسطنطينية فارسل ملك الروم بها الى صلاح الدين يعرفه الخبر ويعده انه لا يمكنه من العبور في بلاده فلما وصل ملك الالمان الى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه من العبور لكثرة جموعه لكنه منع عنهم الميرة ولم يمكن احدا من رعيته من حمل ما يريدونه اليهم فضاقت بهم الازواد والاقوات وساروا حتى عبروا خليج القسطنطينية وصاروا في ارض بلاد الاسلام وهي مملكة الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق فلما وصلوا الى اوائلها ثار بهم التركمان الاوج فما زالوا يسايرونهم ويقتلون من انفرد ويسرقون ما قدروا عليه وكان الزمان شتاء والبرد يكون في تلك البلاد شديدا والثلج متراكما فاهلكهم البرد والجوع والتركمان فقل عددهم فلما قاربوا مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين ملكشاه بن قلج ارسلان ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة فعاد الى قونية وبها ابوه قد حجر عليه اولاده وتفرق أولاده في بلاده وتغلب كل واحد منهم على ناحية منها فلما عاد عنهم قطب الدين أسرعوا السير في أثره فنازلوا قونية وارسلوا الى قلج ارسلان هدية وقالوا له ما قصدنا بلادك ولا أردناها وانما قصدنا البيت المقدس وطلبوا منه ان يأذن لرعيته في اخراج ما يحتاجون اليه من قوت وغيره فأذن في ذلك فأتاهم ما يريدون فشبعوا وتزودوا وساروا ثم طلبوا من قطب الدين ان يأمر رعيته بالكف عنهم وان يسلم اليهم جماعة من امرائه رهائن وكان يخافهم فسلم اليهم نيفا وعشرين أميرا كان يكرههم فساروا بهم معهم ولم يمتنع اللصوص وغيرهم من قصدهم والتعرض اليهم فقبض عليهم ملك الالمان وقيدهم فمنهم من هلك في أسره ومنهم من فدى نفسه وسار ملك الالمان حتى أتى بلاد الارمن وصاحبها لافون بن اصطفانة بن ليون فامدهم بالاقوات والعلوفات وحكمهم في بلاده وأظهر الطاعة لهم ثم ساروا نحو انطاكية وكان في طريقهم نهر فنزلوا عنده ودخل ملكهم اليه ليغتسل فغرق في مكان منه لا يبلغ الماء وسط الرجل وكفى الله شره وكان معه ولد له فصار ملكا بعده وسار الى انطاكية فاختلف أصحابه عليه فاحب بعضهم العود الى بلاده فتخلف عنه وبعضهم مال الى تمليك أخ له فعاد أيضا وسار فيمن صحت نيته له فعرضهم وكانوا نيفا واربعين ألفا ووقع فيهم الوباء والموت فوصلوا الى انطاكية وكأنهم قد نبشوا من القبور فتبرم بهم صاحبها وحسن لهم المسير الى الفرنج على عكا فساروا على جبلة ولاذقية وغيرهما من البلاد التي ملكها المسلمون وخرج أهل حلب وغيرها اليهم وأخذوا منهم خلقا كثيرا ومات أكثر من أخذ فبلغوا طرابلس وأقاموا بها أياما فكثر فيهم الموت فلم يبق منهم الا نحو الف رجل فركبوا في

خطوب زمان لو عادى اقلها ... بشامخ رضوى او ثبير تضعضعا
واصبحت ان الناس ما بين عائد ... مريض او ثان للعيوب مشيعا
لقد كان روض العيش بالامن يانعا ... فاضحى هشيما مثله متقشعا
لمحسن ان لا يبذل الشخص مهجة ... ويبكي دما ان افنت العين ادمعا
وقد سار بالاحباب في حين غفلة ... سرير المنايا عاجلا لا مسرعا
وفي كل يوم روعة بعد روعة ... فلله ما قاسى الفؤاد وروعا
عزاء بني الدنيا فقد ذاقه ... لكاس مرير الموت كل تجرعا
عيينا فقد جل المصاب بشيخنا الذ ... سرقي وعاد القلب بالهم مترعا
وشابت قلوب لا تفارق عندما ... تنكرت الاسماع صوت الذي نعا
فللناس عذر في البكاء والاسى ... عليه واما في السواء فتجزعا
وكيف وقد ماتت علوم بفقده ... لقد كان فيها جهبذا باصعدعا
فمن بعده يحلو دجنة شبهة ... ويكشف عن سر الدقائق مقنعا
وان ذو اسمها ادقد تعثرة بعده ... فيا ليت شعري من يقول له لعا
يفرق فن البيان بمنطق ... بديع معانيه يتوج مسمعا
وسار مسير الشمس في علومه ... ففي كل افق اشرقت فيه مطلعا

وإني بنائيه انه يتنلذذي بها بها لك الطلاب للمعنى مودعا ... وحل بفهم كل مشكل فلم يبق للاشكال في ذا مطمعا

الافادة والاقتباس والاقتباس وخطه حسن ورحلته احسن الى أن تعالى وتوفى يوم الاربعاء الحادى والعشرين

النفط الطيار وعلم انهم يحرقونها فانقذوا بالبوار والهلاك فاتاهم الله بنصر من عنده واذن من احراق الابراج وكان سبب ذلك ان انسانا من اهل دمشق كان مولعا بجمع آلات النفاطين وتحصيل عقاقير تقوى عمل النار فكان من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم اباشرها بنفسي انما اشتهي معرفتها وكان بعكا لامر يريده الله فلما رأى الابراج قد نصبت على عكا شرع في عمل ما يعرفه من الادوية المقوية للنار بحيث لا يمنعها شيء من الطين والخل وغيرهما فلما فرغ منها حضر عند الامير قراقوش وهو متولى الامور بعكا والحاكم فيها وقال له يأمر المنجنيقي ان يرمى فى المنجنيق المحاذى لبرج من هذه الابراج ما اعطيه حتى احرقه وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومن فيه ما يكاد يقتله فازداد غيظا بقوله وحرد عليه فقال له قد بالغ اهل هذه الصناعة فى الرمى بالنفط وغيره فلم يفلحوا فقال له من حضر لعل الله تعالى قد جعل الفرج على يد هذا ولا يضرنا ان نوافقه على قوله فاجابه الى ذلك وامر المنجنيقي بامتثال امره فرمى عدة قدور نفطا وادوية ليس فيها نار فكان الفرنج اذا راوا القدر لا يحرق شيئا يصيحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج حتى علم ان الذى القاه قد تمكن من البرج القى قدرا مملوءة وجعل فيها النار فاشتعل البرج والقى قدرا ثانية وثالثة فاضطرمت النار فى نواحى البرج واعجلت من فى طبقاته الخمس عن الهرب والخلاص فاحترق هو ومن فيه وكان فيه من الزرديات والسلاح شيء كثير وكان طمع الفرنج بما رأوا ان القدور الاولى لا تعمل قد حملهم على الطمأنينة وترك السعى فى الخلاص حتى عجل الله لهم النار فى الدنيا قبل الآخرة فلما احترق البرج الاول انتقل الى الثانى وقد هرب من فيه لخوفهم فاحرقه وكذلك الثالث وكان يوما مشهودا لم ير الناس مثله والمسلمون ينظرون ويفرحون وقد اسفرت وجوههم بعد الكآبة فرحا بالنصر وخلاص المسلمين من القتل لانهم ليس فيهم احد الا وله فى البلد اما نسيب واما صديق وحمل ذلك الرجل الى صلاح الدين فبذل له الاموال الجزيلة والاقطاع الكثيرة فلم يقبل منه الحبة الفرد وقال انما عملته لله تعالى ولا اريد الجزاء الا منه وسيرت الكتب الى البلاد بالبشائر وارسل يطلب العساكر الشرقية فاول من اتاه عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى وهو صاحب سنجار وديار الجزيرة ثم اتاه علاء الدين ولد عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى سيره ابوه مقدما على عسكره وهو صاحب الموصل ثم وصل زين الدين يوسف صاحب اربل وكان كل منهم اذا وصل يتقدم الى الفرنج بعسكره وينضم اليه غيرهم ويقاتلونهم ثم ينزلون ووصل الاسطول من مصر فلما سمع الفرنج بقربه جهزوا الى طريقه اسطولا ليلقاه ويقاتله فركب صلاح الدين فى العساكر جميعها وقاتلهم من جهاتهم ليشتغلوا بقتاله عن قتال الاسطول ليتمكن من دخول عكا فلم يشتغلوا عن قصده بشيء فكان القتال بين الفريقين برا وبحرا وكان يوما مشهودا لم يؤرخ مثله واخذ المسلمون من الفرنج مركبا بما فيه من الرجال والسلاح واخذ الفرنج من المسلمين مثل ذلك الا ان القتل فى الفرنج كان اكثر منه فى المسلمين ووصل

من شهر ربيع الثانى وخرجوا بجنازته من درب الدليل وصلى عليه بالازهر فى مشهد حافل ودفن بتربة المجاورين بالمدفن الذى بداخل الحل الذى يسمى بالطاولية وقام بكلفة تجهيزه وتكفينه ومصاريف جنازته ومدفنه الجناب المكرم السيد محمد المحروقى وكذلك مصاريف المأتم مدة ثلاثة وارسل من قبله لذلك من اتباعه باداوة المطبخ ولوازمه من الاغنام والسمن والارز والعسل والحطب والفحم والقهوة وجميع الاحتياجات للمقرئين ومن يأتى للتعزية اولاده جزاه الله خيرا واستمر ايراد ملابسه فى الثلاث جميع المعتادة بالمنزل وما يعمل فى صبح يوم الجمعة بالمدفن من الكعك والشريك الذى يفرق على الفقراء والحاضرين والتربية والخدمة وقد رثاه امثل من منه اخذ واكمل من له تلمذ صاحبنا العلامة وصديقنا الفهامة المنفرد الآن بالعلوم الحكمية والمشار اليه فى العلوم الادبية صاحب الانشاء البديع والنظم الذى هو كزهر الربيع الشيخ حسن العطار حفظه الله من الاغيار بقوله شعرا

احادث دهر قد الم فاوجعا ∗ وحل بنادى جمعنا فتصدعا

لقد صال فينا البين اعظم صولة ∗ فلم يخل من وقع المصيبة موضعا

وجاءت خطوب الدهر تترى فكلما

اويل وغيرهم ولما جرى على الفرنج هذا لما انه تخمدت جمرتهم ولانت عريكتهم
وأشار المسلمون على صلاح الدين بمباكرتهم القتال ومناجزتهم وهم على هذه الحال من
الهلع والجزع فاتفق انه وصله من الغد كتاب من حلب يخبره بموت ملك الالمان وما
أصاب أصحابه من الموت والقتل والاسر وما صار أمرهم اليه من القلة والذلة واشتغل
المسلمون بهذه البشرى والفرح بها عن قتال من بازائهم وظنوا ان الفرنج اذا بلغهم
هذا الخبر ازدادوا وهنا على وهنهم وخوفا على خوفهم فلما كان بعد يومين أتت الفرنج
امداد في البحر مع كند من الكنود الغربية يقال له الكند هرى ابن اخى ملك
افرنسيس لابيه وابن اخى ملك انكلتار لامه ووصل معه من الاموال شئ كثير يفوق
الاحصاء فوصل الى الفرنج الاجناد وبذل الاموال فعادت نفوسهم قوية
واطمأنت وأخبرهم بان الامداد واصلة اليهم يتلو بعضها بعضا فتماسكوا وحفظوا
مكانهم ثم اظهروا انهم يريدون الخروج الى لقاء المسلمين وقتالهم فانتقل صلاح الدين
من مكانه الى الخروبة في السابع والعشرين من جمادى الآخرة لينفسح المجال وكانت
المنزلة قد انتنت بريح القتلى ثم ان الكند هرى نصب منجنيقا ودبابات وعرادات تخرج
من مكان المسلمين فاخذوها وقتلوا عندها كثيرا من الفرنج ثم ان الكند هرى بعد
أخذ منجنيقاته اراد ان ينصب منجنيقا فلم يتمكن من ذلك لان المسلمين بعكا كانوا يمنعون
من عمل ستائر يستتر بها من يرمي من المنجنيق فعمل تلا من تراب بالبعد من البلد ثم ان
الفرنج كانوا ينقلون التل الى البلد بالتدريج و يستترون به و يقربونه الى البلد
فلما صار من البلد بحيث يصل من عنده حجر منجنيق نصبوا وراءه منجنيقين وصار
التل سترة لهما وكانت الميرة قد قلت بعكا فارسل صلاح الدين الى الاسكندرية
يأمرهم بانفاذ الاقوات واللحوم وغير ذلك في المراكب الى عكا فتأخر انفاذها
فسير الى نائبه بمدينة بيروت في ذلك فسير بطسة عظيمة مملوأة من كل ما يريدونه وأمر
من بها فلبسوا لبس الفرنج وتشبهوا بهم ووضعوا عليها الصلبان فلما وصلوا الى عكا لم
يشك الفرنج انها لهم فلم يتعرضوا لها فلما حاذت ميناء عكا أدخلوها فيها ففرح بها
المسلمون وانتعشوا وقويت نفوسهم وتبلغوا بما فيها الى أن أتتهم الميرة من الاسكندرية
وخرجت ملكة من الفرنج من داخل البحر في نحو ألف مقاتل فاخذت بنواحي
الاسكندرية واخذ من معها ثم ان الفرنج وصلهم كتاب من بابا وهو كبيرهم الذي
يصدرون عن أمره وقوله عندهم كقول النبيين لا يخالف والمحروم عندهم من حرمه
والمقرب من قربه وهو صاحب رومية الكبرى يأمرهم بملازمة ما هم بصدده ويعلمهم
انه قد ارسل الى جميع الفرنج يأمرهم بالمسير الى نجدتهم برا وبحرا و يعلمهم بوصول
الامداد اليهم فازدادوا قوة وطمعا

(ذكر خروج الفرنج من خنادقهم)

لما تتابعت الامداد الى الفرنج وجمع الكند هرى جمعا كثيرا بالاموال التي وصلت
معه عزموا على الخروج من خنادقهم ومناجزة المسلمين فتركوا على عكا من يحصرها

والشيخ عطية الاجهوري والشيخ الدردير و البيلي والجمل والخرشي وعبد الرحمن المقري والشرقاوي
وغيرهم واجتهد في التحصيل
ليلا ونهارا ومهر وانجب
ولازم في غالب مجالس الذكر
عن الشيخ الدردير بعد وفاة
الشيخ الحفني وتصدر للتدريس
في سنة تسعين ومائة والف
ولما مات الشيخ محمد المليلاوي
سنة اثنتين وتسعين جلس
مكانه بالازهر وقرأ شرح
الالفية لابن عقيل ولازم
الاقراء وتقرير الدروس مع
الفصاحة وحسن البيان
والتفهيم وسلاسة التعبير
وايضاح العبارات وتحقيق
المشكلات وعلا امره واشتهر
ذكره وبعد صيته ولم يزل امره
ينمو واسمه يسمو مع حسن
السمت ووجاهة الطلعة
وجمال الهيئة وبشاشة الوجه
وطلاقة اللسان وسرعة
الجواب واستحضار الصواب
في ترداد الخطاب ومسايرة
الاصحاب وصاهر الشيخ محمدا
الحريري الحنفي على ابنته
واقبلت عليه الدنيا وتداخل
في الاكابر ونال منهم حظا
وافرا لحسن معاشرته وحلاوة
الفاظه وتنميق كلامه وقضى
اشغاله وقضاياه منهم ومن
حواشيهم وبرعاتهم ويخاطب
كلا بما يليق به ويناسبه
واتحد باسمعيل بك كتخدا
حسن باشا الجزايرلي وعاشره
واكثر من التردد عليه فلما
أبنة ولاية مصر واستقر بالقلعة واقلب على الطلوع والنزول الى القلعة وبيت

البحر الى الفرنج الذين على عكا ولما وصلوا ورأوا ما لقيهم في طريقهم وما هم فيه من الاختلاف عادوا الى بلادهم فغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم أحد وكان الملك قلج ارسلان يكاتب صلاح الدين باخبارهم ويعده انه يمنعهم من العبور في بلاده فلما عبروها وخالفوا لقوها أرسل يعتذر بالعجز عنهم لان أولاده تحكموا عليه وحجروا عليه وتفرقوا عنه وخرجوا عن طاعته وأما صلاح الدين عند وصول الخبر بعبور ملك الالمان فانه استشار أصحابه فأشار كثير منهم عليه بالمسير الى طريقهم ومحاربتهم قبل ان يتصلوا بمن على عكا فقال بل نقيم الى ان يقربوا منا وحينئذ نفعل ذلك لئلا يستسلم من بعكا من عساكرنا لكنه سير من عنده من العساكر منها عسكر حلب وجبلة ولاذقية وشيزر وغير ذلك الى اعمال حلب ليكونوا في اطراف البلاد يحفظونها من عاديتهم وكان حال المسلمين كما قال الله عز وجل (اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) فكفى الله شرهم ورد كيدهم في نحرهم ومن شدة خوفهم ان بعض امراء صلاح الدين كان له ببلد الموصل قرية وكان اخي رحمه الله يتولاها فحصل دخلها من حنطة وشعير وتبن فارسل اليه في بيع الغلة فوصل كتابه يقول لا تبع الحبة الفرد واستكثر لنا من التبن ثم بعد ذلك وصل كتابه يقول تبيع الطعام فما بنا حاجة اليه ثم ان ذلك الامير قدم الموصل فسألناه عن المنع من بيع الغلة ثم الاذن فيها بعد مدة يسيرة فقال لما وصلت الاخبار بوصول ملك الالمان ايقنا اننا ليس لنا بالشام مقام فكتبت بالمنع من بيع الغلة لتكون ذخيرة لنا اذا جئنا اليكم فلما اهلكهم الله تعالى واغنى عنها كتبت ببيعها والانتفاع بثمنها

(ذكر وقعة للمسلمين والفرنج على عكا)

وفي هذه السنة في العشرين من جمادى الآخرة خرجت الفرنج فارسها وراجلها من وراء خنادقهم وتقدموا الى المسلمين وهم كثير لا يحصى عددهم وقصدوا نحو عسكر مصر ومقدمهم الملك العادل ابو بكر بن ايوب وكان المصريون قد ركبوا واصطفوا للقاء الفرنج فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانحاز المصريون عنهم ودخل الفرنج خيامهم ونهبوا اموالهم فعطف المصريون عليهم فقاتلوهم من وسط خيامهم فاخرجوهم عنها وتوجهت طائفة من المصريين نحو خنادق الفرنج فقطعوا المدد عن اصحابهم الذين خرجوا وكانوا متصلين كالنمل فلما انقطعت امدادهم القوا بايديهم واخذتهم السيوف من كل ناحية فلم ينج منهم الا الشريد وقتل منهم مقتلة عظيمة يزيد عدد القتلى على عشرة آلاف قتيل وكانت عساكر الموصل قريبة من عسكر مصر وكان مقدمهم علاء الدين خرمشاه بن عز الدين مسعود صاحب الموصل فحملوا ايضا على الفرنج وبالغوا في قتالهم ونالوا منهم نيلا كثيرا هذا جميعه ولم يباشر القتال احد من الحلقة الخاص التي مع صلاح الدين ولا احد من الميسرة وكان بها عماد الدين زنكي صاحب سنجار وعسكر

فاى كتاب لم يطالع ختامه ثم اذا ما هو امن تعاصيه ضيعا ومن يبتغي تعداد حسن خصاله فليس ملوما ان اطال واشبعا

فلا صدق عن رتبة العز يعتلي
اصاب مكان القول فيه موضعا
تواضع للطلاب فانتفعوا به
على انه بالعلم زاد ترفعا
وكان حليما واسع الصدر ماجدا
تقي انتساب زاهدا متورعا
سوى فا كتاب الحمد طول حياته
ولم ير في غير ذلك قد سعا
ولم تلهه الدنيا بزخرف صورة
عن العلم كيما ان تغر وتخدعا
الى ان صرف الاوقات في العلم والتقى
فان قلبا صاح اضحى مضيعا
فقدناه لكن نفعه الدهر دائم
وما مات من ابقى علوما لمن وعى
فجوزي بالحسنى وتوج بالرضا
وقوبل بالاكرام ممن له دعا

(ومات) الاستاذ الفريد والاوذعي المجيد الامام العلامة والنحرير الفهامة الفقيه النحوي الاصولي الجدلي المنطقي الشيخ محمد المهدي الحفني وولده من الاقباط واسلم وهو صغير دون البلوغ على يد الشيخ الحفني وحانت عليه انظاره واشرقت عليه انواره وفارق اهله وتبرأ منهم وحضنه الشيخ ورباه واخيه واستمر بمنزله مع اولاده واعتنى بشأنه وقرأ القرآن ولما ترعرع اشتغل بطلب العلم وحفظ ابا شجاع والفية النحو والمتون ولازم دروس الشيخ واخيه الشيخ يوسف وغيرهما من اشياخ الوقت مثل الشيخ العدوي

وبعضهم قد حصل اليه عشرون اميرا وكان بها ستون اميرا فكان الذين دخلوا قليلا بالنسبة الى الذين خرجوا واهمل نواب صلاح الدين تجنيد الرجال وانفاذهم وكان على خزانة ماله قوم من النصارى وكانوا اذا جاءهم جماعة قد جندوا اعنتوهم بانواع شتى تارة باقامة معرفة وتارة بغير ذلك فتفرق بهذا السبب خلق كثير وانضاف الى ذلك توانى صلاح الدين ووثوقه بنوابه واهمال النواب فانحسر الشتاء والامر كذلك وعادت مراكب الفرنج الى عكا وانقطع الطريق الا من سابح يأتي بكتاب وكان من جملة الامراء الذين دخلوا الى عكا سيف الدين علي بن احمد المشطوب وعز الدين ارسل مقدم الاسدية بعد جاولي وغيرهم وكان دخولهم عكا اول سنة سبع وثمانين وكان قد اشار جماعة على صلاح الدين بان يرسل الى من بعكا النفقات الواسعة والذخائر والاقوات الكثيرة ويامرهم بالمقام فانهم قد ضجروا او تدربوا واطمأنت نفوسهم على ما هم فيه فلم يفعل وظن فيهم الضجر والملل وان ذلك يحملهم على الضجر والفشل فكان الامر بالضد

(ذكر وفاة زين الدين يوسف صاحب اربل ومسير اخيه مظفر الدين اليها)

كان زين الدين يوسف بن زين الدين علي صاحب اربل قد حضر عند صلاح الدين بعساكره فمرض ومات ثامن عشر شهر رمضان وذكر العماد الكاتب في كتابه البرق الشامي قال جئنا الى مظفر الدين نعزيه باخيه وظنناه حزن وليس له اخ غيره ولا ولد يشغله عنه فاذا هو في شغل شاغل عن العزاء يهتم بالاحتياط على ما خلفه وهو جالس في خيام اخيه المتوفى وقد قبض على جماعة من امرائه واعتقلهم ووكل عليهم وممن اعتقلهم منهم بلداجي صاحب قلعة خفتيذكان وارسل الى صلاح الدين يطلب منه اربل لينزل عن حران والرها فاقطعه اياها واضاف اليها شهرزور واعمالها ودربند قرابلي وبني قفجاق ولما مات زين الدين كاتب من كان باربل مجاهد الدين قايماز لحكمه فيه وحسن سيرته كانت فيهم وطلبوه اليهم ليملكوه فلم يحضر هو ولا صاحبه عز الدين اتابك مسعود بن مودود على ذلك خوفا من صلاح الدين وكان اعظم الاسباب في تركها ان عز الدين كان قد قبض على مجاهد الدين فصار زين الدين من اربل ثم ان عز الدين اخرج مجاهد الدين من القبض وولاه نيابته وقد ذكرنا ذلك اجمع فلما ولاه النيابة عنه لم يمكنه وجعل معه انسانا كان من بعض غلمان مجاهد الدين فكان يشاركه في الحكم ويحل عليه ما يعقده فلحق مجاهد الدين من ذلك غيظ شديد فلما طلب الى اربل قال لمن يثق اليه لا افعل لئلا يحكم فيها فلان ويكف يدي عنها اغاظة. مظفر الدين اليها وملكها وبقي غصة في حلق البيت الاتابكي لا يقدرون على اساغتها وسنذكر ما اعتمده معهم مرة بعد اخرى ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك الفرنج مدينة شلب وعودها الى المسلمين)

في هذه السنة ملك ابن الرنك وهو من ملوك الفرنج غرب بلاد الاندلس مدينة شلب وهي من كبار مدن المسلمين بالاندلس واستولى عليها ووصل الخبر بذلك الى الامير

هو المشار اليه فيه وخدمة الديوان الموظفون فيه تحت اوامره واذا ركب اومشى يمشون حوله وامامه وبايديهم العصى يوسعون له الطريق وراج امره في ايامهم جدا وزاد ايراده وجمعه واشترى بلادا وجهات وازراقا واقاموه وكيلا عنهم في اشياء كثيرة وبلاد وقرى يجبي اليه خراجها ويصرف عنها ما يصرفه ويأتيه الفلاحون منها ومن غيرها بالهدايا والاغنام والسمن والعسل وما جرت به العادة ويتقدمون اليه بدعاويهم وشكاويهم ويفعل بهم ما كان يفعله ارباب الالتزامات من الحبس والضرب واخذ المصالح وصار له اعوان واتباع وخدم من وجهاء الناس ومن دونهم يرسل منهم لجبي الاموال من القرى وفي مراسلاته في القضايا العامة ويبعث الامان للفارين والهاربين والمتخوفين من القسوة بعض الراحلين الى بلاد الشام والمتشفعين بالقرى من الاجناد وغيرهم فيرسل اليهم ويرغبهم بالعود الى اوطانهم اما باستدعائهم وطلبهم ذلك واما من باب الشفقة والمعروف منه عليهم ويحمي دورهم وحريمهم ومزارعهم في غيابهم ويكون له المنة العظيمة التي يستحق بها الجوائز الجزيلة وبالجملة فكان بوجوده وتصدره في تلك الايام النفع العام سد بعقله ثغورها واصلح معوجها وداوى برايه جروحها وفتوقها لاسيما ايام التنازع والخصومات

وبقاتل اهلها وخرجوا حادى عشر شوال فى عدد كالرمل كثرة وكالنار جمرة فلما رأى صلاح الدين ذلك نقل اثقال المسلمين الى ميمون وهو على ثلاثة فراسخ عن عكا وكان قد عاد اليه من فرق من عساكره لما هلك ملك الالمان ولقى الفرنج على تعبية حسنة وكان أولاده الافضل على والظاهر غازى والظافر خضر في القلب وأخوه العادل أبو بكر في الميمنة ومعه عساكر مصر ومن انضم اليه وكان في الميسرة عماد الدين صاحب سنجار وتقى الدين صاحب حماة ومعز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من امرائه واتفق ان صلاح الدين أخذه مغص كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على تل مشرف على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فسار الفرنج شرقى نهر هناك حتى وصلوا الى رأس النهر فشاهدوا عساكر الاسلام وكثرتها فارتاعوا لذلك ولقيهم الجالشية وامطروا عليهم من السهام ما كاد يستر الشمس فلما رأوا ذلك تحولوا الى غربى النهر ولزمهم الجالشية يقاتلونهم والفرنج قد تجمعوا ولزم بعضهم بعضا وكان غرض الجالشية أن تحمل الفرنج عليهم فيلقاهم المسلمون ويلتحم القتال فيكون الفصل ويستريح الناس وكان الفرنج قد ندموا على مفارقة خنادقهم فلزموا مكانهم وباتوا ليلتهم تلك فلما كان الغد عادوا نحو عكا ليعتصموا بالخندق وهم والجالشية في اكتافهم يقاتلونهم تارة بالسيوف وتارة بالرماح وتارة بالسهام وكلما قتل من الفرنج قتيل أخذوه معهم لئلا يعلم المسلمون ما اصابهم فلولا ذلك الالم الذى حدث بصلاح الدين لكانت هى الفيصل وانما الله أمر هو بالغه فلما بلغ الفرنج خندقهم ولم يكن لهم بعدها ظهور ومنه عاد المسلمون الى خيامهم وقد قتلوا من الفرنج خلقا كثيرا وفى الثالث والعشرين من شوال أيضا كمن جماعة من المسلمين وتعرض للفرنج جماعة أخرى فخرج اليهم أربعمائة فارس فقاتلهم المسلمون شيئا من قتال وتطاردوا لهم وتبعهم الفرنج حتى جازوا الكمين فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم أحد واشتد الغلاء على الفرنج حتى بلغت غرارة الحنطة أكثر من مائة دينار صورى فصبروا على هذا وكان المسلمون يحملون اليهم الطعام من البلدان منهم الامير اسامة مستحفظ بيروت كان يحمل الطعام وغيره ومنهم سيف الدين على بن أحمد المعروف بالمشطوب كان يحمل من صيدا أيضا اليهم وكذلك من عسقلان وغيرها ولولا ذلك لهلكوا جوعا خصوصا فى الشتاء عند انقطاع مراكبهم عنهم بتهيج البحر

﴿ذكر تسيير البدل الى عكا والتفريط فيه حتى أخذت﴾

لما هجم الشتاء وعصفت الرياح خاف الفرنج على مراكبهم التى عندهم لانها لم تكن من المينا فسيروها الى بلادهم صور والجزائر فانفتح الطريق الى عكا في البحر فارسل أهلها الى صلاح الدين يشكون الضجر والملالة والسآمة وكان بها الامير حسام الدين أبو الهيجاء السمين مقدما على جندها فامر صلاح الدين باقامة البدل وانفاذه اليها واخراج من فيها وأمر أخاه الملك العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجمع المراكب والشوانى وكان كلما جاء جماعة من العسكر سيرهم اليها وأخرج

عنده غالب الليالي وأنعم عليه بالخلع والعطايا والكساوى ورتب له ومانقص في الفرضاته والسلطنة والحوالى ووقع في ولايته الطاعون الذى افنى غالب امراء مصر واهلها وذلك سنة خمس وماتين والف فاختص بما جمعه مما اتصل من الموتى من أقطاعات ورزق وغيرها وزادت ثروته ورغبته وسعيه في اسباب تحصيل الدنيا وعانى الشركات والمتاجر في كثير من الاشياء مثل الكتان والقطن والارز وغير ذلك من الاصناف والتزم بعدة حصص بالبحيرة مثل شابور وخلافها بالمنوفية والجيزة والغربية وابتنى دارا عظيمة بالازبكية بناحية الرويعى عما بقا بها من الجهة الاخرى عند الساباط ولما حضرت الفرنساوية الى الديار المصرية وخافهم الناس وخرج الكثير من الاعيان وغيرهم هاربا من مصر تأخر المترجم عن الخروج ولم ينقبض كغيره عن المداخلة فيهم بل اجتمع بهم وواصلهم وانضم اليهم وسايرهم ولاطفهم في اغراضهم واحبوه واكرموه وقبلوا شفاعاته وتقربوا بقوله فكان هو المشار اليه في دولتهم مدة اقامتهم بمصر والواسطة العظمى بينهم وبين الناس في قضاياهم وحوائجهم واوراقهم واوامره نافذة عند ولاة امورهم فعظم امره عندهم وعند الناس بكاتم السر ولما رتبوا الديوان الذى رتبوه لاجراء الاحكام بين المسلمين في قضاياهم ودعاويهم كان

عرضهم

بلادك وتارة يقول انه يكاتب اعداءك ويحثهم على قصدك الى غير ذلك من الامور المؤذية وعز الدين يصبر على ما يكره لامور تارة لقلة رجاله وتارة خوفا من تسليمها الى صلاح الدين فلما كان في السنة الماضية سار صاحبها الى صلاح الدين وهو على عكا في جملة من سار من اصحاب الاطراف واقام عنده قليلا وطلب دستورا للعود الى بلده فقال له صلاح الدين عندنا من اصحاب الاطراف جماعة منهم عماد الدين صاحب سنجار وغيرها وهو اكبر منك ومنهم ابن عمك عز الدين وهو اصغر منك وغيرهم ومتى فتحت هذا الباب اقتدى بك غيرك فلم يلتفت الى قوله واصر على ذلك وكان عند صلاح الدين جماعة من اهل الجزيرة يستغيثون على سنجر شاه لانه ظلمهم واخذ اموالهم واملاكهم فكان يخافهم فلم يزل في طلب الاذن في العود الى البلاد الى عيد الفطر من سنة ست وثمانين ثم ركب تلك الليلة سنجر شاه وجاء الى خيمة صلاح الدين واذن لاصحابه في المسير فساروا بالاثقال وبقي جريدة فلما وصل الى خيمة صلاح الدين ارسل يطلب الاذن وكان صلاح الدين قد بات محموما وقد عرق فلم يمكن ان ياذن له فبقي كذلك مترددا على باب خيمته الى ان اذن له فلما دخل عليه هناه بالعيد واكب عليه يودعه فقال له ما علمنا بصحة عزمك على الحركة فتصبر علينا حتى نرسل ما جرت به العادة فقال لا يجوز ان تنصرف عنا بعد مقامك عندنا على هذا الوجه فلم يرجع وودعه وانصرف وكان تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين قد اقبل من بلده حماة في عسكره فكتب اليه صلاح الدين يامره باعادة سنجر شاه طوعا او كرها فحكى لي عن تقي الدين انه قال ما رايت مثل سنجر شاه لقيته بعقبة فيق فسالته عن سبب انصرافه فذكر الحال فقلت له هذا الحال ولا يليق ان تنصرف بغير تشريف السلطان وهديته فيضيع تعبك وسالته العود فلم يصغ الى قولي فكلمني كانني بعض مماليكه فلما رايت ذلك منه قلت له ان رجعت بالتي هي احسن والا اعدتك كارها فنزل عن دابته واخذ ذيلي وقال قد استجرت بك وجعل يبكي فعجبت من حالته اولا وذلته ثانيا فعاد معي فلما عاد بقي عند صلاح الدين عشرة ايام وكتب صلاح الدين الى عز الدين اتابك يامره بقصد الجزيرة ومحاصرتها واخذها وانه يرسل الى طريق سنجر شاه ليقبض عليه اذا عاد فخاف عز الدين ان صلاح الدين قد عمل ذلك مكيدة ليشنع عليه بنكث العهد فلم يفعل شيئا من ذلك بل ارسل اليه يقول اريد خط الملك بذلك ومنشورا منك بالجزيرة فترددت الرسل في ذلك الى ان انقضت سنة ست وثمانين فاستقرت القاعدة بينهما فسار عز الدين الى الجزيرة فحصرها اربعة اشهر وايامها آخرها شعبان ولم يملكها بل استقرت القاعدة بينه وبين سنجر شاه على يد رسول صلاح الدين فانه كان قد ارسل بعد قصدها يقول ان صاحب سنجار وصاحب اربل وغيرهما قد شفعا في سنجر شاه فاستقر الصلح على ان لعز الدين نصف اعمال الجزيرة ولسنجر شاه نصفها وتكون الجزيرة بيد سنجر شاه من جملة النصف وعاد عز الدين الى الموصل وكان صلاح الدين بعد ذلك يقول ما قيل لي عن احد شيء من الشر فرايته الا كان دون ما يقال فيه الا سنجر شاه فانه كان يقال لي عنه

القرناوية مع العثمانية والمصريين عند مجيء الوزير المرة الاولى فشرع في بناء دار عند باب الشعرية ولم يتمها بل تركها واهملها وهي متهدمة ولم يحدث بها شيئا من الابنية ثم انه تزوج بابنة الشيخ احمد البشاري وكانت تحت بعض الاجناد في دار جهة البندقانيين بالقرب من سوق السلاح وسويقة العزى يذهب اليها في بعض الاحيان واشترى دارا عظيمة بناحية الموسكي وكانت ايضا من جملة بقايا الامراء الاقدمين وهي دار واسعة الارجاء ذات رحبتين متسعتين والرحبة الخارجية التي يسلك اليها من باب الزقاق الكبير على ظهر قنطرة الخليج التي تعرف الآن بقنطرة الحفناوي لقربها من داره وبهذه الدار مجالس وقيعان متسعة ومن جملتها قاعة عظيمة ذات ثلاثة لواوين مفروشة ارضها وحيطانها بانواع الرخام الملون والقيشاني مطلة على بستان عظيم مغروس بانواع الاشجار وهو ايضا من حقوق الدار وينتهي حدود هذه الدار الى حارة الناصرة والى كوم الشيخ سلامة وحارة الافرنج من الناحية الاخرى ولما عمل برادها وعقد عقد شرائها من اصحابها ودفع لهم بعض دراهم يقال لها العربون وكتب حجة المشتري وسكنها اخذ يوطئهم بدفع الثمن ويماطلهم كعادته في دفع الحقوق ثم تركها وسافر الى دمياط وجعل يطوف البلاد التي تحت التزامه وغيرها مثل المحلة

الى ابى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب الغرب والاندلس فجهز العساكر الكثيرة وسار الى الاندلس وعبر المجاز وسير طائفة كثيرة من عسكره فى البحر ونازلها وحصرها وقاتل من بها قتالا شديدا حتى ذلوا وسألوا الامان فأمنهم وتسلموا البلد وعادوا الى بلادهم وسير جيشا من الموحدين ومعهم جمع كثير من العرب فقصدوا اربع مدن كان الفرنج قد ملكوها قبل ذلك باربعين سنة وقتلوا الفرنج فخافهم ملك طليطلة من الفرنج وارسل يطلب الصلح فصالحه خمس سنين وعاد ابو يوسف الى مراكش وامتنع من هذه الهدنة طائفة من الفرنج لم يرضوها ولا امكنهم اظهار الخلاف فبقوا متوقفين حتى دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة فتحركوا وسنذكر خبرهم هناك ان شاء الله تعالى

﴿ذكر الحرب بين غياث الدين وسلطان شاه بخراسان﴾

كان سلطان شاه اخو خوارزم شاه قد تعرض الى بلاد غياث الدين ومعز الدين ملكى الغورية من خراسان فتجهز غياث الدين وخرج من فيروزكوه الى خراسان سنة خمس وثمانين وخمسمائة فبقى يتردد بين بلاد الطالقان وبنجده ومرو وغيرها وهو يحارب سلطان شاه فلم يزل كذلك الى ان دخلت سنة ست وثمانين فجمع سلطان شاه عساكره وقصد غياث الدين فتصافا واقتتلا فانهزم سلطان شاه واخذ غياث الدين بعض بلاده وعاد الى غزنة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول قدم الخليفة الناصر لدين الله حديثة عانة وكان سير اليها جيشا فحصروها سنة خمس وثمانين فقاتلوا عليها قتالا شديدا ودام الحصار وقتل من الفريقين خلق كثير فلما ضاقت عليهم الاقوات طلبوها على اقطاع عينوها ووصل صاحبها واهلها الى بغداد ودخلوا اقطاعها ثم تفرقوا فى البلاد واشتدت الحاجة بهم حتى رأيت بعضهم وانه يتعرض بالسؤال الى بعض خدم الناس نعوذ بالله من زوال نعمته وتحول عافيته وفى هذه السنة توفى مسعود بن الباذر وكان مكثرا من الحديث حسن الخط خيرا ثقة وفيها توفى ابو حامد محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى بالموصل كان قاضيها وقبلها ولى قضاء حلب وجميع الاعمال وكان رئيسا جوادا ذا مروءة عظيمة يرجع الى دين واخلاق

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة)

﴿ذكر حصر عز الدين صاحب الموصل الجزيرة﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار اتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل الى جزيرة ابن عمر فحصرها وكان بها صاحبها سنجر شاه بن سيف الدين غازى ابن مودود وهو ابن اخى عز الدين وكان سبب حصره ان سنجر شاه كان كثير الاذى لعمه عز الدين والشناعة عليه والمراسلة الى صلاح الدين فى حقه تارة يقول انه يريد قصد

والتنازع وما يكدر طباع الفرنساوية من مخارق الرعية وبلاقاويه راحم ثالثه وتسكين حدتهم لاطلاقه والعنت
ايامهم وتشكيت اعلامهم
وارتحلوا عن الاقطار المصرية
وورودت الدولة العثمانية
كان المترجم اعظم المتصدرين
فى مقابلتهم واوجه الوجهاء
فى مخاطبتهم ومكالمتهم ولم
يتأخر عن حالته فى ظهوره
ولازمهم فى عشياته وبكوره
ويدبرهم بحيله واحتياله
واستخرجهم بمكره وحباله
واتصل بشريف افندى الدفتردار
ولازمه الليل والنهار وتمم
معه اغراضه فى جميع تعلقاته
وتحرير وقفيته والتزاماته
ومسموحاته واستعبد غير ذلك
عما يتعلقه من الدواوين وكل
ذلك من غير مقابلة ولا عرفان
وتزوج بعدة زوجات ورزق
اولادا ذكورا واناثا فمنهم
الشيخ محمد امين وهو من ابنة
الشيخ الحريرى وتمذهب
حنفيا على مذهب جده وآخر
يسمى محمدا تقى الدين توفى
فى حياة والده من نحو خمس
عشرة سنة او اكثر من نحو
عشرين سنة وكان مالكيا
باشارة ابيه والشيخ عبد
الهادى وتوفى بعد ابيه وكان
شافعى المذهب وعقدوا له
درسا بعد موت ابيه فلم تطل
ايامه وزوج اولاده وبناته
وعمل لهم مهمات وافراحا
استجلب بها هدايا من اعيان
المسلمين والنصارى والنساء الاكابر والتجار وغيرهم ثم احترقت داره التى انشأها بالازبكية فى حرابة بولاق

بالقرب من النواب له بامرهم بفعل ذلك ففعلوا واما الفرنج الذين على عكا فانهم لازموا قتال من بها ونصبوا عليها سبع منجنيقات رابع جمادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك تحول من شفرعم ونزل عليهم لئلا يتعب العسكر كل يوم في المجيء اليهم والعود عنهم فقرب منهم وكانوا كلما تحركوا للقتال ركب وقاتلهم من وراء خندقهم فكانوا يشتغلون بقتاله فيضعف القتال عمن بالبلد ثم وصل ملك انكلتار ثالث عشر جمادى الاولى وكان قد استولى في طريقه على جزيرة قبرس واخذها من الروم فانه لما وصل اليها غدر بصاحبها وملكها جميعها فكان ذلك زيادة في ملكه وقوة للفرنج فلما فرغ منها سار منها الى من على عكا من الفرنج فوصل اليهم في خمس وعشرين قطعة كبار مملوأة رجالا واموالا فعظم به شر الفرنج واشتدت نكايتهم في المسلمين وكان رجل زمانه شجاعة ومكرا وجلدا وصبرا وبلي المسلمون منه بالداهية التي لا مثل لها ولما وردت الاخبار بوصوله امر صلاح الدين بتجهيز بطسة كبيرة مملوأة من الرجال والعدد والاقوات فجهزت وسيرت من بيروت وفيها سبعمائة مقاتل فلقيها ملك انكلتار مصادفة فقاتلها وصبر من فيها على قتالها فلما ايسوا من الخلاص نزل مقدم من بها الى اسفلها وهو يعقوب الحلبي مقدم الجندارية يعرف بغلام ابن شقتين فخرقها خرقا واسعا لئلا يظفر الفرنج بمن فيها وما معهم من الذخائر فغرق جميع ما فيها وكانت عكا محتاجة الى رجال لما ذكرناه من سبب نقصهم ثم ان الفرنج عملوا دبابات وزحفوا بها فخرج المسلمون وقاتلوهم بظاهر البلد واخذوا تلك الدبابات فلما رأى الفرنج ان ذلك جميعه لا ينفعهم عملوا تلا كبيرا من التراب مستطيلا ومازالوا يقربونه الى البلد ويقاتلون من ورائه لا ينالهم من البلد اذى حتى صار على نصف علوه فكانوا يستظلون به ويقاتلون من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لا بالنار ولا بغيرها فحينئذ عظمت المصيبة على من بعكا من المسلمين فارسلوا الى صلاح الدين يعرفونه حالهم فلم يقدر لهم على نفع

❁(ذكر ملك الفرنج عكا)❁

في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكا وكان اول وهن دخل على من بالبلد ان الامير سيف الدين علي بن احمد المشطوب المعروف بالمشطوب كان فيها ومعه عدة من الامراء كان هو امثلهم واكبرهم فخرج الى ملك افرنسيس وبذل له تسليم البلد بما فيه على ان يطلق المسلمين الذين فيه ويمكنهم من اللحاق بسلطانهم فلم يجبه الى ذلك فعاد علي بن احمد الى البلد فوهن من فيه وضعفت نفوسهم وتخاذلوا واهمتهم انفسهم ثم ان امير بن ممن كان بعكا لما رأوا ما فعلوا بالمشطوب وان الفرنج لم يجيبوا الى الامان اتخذوا الليل جملا وركبوا في شيء صغير وخرجوا سرا من اصحابهم ولحقوا بعسكر المسلمين وهم عز الدين ارسل الاسدي وابن عز الدين جاولي وسنقر الوشاقي ومعهم غيرهم فلما اصبح الناس ورأوا ذلك ازدادوا وهنا

سنة اربع وعشرين وفي اثنائها ... تطالب من الباشا ذاك في قبض اسنة اقسمين ١٣٠ عن غلال الانبار في مدة غيابه فلم يدفعها له من الخزينة نقدا بالثمن الذي قدره لنفسه وهو خمسة وعشرون كيسا وفي اليوم الذي خرج فيه السيد عمر انعم عليه الباشا ايضا بنظر وقف سنان باشا ونظر ضريح الشافعي بعرضحال بطلب النظرين وكانا تحت يد السيد عمر فحصل منهما مال كثير وعند ذلك رجع الى حالته الاولى التي كان قد انقبض عن بعضها من كثرة السعي والتردد على الباشا واكابر دولته في القضايا والشفاعات وامور الالتزام والفائظ والرزق والاطيان وما يتعلق به في بلاد الصعيد والفيوم ومحاسبة الشركاء وازدحمت عليه الناس وشرع يقرأ بالازهر فاذا حضر اجتمع حول درسه طائفة من الناس فاذا فرغ تكبكب عليه ارباب الدعاوي والفتاوي فيكتب لهذا ويعد ذاك ويسوف آخر ويذهب من يريد ان يذهب معه لحاجته فيقطع نهاره وليله طوافا وسعيا وذهابا وايابا لا يستقر بمكان ولا يظفر به صاحب حاجة الا نادرا ولا يبيت في بيت من بيوته الا في الجمعة مرة او مرتين ويتفق مجيئه الى داره بعد العشاء الاخيرة وغالب لياليه في غيرها واذا غاب لا يعلم طريقه الا بعض اتباعه فيذهب الى بولاق مثلا فيقيم بها عدة ايام ولياليه ينتقل في الاماكن عنده

اشياء استعظمتها فلما رأيته صغر في عيني ما قيل؟

(ذكر عبور تقي الدين الفرات وملكه حران وغيرها من البلاد الجزرية ومسيره الى خلاط وعوده)

في هذه السنة في صفر سار تقي الدين من الشام الى البلاد الجزرية حران والرها كان قد أقطعه اياها عمه صلاح الدين بعد أخذها من مظفر الدين مضافا الى ما كان له بالشام وقرر معه انه يقطع البلاد للجند ويعود هو وهم معه ليتقوى بهم على الفرنج فلما عبر الفرات واصلح حال البلاد سار الى ميافارقين وكانت له فلما اتاها تجدد له طمع في غيرها من البلاد المجاورة فلما اتاه قصد مدينة حاني من ديار بكر فحصرها وملكها وكان في سبعمائة فارس فلما سمع سيف الدين بكتمر صاحب خلاط بملكه حاني جمع عساكره وسار اليه فاجتمعت عساكره اربعة آلاف فارس فلما التقوا اقتتلوا فلم يثبت عسكر خلاط لتقي الدين بل انهزموا وتبعهم تقي الدين ودخل بلادهم وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين بن رشيق وزير صاحبه شاه ارمن وسجنه في قلعة هناك فلما انهزم كتب الى مستحفظ القلعة يامره بقتل ابن رشيق فوصل القاصد وتقي الدين قد نازل القلعة فاخذ الكتاب وملك القلعة واطلق ابن رشيق وسار الى خلاط فحصرها ولم يكن في كثرة من العسكر فلم يبلغ منها غرضا فعاد عنها وقصد ملازكرد وحصرها وضيق على من بها وطال مقامه عليها فلما ضاق عليهم الامر طلبوا منه المهلة اياما ذكروها فاجابهم اليها ومرض تقي الدين فمات قبل انقضاء الاجل بيومين وتفرقت العساكر عنها وحمله ابنه واصحابه ميتا الى ميافارقين وعاد بكتمر فقوي امره وثبت ملكه بعد ان اشرف على الزوال وهذه الحادثة من الفرج بعد الشدة فان ابن رشيق نجا من القتل وبكتمر نجا من ان يؤخذ

(ذكر وصول الفرنج من الغرب في البحر الى عكا)

وفي هذه السنة وصلت امداد الفرنج في البحر الى الفرنج الذين على عكا وكان اول من وصل منهم الملك افرنسيس وهو من اشرف ملوكهم نسبا وان كان ملكه ليس بالكثير وكان وصوله اليها ثاني عشر ربيع الاول ولم يكن في الكثرة التي ظنوها وانما كان معه ست بطس كبار عظيمة فقوي به نفوس من على عكا منهم ولجوا في قتال المسلمين الذين فيها وكان صلاح الدين بشفرعم فكان يركب كل يوم ويقصد الفرنج ليشغلهم بالقتال عن مزاحفة البلد وارسل الى الامير اسامة مستحفظ بيروت يامره بتجهيز ما عنده من الشواني والمراكب وتشحينها بالمقاتلة وتسييرها في البحر ليمنع الفرنج من الخروج الى عكا ففعل ذلك وسير الشواني في البحر فصادفت خمسة مراكب مملوءة رجالا من اصحاب ملك انكلتار الفرنجي وكان قد سيرهم بين يديه وتاخر هو بجزيرة قبرس ليملكها فاقتتلت شواني المسلمين مع مراكب الفرنج فاستظهر المسلمون عليهم واخذوهم وغنموا ما معهم من قوت ومتاع ومال واسروا الرجال وكتب ايضا صلاح الدين الى من

الحكيم برة ومنشأة والاسكندرية وغاب نحو الخمس سنوات ومات في غيبته بعض اصحاب الدار التي اشتراها منهم وبقي من مستحقيها ارامل فكانت تتظلم وتشكي وتواصله فعرضت امرها للكتخدا بك والباشا الى ان حضر الى مصر وقبضت منه وهي معطلة ما امكنها من ثمن استحقاقها وبني ابنه المسمى بامين بقطعة من ارض وادار ابيه حارة المناصرة على البستان وكتابه بهو نافذة اليه وجعل لها بابا من المناصرة ينفذ منه الى الازبكية وقنطرة الامير حسين انفق عليها جملة كبيرة من المال بحيث ان المرخمين والمزوقين اشغلهم نحو اربع سنوات خلاف من عداهم من ارباب الاشغال وتجهيز الادوات من الاخشاب وغيرها من انواع الاحتياجات ويتعاطى ابنه المذكور التجارة ايضا والشركة في كثير من الاصناف خلاف الايراد الواسع الخاص به ولما رجع المترجم من سرحته الى مصر اقام مصاحبا للسير الخمول وتقيد لالقاء الدروس بالازهر اشهرا ويعاني مع ذلك الاشتغال والتولع بعلم الصنعة ومطالعة ما صنف فيها ويذاكر بعض اصحابه في دورهم باغترائهم من مالهم الى ان بدت الوحشة بين الباشا والسيد عمر مكرم فتولى كبر السعي عليه سرا وباقي المشايخ حسدا وطمعا في الفلفلس ليتم الامر دونه حتى اوقعوا به كما تقدم ذكره في حوادث

من رجب وركب الفرنج وخرجوا الى ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمون
اليهم وقصدوهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن مواقفهم واذا أكثر من كان عندهم
من المسلمين قتلى قد وضعوا فيهم السيف واستبقوا الامراء والمقدمين ومن كان له مال
وقتلوا من سواهم من سوادهم واصحابهم ومن لا مال له فلما رأى صلاح الدين ذلك
تصرف في المال الذي كان جمعه وسير الاسرى والصليب الى دمشق

ذكر رحيل الفرنج الى ناحية عسقلان وتخريبها

لما فرغ الفرنج لعنهم الله من اصلاح أمر عكا برزوا منها في الثامن والعشرين من رجب
وساروا مستهل شعبان نحو حيفا مع شاطئ البحر لا يفارقونه فلما سمع صلاح الدين
برحيلهم نادى في عسكره بالرحيل فساروا وكان على اليزك ذلك اليوم الملك الافضل
ولد صلاح الدين ومعه سيف الدين اياز كوش وعز الدين جورديك وعدة من شجعان
الامراء فضايقوا الفرنج في مسيرهم وارسلوا عليهم من السهام ما كاد يحجب الشمس
ووقعوا على ساقة الفرنج فقتلوا منها جماعة وأسروا جماعة وارسل الافضل الى والده
يستمده ويعرفه الحال فامر العساكر بالمسير اليه فاعتذروا بانهم ما ركبوا اهبة الحرب
وانما كانوا على عزم المسير لا غير فبطل المدد وعاد ملك الانكتار الى ساقة الفرنج
فحماها وجمعهم وساروا حتى اتوا حيفا فنزلوا بها ونزل المسلمون بقيمون قرية بالقرب
منهم واحضر الفرنج من عكا عوض من قتل منهم واسر ذلك اليوم وعوض ما هلك من
خيل ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويتخطفون منهم من قدروا
عليه فيقتلونه لان صلاح الدين كان قد اقسم انه لا يظفر باحد منهم الا قتله بمن قتلوا
ممن كان بعكا فلما قاربوا قيسارية لاصقهم المسلمون وقاتلوهم اشد قتال فنالوا منهم
نيلا كثيرا ونزل الفرنج بها وبات المسلمون قريبا منهم فلما نزلوا خرج من الفرنج جماعة
فابعدوا عن جماعتهم فاوقع بهم المسلمون الذين كانوا في اليزك فقتلوا منهم واسروا
منهم ثم ساروا من قيسارية الى ارسوف وكان المسلمون قد سبقوهم اليها ولم يمكنهم
مسايرتهم لضيق الطريق فلما وصل الفرنج اليهم حمل المسلمون عليهم حملة منكرة
الحقوهم بالبحر ودخله بعضهم فقتل منهم كثير فلما رأى الفرنج ذلك اجتمعوا وحملت
الخيالة على المسلمين حملة رجل واحد فولوا منهزمين لا يلوي احد على احد وكان كثير
من الخيالة والسوقة قد القوا القيام وقت الحسر بقريب من العسكر كما كانوا ذلك
اليوم كانوا على حالهم فلما انهزم المسلمون عنهم قتل منهم كثير والتجأ المنهزمون الى
القلب وفيه صلاح الدين فلو علم الفرنج انها هزيمة لتبعتهم واستمرت الهزيمة وهلك
المسلمون لكن كان بالقرب من المسلمين شعراء كثيرة الشجر فدخلوها وظنها الفرنج
مكيدة فعادوا وزال عنهم ما كانوا فيه من الضيق وقتل من الفرنج كند كبير من
طواغيتهم وقتل من المسلمين مملوك لصلاح الدين اسمه اياز الطويل وهو من
الموصوفين بالشجاعة والشهامة لم يكن في زمانه مثله فلما نزل الفرنج نزل المسلمون

لذلك المترجم مع السيد احمد المحروقي واتم عليه بالكسوة وترحيل النفقة فلما وقعت

الهزيمة بالصفراء رجع مع
الراجعين ولما توفي الشيخ
الشرقاوي تعين المترجم لمشيخة
الجامع ثم انتقضت عليه
وقلدوها الشيخ الشنواني
كما تقدم ذكر ذلك فلم يظهر الا
الانشراح وعدم التأثر من
الانكشاف وحضر اليه
الشيخ الشنواني فخلع عليه
فروة سمور خاص وزاد في
اكرامه وباشرة عالجد دارا
بالكعكيين على شر بطنه ق
قنشر والله وهي التي كانت
سكن الشيخ الحفني قبل
سكناه بالموسكي ثم تملكها
الشيخ المرحوم عبد الرحمن
العريشي ثم ابن الجندي
ثم لا ادري لمن آلت بعد ذلك
فلما اخذها شرع في تجديدها
وتعميرها وفتح بها رحبة واسعة
واحضر اخشابا كثيرة واحجارا
وبلاطا ورخاما ووجد بها
زاوية قديمة بها مدافن فهدمها
وادخلها في الدار واخرج
عظام الموتى من قبورهم
ودفنهم بتربة المجاورين
كما اخبرني عن ذلك من اثق به
ووصل مكان الزاوية بقاعة
لطيفة بخارجها فسحة يتوصل
اليها من حوش الدار وجعل
مكان القبور خبايا وعليها
طوابق واسكن في تلك الدار
احدى زوجاته وهي التي
كانت تحت الشيخ الدمجيجي
الدمياطي تزوج بها بدمياط
واحضرها الى مصر واسكنها بهذه الدار وهي حاضرتها التي كانت من انشا بوردا اكثر

الى وهنهم وضعفا الى ضعفهم واشتد الخطب ثم ان الفرنج ارسلوا الى صلاح الدين
في معنى تسليم البلد فاجابهم الى ذلك والشرط بينهم ان يطلق من اسراهم بعدد من في
البلد ليطلقوا هم من بعكا وان يسلم اليهم صليب الصلبوت فلم يقنعوا بما بذل فارسل
الى من بعكا من المسلمين يامرهم ان يخرجوا من عكا يدا واحدة ويتركوا البلد بما فيه
ووعدهم انه يتقدم الى تلك الجهة التي يخرجون منها بعساكره ويقاتل الفرنج فيها
ليلحقوا به فشرعوا في ذلك واشتغل كل منهم باستصحاب ما يملكه فما فرغوا من اشغالهم
حتى اسفر الصبح فبطل ما عزموا عليه لظهوره وعجز الناس عن حفظ البلد وزحف
اليهم الفرنج بحدهم وحديدهم فظهر من بالبلد على سوره يحركون اعلامهم ليراها
المسلمون وكانت هي العلامة اذا اشتد بهم امر فلما رأى المسلمون ذلك ضجوا بالبكاء
والعويل وحملوا على الفرنج من جميع جهاتهم طمعا منهم ان الفرنج يشتغلون عن الذين
بعكا وصلاح الدين يحرضهم وهو في اولهم وكان الفرنج قد خندقوا عن خنادقهم ومالوا
الى جهة البلد فقرب المسلمون من خنادقهم حتى كادوا يدخلونها عليهم ويضعون
السيف فيهم فوقع الصوت فعاد الفرنج ومنعوا المسلمين وتركوا في مقابلة من بالبلد من
يقاتلهم فلما رأى المشطوب ان صلاح الدين لا يقدر على نفع ولا يدفع عنهم ضرا خرج
الى الفرنج وقرر معهم تسليم البلد وخروج من فيه باموالهم وانفسهم وبذل لهم عن
ذلك مائتي الف دينار وخمسمائة اسير من المعروفين واعادة صليب الصلبوت واربعة
عشر الف دينار للمركيس صاحب صور فاجابوه الى ذلك وحلفوا له عليه وان يكون
مدة تحصيل المال والاسرى الى شهرين فلما حلفوا له سلم البلد اليهم ودخلوه سلما
فلما ملكوه غدروا واحتاطوا على من فيه من المسلمين وعلى اموالهم وحبسوهم
واظهروا انهم يفعلون ذلك ليصل اليهم ما بذل لهم وراسلوا صلاح الدين في ارسال المال
والاسرى والصليب حتى يطلقوا من عندهم فشرع في جمع المال وكان هو لا مال له
انما يخرج ما يصل اليه من دخل البلاد اولا باول فلما اجتمع عنده من المال مائة الف
دينار جمع الامراء واستشارهم فاشاروا بان لا يرسل شيئا حتى يعاود يستحلفهم على
اطلاق اصحابه وان يضمن الداوية ذلك لانهم اهل دين يرون الوفاء فراسلهم صلاح
الدين في ذلك فقال الداوية لا نحلف ولا نضمن لاننا نخاف غدر من عندنا وقال ملوكهم
اذا سلمتم الينا المال والاسرى والصليب فلنا الخيار فيمن عندنا فحينئذ علم صلاح
الدين عزمهم على الغدر فلم يرسل اليهم شيئا واعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلم اليكم
هذا المال والاسرى والصليب ونعطيكم رهنا على الباقي وتطلقوا اصحابنا وتضمن
الداوية الرهن ويحلفون على الوفاء لهم فقالوا لا نحلف انما ترسل الينا المائة الف دينار
التي حصلت والاسرى والصليب ونحن نطلق من اصحابكم من نريد ونترك من نريد
حتى يجيء باقي المال فعلم الناس حينئذ غدرهم وانما يطلقون غلمان العسكر
والفقراء والاكراد ومن لا يؤبه له ويمسكون عندهم الامراء وارباب الاموال ويطلبون
منهم الفداء فلم يجبهم السلطان الى ذلك فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين

شركائه ومن جملتهم من الامناء والخاصكية والاجناد وغيرهم او يذهب الى بلده شبين بالجيزة او غيرها فيقيم
اياما ابضاوه وكذا دابه قديما واذا
قيل له في ذلك قال الا ينبغي
ظاهر بقلبي وعقلي ما كان فيه
من الغنى وكثرة الايراد
والمصرف تراه مفقود الشفقة
عديم الراحة البدنية والنفسية
واشاد ذلك لاولاده والمقيمين
ايضا بداره ويتحقق انه يذبح
بداره الثلاثة اغنام لضيوف
من الفقراء عند الحرم ولا يأكل
منها شيئا بل يتركها ويذهب
الى بعض اغراضه ببولاق
مثلا و يتغذى بالجبن الحالوم
او الفسيخ او البطارخ ويبيت
باي مكان ولو في الخان ويصرف
اي محل كان ولما مات الشيخ
سليمان الفيومي عن زوجته
المعروفة بالمصراوية وكانت
من نساء القدماء مشهورة
بالغنى وكثرة الايراد تزوجت
بالشيخ الفيومي حالة ما ماتا
وكانت طاعنة في السن
فاشترت له جارية بيضاء
واعتقتها وزوجتها له ولم يدخل
بها ومات عنها وعن زوجته
الاخرى ثم ماتت المصراوية
المذكورة لا عن وارث في
غضون ما قطنه المترجم فوضع
يده على دارها ومالها وجواريها
وتعلقاتها من عقار والتزام
وغيره وزوج الجارية لابنه
عبد الهادي وكانها تخطت
بما لها نحو الفي محبوب ولما
عزم الباشا وعين العساكر
الى الحجاز مع ابنه طوسون باشا اختار ان يذهب معه من اهل العلم فكان المذين

القاعدة ان انكلتار يزوج اخته من العادل ويكون القدس وما بايدي المسلمين من بلاد الساحل للعادل ويكون عكا وما بيد الفرنج من البلاد لاخت انكلتار مضافا الى مملكة كانت لها داخل البحر قد ورثتها من زوجها وان يرضى الداوية بما يقع الاتفاق عليه فعرض العادل ذلك على صلاح الدين فاجاب اليه فلما ظهر الخبر اجتمع القسيسون والاساقفة والرهبان الى اخت انكلتار وانكروا عليها فامتنعت من الاجابة وقيل كان المانع منه غير ذلك والله اعلم وكان العادل وملك انكلتار يجتمعان بعد ذلك ويتحاوران في حديث الصلح وطلب من العادل ان يسمعه غناء المسلمين فاحضر له مغنية تضرب بالجنك فغنت له فاستحسن ذلك ولم يتم بينهما صلح وكان ملك انكلتار يفعل ذلك خديعة ومكرا ثم ان الفرنج اظهروا العزم على قصد بيت المقدس فسار صلاح الدين الى الرملة جريدة وترك الاثقال بالنطرون وقرب من الفرنج وبقي عشرين يوما ينتظرهم فلم يبرحوا فكان بين الطائفتين مدة المقام عدة وقعات في كلها ينتصر المسلمون على الفرنج وعاد صلاح الدين الى النطرون ورحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذي القعدة على عزم قصد البيت المقدس فقرب بعضهم من بعض فعظم الخطب واشتد الحذر فكان كل ساعة يقع الصوت في العسكرين بالقتال فلقوا من ذلك شدة شديدة واقبل الشتاء وحالت الاحوال والامطار بينهما

(ذكر مسير صلاح الدين الى القدس)

لما راى صلاح الدين ان الشتاء قد هجم والامطار والية متتابعة والناس منها في ضنك وحرج ومن شدة البرد ولبس السلاح والسهر في تعب دائم وكان كثير من العساكر قد طال بيكارها اذن لهم في العود الى بلادهم للاستراحة والاراحة وسار هو الى البيت المقدس فيمن بقي معه فنزلوا جميعا داخل البلد فاستراحوا مما كانوا فيه ونزل هو بدار الاقساء مجاور بيعة قمامة وقدم اليه عسكر مصر مقدمهم الامير ابو الهيجاء السمين فقويت نفوس المسلمين بالقدس وسار الفرنج من الرملة الى النطرون ثالث ذي الحجة على عزم قصد القدس فكانت بينهم وبين يزك المسلمين وقعات اسر المسلمون في وقعة منها نيفا وخمسين فارسا من مشهوري الفرنج وشجعانهم وكان صلاح الدين لما دخل القدس امر بعمارة سوره وتجديد ما رث منه فاحكم الموضع الذي ملك البلد منه واتقنه وامر بحفر خندق خارج الفصيل وسلم كل برج الى امير يتولى عمله فعمل ولده الافضل من ناحية باب عمود الى باب الرحمة وارسل اتابك عز الدين مسعود صاحب الموصل جماعة من الجصاصين لهم في قطع الصخر اليد الطولى فعملوا هناك برجا وبدنة وكذلك جميع الامراء ثم ان الحجارة قلت عند العمالين فكان صلاح الدين رحمه الله يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابته من الاماكن البعيدة فيقتدي به العسكر فكان يجتمع عنده من العمالين في اليوم الواحد من يعملون عدة ايام

(ذكر عود الفرنج الى الرملة)

انه كان من فحول العلماء يدرس الكتب الصعاب في المعقول والمنقول بالتحقيق والتدقيق ويقررها بالحاصل وانتفع عليه الكثير من الطلبة ومنهم الآن مدرسون مشتهرون ويميزون بين نظرائهم من اهل العصر ولو استمر على طريقة اهل العلم السابقين وبعض اللاحقين ولم يشتغل بالانهماك على الدنيا لكان نادرة عصره واداه ذلك الى قطع الاشتغال واذا شرع في الاقراء فلا يتم الكتاب في الغالب ويحضر الدرس في الجمعة يوما او يومين ويهمل كذلك ولم يصنف تاليفا ولا رسالة في فن من الفنون مع تاهله لذلك ولم يعان الشعر ولا النظم ونثره في المراسلات ونحوها متوسط في بعض الاوراق السهلة وتقيد بقراءة الحكم لابن عطاء الله بعد العصر في رمضان الثلاث سنين الاخيرة

(ومات) الاستاذ العلامة والنحرير الفهامة الفقيه النبيه المهذب المتواضع الشيخ مصطفى بن محمد بن يوسف ابن عبد الرحمن الشهير بالصفوري القلعاوي الشافعي ولد في شهر ربيع الاول من سنة ثمان وخمسين ومائة والف وتفقه على الشيخ الملوي والمصيصي والبراوي والحفني ولازم شيخنا الشيخ احمد العروسي وانتفع عليه واذن له في الفتيا عن لسانه وجمع من تقريراته واقتطف من تحقيقاته والف وصنف وكتب حاشية على ابن قاسم الغزي على ابي شجاع في

من المبيت فيها مع استمرار العمارة فلما كان في آخر المحرم توعك اياما ثم عوفي وذهب الى الحمام وهناه الناس
بالعافية ومشى الى جيرانه
يتحدث عندهم كعادته
مثل الخواجا بدوى محمد ابن
الحاج طاهر والسيد صالح
الفيومي فخرج ليلة الجمعة
الثاني من شهر صفر وذهب
عند عثمان بن سلامة
السناري فتحدث عندهم
حصة من الليل وتفكهوا
ثم قام راجعا الى داره ماشيا
على اقدامه وصحبته صاحبنا
الشيخ خليل الصفتي يحادثه
حتى وصل الى داره المذكورة
وانصرف الشيخ خليل الى
داره ايضا ومضى نحو ساعة
واذا بتابع الشيخ المهدي
يناديه ويطلبه اليه فقام
في الحين ودخل اليه فوجده
راقدا في المكان الذي نبش
من القبو ويمس يده فقال
له النساء انه ميت واخبرت
زوجته انه جامعها ثم استلقى
وفارق الدنيا وارسلوا الى
اولاده فحضروا وحملوه في
تابوت الى الدار الكبيرة
بالموسكي ليلا وشاع موته
وجهز وصلى عليه بالازهر في
مشهد حافل جدا ودفن
عند الشيخ الحفني بجانب
القبر (سبحان الحي الذي
لا يموت) فرحم الله عبدا
زهد في الفاني وعمل لما بعده
ونظر الى هذه الدار بعين
الاعتبار نسأله التوفيق
والقناعة وحسن الخاتمة عن نحو خمس وسبعين سنة وحاصل امر المرحوم المترجم

واعتمه خيلهم بايديهم ثم سار الفرنج الى يافا فنزلوها ولم يكن بها احد من المسلمين فلكوها ولما كان من المسلمين بارسوف من الهزيمة ما ذكرناه سار صلاح الدين عنهم الى الرملة واجتمع باثقاله بها وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعل فاشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا له قد رأيت ما كان منا بالامس واذا جاء الفرنج الى عسقلان ووقفنا في وجوههم نصدهم عنها فهم لا شك يقاتلونا لنستريح عنها ويستولون عليها فاذا كان ذلك عدنا الى مثل ما كنا عليه عكا ويعظم الامر علينا لان العدو قد قوى باخذ عكا وما فيها من الاسلحة وغيرها ونحن قد ضعفنا بما خرج عن ايدينا ولم تطل المدة حتى نستجد غيرها فلم تسمح نفسه بتخريبها وندب الناس الى دخولها وحفظها فلم يجبه احد الى ذلك وقالوا ان اردت حفظها فادخل انت معنا او بعض اولادك الكبار والا فما يدخلها منا احد لئلا يصيبنا ما اصاب اهل عكا فلما رأى الامر كذلك سار الى عسقلان وامر بتخريبها فخربت تاسع عشر شعبان والقيت حجارتها في البحر وهلك فيها من الاموال والذخائر التي للسلطان والرعية ما لا يمكن حصره وعفى اثرها حتى لا يبقى للفرنج في قصدها مطمع ولما سمع الفرنج بتخريبها اقاموا مكانهم ولم يسيروا اليها وكان المركيس لعنه الله لما اخذ الفرنج عكا قد احس من ملك انكلتار بالغدر به فهرب من عنده الى مدينة صور وهي له وبيده وكان رجل الفرنج رأيا وشجاعة وكل هذه الحروب هو اثارها فلما خربت عسقلان ارسل الى ملك انكلتار يقول له مثلك لا ينبغي ان يكون ملكا ويتقدم على الجيوش تسمع ان صلاح الدين قد خرب عسقلان وتقيم مكانك يا جاهل لما بلغك انه قد شرع في تخريبها كنت سرت اليه مجدا فرحلته وملكتها صفوا عفوا بغير قتال ولا حصار فانه ما خربها الا وهو عاجز عن حفظها وحق المسيح لو انني معك كانت عسقلان اليوم بايدينا لم يخرب منها غير برج واحد فلما خربت عسقلان رحل صلاح الدين عنها ثاني شهر رمضان ومضى الى الرملة فخرب حصنها وخرب كنيسة لد وفي مدة مقامه لتخريب عسقلان كانت العساكر مع الملك العادل ابي بكر بن ايوب تجاه الفرنج ثم سار صلاح الدين الى القدس بعد تخريب الرملة فاعتبره وما فيه من سلاح وذخائر وقرر قواعده واسبابه وما يحتاج اليه وعاد الى المخيم ثامن رمضان وفي هذه الايام خرج ملك انكلتار من يافا ومعه نفر من الفرنج من معسكرهم فوقع به نفر من المسلمين فقاتلوهم قتالا شديدا وكاد ملك انكلتار يؤسر ففداه بعض اصحابه بنفسه فتخلص الملك واسر ذلك الرجل وفيها ايضا كانت وقعة بين طائفة من المسلمين وطائفة من الفرنج انتصر فيها المسلمون

(ذكر رحيل الفرنج الى نطرون)

لما رأى صلاح الدين ان الفرنج قد لزموا يافا ولم يفارقوها وشرعوا في عمارتها رحل من منزلته الى النطرون ثالث عشر رمضان وخيم به فراسله ملك انكلتار يطلب المهادنة فكانت الرسل تتردد الى الملك العادل ابي بكر بن ايوب اخي صلاح الدين فاستقرت

الى ملطية فى ذى القعدة وحدثنى من اثق به قال رأيت صلاح الدين وقد ركب ليودع
عز الدين فترجل له عز الدين وترجل صلاح الدين وودعه راجلا فلما اراد الركوب
عضده عز الدين وركب وسوى ثيابه علاء الدين خرمشاه بن عز الدين صاحب
الموصل قال فعجبت من ذلك وقلت ما تبالى يا ابن ايوب اى موتة تموت يركبك ملك
سلجوقى وابن اتابك زنكى وفيها توفى حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين وهو ابن اخت
صلاح الدين وعلم الدين سليمان بن جندر وهو من اكابر امراء صلاح الدين ايضا وفى
رجب توفى الصفى بن القابض وكان متولى دمشق لصلاح الدين يحكم فى جميع بلاده

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة)

(ذكر عمارة الفرنج عسقلان)

فى هذه السنة فى المحرم رحل الفرنج نحو عسقلان وشرعوا فى عمارتها وكان صلاح
الدين بالقدس فسار ملك انكلتار يريد ثمن عسقلان الى يزك المسلمين فواقعهم
وجرى بين الطائفتين قتال شديد انتصف بعضهم من بعض وفى مدة مقام صلاح الدين
بالقدس مابرحت سراياه تقصد الفرنج فتارة تواقع طائفة منهم وتارة تقطع الميرة
عنهم ومن جملتها سرية كان مقدمها فارس الدين ميمون القصرى وهو من مقدمى
المماليك الصلاحية خرج على قافلة كبيرة للفرنج فاخذها وغنم ما فيها

(ذكر قتل المركيس وملك الكندهرى)

فى هذه السنة فى ثالث عشر ربيع الآخر قتل المركيس الفرنجى لعنه الله صاحب صور
وهو اكبر شياطين الفرنج وكان سبب قتله ان صلاح الدين راسل مقدم الاسماعيلية
وهو سنان ان ارسل من يقتل ملك انكلتار وان قتل المركيس فله عشرة آلاف دينار
فلم يمكنهم قتل ملك انكلتار ولم يره سنان مصلحة لهم لئلا يخلو وجه صلاح الدين من
الفرنج ويتفرغ لهم وشره فى اخذ المال فعدل الى قتل المركيس فارسل رجلين فى زى
الرهبان واتصلا بصاحب صيدا وابن بارزان صاحب رملة وكانا مع المركيس بصور
فاقاما معهما ستة اشهر يظهران العبادة فانس بهما المركيس ووثق اليهما فلما كان
بعد التاريخ عمل الاسقف بصور دعوة للمركيس فحضرها واكل طعامه وشرب مدامه
وخرج من عنده فوثب عليه الباطنيان المذكوران فجرحاه جراحا وثيقة وهرب
احدهما ودخل كنيسة يختفى فيها فاتفق ان المركيس حمل اليها ليشد جراحه فوثب
عليه ذلك الباطنى فقتله وقتل الباطنيان بعده ونسب الفرنج قتله الى وضع من
ملك انكلتار لينفرد بملك الساحل الشامى فلما قتل ولى بعده مدينة صور كند من
الفرنج من داخل البحر يقال له الكندهرى وتزوج بالملكة فى ليلته ودخل بها وهى
حامل وليس الحمل عندهم مما يمنع النكاح وهذا الكندهرى هو ابن اخت ملك
افرنسيس من ابيه وابن اخت ملك انكلتار من امه وملك هذا الكندهرى بلاد
الفرنج بالساحل بعد عوده ملك انكلتار وعاش الى سنة اربع وتسعين وخمسمائة

محمد الدجى والشيخ احمد القارمى والشيخ عمر الدبركى والشيخ محمد المصيلحى واقرأ فى فقه المذهب دروسا فى محل
جده لامه بالازهر وسكن داره
بحارة الكبابيين على بركة
الفيل مع اخيه الشيخ عبد
الرحمن ثم انتقلا فى حوادث
الفرنساوية الى حارة الازهر
ولما كانت حادثة السيد عمر
مكرم النقيب من مصر الى
دمياط وكتبوا فيه عرضا
للدولة وامتنع السيد احمد
الطحطاوى من الشهادة عليه
كما تقدم وتعصبوا عليه وعزلوه
من مشيخة الحنفية قلدوها
المترجم فلم يزل فيها حتى مرض
وتوفى يوم الثلاثاء تاسع عشرى
المحرم وصلى عليه بالازهر
ودفن بتربة المجاورين رحمه
الله وايانا (ومات) البليغ
النجيب والنبيه الاديب
نادرة الزمان وفريد الاوان
اخونا ومحبنا فى الله تعالى
ومن اجله السيد اسمعيل بن
سعد الشهير بالخشاب كان
ابوه نجارا ثم فتح له مخزنا لبيع
الخشب تجاه تكية الكلشنى
بالقرب من باب زويلة وولد
له المترجم واخوه ابراهيم ومحمد
وهو اصغرهما فتولع السيد
اسمعيل المترجم بحفظ القرآن
ثم بطلب العلم ولازم حضور
السيد على المقدسى وغيره من
افاضل الوقت وانجب فى فقه
الشافعية والمعقول بقدر
الحاجة وتثقيف اللسان
والفروع الفقهية الواجبة
والفرائض وتنزل فى حرفة
الشهادة بالمحكمة الكبيرة لضرورة التكسب فى المعاش ومصارف العيال وعكف على مطالعة الكتب الادبية

في العشرين من ذي الحجة عاد الفرنج الى الرملة وكان سبب عودهم انهم كانوا ينقلون ما يريدونه من الساحل فلما أبعدوا عنه كان المسلمون يخرجون على من يجلب لهم الميرة فيقطعون الطريق ويغنمون ما معهم ثم ان ملك انكلتار قال لمن معه من الفرنج الشاميين صوّروا لي مدينة القدس فاني ما رأيتها فصوّروها له فرأى الوادي يحيط بها ما عدا موضعا يسيرا من جهة الشمال فسأل عن الوادي وعن عمقه فاخبر انه عميق وعر المسالك فقال هذه مدينة لا يمكن حصرها ما دام صلاح الدين حيا وكلمة المسلمين مجتمعة لاننا ان نزلنا في الجانب الذي يلي المدينة بقيت سائر الجوانب غير محصورة فيدخل اليهم منها الرجال والذخائر وما يحتاجون اليه وان نحن افترقنا فنزل بعضنا من جانب الوادي وبعضنا من الجانب الآخر جمع صلاح الدين أصحابه وواقع احدى الطائفتين ولم يمكن الطائفة الاخرى انجاد اصحابهم لانهم ان فارقوا مكانهم خرج من بالبلد من المسلمين فغنموا ما فيه وان تركوا فيه من يحفظه وساروا نحو اصحابهم فالى ان يتخلصوا من الوادي ويلحقوا بهم قد فرغ صلاح الدين منهم هذا سوى ما يتعذر علينا من ايصال ما يحتاج اليه من العلوفات والاقوات فلما قال لهم ذلك علموا صدقه ورأوا قلة الميرة عندهم وما يجري للجالبين لها من المسلمين فاشاروا عليه بالعود الى الرملة فعادوا خائبين خاسرين

(ذكر قتل قزل ارسلان)

في شعبان من هذه السنة قتل قزل ارسلان واسمه عثمان بن ايلدكز وقد ذكرنا انه ملك البلاد بعد وفاة أخيه البهلوان ملك أران واذربيجان وهمذان وأصفهان والري وما بينهما واطاعه صاحب فارس وخوزستان واستولى على السلطان طغرل فاعتقله في بعض القلاع ودانت له البلاد وفي آخر امره سار الى أصفهان والفتن بها متصلة من لدن توفي البهلوان الى ذلك الوقت فتعصب على الشافعية واخذ جماعة من اعيانهم وصلبهم وعاد الى همذان وخطب لنفسه بالسلطنة وضرب النوب الخمس ثم انه دخل ليلة قتل الى منزله لينام وتفرق اصحابه فدخل اليه من قتله على فراشه ولم يعرف قاتله فاخذ اصحابه صاحب بابه ظنا وتخمينا وكان كريما حسن الاخلاق يحب العدل ويؤثره ويرجع الى حلم وقلة عقوبة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قدم معز الدين قيصرشاه بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم على صلاح الدين في رمضان وكان سبب قدومه ان والده عز الدين قلج ارسلان فرق ملكه على اولاده واعطى ولده هذا ملطية واعطى ولده قطب الدين ملكشاه سيواس فاستولى قطب الدين على ابيه وحجر عليه وازال حكمه والزمه ان ياخذ ملطية من اخيه ويسلمها اليه فخاف معز الدين فسار الى صلاح الدين ملتجئا اليه معتضدا به فاكرمه صلاح الدين وزوجه ابنة اخيه الملك العادل فامتنع قطب الدين من قصده وعاد معز الدين

الفقه وحاشية على شرح المطول للسعد التفتازاني على التلخيص وشرح شرح السمرقندي على الرسالة العضدية في علم الوضع وله منظومة في آداب البحث وشرحها ومنظومة متن التهذيب في المنطق وشرحها وديوان شعر سماه اتحاف الناظرين في مدح سيد المرسلين وعدة من الرسائل في معضلات المسائل وغير ذلك وكان سكنه بقلعة الجبل ويأتي في كل يوم الى الازهر للاقراء والافادة فلما امر الباشا سكان القلعة باخلائها والنزول منها الى المدينة فنزلوا الى المدينة وتركوا دورهم واوطانهم نزل المترجم مع من نزل وسكن بحارة امير الجيوش جهة باب الشعرية ولم يزل هناك حتى مرض اياما وتوفي ليلة السبت سابع عشري شهر رمضان وصلي عليه بالازهر ودفن بزاوية الشيخ سراج الدين البلقيني بحارة بين السيارج رحمه الله تعالى فانه كان من احسن من رأينا سمتا وعلما وصلاحا وتواضعا وانكسارا وانجماعا عن خلطة الكثير من الناس مقبلا على شأنه راضيا مرضيا طاهرا نقيا لطيف المزاج جدا محبوبا للناس عفا الله عنه وغفر لنا وله (ومات) الشيخ الفاضل الاجل الامثل والوجيه المفضل الشيخ حسين بن حسن كناني بن علي المنصوري الحنفي تفقه على خاله الشيخ مصطفى بن سليمان المنصوري والشيخ

ذكر استيلاء الفرنج على عسكر للمسلمين وقفل

في تاسع جمادى الآخرة بلغ الفرنج الخبر بوصول عسكر من مصر ومعهم قفل كبير ومقدم العسكر فلك الدين سليمان أخو العادل لامه ومعه عدة من الامراء فاسرى الفرنج اليهم فاوقعوا بهم بنواحي الخليل فانهزم الجند ولم يقتل منهم أحد من المشهورين انما قتل من الغلمان والاصحاب وغنم الفرنج خيامهم وآلاتهم واما القفل فانه أخذ بعضه وصعد من نجا جبل الخليل فلم يتقدم الفرنج على اتباعهم ولو اتبعوهم نصف فرسخ لاتوا عليهم وتمزق من نجا من القفل وتقطعوا ولقوا شدة الى ان اجتمعوا وحكى لي بعض أصحابنا وكنا قد سيرنا معه شيئا للتجارة الى مصر وكان قد حج في هذا القفل قال لما وقع الفرنج علينا كنا قد وضعنا احمالنا لنستريح فحملوا علينا واوقعوا بنا فهربت بجمالي وصعدت الجبل ومعي عدة أجمال أخرى فلحقنا قوم من الفرنج فاخذوا الاجمال التي في صحبتي وكنت بين أيديهم بمقدار رمية سهم فلم يصلوا الى فنجوت بما معي وسرت لا ادري أين أقصد واتفق لي بشاه كبير على جبل فما التفت عنه فقيل لي هذا الكرك فوصلت اليه ثم صعدت منه الى القدس سالما وسار هذا الرجل من القدس سالما فلما بلغ بزاعة عند حلب أخذه الحرامية فنجا من العطب وهلك عند ظنه السلامة

ذكر مسير الافضل والعادل الى بلاد الجزيرة

قد تقدم ذكر موت تقي الدين عمر بن صلاح الدين واستيلاء ولده ناصر الدين محمد على بلاد الجزيرة فلما استولى عليها أرسل الى صلاح الدين يطلب تقريرها عليه مضافا الى ما كان لابيه بالشام فلم ير صلاح الدين ان مثل تلك البلاد تسلم الى صبي فما اجابه الى ذلك فحدثت نفسه بالامتناع على صلاح الدين لاشتغاله بالفرنج فطلب الافضل علي بن صلاح الدين من أبيه ان يقطعه ما كان لتقي الدين و ينزل عن دمشق فاجابه الى ذلك وامره بالمسير اليها فسار الى حلب في جماعة من العسكر وكتب صلاح الدين الى أصحاب البلاد الشرقية مثل صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب ديار بكر وغيرها يامرهم بانفاذ العساكر الى ولده الافضل فلما رأى ولد تقي الدين ذلك علم انه لا قوة له بهم فراسل الملك العادل عم أبيه يسأله اصلاح حاله مع صلاح الدين فانهى ذلك الى صلاح الدين وأصلح حاله وقررقاعدته بان يقر له ما كان لابيه بالشام وتوخذ منه البلاد الجزرية واستقرت القاعدة على ذلك واقطع صلاح الدين البلاد الجزرية وهي حران والرها وسميساط وميافارقين وحاني العادل وسيره الى ابن تقي الدين ليتسلم منه البلاد ويسيره الى صلاح الدين و يعيد الملك الافضل اين أدركه فسار العادل فلحق الافضل بحلب فاعاده الى أبيه وعبر العادل الفرات وتسلم البلاد من ابن تقي الدين و جعل نوابه فيها واستصحب ابن تقي الدين معه وعاد الى صلاح الدين بالعساكر وكان عوده في جمادى الآخرة من هذه السنة

ذكر عود الفرنج الى عكا

يرقع في معلومهم بعدان يطلبه وامتد هذا العديد بتوزيعهم الى جميع الجيش حتى ان يكون منهم في غير المصريين ذوى الارياف فجميع اخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم فلما رتبوا ذلك الديوان كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر في المجلس من أمر اونهى اوخطاب اوجواب اوخطا او صواب وقرروا له في كل شهر سبعة آلاف نصف فضة فلم يزل متقيدا في تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو حتى ارتحلوا من الاقليم مضافة لما هو فيه من مرتبة الشهادة بالمحكمة ودبر انهم هذا اقتصرة يومين في الجمعة فجمع من ذلك عدة كراريس ولاادرى مافعل بها وبعدان رجع صاحبنا العلامة الشيخ حسن العطار من سياحته مازج المذكور وخالطه و رافقه ووافقه ولازمه كثيرا فكانا كثيرا ما يبيتان معا ويقطعان الليل باحاديث أرق من نسيم السحر والطف من اتساق نظم الدرر وكثيرا ما كانا يتنادمان بداري فما يبقى بينهما من العصبة الاكيدة والمودة العتيدة فكانا يرتاحان عندى ويطرحان التكلفات التي هي على النفس شديدة ويتمثلان بقول من قال في انقباض وحشمة فاذا رأيت أهل الوفاء والكرم أرسلت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم ثم يتجاذبان اطراف الكلام فيجولان في كل فن من الفنون الادبية والتواريخ والمحاضرات فتارة

فسقط من سطح فمات وكان عاقلا كثير المداراة والاحتمال ولما رحل ملك انكلتار الى بلاده أرسل هذا كندهري الى صلاح الدين يستعطفه ويستميله ويطلب منه خلعة وقال انت تعلم ان لبس القباء والشربوش عندنا معيب وانا البسهما منك محبة لك فانفذ اليه خلعة سنية منها القباء والشربوش فلبسهما بعكا

❁(ذكر نهب بني عامر البصرة)❁

في هذه السنة في صفر اجتمع بنو عامر في خلق كثير واميرهم عميرة وقصدوا البصرة وكان الامير بها اسمه محمد بن اسمعيل ينوب عن مقطعها الامير طاشتكين امير الحاج الخليفة الناصر لدين الله فوصلوا اليها يوم السبت سادس صفر فخرج اليهم الامير محمد فيمن معه من الجند فوقعت الحرب بينهم بدرب الميدان بجانب الخريبة ودام القتال الى آخر النهار فلما جاء الليل نقب العرب في السور عدة نقوب ودخلوا البلد من الغد فقاتلهم اهل البلد فقتل بينهم قتلى كثيرة من الفريقين ونهبت العرب الخانات بالشاطئ وبعض محال البصرة وعبر اهلها الى شاطئ الملاحين وفارق العرب البلد في يومهم وعاد اهله اليه وكان سبب سرعة العرب في مفارقة البلد انهم بلغهم ان خفاجة والمنتفق قد قاربوهم فساروا اليهم وقاتلوهم اشد قتال فظفرت عامر وغنمت اموال خفاجة والمنتفق وعادوا الى البصرة بكرة الاثنين وكان الامير قد جمع من اهل البصرة والسواد جمعا كثيرا فلما عادت عامر قاتلهم اهل البصرة ومن اجتمع معهم فلم يقوموا للعرب وانهزموا ودخل العرب البصرة ونهبوها وفارق البصرة اهلها ونهبت اموالهم وجرت امور عظيمة ونهبت القسامل وغيرها يومين وفارقها العرب وعاد اهلها اليها وتدرابت هذه القصة بعينها في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة والله اعلم

❁(ذكر ما كان من ملك انكلتار)❁

في تاسع جمادى الاولى من هذه السنة استولى الفرنج على حصن الداروم فخربوه ثم ساروا الى البيت المقدس وصلاح الدين فيه فبلغوا بيت نوبة وكان سبب طمعهم ان صلاح الدين فرق عساكره الشرقية وغيرها لاجل الشتاء وليستريحوا ويحضروا البدل وبعضهم سار بعضهم مع ولده الافضل واخيه العادل الى البلاد الجزرية لما نذكره ان شاء الله تعالى وبقي من حلقته الخاص بعض العساكر المصرية فظنوا انهم ينالون غرضا فلما سمع صلاح الدين بقربهم منه فرق ابراج البلد على الامراء وسار الفرنج من بيت نوبة الى قلونية سلخ الشهر وهي على فرسخين من القدس فنصب المسلمون عليهم البلاء وتابعوا ارسال السرايا فيلقى الفرنج منهم ما لا قبل لهم به وعلموا انهم اذا نازلوا القدس كان الشر اليهم اسرع والتسلط عليهم امكن فرجعوا القهقرى وركب المسلمون اكتافهم بالرماح والسهام ولما بعد الفرنج عن القدس سير صلاح الدين سرية من عسكره اليها فقاربوها وكمنوا عندها فاجتاز بهم جماعة من فرسان الفرنج مع قافلة فخرجوا عليهم فقتلوا منهم واسروا وغنموا وكان ذلك آخر جمادى الاولى

والتصوف والتاريخ واولع بذلك وصحفة ٣٨ اشياء كثيرة من الاشعار والمراسلات وحكايات الصوفية فوغا تكلموا فيه من الحقائق حتى صار نادرة عصره في المذاكرات والمحاورات وامة عذارا للمناسبات والماجريات وقال الشعر الرائق ونثر النثر الفائق وحبب بسبب ما احتوى عليه من دماثة الاخلاق ولطف السجايا وكرم الشمائل وخفة الروح كثيرا من ارباب المظاهر والرؤساء من الكتاب والامراء والتجار وتنافسوا في صحبته وتفاخروا بمجالسته ومنهم مصطفى بك القمدى امير الحاج وحسن افندى الدربية وشيخ السادات وغيرهم من الاماثل فيتسامحون لمنادمته ويتقلون على طيب مفاكهته وحسن خاطبته واطف عباراته وكان الوقت اذذاك غاصا بالاكابر والرؤساء وارباب الفضائل والناس في بلهنية من العيش وامن من المخاوف والطيش والمترجم رحمه الله قوة استحضار في ابداء المناسبات بحسب ما يقتضيه حال المجلس فكان مجالس ومشاكل كل جليس عبثا يدخل عليه السرور في الخطاب ويجلب عقله بلطائف عباراته كما يفعل بالعقول الشراب ومالوقت الفرنساوية دونوا القضايا المسلمين تعين المترجم في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه من ذلك اليوم لان القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم واماكن احكامهم ثم يجمعون المتفرق في ملخص (ذكر

بلد يطمع فيه وقد طالت غيبته عن بلاده راسل صلاح الدين في الصلح واظهر من ذلك ضد ما كان يظهره اولا فلم يجبه صلاح الدين الى ما طلب ظنا منه انه يفعل ذلك خديعة ومكرا فارسل يطلب منه المصاف والحرب فاعاد الفرنجي رسله مرة بعد مرة ونزل عن تتمة عمارة عسقلان وعن غزة والداروم والرملة وارسل الى الملك العادل في تقرير هذه القاعدة فاشار هو وجماعة الامراء بالاجابة الى الصلح وعرفوه ما عند العسكر من الضجر والملل وما قد هلك من اسلحتهم ودوابهم ونفد من نفقاتهم وقالوا ان هذا الفرنجي انما طلب الصلح ليركب البحر ويعود الى بلاده فان تاخرت اجابته الى ان يجيء الشتاء وينقطع الركوب في البحر نحتاج نبقى ههنا سنة اخرى وحينئذ يعظم الضرر على المسلمين واكثروا القول له في هذا المعنى فاجاب حينئذ الى الصلح فحضر رسل الفرنج وعقدوا الهدنة وتحالفوا على هذه القاعدة وكان في جملة من حضر عند صلاح الدين باليان بن بارزان الذي كان صاحب الرملة ونابلس فلما حالف صلاح الدين قال له ما عمل احد في الاسلام ما عملت ولا هلك من الفرنج مثل ما هلك منهم هذه المدة فانا احصينا من خرج الينا في البحر من المقاتلة فكانوا ستمائة الف رجل ما عاد منهم الى بلادهم من كل عشرة واحد بعضهم قتلتم انتم وبعضهم مات وبعضهم غرق ولما انفصل امر الهدنة اذن صلاح الدين للفرنج في زيارة بيت المقدس فزاروه وتفرقوا وعادت كل طائفة الى بلادها واقام بالساحل الشامي ملكا على الفرنج والبلاد التي بايديهم الكندهري وكان خير الطبع قليل الشر رفيقا بالمسلمين محبا لهم وتزوج بالملكة التي كانت تملك بلاد الفرنج قبل ان يملكها صلاح الدين كما ذكرناه واما صلاح الدين فانه بعد عقد الهدنة سار الى البيت المقدس وامر باحكام سوره وعمل المدرسة والرباط والبيمارستان وغير ذلك من مصالح المسلمين ووقف عليها الوقوف وصام رمضان بالقدس وعزم على الحج والاحرام منه فلم يمكنه ذلك فسار عنه خامس شوال نحو دمشق واستناب بالقدس اميرا اسمه جورديك وهو من المماليك النورية ولما سار عنه جعل طريقه على الثغور الاسلامية كنابلس وطبرية وصفد وتبنين وبيروت وتعهد هذه البلاد وامر باحكامها فلما كان في بيروت اتاه بيمند صاحب انطاكية واعمالها واجتمع به وخدمه فخلع عليه صلاح الدين وعاد الى بلده فلما عاد رحل صلاح الدين الى دمشق فدخلها في الخامس والعشرين من شوال وكان يوم دخوله اليها يوما مشهودا وفرح الناس به فرحا عظيما لطول غيبته وذهاب العدو عن بلاد الاسلام

(ذكر وفاة قلج ارسلان)

في هذه السنة منتصف شعبان توفي الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق السلجوقي بمدينة قونية وكان له من البلاد قونية واعمالها واقصرا وسيواس وملطية وغير ذلك من البلاد وكانت مدة ملكه نحو تسع وعشرين سنة وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة الى بلاد الروم

منى وبما وقع ذلك في بعض آيات وأحاديث كما تقدمت الاشارة اليه في ٤١ ترجمته وكان ذلك بوافق غرضه لما جبل عليه من التعاظم وقد كان جلساؤه وندماؤه واحبته لذلك يتشبهون بالمترجم في سلوك هذه الشؤون مع انه لا داعي ولا باعث لارتكاب هذه المعاصي طلبا لمرضاة من هو كثير التلون على جلسائه وانما الناس شانهم التقليد وفي طباعهم الميل الى ارباب الدنيا ولو لم ينلهم منهم شيء ولم يكن للمترجم شيء يعاب به الا هذه الارتكابات ولما وردت الفرنساوية لمصر اتفق ان علق شابا من رؤسائهم كتابيهم كان جميل الصورة لطيف الطبع عالما ببعض العلوم العربية مائلا الى اكتساب النكات الادبية فصيح اللسان بالعربي يحفظ كثيرا من الشعر فلتلك المجانسة مال كل منهما للآخر ووقع بينهما توادد وتصاف حتى كان لا يقدر احدهما على مفارقة الآخر فكان المترجم تارة يذهب لداره وتارة يزوره هو ويقع بينهما من لطف المحاورة ما يتعجب منه وعند ذلك قال المترجم الشعر الرائق ونظم الغزل الفائق (فمما قاله فيه)

طاقته لؤلؤي الثغر باسمه ... فيه خلعت عذاري بل حلا نسكي

ملكته الروح طوعا ثم قلت له ... منى ازديارك لي اقبلته من ملك

فقال لي وحيا الراح قد عفات ... لسانه وهو يبكي الحيد من خجل

لما عاد الملك الافضل فيمن معه وعاد الملك العادل وابن تقي الدين فيمن معهما من عساكرهما وتقدم سائر العساكر الشرقية عسكر الموصل وعسكر ديار بكر وعسكر سنجار وغير ذلك من البلاد واجتمعت العساكر بدمشق أيقن الفرنج انهم لا طاقة لهم بها اذا فارقوا البحر فعادوا نحو عكا يظهرون العزم على قصد بيروت ومحاصرتها فامر صلاح الدين ولده الافضل ان يسير اليها في عسكره والعساكر الشرقية جميعها ليعارضوا الفرنج في مسيرهم نحوها فسار الى مرج العيون واجتمعت العساكر معه فاقام هناك ينتظر مسير الفرنج فلما بلغهم ذلك أقاموا بعكا ولم يفارقوها

﴿ذكر ملك صلاح الدين يافا﴾

لما رحل الفرنج نحو عكا كان قد اجتمع عند صلاح الدين عسكر حلب وغيره فسار الى مدينة يافا وكانت بيد الفرنج فنازلها وقاتل من بها منهم وملكها في العشرين من رجب بالسيف عنوة ونهبها المسلمون وغنموا ما فيها وقتلوا الفرنج واسروا كثيرا وكان بها اكثر ما اخذوه من عسكر مصر والقفل الذي كان معهم وقد ذكر ذلك وكان جماعة من المماليك الصلاحية قد وقفوا على ابواب المدينة وكل من خرج من الجند ومعه شيء من الغنيمة أخذوه منه فان امتنع ضربوه واخذوا ما معه قهرا ثم زحفت العساكر الى القلعة فقاتلوا عليها آخر النهار وكادوا يأخذونها فطلب من بالقلعة الامان على انفسهم وخرج البترك الكبير الذي لهم ومعه عدة من اكابر الفرنج في ذلك وترددوا وكان قصدهم منع المسلمين عن القتال فادركهم الليل وواعدوا المسلمين ان ينزلوا بكرة غد ويسلموا القلعة فلما اصبح الناس طالبهم صلاح الدين بالنزول عن الحصن فامتنعوا واذا قد وصلهم نجدة من عكا وادركهم ملك انكلتار فاخرج من بيافا من المسلمين واتاه المدد من عكا وبرز الى ظاهر المدينة واستعرض المسلمين وحده وحمل عليهم فلم يتقدم اليه احد فوقف بين الصفين واستدعى طعاما من المسلمين ونزل يأكل فامر صلاح الدين عسكره بالحملة عليهم والجد في قتالهم فتقدم اليه بعض امرائه يعرف بالجناح وهو اخو المشطوب بن علي بن احمد الهكاري فقال له يا صلاح الدين قل لمماليكك الذين اخذوا أمس الغنيمة وضربوا الناس بالجماقات يتقدمون فيقاتلون اذا كان القتال فنحن واذا كانت الغنيمة فلهم فغضب صلاح الدين من كلامه وعاد عن الفرنج وكان رحمه الله حليما كريم المقدرة ونزل في خيامه واقام حتى اجتمعت العساكر وجاء اليه ابنه الافضل واخوه العادل وعساكر الشرق فدخل بهم الى الرملة لينظر ما يكون منه ومن الفرنج فلزم الفرنج يافا ولم يبرحوا منها

﴿ذكر الهدنة مع الفرنج وعود صلاح الدين الى دمشق﴾

في العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت بين المسلمين والفرنج هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية أشهر وأول هذا التاريخ وافق اول ايلول وسبب الصلح ان ملك انكلتار لما رأى اجتماع العساكر وانه لا يمكنه مفارقة ساحل البحر وليس بالساحل للمسلمين

بلد

بيننا كان تغير الزمان وتنكد الاخوان. ٤ واخرى يتغزل بمحاسن الغزلان وما وقع لهما من صد وهجران ووصل واحسان فكانت تجري بينهما اهنأ دعابة أرق من زهر الرياض وافتك بالعقول من الحدق المراض وهما حينئذ فريدا وقتهما ووحيدا مصرهما لم يعز زاني ذلك الوقت ثالث اذا بين ثم من بدائعهما فضلا عن مساواتهما في تلك الشؤون التي اربت على المثاني والمثالث واستمرت صحبتهما وتزايدت على طول الايام مودتهما حتى توفي المترجم وبقي بعده الشيخ حسن فريدا عمن يشاكله ويناشده ويجاري معه ويحاوره فسكت بعد حسن البيان وترك نظم الشعر والنثر الا بقدر الضرورة ونفاق اهل العصر وذلك لتفاقم الخطوب وتزايد الكروب وفقد الاخوان وعدم الخلان واشتغل بما هو خير من ذلك وابقى ثوابا فيما هنالك من تقرير العلوم وتحقيقها والتأليفات المتنوعة في الفنون المختلفة وتصنيفها وهو الآن على ما هو عليه من السعي في خدمة العلم واقراء الكتب الصعبة وله بذلك شهرة بين الطلاب وقد جمع المذكور للمترجم ديوان شعره وهو صغير الحجم له شهرة بين المتأدبين بعصره ولهم به عناية ووفور رغبة ٥ وقد كان له فيه غلو زائد وتأدب في المجالس والحديث انتقد فيه وليم عليه هذه الامور حتى كان لا يخاطبه الا بعبير القيمة

فؤادی فی دمی دماء الا یجری طویل نجاد السیف الی مخجب

شقیق المها اذا هی البها ناحل الخصر

محمد فنار الناس وقالوا الاسمعا ولا طاعة وهذا رجل مسلم وله ههنا مدرسة وتربة وصدقات دارة وافعال حسنة لا نتركه تاكله الکلاب فامر به فدفن فی مدرسته وبقی اولاده فی ارسلان علی حالهم ثم ان قطب الدین مرض ومات فسار اخوه رکن الدین سلیمان صاحب دوقاط الی سیواس وهی تجاوره فملکها ثم سار منها الی قیساریة واقصرا ثم بنی مدینة وسار الی قونیة وبها اخوه غیاث الدین فحصرها وملکها ففارقها غیاث الدین الی الشام ثم الی بلاد الروم وکان من امره ما نذکره ان شاء الله تعالی ثم سار بعد ذلک رکن الدین الی انکسار وانکسیا فملکها وسار الی ملطیة سنة سبع وتسعین وخمسمائة فملکها وفارقها اخوه معز الدین الی الملک العادل ابی بکر بن ایوب وکان هذا معز الدین تزوج ابنة العادل فاقام عنده واجتمع لرکن الدین ملک جمیع الاخوة ماعدا انقرة فانها منیعة لا یوصل الیها فجعل علیها عسکرا یحصرها صیفا وشتاء ثلاث سنین فتسلمها سنة احدی وستمائة ووضع علی اخیه الذی کان بها من یقتله اذا فارقها فلما فارقها قتل وتوفی رکن الدین فی تلک الایام ولم یسمع خبر قتل اخیه بل عاجله الله تعالی انتقامه رحمه الله وانما اوردنا هذه الحوادث متتابعة لیتبع بعضها بعضا ولانی لم اعلم تواریخ کل حادثة منها الا بعد قبه

(ذکر ملک شهاب الدین اجمیر وغیرها من الهند)

قد ذکرنا سنة ثلاث وثمانین غزوة شهاب الدین الغوری الی بلد الهند وانهزامه وبقی الی الآن وفی نفسه الحقد العظیم علی الجند الغوریة الذین انهزموا وما الزمهم من الهوان فلما کانت هذه السنة خرج من غزنة وقد جمع عساکره وسار فیها یطلب غزوة الهندی الذی هزمه تلک النوبة فلما وصل الی برشاور تقدم الیه شیخ من الغوریة کان یدل علیه فقال له قد قربنا من العدو وما یعلم احد این نمضی ولا من نقصد ولا ترد علی الامراء سلاما وهذا لا یجوز فعله فقال له السلطان اعلم انی منذ هزمنی هذا الکافر ما قاربت زوجتی ولا غیرت ثیاب البیاض عنی وانا سائر الی عدوی ومعتمد علی الله تعالی لا علی الغوریة ولا علی غیرهم فان نصرنی الله سبحانه ونصر دینه فمن فضله وکرمه وان انهزمنا فلا تطلبونی فیما انهزمت ولو هلکت تحت حوافر الخیل فقال له الشیخ سوف تری بنی عمک من الغوریة ما یفعلون فینبغی ان تکلمهم وترد سلامهم ففعل ذلک وبقی امراء الغوریة یتضرعون ویقولون سوف تری ما نفعل وسار الی ان وصل الی موضع المصاف الاول وجازه مسیرة اربعة ایام واخذ عدة مواضع من بلاد العدو فلما سمع الهندی تجهز وجمع عساکره وسار یطلب المسلمین فلما بقی بینهما منزل مرحلة عاد شهاب الدین وراءه والکافر فی اعقابه اربع منازل فارسل الکافر الیه یقول له اعطنی یدک انک تصافنی فی باب غزنة حتی اجیء وراءک والا فنحن متقابلون ومثلک لا یدخل البلاد شبه اللصوص ثم یخرج هاربا ما هذا فعل السلاطین فاعاد الجواب انی لا اقدر علی حربک ولم یزل علی حاله عائدا الی ان بقی بینه وبین بلاد الاسلام ثلاثة ایام والکافر فی اثره

رقیق حواشی الطبع یغنی حدیثه
عن اللؤلؤ المنظوم والنظم والنثر
یعیر الرماح اللدن عادل قده
ویزری الدراری ضوء مبسمه الدر
ویحکیه اغصان الریاض شمائل
تمیل فی اثواب اوراقها الخضر
ویشرق منی ذلک الجبین غیاهب
من الشعر تبدو دونها طلعة البدر
ولما وقفنا للوداع عشیة
وامسی بروحی یوم جد النوی یسری
بکیا کی للتودیع فابدی تضاحکا
فکانا من لؤلؤ الطل بالقطر
ولما نظم الشیخ حسن مرثیته
التی یقول فیها شعرا
اما فؤادی فعنک ما انتقلا
فلم تخیرت فی الهوی بدلا
فاعجب
یا معرضا عن محبه الدنف
ومغرما بالجمال والصلف
ومن به زاد فی الهوی شغفی
اما کفی یا ظلوم ما حصلا
حتی جعلت الصدود والملل
مذهب
نقش فؤادی قلبی فیه سوی
فدمعک ایها الملیح زوی
قد ضل قلبی لسکنه وثوی
وهکذا من یحب معتدلا
لم یلق الا اسفا وقلا
مشرب
وهی طویلة مذکورة فی دیوانه عارضه المترجم المذکور
بقوله فی معشوقه الذی ذکرناه یهتز کالغصن مایس معتدلا اظلم بدرا علیه قد سدلا
غیهب

فلما كبر فرق بلاده على اولاده فاستضعفوه ولم يلتفتوا اليه وحجر عليه ولده قطب الدين وكان قلج ارسلان قد استناب في مدينة ملكه رجلا يعرف باختيار الدين حسن فلما غلب قطب الدين على الامر قتل حسنا ثم اخذ والده وسار به الى قيسارية ليأخذها من اخيه الذي سلمها اليه ابوه فحصرها مدة فوجد والده قلج ارسلان فرصة فهرب ودخل قيسارية وحده فلما علم قطب الدين ذلك عاد الى قونية واقصرا فملكهما ولم يزل قلج ارسلان ينتقل من ولد الى ولد وكل منهم يتبرم به حتى مضى الى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب مدينة برغلوا فلما رآه فرح به وخدمه وجمع العساكر وسار هو ومعه الى قونية فملكها وسار الى اقصرا ومعه والده قلج ارسلان فحصرها فمرض ابوه فعاد به الى قونية فتوفي بها ودفن هناك وبقي ولده غياث الدين في قونية مالكا لها حتى اخذها منه اخوه ركن الدين سليمان على ما نذكره ان شاء الله تعالى وقد حدثني بعض من اثق اليه من اهل الدين عما حكيته وكان قد وصل تلك البلاد بغير هذا ونحن نذكره قال ان قلج ارسلان قسم بلاده بين اولاده في حياته فسلم دوقاط الى ابنه ركن الدين سليمان وسلم قونية الى ولده كيخسرو غياث الدين وسلم انقرة وهي التي تسمى انكورية الى ولده محيي الدين وسلم ملطية الى ولده معز الدين قيصرشاه وسلم ابلستين الى ولده مغيث الدين وسلم قيسارية الى ولده نور الدين محمود وسلم سيواس واقصرا الى ولده قطب الدين وسلم نكسار الى ولد آخر وسلم اماسيا الى ولد اخيه هذه امهات البلاد وينضاف الى كل بلد من هذه ما يجاورها من البلاد الصغار التي ليست مثل هذه ثم انه ندم على ذلك واراد ان يجمع الجميع لولده الاكبر قطب الدين وخطب له ابنة صلاح الدين يوسف صاحب مصر والشام ليتقوى به فلما سمع باقي اولاده بذلك امتنعوا عليه وخرجوا عن طاعته وزال حكمه عنهم فصار يتردد بينهم على سبيل الزيارة فيقيم عند كل واحد منهم مدة وينتقل الى الآخر ثم انه مضى الى ولده كيخسرو وصاحب قونية على عادته فخرج اليه ولقيه وقبل الارض بين يديه وسلم قونية اليه وتصرف عن امره فقال لكيخسرو اريد ان اسير الى ولدي الملعون محمود وهو صاحب قيسارية وتجيء انت معي لاخذها منه فتجهز وسار معه وحصر محمودا بقيسارية فمرض قلج ارسلان وتوفي عليها فعاد كيخسرو وبقي كل واحد من الاولاد على البلد التي بيده وكان قطب الدين صاحب اقصرا وسيواس اذا اراد ان يسير من احدى المدينتين الى الاخرى يجعل طريقه على قيسارية وبها اخوه نور الدين محمود وليست على طريقه انما كان يقصدها ليظهر المودة لاخيه والمحبة له وفي نفسه الغدر فكان اخوه محمود يقصده ويجتمع به فخرج في بعض المرات نزل بظاهر البلد على عادته وحضر اخوه محمود عنده غير محتاط فقتله قطب الدين والقى راسه الى اصحابه واراد اخذ البلد فامتنع من به من اصحاب اخيه عليه ثم انهم سلموه اليه على قاعدة استقرت بينهم وكان عند محمود امير كبير وكان يحذره من اخيه قطب الدين ويخوفه فلم يصغ اليه وكان جوادا كثير الخير والتقدم في الدولة عند نور الدين فلما قتل قطب الدين اخاه قتل حسنا معه والقاه على الطريق فجاء كلب يأكل من

اذا غزا الفجر جيش الليل وانهزمت ٭ منه ضا كرذاك الاسود الاشهب غار في جبين الصبح مشرقه ٭
عليه من شفق آثار معترك
في حلة من اديم الليل رصعها
بمثل انجمه في قبة الفلك
كانت بدرا به حفت نجوم دجا
في اسود من ظلام الليل محتبك
واف ووفى بعقل غير مختبل
من الشراب وصبر غير منهتك
(وله في آخر يصف ديغ)
ادرها على زهر الكواكب والزهر
واشراق ضوء البدر في صفحة النهر ٭
وهات على نغم المثاني فعاطني
على خدك الاحمر حمراء كالجمر
ومن وجنة الكاس من ذهب الطلا
وخضب بنانى من سنى الراح بالتبر
وهاك معقودا من لآلي حبابها
ثم الكاس منها قد تبسم بالبشر
ومزق رداء الليل والصبح وردها
دجاه وطف بالشمس فينا الى الفجر
واصل بنار الخد قلبي واطفه
ببرد ثناياك الشهية والثغر
اريج ذكي المسك انفاسك التي
اريجها قد انتشر من عطر
معنبرة يسري النسيم بطيبها
فتفغو رياض الزهر طيبة النشر
وفي ذابل الاجفان كالابيض طرده ٭ مكحولة اجفانه السود بالحور رشا فاتك الاجفان عيناه فاترته ٭

من يومه مرضا مات به بعد ثمانية ايام وتوفي رحمه الله وكان قبل مرضه قد احضر ولده
الافضل عليا واخاه الملك العادل ابا بكر واستشارهما فيما يفعل وقال قد تفرغنا من
الفرنج وليس لنا في هذه البلاد شاغل فاي جهة نقصد فاشار عليه أخوه العادل بقصد
خلاط لانه كان قد وعده اذا أخذها ان يسلمها اليه واشار ولده الافضل بقصد بلد الروم
التي بيد اولاد قلج ارسلان وقال هي اكثر بلادا وعسكرا ومالا واسرع مأخذا وهي
ايضا طريق الفرنج اذا اتوا من البر فاذا ملكناها منعناهم من العبور فيها فقال
كلاكما مقصر ناقص الهمة بل اقصد انا بلد الروم وقال لاخيه تأخذ انت بعض اولادي
وبعض العسكر وتقصد خلاط فاذا فرغت انا من بلد الروم جئت اليكم وندخل منها
اذربيجان ونتصل ببلاد العجم فما فيها من يمنعنا منها ثم اذن لاخيه العادل في المضي
الى الكرك وكان له وقال له تجهز واحضر لتسير فلما سار الى الكرك مرض صلاح الدين
وتوفي قبل عوده وكان رحمه الله كريما حليما حسن الاخلاق متواضعا صبورا على
ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا
يتغير عليه وبلغني انه كان يوما جالسا وعنده جماعة فرمى بعض المماليك بعضا بسرموز
فاخطأته ووصلت الى صلاح الدين فاخطأته ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة
الاخرى يكلم جليسه ليتغافل عنها وطلب مرة الماء فلم يحضر وعاود الطلب في مجلس واحد
خمس مرات فلم يحضر فقال يا اصحابنا والله قد قتلني العطش فاحضر الماء فشربه ولم ينكر
التواني في احضاره وكان مرة قد مرض مرضا شديدا أرجف عليه بالموت فلما برئ منه
وادخل الحمام كان الماء حارا فطلب ماء باردا فاحضره الذي يخدمه فسقط من الماء
شيء على الارض فناله منه شيء فتألم له لضعفه ثم طلب البارد ايضا فاحضر فلما قاربه
سقطت الطاسة على الارض فوقع الماء جميعه عليه فكاد يهلك فلم يزد على ان قال
للغلام ان كنت تريد قتلي فعرفني فاعتذر اليه فسكت عنه واما كرمه فانه كان كثير البذل
لا يقف في شيء يخرجه ويكفي دليلا على كرمه انه لما مات لم يخلف في خزائنه غير دينار
واحد صوري واربعين درهما ناصرية وبلغني انه اخرج في مدة مقامه على عكا قبالة
الفرنج ثمانية عشر ألف دابة من فرس وبغل سوى الجمال واما العين والثياب
والسلاح فانه لا يدخل تحت الحصر ولما انقرضت الدولة العلوية بمصر أخذ من
ذخائرهم من سائر الانواع ما يفوت الاحصاء ففرقه جميعه واما تواضعه فانه كان ظاهرا
لم يتكبر على احد من اصحابه وكان يعيب الملوك المتكبرين بذلك وكان يحضر عنده
الفقراء والصوفية ويعمل لهم السماع فاذا قام احدهم لرقص او سماع يقوم له فلا
يقعد حتى يفرغ الفقير ولم يلبس شيئا مما ينكره الشرع وكان عنده علم ومعرفة وسمع
الحديث واسمعه وبالجملة فكان نادرا في عصره كثير المحاسن والافعال الجميلة
عظيم الجهاد في الكفار وفتوحه تدل على ذلك وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا

(ذكر حال أهله وأولاده بعده)

دفنه بجامع الكردي بالحسينية ورتبت له رواتب وقراء واحدثت مسكنا لاصق القبر واقامت به نحو
الثلاثين سنة مع دوام عمل
الشريك والكعك بالحبة
والسكر وطبخ الاطعمة
للقرائين والزائرين ثم ملازمة
الميت والحاذ ما ذكر في كل
جمعة على الدوام والمترجم
طوع يدها في كل ما طلبته
وما كان عنده تحجرا من الله
تعالى وكل ما وصل الى يده
من حرام او حلال فهو مستهلك
عليها وعلى أقاربها وخدمها
لا للذة له في ذلك حسية ولا
معنوية لانها في ذاتها عجوز
شوهاء وهو في نفسه نحيف
البنية ضعيف الحركة جدا
بل معدومها وابتلي بحصر
البول وسلسه القليل مع
الحرقة والتألم استدام بها
مدة طويلة حتى لزم الفراش
اياما وتوفي يوم السبت ثاني
شهر الحجة الحرام بمنزله الذي
استأجره بدرب قرمز بين
القصرين وصلينا عليه
بالازهر في مشهد حافل ودفن
عند ابنه المذكور بالحسينية
وكثيرا ما كنت أتذكر قول
القائل

ومن ترى بأولاد السوى فرطا
في عقله عزه ان شئت وانتدب
أولاد صلب الفتى قلت منافعهم
فكيف يطمع نفع الابعد الجنبي

مع انه كان كثير الاعتماد على
غيره فيما لا ينبغي فعله
وانقياده الى هذه المرأة وحواشيها نسأل الله السلامة والعافية وحسن العاقبة كما قيل من تكملة ما تقدم

يبعه بعض لحقه قريبا من مرنده مقدمه شهاب الدين من عسكره سبعين الفا وقال اريد منكم الليلة تدورون حتى تكونوا وراء عسكر العدو وعند صلاة الصبح تأتون انتم من تلك الناحية وانا من هذه الناحية ففعلوا ذلك وطلع الفجر ومن عادة الهنود انهم لا يبرحون من مضاجعهم الى ان تطلع الشمس فلما اصبحوا حمل عليهم عسكر المسلمين من كل جانب وضربت الكوسات فلم يلتفت ملك الهند الى ذلك وقال من يقدم على انا هذا والقتل بدا كثر في الهنود والنصرة ظهرت للمسلمين فلما رأى ملك الهند ذلك احضر فرسا له سابقا وركب ليهرب فقال له اعيان اصحابه انك حلفت انا انك لا تخلينا وتهرب فنزل عن الفرس وركب الفيل ووقف موضعه والقتال شديد والقتل قد كثر في اصحابه فانتهى المسلمون اليه واخذوه اسيرا وحينئذ عظم القتل والاسر في الهنود ولم ينج منهم الا القليل واحضر الهندي بين يدي شهاب الدين فلم يخدمه فاخذ بعض الحجاب بلحيته وجذبه الى الارض حتى اصاب جبينه واقعده بين يدي شهاب الدين فقال له شهاب الدين لو استأسرتني ما كنت تفعل في فقال الكافر قد استعملت لك قيدا من ذهب اقيدك به فقال شهاب الدين بل نحن ما نجعل لك من القدر ما نقيدك وغنم المسلمون من الهنود اموالا كثيرة وامتعة عظيمة وفي جملة ذلك اربعة عشر فيلا من جملتها الفيل الذي جرح شهاب الدين في تلك الوقعة وقال ملك الهند لشهاب الدين ان كنت طالب بلاد فما بقي فيها من يحفظها وان كنت طالب مال فعندي اموال تحمل اجمالك كلها فسار شهاب الدين ومعه الى الحصن الذي له يعول عليه وهو اجمير فاخذه واخذ جميع البلاد التي تقاربه واقطع جميع البلاد مملوكه قطب الدين ايبك وعاد الى غزنة وقتل ملك الهند

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبض على امير الحاج طاشتكين ببغداد وكان نعم الامير عادلا في الحاج رفيقا بهم يحب الصلاح له اوراد كثيرة من صلوات وصيام وكان كثير الصدقة لا جرم وقعت اعماله بين يديه فخلص من السجن على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها خرج السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل من الحبس بعد موت قزل ارسلان بن ايلدكز والتقى هو وقتلغ اينانج بن البهلوان بن ايلدكز فانهزم اينانج الى الري على ما نذكره ان شاء الله تعالى سنة تسعين وخمسمائة وفيها في رجب توفي الامير السيد علي بن المرتضى العلوي الحنفي مدرس جامع السلطان ببغداد وفي شعبان منها توفي ابو علي الحسن بن هبة الله ابن البوقي الفقيه الشافعي الواسطي وكان عالما بالمذهب انتفع به الناس

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة)

(ذكر وفاة صلاح الدين وبعض سيرته)

في هذه السنة في صفر توفي صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي صاحب مصر والشام والجزيرة وغيرها بدمشق ومولده بتكريت وقد ذكرنا سبب انتقالهم منها وملكهم مصر سنة اربع وستين وخمسمائة وكان سبب مرضه انه خرج يتلقى الحاج فعاد ومرض

يزرى بسمر الرماح ان خطرا
ما جرجفن لمحبتي تنه راه علم عيني البكاء والسهرا * فكيف ابقى بعده بدلا
وليس لي عنه جار او عدلا
مهرب
وصاح نور الجبين ابلجه
اقيد عقب الرضاب ازلجه
وجه قرا في عليه عقبه
علمت اصغى لعاذل عذلا
كلا وعنه لا احول ولا
ارغب
(ومنها في ديوانه) وقال فيه ايضا وهو مما يغنى به
ادرها على زهر الكواكب والزهر
واشراق نور البدر في صفحة النهر
الى آخرها ولم يزل المترجم على حالته ورقته ولطافته مع ما كان عليه من كرم النفس والعفة والنزاهة والتواضع بعينا الى الامور والتكسب وكثرة الانفاق وسكنى الدور الواسعة والحزم وكان له صاحب يسمى احمد العطار بباب الفتوح توفي وتزوج هو بزوجته وهي نصف واقام معها نحو ثلاثين سنة ولها ولد صغير من المتوفي فتبناه ورباه ورفهه باللابس وانفق به اضعاف والده وولده ولما بلغ عمل له مهما وزوجه ودعا الناس الى ولائمه وانفق عليه في ذلك انفاقا كثيرا وبعد نحو سنة عرض ذلك الغلام اشهر انصرف عليه وعلى معالجته جملة من المال ومات فجزع عليه جزعا شديدا ويبكي وينتحب وعمل له مأتما وعزاء واجتماعات امه

من

اليمين على ما التمس وبقى وراءك قد سرت شماتة وان اجابك اخوك صاحب سنجار
ونصيبين الى الموافقة والابتداء بنصيبين اخذتها وتركت فيها من يحفظها ثم سرت نحو
الخابور وهو له ايضا فاقطعه ومتى تركت عسكرك مقابل اخيك يمنعه من الحركة فان اراده
او قصدت الرقة فلا تمنع منها وتأتي حران والرها فليس فيها من يحفظهما الاصاحب ولا
عسكر ولا ذخيرة فان العادل اخذهما من ابن تقى الدين ولم يقم فيهما ما يصلح حالهما وكان
القوم يتكلمون على قدر همتهم لم يظنوا هذا الحادث فاذا فرغت من ذلك الطرف عدت الى
من امتنع من طاعتك فقاتلته وليس وراءك ما تخاف عليه فان بلدك عظيم لا يبالي
بكل من وراءك فقال مجاهد الدين المصلحة اننا نكاتب اصحاب الاطراف وناخذ
رأيهم في الحركة ونستميلهم فقال له اخي ان اشاروا بترك الحركة تقبلون منهم قال لا
قال فانهم لا يشيرون الا بتركها لانهم لا يرون ان يقوى هذا السلطان خوفا منه وكأني
بهم يغالطونكم مهما كانت البلاد الجزرية فارغة من صاحب وعسكر فاذا جاء اليها
من يحفظها جاهروكم بالعداوة ولم يمكنه اكثر من هذا القول خوفا من مجاهد الدين
حيث راى ميله الى ما تكلم به فاتفقوا على ان يكاتبوا اصحاب الاطراف
فكاتبوهم فكل اشار بترك الحركة الى ان ينظر ما يكون من اولاد صلاح الدين وعمهم
فتثبطوا ثم ان مجاهد الدين كرر المراسلات الى عماد الدين صاحب سنجار يعده ويستميله
فبينما هم على ذلك اذ جاءهم كتاب الملك العادل من المناخ بالقرب من دمشق وقد سار
عن دمشق الى بلاده يذكر فيه موت اخيه وان البلاد قد استقرت لولده الملك الافضل
والناس متفقون على طاعته وانه هو المدبر لدولة الافضل وقد سيره في عسكر جم كثير
العدد لقصد ماردين لما بلغه ان صاحبها تعرض الى بعض القرى التي له وذكر من هذا
النحو شيئا كثيرا فظنوه حقا وان قوله لا ريب فيه ففتروا عن الحركة وذلك الراى فسيروا
الجواسيس فاتتهم الاخبار بانه في خرابات حران في نحو مائتي خيمة لا غير فعادوا وتحركوا
الى ان تقررت القواعد بينهم وبين صاحب سنجار واقبلت العساكر الشامية التي
سيرها الافضل وغيره الى العادل فامتنع بها وسار اتابك عز الدين عن الموصل الى
نصيبين واجتمع هو واخوه عماد الدين بها وساروا على سنجار نحو الرها وكان العادل
قد عسكر قريبا منها بمرج الريحان فخافهم خوفا عظيما فلما وصل اتابك عز الدين الى
تل موزن مرض بالاسهال فاقام عدة ايام فضعف منه الحركة وكثر مجيء الدم منه
فخاف الهلاك فترك العساكر مع اخيه عماد الدين وعاد جريدة في مائتي فارس ومعه
مجاهد الدين واخي مجد الدين فلما وصل الى دنيسر استولى عليه الضعف فاحضر اخي
وكتب وصية ثم سار فدخل الموصل وهو مريض اول رجب

(ذكر وفاة اتابك عز الدين وشيء من سيرته)

في هذه السنة توفي اتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر صاحب
الموصل بالموصل وقد ذكرنا عوده العسكر مريضا وبقي في مرضه الى التاسع والعشرين

دبوس اوغلى وحسن اغا امر شنه وججريلى وعثمانلى وغيرهم (وفى ذلك اليوم) قبض كتخدا بك على المعلم
غالى وامر بحبسه وكذلك اخوه
المسمى فرنسيس وخازنداره
المعلم سمعان وذلك عن امر
عند وصوله من الاسكندرية لانه
حول عليه الطلب بستة آلاف
كيس تأخر اداؤها الباشا من حسابه
القديم فاعتذر بعدم القدرة
على اداتها في الحين لانها باقية
على اربابها وهو ساع في
تحصيلها وطلب المهلة الى
رجوع الباشا من غيبته
فارسل اليه الكتخدا يعاتبه
واعتذاره الى الباشا وانتبذ
طائفة من الاقباط في الحط
على غالى مع الكتخدا وعرفوه
انه اذا حوسب يظهر عليه
ثلاثون الف كيس فقال لهم
وان لم يتأخر عليه هذا القدر
تكونوا ملزومين به الى
الخزينة فاجابوا الى ذلك
فارسل يعرف الباشا بذلك
فورد الامر بالقبض عليه وعلى
اخيه وخازنداره وحبسهم
وعزله ومطالبته بستة آلاف
كيس المقدمة اولا ثم حسابه
بعد ذلك فاحضر المترأسين
عليه وهم المعلم جرجس
الطويل ومنقريوس البتنوني
وحنا الطويل والبسهم خلعا
على رياسة الكتاب عوضا
عن غالى ومن يليه واستمر
غالى في الحبس ثم احضره
مع اخيه وخازنداره فضربوا
اتباعه امامه ثم امر بضربه فقال
وانا اضرب ايضا فانا ثم ضربوه على رجليه بالكرابيج ووقع وكرر عليه الضرب وضرب سمعان الف كرباج

فلا مصير سوى نفع عاقبته وتحسين ختم وما يأتي من الشغب ه ٤ ٤ وأمن تنزانكبر التبرعما يكون بعد من الاهوال والتعب

واستهلت سنة احدى وثلاثين ومائتين والف)

(استهل شهر المحرم بيوم السبت) وحاكم مصر وصاحبها واقطارها وثغورها وكذلك بندر جدة ومكة والمدينة المنورة وبلاد الحجاز محمد على باشا وفقه الله عضده الله غزته من شاء ولاظ محمد الذى هو كتخدا بك قائمقامه هو المتصدر لاجراء الاحكام بين الناس عن امر مخدومه وابراهيم اغا اغات الباب والدفتردار محمد افندى صهر الباشا والروزنامجى مصطفى افندى تابع محمد افندى باش جاكرت سابقا وضبطاص افندى سرجى وسليمان افندى الكماخى باشجاسب ورفيقه احمد افندى باش قلفة وصالح بك السلحدار وحسن اغا اغات الينكجرية وعلى اغا الشعراوى زعيم مصر وهو الوالى واغات التبديل احمد اغا وهو اخو حسن اغا المذكور وكاتب الخزينة قولى خوجه ورئيس كتبة الاقباط المعلم غالى واولاد الباشا ابراهيم باشا حاكم الصعيد وطوسون باشا فاتح بلاد الحجاز واسمعيل باشا ببولاق ومحرم بك صهر الباشا ايضا على اقليم الجيزة احمد اغا المعروف ببونابارته الخازندار وباقى كشاف الاقاليم واكابر اعيانهم مثل

لما مات صلاح الدين بدمشق كان معه بها ولده الاكبر الافضل نور الدين على وكان قد حلف له العساكر جميعهم غير مرة فى حياته فلما مات ملك دمشق والساحل والبيت المقدس وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وهونين وتبنين وجميع الاعمال الى الداروم وكان ولده الملك العزيز عثمان بمصر فاستولى عليها واستقر ملكه بها وكان ولده الظاهر غازى بحلب فاستولى عليها وعلى جميع اعمالها مثل حارم وتل باشر واعزاز وبرزية ودرب ساك ومنبج وغير ذلك وكان بحماة محمود بن تقى الدين عمر فاطاعه وصار معه وكان بحمص شيركوه بن محمد بن شيركوه فاطاع الملك الافضل وكان الملك العادل بالكرك قد سار اليه كما ذكرنا فامتنع فيه ولم يحضر عند احد من اولاد اخيه فارسل اليه الملك الافضل يستدعيه ليحضر عنده فوعده ولم يفعل فاعاد راسله وخوفه من الملك العزيز صاحب مصر ومن اتابك عز الدين صاحب الموصل فانه كان قد سار عنها الى بلاد العادل الجزرية على ما نذكره ويقول له ان حضرت جهزت العساكر وسرت الى بلادك حفظتها وان اقمت قصدك اخى الملك العزيز لما بينكما من العداوة واذا ملك عز الدين بلادك فليس له دون الشام مانع وقال لرسوله ان حضر معك والا فقل له قد امرنى ان سرت اليه بدمشق عدت معك وان لم تفعل اسير الى الملك العزيز احالفه على ما يختار فلما حضر الرسول عنده وعده بالمجئ فلما راى ان ليس معه منه شئ غير الوعد ابلغه ما قيل له فى معنى موافقة العزيز فحينئذ سار الى دمشق وجهز الافضل معه عسكرا من عنده وارسل الى صاحب حمص وصاحب حماة والى اخيه الملك الظاهر بحلب يحثهم على انفاذ العساكر مع العادل الى البلاد الجزرية ليمنعها من صاحب الموصل ويخوفهم ان هم لم يفعلوا ومما قال لاخيه الظاهر قد عرفت صحبة اهل الشام لبيت اتابك فوالله لئن ملك عز الدين حران ليقومن اهل حلب عليك ولتخرجن منها وانت لا تعقل وكذلك يفعل بى اهل دمشق فاتفقت كلمتهم على تسيير العساكر معه فجهزوا عساكرهم وسيروها الى العادل وقد عبر الفرات فعسكر عساكرهم بنواحى الرها بمرج الريحان وسنذكر ما كان منه ان شاء الله تعالى

(ذكر مسير اتابك عز الدين الى بلاد العادل وعوده بسبب مرضه)

لما بلغ اتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل وفاة صلاح الدين جمع اهل الراى من اصحابه وفيهم مجاهد الدين قايماز كبير دولته والمقدم على كل من فيها وهو نائبه فيهم واستشارهم فيما يفعل فسكتوا فقال له بعضهم وهو اخى مجد الدين ابو السعادات المبارك انا ارى انك تخرج مسرعا جريدة فيمن خف من اصحابك وحلقتك الخاص وتتقدم الى الباقين باللحاق بك وتعطى من هو محتاج الى شئ ما يتجهز به ويلحق بك الى نصيبين وتكاتب اصحاب الاطراف مثل مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل وسنجر شاه ابن اخيك صاحب جزيرة ابن عمر واخيك عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين تعرفهم انك قد سرت وتطلب منهم المساعدة وتبذل لهم

ببغداد ونقل اليه من الكتب النفيسة الوفا لا يوجد مثلها وفيها في ربيع الاول فرغ من عمارة الرباط الذي أمر بانشائه الخليفة أيضا بالحريم الطاهري غربي بغداد على دجلة وهو من أحسن الربط ونقل اليه كتبا كثيرة من أحسن الكتب وفيها ملك الخليفة قلعة من بلاد خوزستان وسبب ذلك ان صاحبها سوسيان بن شملة جعل فيها دزدارا فاساء السيرة مع جنده فغدر به بعضهم فقتله ونادوا بشعار الخليفة فارسل اليها وملكها وفيها انقض كوكبان عظيمان وسمع صوت هدة عظيمة وذلك بعد طلوع الفجر وغلب ضوءهما القمر وضوء النهار وفيها مات الامير داود بن عيسى ابن محمد بن أبي هاشم امير مكة وما زالت مكة تكون له تارة ولأخيه مكثر تارة الى ان مات

(ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين شهاب الدين وملك بنارس الهندي)

كان شهاب الدين الغوري ملك غزنة قد جهز مملوكه قطب الدين ايبك الى بلد الهند للغزاة فدخلها فقتل فيها وسبى وغنم وعاد فلما سمع به ملك بنارس وهو اكبر ملك في الهند ولايته من حد الصين الى بلاد ملاوا طولا ومن البحر الى مسيرة عشرة ايام من لهاوور عرضا وهو ملك عظيم فعندها جمع جيوشه وحشرها وسار يطلب بلاد الاسلام ودخلت سنة تسعين فسار شهاب الدين الغوري من غزنة بعساكره نحوه فالتقى العسكران على ماخون وهو نهر كبير يقارب دجلة بالموصل وكان مع الهندي سبعمائة فيل ومن العسكر على ما قيل الف الف رجل ومن جملة عسكره عدة امراء مسلمين كانوا في تلك البلاد عن جد من أيام السلطان محمود بن سبكتكين يلازمون شريعة الاسلام ويواظبون على الصلوات وافعال الخير فلما التقى المسلمون والهنود اقتتلوا فصبر الكفار لكثرتهم وصبر المسلمون لشجاعتهم فانهزم الكفار ونصر المسلمون وكثر القتل في الهنود حتى امتلأت الارض وجافت وكانوا لا يأخذون الا الصبيان والجواري واما الرجال فيقتلون واخذ منهم تسعين فيلا وباقي الفيلة قتل بعضها وانهزم بعضها وقتل ملك الهنود ولم يعرفه احد الا انه كانت اسنانه قد ضعفت اصولها فامسكوها بشريط الذهب فلذلك عرفوه فلما انهزم الهنود دخل شهاب الدين بلاد بنارس وحمل من خزائنها على الف واربعمائة جمل وعاد الى غزنة ومعه الفيلة التي اخذها من جملتها فيل ابيض حدثني من رآه لما اخذت الفيلة وقدمت الى شهاب الدين وامرت بالخدمة فخدمت جميعها الا الابيض فانه لم يخدم ولا يعجب احد من قولنا الفيلة تخدم فانها تفهم ما يقال لها ولقد شاهدت فيلا بالموصل وفياله يحدثه فيفعل ما يقوله له

(ذكر قتل السلطان طغرل وملك خوارزم شاه الري ووفاة اخيه سلطان شاه)

قد ذكرنا سنة ثمان وثمانين خروج السلطان طغرل بن البارسلان بن طغرل بن محمد ابن ملكشاه بن البارسلان السلجوقي من الحبس وملكه همذان وغيرها وكان قد جرى

ذلك توطين وتلبيس لعساكر بكونه اخرج حتى اولاده العزاز للمحافظة وكذلك الكثير من كبرائهم الى جهة البحر الشرقي ودمياط (وفي ثاني عشره صبيحة المولد النبوي) طلب الباشا المشايخ فلما حضروا اجلسهم وفيهم الشيخ البكري احضر واخلعه والبسه وولاه على منصب نقابة الاشراف عوضا عن السيد محمد المحروقي وفاوضه في ذلك ورأى ان يقلده اياه فاعتذر السيد محمد المحروقي واستعفى وقال انا مشتغل بخدمة افندينا ومهمات المتاجر والعرب والحجاز فقال قد قلدتك اياها فاعطها لمن شئت فذكر انها كانت مضافة للشيخ البكري وهو اولى من غيره فلما حضروا وتكاملوا البسوه الخلعة واستصوب الجماعة ذلك وانصرفوا وفي الحال كتب فرمان باخراج الدواخلي منفيا الى قرية دسوق فنزل اليه السيد احمد الملا الترجمان وصحبته قواص تركي وبيده الفرمان فدخلوا اليه على حين غفلة وكان بداخل حريمه لم يشعر بشئ مما جرى فخرج اليهم فاعطوه الفرمان فلما قرأه غاب عن حواسه واجاب بالطاعة وامروه بالركوب فركب بغلته

 وسار ابنه الى بولاق الى المنزل الذي كان شراه بعد موت ولده والشيخ سالم الشرقاوي

من شعبان فتوفي رحمه الله ودفن بالمدرسة التي انشأها مقابل دار المملكة وكان قد
بقي ما يزيد على عشرة أيام لا يتكلم الا بالشهادتين وتلاوة القرآن واذا تكلم بغيرهما
استغفر الله ثم عاد الى ما كان عليه فرزق خاتمة خير رضي الله عنه وكان رحمه الله خير
الطبع كثير الخير والاحسان لا سيما الى شيوخ قد خدموا اباه فانه كان يتعهدهم بالبر
والاحسان والصلة والاكرام ويرجع الى قولهم ويزور الصالحين ويقربهم ويشفعهم
وكان حليما قليل المعاقبة كثير الحياء لم يكلم جليسا الا وهو مطرق وما قال في شيء
يسئل لا حياء وكرم طبع وكان قد حج ولبس بمكة حرسها الله خرقة التصوف وكان يلبس
تلك الخرقة كل ليلة ويخرج الى مسجد قد بناه في داره ويصلي فيه نحو ثلث الليل وكان
رقيق القلب شفيقا على الرعية بلغني عنه انه قال بعض الايام اني سهرت الليلة كثيرا
وسببه قال اني سمعت صوت نائحة فظننت ان ولد فلان قد مات وكان قد سمع انه مريض
قال فضاق صدري وقمت من فراشي ادور في السطح فلما طال على الامر ارسلت خادما
الى الجاندارية فارسل منهم واحدا يستعلم الخبر فعاد وذكر انسانا لا اعرفه فسكن بعض
ما عندي فنمت ولم يكن الرجل الذي ظن انه مات من اصحابه انما كان من رعيته
كان ينبغي ان تتأخر وفاته وانما قدمناها لتتبع اخباره بعضها بعضا

(ذكر قتل بكتمر صاحب خلاط)

في هذه السنة أول جمادى الاولى قتل سيف الدين بكتمر صاحب خلاط وكان بين
قتله وموت صلاح الدين شهران فانه أسرف في اظهار الشماتة بموت صلاح الدين فلم
يمهله الله تعالى ولما بلغه موت صلاح الدين فرح فرحا كثيرا وعمل تختا جلس عليه
ولقب نفسه بالسلطان المعظم صلاح الدين وكان لقبه سيف الدين فغيره وسمى نفسه
عبد العزيز وظهر منه اختلال وتخليط وتجهز ليقصد ميافارقين يحصرها فادركته
منيته وكان سبب قتله ان هزار ديناري وهو ايضا من مماليك شاه أرمن ظهير الدين
كان قد قوي وكثر جمعه وتزوج ابنة بكتمر فطمع في الملك فوضع عليه من قتله فلما
قتل ملك بعده هزار ديناري بلاد خلاط واعمالها وكان بكتمر دينا خيرا صالحا كثير
الخير والصلاح والصدقة محبا لاهل الدين والصوفية كثير الاحسان اليهم قريبا
منهم ومن سائر رعيته محبوبا اليهم عادلا فيهم وكان جوادا شجاعا عادلا في رعيته حسن
السيرة فيهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة شتى شهاب الدين ملك غزنة في برشاور وجهز مملوكه ايبك في عساكر
كثيرة فادخله بلاد الهند يغنم ويسبي ويفتح من البلاد ما يمكنه فدخلها وعاد وخرج هو
وعساكره سالما قد ملؤوا أيديهم من الغنائم وفيها في رمضان توفي سلطان شاه صاحب
مرو وغيرها من خراسان وملك أخوه علاء الدين تكش بلاده وسنذكره سنة تسعين
ان شاء الله وفيها أمر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية

ببغداد

حتى اشرف على الهلاك ووجدوا في جيبه ألف شخص بندقي ومائتي محبوب ثم اثنان وعشرون ألف قرش
ثم بعد أيام أفرجوا عن أخيه
وسمعان ايضا وباقي الفصيل
وهلك سمعان واستمر غالي
في السجن وقد رفعوا عنه
وعن اخيه العقاب لئلا يموتا
(وفي عاشره) رجع الباشا
من غيبته من الاسكندرية
واول ما ابتدأ به اخراج العساكر
مع كبرائهم الى ناحية بحري
وجهة البحيرة والثغور فنصبوا
خيامهم بالبر الغربي والشرقي
تجاه الرحمانية واخذوا صحبتهم
مدافع وبارودا وآلات الحرب
واستمر خروجهم في كل يوم
وذلك من مكايده معهم
وابعادهم عن مصر جزاء
فعلتهم المتقدمة فخرجوا
ارسالا

(واستهل شهر صفر الخير
سنة ١٢٣١)

(فيه) تشفع جرجي الحكيم
في المعلم غالي واخذه من
الحبس الى داره والعساكر
مستمرون في التشهيل
والخروج وهم لا يعلمون
المراد بهم وكثرت الروايات
والاخبار والايهامات
والظنون ومعنى الشعر في
بطن الشاعر

(واستهل شهر ربيع
الاول سنة ١٢٣١)

(فيه) سافر طوسون باشا
واخوه اسمعيل باشا الى ناحية
رشيد ونصبوا عرضيهم ما بعد الجادو وناحية ابي منضور وحسين بك دالي باشا وخلافه

فتملك اينانج واقطع كثيرا من المماليك وجعل المقدم عليهم مياجق وعاد الى خوارزم

٭(ذكر مسير وزير الخليفة الى خوزستان وملكها)٭

فى هذه السنة فى شعبان خلع الخليفة الناصر لدين الله على النائب فى الوزارة مؤيد الدين ابى عبد الله محمد بن على المعروف بابن القصاب بخلع الوزارة وحكم فى الولاية وبرز فى رمضان وسار الى بلاد خوزستان وولى الاعمال بها وصار له فيها اصحاب واصدقاء ومعارف وعرف البلاد ومن اى وجه يمكن الدخول اليها والاستيلاء عليها فلما ولى ببغداد نيابة الوزارة اشار على الخليفة بان يرسله فى عسكر اليها ليملكها له وكان من عزمه انه اذا ملك البلاد واستقر فيها اقام مظهرا الطاعة مستقلا بالحكم فيها ليامن على نفسه فاتفق ان صاحبها ابن شملة توفى واختلف اولاده بعده فراسل بعضهم مؤيد الدين يستنجده لما بينهم من الصحبة القديمة فقوى الطمع فى البلاد فجهزت العساكر وسيرت معه الى خوزستان فوصلها سنة احدى وتسعين وجرى بينهم وبين اصحاب البلاد مراسلات ومحاربة عجزوا عنها وملك مدينة تستر فى المحرم وملك غيرها من البلاد وملك القلاع منها قلعة الناظر وقلعة كاكرد وقلعة لاموج وغيرها من الحصون والقلاع وانفذ بنى شملة اصحاب بلاد خوزستان الى بغداد فوصلوها فى ربيع الاول

٭(ذكر حصر العزيز مدينة دمشق)٭

فى هذه السنة وصل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وهو صاحب مصر الى مدينة دمشق فحصرها وبها اخوه الاكبر الملك الافضل على بن صلاح الدين وكنت حينئذ بدمشق فنزل بنواحى ميدان الحصى فارسل الافضل الى عمه الملك العادل ابى بكر بن ايوب وهو صاحب الديار الجزرية يستنجده وكان الافضل غاية الواثق به والمعتمد عليه وقد سبق ما يدل على ذلك فسار الملك العادل الى دمشق هو والملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمد بن تقى الدين صاحب حماة واسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص وعسكر الموصل وغيرها كل هؤلاء اجتمعوا بدمشق واتفقوا على حفظها علما منهم ان العزيز ان ملكها اخذ بلادهم فلما رأى العزيز اجتماعهم علم انه لا قدرة له على البلد فترددت الرسل حينئذ فى الصلح فاستقرت القاعدة على ان يكون البيت المقدس وما جاوره من اعمال فلسطين للعزيز وتبقى دمشق وطبرية واعمالها الغور للافضل على ما كانت عليه وان يعطى الافضل اخاه الملك الظاهر جبلة ولاذقية وان يكون للعادل بمصر اقطاعه الاول واتفقوا على ذلك وعاد العزيز الى مصر ورجع كل واحد من الملوك الى بلده

٭(ذكر عدة حوادث)٭

فى هذه السنة كانت زلزلة فى ربيع الاول بالجزيرة والعراق وكثير من البلاد سقطت منها الجبانة التى عند مشهد امير المؤمنين على عليه السلام وفيها فى جمادى الآخرة اجتمعت زعب وغيرها من العرب وقصدوا مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فخرج

وثائق قضايا صلحاء وسبب اتباع القاضى ودس الحكمة ويعارض شيخ الجامع الازهر فى امور ونحو ذلك وعندما حضروه وعمموه ووضعوا عليه ختومهم وارسلوه الى اسلامبول على ان جنايته عند الباشا ليست هذه النكات الفارغة بل ولا علم له بها ولا التفات واغراضه اشياء وراء ذلك كما ظهر بعضها وخفى عنا باقيها وذلك ان الباشا صاحب الشوكة ونفوذ اوامره فى كل مرام ولا يصطفى ويحب الا من لا يعارضه ولو فى جزئية او يفتح له بابا يهب منه ريح الدراهم والدنانير او يدله على ما فيه كسب او ربح من اى طريق او سبب من اى حالة كان ولما حصلت واقعة قيام العسكر فى اواخر السنة الماضية واقام الباشا بالقلعة يدبر امره فيهم والزم اعيان المتظاهرين الطلوع اليه فى كل ليلة واجل المتصدرين الدواخلى لكونه معدودا فى العلماء ونقيبا على الاشراف وهى رتبة الوالى عند العثمانيين . فداخله الغرور وظن ان الباشا قد حصل فى ورطة يطلب النجاة منها بفعل القربات والنذور ولكونه رآه يسترضى خواطر الرعية المنهوبين ويدفع لهم اثمانها ويستميل كبار العساكر وينعم عليهم بالمقادير الكثيرة من الاكياس المالية ويسترسل معه فى المسامرة والمسايرة وابن الخطاب والمذاكرة والمضاحكة فلما رأى اقبال الباشا عليه زاد طمعه فى الاسترسال معه فقال

بينه وبين قتلغ اينانج بن البهلوان صاحب البلاد حرب انهزم فيها قتلغ اينانج وتحصن
بالري وسار طغرل الى همذان وارسل قتلغ اينانج الى خوارزم شاه علاء الدين تكش
يستنجده فسار اليه في سنة ثمان وثمانين فلما تقاربا ندم قتلغ اينانج على استدعائه
خوارزم شاه وخاف على نفسه فمضى من بين يديه وتحصن في قلعة له فوصل
خوارزم شاه الى الري وملكها وحصر قلعة طبرك ففتحها في يومين وراسله طغرل
واصطلحا وبقيت الري في يد خوارزم شاه فرتب فيها عسكرا يحفظها وعاد الى خوارزم
لانه بلغه ان اخاه سلطان شاه قد قصد خوارزم فجد في السير فاتاه الخبر وهو
في الطريق ان اهل خوارزم منعوا سلطان شاه عنها ولم يقدر على القرب منها وعاد عنها
خائبا فشتى خوارزم شاه بخوارزم فلما انقضى الشتاء سار الى مرو لقصد اخيه سنة تسع
وثمانين ثم ترددت الرسل بينهما في الصلح فبينما هم في تقرير الصلح واذ قد ورد على
خوارزم شاه رسول من مستحفظ قلعة سرخس لاخيه سلطان شاه يدعوه ليسلم اليه القلعة
لانه قد استوحش من صاحبه سلطان شاه فسار خوارزم شاه اليه مجدا فتسلم القلعة وصار
معه وبلغ ذلك سلطان شاه فعظم ذلك في عضده وتزايد كمده فمات سلخ رمضان سنة تسع
وثمانين وخمسمائة فلما سمع خوارزم شاه بموته سار من ساعته الى مرو فتسلمها وتسلم
مملكة اخيه سلطان شاه جميعها وخزائنه وارسل الى ابنه علاء الدين محمد وكان يلقب
حينئذ قطب الدين وهو بخوارزم فاحضره فولاه نيسابور وولى ابنه الكبير ملكشاه
مرو وذلك في ذي الحجة سنة تسع وثمانين فلما دخلت سنة تسعين وخمسمائة قصد
السلطان طغرل بلد الري فاغار على من به من اصحاب خوارزم شاه ففر منه قتلغ اينانج
ابن البهلوان وارسل الى خوارزم شاه يعتذر ويسال انجاده مرة ثانية ووافق ذلك وصول
رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكو من طغرل ويطلب منه قصد بلاده ومعه منشور
باقطاعه البلاد فسار من نيسابور الى الري فتلقاه قتلغ اينانج ومن معه بالطاعة وساروا
معه فلما سمع السلطان طغرل بوصوله كانت عساكره متفرقة فلم يقف ليجمعها بل
سار اليه فيمن معه فقيل له ان الذي يفعله ليس براي والمصلحة ان تجمع العساكر فلم يقبل
وكان فيه شجاعة بل غم مسيره فالتقى العسكران بالقرب من الري فحمل طغرل بنفسه
في وسط عسكر خوارزم شاه فاحاطوا به والقوه عن فرسه وقتلوه في الرابع والعشرين
من شهر ربيع الاول وحمل راسه الى خوارزم شاه فسيره من يومه الى بغداد فنصب بها
بباب النوبي عدة ايام وسار خوارزم شاه الى همذان وملك تلك البلاد جميعها وكان
الخليفة الناصر لدين الله قد سير عسكرا الى نجدة خوارزم شاه وسير له الخلع السلطانية
مع وزيره مؤيد الدين بن القصاب فنزل على فرسخ من همذان فارسل اليه خوارزم شاه
يطلبه اليه فقال مؤيد الدين ينبغي ان تحضر انت وتلبس الخلعة من خيمتي وترددت
الرسل بينهما في ذلك فقيل لخوارزم شاه انها حيلة عليك حتى تحضر عنده ويقبض
عليك فحمل خوارزم شاه اليه قصدا لاخذه فاندفع بين يديه الى بعض الجبال
فامتنع به فرجع خوارزم شاه الى همذان وانما ملك همذان وتلك البلاد سلمها الى

الشعر من الجبين وتفرق الجمع الذي كان حوله وشرع الاشياخ في تسفيه رمضان

وانذل بما كان فيه كالسلال
من لسانهم بامر الباشا
بتعداد جناياته الدواخل
و ذنوبه وموجبات عزله وان
ذلك بتراجيهم والمقاصة هم
عزله ونفيه و يرسل ذلك
المرقصال لنقيب الاشراف
بدار السلطنة لان الذي
يكون نقيبا بمصر نيابة عنه
و يرسل اليه الهدية في كل سنة
فالذي نقموه عليه من الذنوب
انه تطاول على حسين افندي
شيخ رواق الترك وسبه
وحبسه من غير جرم وذلك
انه اشترى منه جارية حبشية
بقدر من الفرانسة فلما
اقبضه الثمن اعطاه بدلها
قروشا بدون الفرط الذي
بين المتعاملين فتوقف
السيد حسين وقال اما تعطيني
الذي التي وقع عليها الاتفاق
او تكمل شرط النقص
وتشاحا وادى ذلك الى سبه
وحبسه وهو رجل كبير
متضلع ومدرس وشيخ رواق
الاتراك بالازهر وهذه القضية
سابقة على حادثة نفيه بنحو
سنتين (ومنها) ايضا انه
تطاول على السيد منصور
اليافي بسبب فتيا رفعت
اليه وهي ان امرأة وقفت وقفا
في مرض موتها وافتى بصحة
الوقف على قول ضعيف
فيه في ملا من الجمع واراد
ضربه ونزع عمامته من على
راسه (ومنها) ايضا انه يعارض القاضي في احكامه وينقض قضاياه ويكتب في بيته

راسه وسيره الى خوارزم واظهروا الفتك به في العسكر كنتم ان خوارزم شاه اتاه من خراسان ما اوجب ان يعود اليها فترك البلاد وعاد الى خراسان

٥(ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالاندلس)٥

في هذه السنة في شعبان غزا أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب والاندلس بلاد الفرنج بالاندلس وسبب ذلك ان الفنش ملك الفرنج بها ومقر ملكه مدينة طليطلة كتب الى يعقوب كتابا نسخته باسمك اللهم فاطر السموات والارض اما بعد أيها الامير فانه لا يخفى على كل ذي عقل لازب ولا ذي لب ثاقب انك امير الملة الحنيفية كما انا امير الملة النصرانية وانك من لا يخفى عليه ما هو عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعية واشتغالهم على الراحات وأنا أسومهم الخسف واخلي الديار واسبي الذراري وأمثل بالكهول وأقتل الشباب ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم وقد امكنتك يد القدرة وأنتم تعتقدون ان الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فقد فرض عليكم قتال اثنين منا بواحد منكم ونحن الآن نقاتل عددا منكم بواحد منا ولا تقدرون دفاعا ولا تستطيعون امتناعا ثم حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال واشرفت على ربوة القتال وتمطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر أخرى ولا أدري الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما انزل عليك ثم حكي لي عنك انك لا تجد سبيلا للحرب لعلك ما يسوغ لك التقحم فيها فها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك واعتذر عنك ولك ان توفي بالعهود والمواثيق والايمان ان تتوجه بجملة من عندك في المراكب والشواني واجوز اليك بجملتي وابارزك في اعز الاماكن عندك فان كانت لك فغنيمة عظيمة جاءت اليك وهدية مثلت بين يديك وان كانت لي كانت يدي العليا عليك واستحققت امارة الملتين والتقدم على الفئتين والله يسهل الارادة ويوفق السعادة بمنه لا رب غيره ولا خير الا خيره فلما وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب في أعلاه هذه الآية ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون واعاده اليه وجمع العساكر العظيمة من المسلمين وعبر المجاز الى الاندلس وقيل كان سبب عبوره الى الاندلس ان يعقوب لما قاتل الفرنج سنة ست وثمانين وصالحهم بقي طائفة من الفرنج لم ترض بالصلح كما ذكرناه فلما كان الآن جمعت تلك الطائفة جمعا من الفرنج وخرجوا الى بلاد الاسلام فقتلوا وسبوا وغنموا واسروا وعاثوا فيها عيثا شديدا فانتهى ذلك الى يعقوب فجمع العساكر وعبر المجاز الى الاندلس في جيش يضيق عنه الفضاء فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيهم ودانيهم واقبلوا اليه مجدين على قتاله واثقين بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان شمالي قرطبة عند قلعة رباح بمكان يعرف بمرج الحديد فاقتتلوا قتالا شديدا فكانت الدائرة اولا على المسلمين ثم عادت على الفرنج فانهزموا اقبح هزيمة وانتصر المسلمون عليهم وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمته

الباشا ابا كاس أيضا اكبر زيادة على ذلك فلما راق الحال ورتب الباشا امور مع العسكر الجديد كر الباشا بانجاز الوعد ويكرر القول عليه وعلى كتخدا بك بقوله انتم تكذبون علينا ونحن نكذب على الناس واخذ يتطاول على كتبة الاقباط بسبب امور يلزمهم ويكلفهم باغراضها وعذرهم يحتج عنه في تأخيرها فيكلمهم بحضرة الكتخدا ويشتمهم ويقول لبعضهم اما اعتبرتم بما حصل لابن غالي ويعتقدون عليه ويشكون منه للباشا وللكتخدا وغير ذلك امور امثل تعرضه للقاضي في قضاياه وتشكيه منه واتفق انه لما حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية وكان بصحبته احمد جلبي ابن ذي الفقار كتخدا الفلاح وكانه كان كتخدا ابا بالصعيد وتشكت الناس من افاعيله واخ واته ابراهيم باشا فاجتمع به الدواخلي عند السيد محمد المحروقي وحضر قبل ذلك اليه السلام عليه وفي كل مرة يوبخه بالكلام ويلومه على افاعيله بالقول الخشن في ملا من الناس فذهب الى الباشا وباطرق الشكوى ويقول فيها انا نصحت في خدمتنا اقتدرنا جهدي واظهرت من الخيانات ما عجز عنه غيري فاجازي عليه من هذا الشيخ ما اسمعنيه من قبيح القول وتحبيسي بين الملا واذا كان عبالا فندينا فلا يكن نفعه ولا النصح في خدمتنا وامثال ذلك بما يغني عنه تعبيره مثل هذه الامور فى التي اوغرت صدر الباشا

لدائه يحفظ حضرة افندينا وينصره ٤٣ على اعدائه ونحن الذين له ونرجو من احسانه بعد هلاك ... ويكون هذه

اليهم هاشم بن قاسم اخو امير المدينة فقتلهم فقتل هاشم وكان امير المدينة قد توجه الى الشام فلهذا طمعت العرب فيه وفيها توفي القاضي ابو الحسن احمد بن محمد بن عبد الصمد الطرسوسي الحلبي بها في شعبان وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله تعالى

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك وزير الخليفة همذان وغيرها من بلاد العجم)

قد ذكرنا ملك مؤيد الدين بن القصاب بلاد خوزستان فلما ملكها سار منها الى ميسان من اعمال خوزستان فوصل اليه قتلغ اينانج بن البهلوان صاحب البلاد وقد تقدم ذكر تغلب خوارزم شاه عليها ومعه جماعة من الامراء فاكرمه وزير الخليفة واحسن اليه وكان سبب مجيئه انه جرى بينه وبين عسكر خوارزم شاه ومقدمهم مياجق مصاف عند زنجان واقتتلوا فانهزم قتلغ اينانج وعسكره وقصد عسكر الخليفة ملتجئا الى مؤيد الدين الوزير فاعطاه الوزير الخيل والخيام وغير ذلك مما يحتاج اليه وخلع عليه وعلى من معه من الامراء ورحلوا الى كرمانشاه ورحل منها الى همذان وكان بها ولد خوارزم شاه ومياجق والعسكر الذين معه فلما قاربهم عسكر الخليفة فارقها الخوارزميون وتوجهوا الى الري واستولى الوزير على همذان في شوال من هذه السنة ثم رحل هو وقتلغ اينانج خلفهم فاستولوا على كل بلد جازوا به منها خرقان ومزدغان وساوة وآوة وساروا الى الري ففارقها الخوارزميون الى خوار الري فسير الوزير خلفهم عسكرا ففارقها الخوارزميون الى دامغان وبسطام وجرجان فعاد عسكر الخليفة الى الري فاقاموا بها فاتفق قتلغ اينانج ومن معه من الامراء على الخلاف على الوزير وعسكر الخليفة لانهم رأوا البلاد قد خلت من عسكر خوارزم شاه فطمعوا فيها فدخلوا الري فحصرها وزير الخليفة ففارقها قتلغ اينانج وملكها الوزير ونهبها العسكر فامر الوزير بالنداء بالكف عن النهب وسار قتلغ اينانج ومن معه من الامراء الى مدينة آوة وبها شحنة الوزير فمنعهم من دخولها فساروا عنها ورحل الوزير في اثرهم نحو همذان فبلغه وهو في الطريق ان قتلغ اينانج قد اجتمع معه عسكر وقصد مدينة كرج وقد نزل على دربند هناك فطلبهم الوزير فلما قاربهم التقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم قتلغ اينانج ونجا بنفسه ورحل الوزير من موضع المصاف الى همذان فنزل بظاهرها فاقام نحو ثلاثة اشهر فوصله رسول خوارزم شاه تكش وكان قد قصد هو منكرا اخذه البلاد من عسكره ويطلب اعادتها وتقرير قواعد الصلح فلم يجب الوزير الى ذلك فسار خوارزم شاه مجدا الى همذان وكان الوزير مؤيد الدين بن القصاب قد توفي في اوائل شعبان فوقع بينه وبين عسكر الخليفة مصاف نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فقتل بينهم كثير من العسكرين وانهزم عسكر الخليفة وغنم الخوارزميون منهم شيئا كثيرا وملك خوارزم شاه همذان ونبش الوزير من قبره وقطع

الفتنة ان ينعم علينا ويجرينا على عوائدنا في المرتبات والمسانهات في خصوص ما يتعلق بنا من حصص الالتزام والرزق فاجابه بقوله نعم يكون ذلك ولابد من الراحة لكم ولكافة الناس فدعا له وآنس فؤاده وقال الله تعالى يحفظ افندينا وينصره على اعدائه كذلك يكون تمام ما امرتم به من الراحة لكافة الناس الافراج عن الرزق الاحباسية على المساجد والفقراء فقال نعم ووعده مواعيد عرقوبية فكان الدواخلي اذا نزل من القلعة الى داره يحكي في مجلسه ما يكون بينه وبين الباشا من امثال هذا الكلام ويذيعه في الناس ولما امر الباشا الكتاب بتحرير حساب الملتزمين على الوجه المرضي بديوان خاص لرجال دائرة الباشا واكابر العسكر والمتشبثين بالقلعة تطييبا لخواطرهم وديوان آخر في المدينة لعامة الملتزمين يحررون للخاصة بالقلعة ما في قوائم مصروفهم وما كانوا يأخذونه من المضاف والبراني والهدايا وغير ذلك والديوان العام التحتاني بخلاف ذلك فلما رأى الدواخلي ذلك الترتيب قال للباشا وانا الفقير بحسبكم من رجال الدائرة فقال نعم وحرروا قوائمه معهم الا كابر واكابر الدولة وانعم عليه

رابعه

مع ولده وكان اهل اصفهان يكرهونهم فكاتب صدر الدين الخجندي رئيس الشافعية باصفهان الديوان ببغداد يبذل من نفسه تسليم البلد الى من يصل من الديوان من العساكر وكان بعد الحاكم باصفهان على جميع اهلها فسيرت العساكر فوصلوا الى اصفهان ونزلوا بظاهر البلد وفارقه عسكر خوارزم شاه وعادوا الى خراسان وتبعهم بعض عسكر الخليفة فتخطفوا منهم واخذوا من ساقة العسكر من قدروا عليه ودخل عسكر الخليفة الى اصفهان وملكوها

(ذكر ابتداء حال كوكجه وملكه بلد الري وهمذان وغيرها)

لما عاد خوارزم شاه الى خراسان كما ذكرنا اتفق المماليك الذين للبهلوان والامراء وقدموا على انفسهم كوكجه وهو من اعيان البهلوانية واستولوا على الري وما جاورها من البلاد وساروا الى اصفهان لاخراج الخوارزمية منها فلما قاربوها سمعوا بعسكر الخليفة عندها فارسل الى مملوك الخليفة سيف الدين طغرل يعرض نفسه على خدمة الديوان ويظهر العبودية وانه انما قصد اصفهان في طلب العساكر الخوارزمية وحيث رآهم فارقوا اصفهان سار في طلبهم فلم يدركهم وسار عسكر الخليفة من اصفهان الى همذان واما كوكجه فانه تبع الخوارزمية الى طبس وهي من بلاد الاسماعيلية وعاد فقصد اصفهان وملكها وارسل الى بغداد يطلب ان يكون له الري وخوار الري وساوه وقم وقاجان وما ينضم اليها من حد مزدغان وتكون اصفهان وهمذان وزنجان وقزوين لديوان الخليفة فاجيب الى ذلك وكتب له منشور بما طلب وارسلت اليه الخلع فعظم شانه وقوي امره وكثرت عساكره وتعظم على اصحابه

(ذكر حصر العزيز دمشق ثانية وانهزامه عنها)

وفي هذه السنة ايضا خرج الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين من مصر في عساكره الى دمشق يريد حصرها فعاد عنها منهزما وسبب ذلك ان من عنده من مماليك ابيه المعروفين بالصلاحية فخر الدين جركس وسراسنقر وقراجا وغيرهم كانوا منحرفين عن الافضل علي بن صلاح الدين لانه كان قد اخرج من عنده منهم مثل ميمون القصري وسنقر الكبير وايبك وغيرهم فكانوا لا يزالون يحذرون العزيز من اخيه ويقولون ان الاكراد والمماليك الاسدية من عسكر مصر يريدون اخاك ونخاف ان يميلوا اليه ويخرجوك من البلاد والمصلحة ان تاخذ دمشق فخرج في العام الماضي وعاد كما ذكرناه فتجهز هذه السنة ليخرج فبلغ الخبر الى الافضل فسار من دمشق الى عمه الملك العادل فاجتمع به بقلعة جعبر ودعاه الى نصرته وسار من عنده الى حلب الى اخيه الملك الظاهر غازي فاستنجده وسار الملك العادل من قلعة جعبر الى دمشق فسبق الافضل اليها ودخلها وكان الافضل لثقته به قد امر نوابه بادخاله الى القلعة ثم عاد الافضل من حلب الى دمشق فارسل مقدم الاسدية وهو سيف الدين ايازكوش وغيره منهم ومن الاكراد ابو الهيجاء السمين وغيره الى الافضل والعادل بالانحياز اليهما والكون معهما ويامرهما بالاتفاق على العزيز والخروج من دمشق ليسلموه اليهما وكان سبب

من خراج البلاد والحدثات وحسابات المباشرين وانشا دارا عظيمة بخطة باب اللوق على البركة المعروفة باق الشوارب وادخل فيها عدة بيوت بجانبيها وجعلها على نسق واصطلاح الابنية الافرنجية والرومية وتأنق في زخرفتها واتساعها واستمرت العمارة بها نحو السنتين ولما كملت وتمت احضروا القاضي والمشايخ وعقدوا لولده على ابنتين من اقارب الباشا بحضرة الاعيان ومن ذكر واحتفلوا بعمل المهم احتفالا زائدا وتقيد السيد محمد المحروقي بالمصاريف والتنظيم واللوازم كما كان في افراح اولاد الباشا واجتمعت الملاعيب والبهلوانات بالبركة وما حولها وبالشارع وعلقوا تعاليق قناديل وشجيات واحبال بلور وزينات واجتمع الناس للفرجة وبالليل حراقات ونفوط ومدافع وسواريخ سبع ليال متوالية وعملت الزفة يوم الخميس واجتمعت العربات لارباب الحرف كما تقدم في العام الماضي بل ازيد وذلك لان الباشا لم يشاهد افراح اولاده لكونه كان غائبا بالديار الحجازية وحضر الباشا للفرجة وجلس بمدرسة الغورية بقصد الفرجة وعمل له السيد محمد المحروقي الغداء وخرجوا بالزفة اوائل النهار وداروا بها دورة طويلة فلم يمروا بسوق الغورية لاقرب الغروب وانجز النهار

(واستهل شهر ربيع الثاني سنة ١٢٣١)

حتى العليا والله عزيز حكيم وكان عدد من قتل من الفرنج مائة الف وستة واربعين الفا واسر ثلاثة عشر الفا وغنم المسلمون منهم شيئا عظيما فمن الخيام مائة الف وثلاثة واربعون الفا ومن الخيل ستة واربعون الفا ومن البغال مائة الف ومن الحمير مائة الف وكان يعقوب قد نادى في عسكره من غنم شيئا فهو له سوى السلاح واحصى ما حمل اليه منه فكان زيادة على سبعين الف لبس وقتل من المسلمين نحو عشرين الفا ولما انهزم الفرنج اتبعهم ابو يوسف فرآهم قد اخذوا قلعة رباح وساروا عنها من الرعب والخوف فملكها وجعل فيها واليا وجندا يحفظونها وعاد الى مدينة اشبيلية واما الفنش فانه لما انهزم حلق راسه ونكس صليبه وركب حمارا واقسم ان لا يركب فرسا ولا بغلا حتى تنصر النصرانية فجمع جموعا عظيمة وبلغ الخبر بذلك الى يعقوب فارسل الى بلاد الغرب مراكش وغيرها يستنفر الناس من غير اكراه فاتاه من المتطوعة والمرتزقين جمع عظيم فالتقوا في ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والدواب وغيرها وتوجه الى مدينة طليطلة فحصرها وقاتلها قتالا شديدا وقطع اشجارها وشن الغارة على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدة حصون فقتل رجالها وسبى حريمها وخرب دورها وهدم اسوارها فضعفت النصرانية حينئذ وعظم امر الاسلام بالاندلس وعاد يعقوب الى اشبيلية فاقام بها فلما دخلت سنة ثلاث وتسعين سار عنها الى بلاد الفرنج وذلوا واجتمع ملوكهم وارسلوا يطلبون الصلح فاجابهم اليه بعد ان كان عازما على الامتناع مريدا لملازمة الجهاد الى ان يفرغ منهم فاتاه خبر علي بن اسحق الملثم الميورقي انه فعل بافريقية ما نذكره من الافاعيل الشنيعة فترك عزمه وصالحهم مدة خمس سنين وعاد الى مراكش آخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

ذكر فعلة الملثم بافريقية

لما عبر ابو يوسف يعقوب صاحب المغرب الى الاندلس كما ذكرناه واقام مجاهدا ثلاث سنين انقطعت اخباره عن افريقية فقوي طمع علي بن اسحق الملثم الميورقي وكان بالبرية مع العرب فعاود قصد افريقية فانبث جنوده في البلاد فخربوها واكثروا الفساد فيها فمحيت آثار تلك البلاد وتغيرت وصارت خالية من الانيس خاوية على عروشها واراد المسير الى بجاية ومحاصرتها لاشتغال يعقوب بالجهاد واظهر انه اذا استولى على بجاية سار الى المغرب فوصل الخبر الى يعقوب بذلك فصالح الفرنج على ما ذكرناه وعاد الى مراكش عازما على قصده واخراجه من البلاد كما فعل سنة احدى وثمانين وخمسمائة وقد ذكرناه

ذكر ملك عسكر الخليفة اصفهان

في هذه السنة جهز الخليفة الناصر لدين الله جيشا وسيره الى اصفهان ومقدمهم سيف الدين طغرل مقطع بلد اللحف من العراق وكان باصفهان عسكر لخوارزم شاه

على الدواخلى مع انه الى الحقيقة ليست الا فاعتقدن فيه قابلية الخير وانا اقول ان الذى وقع لهذا الدواخلى انما هو قصاص وجزاء فعله فى السيد محمد محرم فانه كان من اكبر الساعين عليه الى ان عزلوه واخرجوه من مصر والجزاء من جنس العمل كما قيل

قل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

ولما جرى على الدواخلى ما جرى من العزل والنفى اظهر الكثير من نظرائه المتفقهين الشماتة والفرح وعملوا ولائم وعزائم ومضاحكات كما يقال

امور تضحك السفهاء منها
ويبكى من عواقبها اللبيب

وقد زالت هيبتهم ووقارهم من النفوس وانهمكوا فى الامور الدنيوية والحظوظ النفسانية والوساوس الشيطانية ومشاركة الجهال فى المآثم والمسارعة الى الولائم فى الافراح والمآتم يتكالبون على الاسمطة كالبهائم فتراهم فى كل دعوة ذاهبين وعلى الخوانات راكعين وللكباب والمحمرات خاطفين وعلى ما وجب عليهم من النصح تاركين (وفى اواخره) شرعوا فى عمل مهم عظيم بعزل ولى افندى وتقليدها لولى خوجا وهو كاتب الخزينة العامرة وهو من طائفة الارنود واختص به الباشا واستأمنه على الامور فصار اليه مدار الابرام من جميع وجوه جبايات الاموال

والى اسمعيل باشا ابن الباشا الذين توسطا في صلح محمد بك مع الباشا وليعفو ويذهب الى

حصينة على جبل لا يصل اليها حجر منجنيق ولا نشاب وهي كبيرة فاقام عليها صفر جميعه يحاصرها فلم يبلغ منها غرضا فراسله من بها في الصلح فاجابهم اليه على أن يقروا القلعة بايديهم على مال يحملونه اليه فحملوا اليه فيلا وحملا ذهبا فرحل عنها الى بلاد آق وسورة فاغار عليها ونهبها وسبي وأسر ما يعجز العاد حصره ثم عاد الى غزنة سالما

(ذكر ملك العادل مدينة دمشق من الافضل)

في هذه السنة في السابع والعشرين من رجب ملك الملك العادل ابو بكر بن أيوب مدينة دمشق من ابن اخيه الافضل على بن صلاح الدين وكان أبلغ الاسباب في ذلك وثوق الافضل بالعادل وانه بلغ من وثوقه انه أدخله بلده وهو غائب عنه ولقد أرسل اليه اخوه الظاهر غازى صاحب حلب يقول له أخرج عمنا من بيننا فانه لا يجيء علينا منه خير ونحن ندخل لك تحت كل ما تريد وأنا أعرف به منك وأقرب اليه فانه عمي مثل ما هو عمك وانا زوج ابنته ولو علمت انه يريد لنا خيرا لكنت انا أولى به منك فقال له الافضل انت سيء الظن في كل احد اي مصلحة لعمنا في ان يؤذينا ونحن اذا اجتمعت كلمتنا وسيرنا معه العساكر من عندنا كلنا ملك من البلاد اكثر من بلادنا ونربح سوء الذكر وهذا كان أبلغ الاسباب ولا يعلمها كل أحد واما غير هذا فقد ذكرنا مسير العادل والافضل الى مصر وحصارهم بلبيس وصلحهم مع الملك العزيز بن صلاح الدين ومقام العادل معه بمصر فلما أقام عنده استماله وقرر معه انه يخرج معه الى دمشق ويأخذها من أخيه ويسلمها اليه فسار معه من مصر الى دمشق وحصروها واستمالوا أميرا من امراء الافضل يقال له العزيز بن ابي غالب الحمصي وكان الافضل كثير الاحسان اليه والاعتماد عليه والوثوق به فسلم اليه بابا من أبواب دمشق يعرف بالباب الشرقي ليحفظه فمال الى العزيز والعادل ووعدهما انه يفتح لهما الباب ويدخل العسكر منه الى البلد غفلة ففتحه اليوم السابع والعشرين من رجب وقت العصر وادخل الملك العادل منه ومعه جماعة من اصحابه فلم يشعر الافضل الا وعمه معه في دمشق وركب الملك العزيز ووقف بالميدان الاخضر غربي دمشق فلما رأى الافضل ان البلد قد ملك خرج الى أخيه وقت المغرب واجتمع به ودخلا كلاهما البلد واجتمعا بالعادل وقد نزل في دار اسد الدين شيركوه وتحادثوا فاتفق العادل والعزيز على ان أوهما الافضل انهما يبقيان عليه البلد خوفا انه ربما يجمع من عنده من العسكر ويثار بهما ومعه العامة فاخرجهم من البلد لان العادل لم يكن في كثرة وعاد الافضل الى القلعة وبات العادل في دار شيركوه وخرج العزيز الى الخيم فبات فيها وخرج العادل من الغد الى جوسقه فاقام به وعسكره في البلد كل يوم يخرج الافضل اليهما ويجتمع بهما فبقوا كذلك اياما ثم ارسلا اليه وأمراه بمفارقة القلعة وتسليم البلد على قاعدة أن تعطى قلعة صرخد له ويسلم جميع اعمال دمشق فخرج الافضل ونزل في جوسق بظاهر البلد غربي دمشق وتسلم العزيز القلعة ودخلها وأقام بها اياما وجلس يوما في مجلس شرابه فلما اخذت منه

بلاده فارسلا الى الباشا بالخبر
وعانقه احمد اغا الدالي الى
محمد بك نفسه رايه في تصديق
المقالة وفي هزوه بعقد الدلالة
ثم يقول لولا ان في نفسه خيانة
لما فعل ما فعل من التصديق
والهروب وكان طوسون باشا
لما جرى من احمد اغا ما جرى
من نقل الخبر لمحمد بك عوّقه
وارسل الى ابيه يعلمه بذلك
فطلبه الى الحضور اليه بمصر
فلما مثل بين يديه وبخه
وعزره بالكلام وقال له
ترمي الفتن بين اولادي وكبار
العسكر ثم امر بقتله فنزلوا به
الى باب زويلة وقطعوا راسه
هناك وترك مرميا طول
النهار ثم رفعوه الى داره وعملوا
له في صحنها مشهدا ودفنوه
(وفيه) حضر اسمعيل باشا
ومصطفى بك الى مصر (وفي
اواخره) حضر شخص يسمى
سليم كاشف من الاجناد
المصرية مرسلا من عند بقاياهم
من الامراء واتباعهم الذين
رماهم الزمان بكلكله
واقصاهم وابعدهم عن
اوطانهم واستوطنوا دنقلة
من بلاد السودان يتقوتون
مما يزرعونه بايديهم من
الدخن وبينهم وبين اقصى
الصعيد مسافة طويلة نحو
من اربعين يوما وقد طال
عليهم الامد ومات اكثرهم

ومقامهم وقوّادهم مثل عثمان بك حسن وسليم اغا واحمد اغا شويكار وغيرهم

الانحراف عن العزيز وميلهم الى الافضل ان العزيز لما ملك مصر مال الى المماليك
الناصرية وقدمهم ووثق بهم ولم يلتفت الى هؤلاء الامراء فانفوا من ذلك ومالوا الى
اخيه وراسلوا الى الافضل والعادل فاتفقا على ذلك واستقرت القاعدة بحضور رسل
الامراء ان الافضل يملك الديار المصرية ويسلم دمشق الى عمه الملك العادل وخرجا من
دمشق فانحاز اليهما من ذكرنا فلم يمكن العزيز المقام بل عاد منهزما يطوى المراحل
خوف الطلب ولا يصدق بالنجاة وتساقط اصحابه عنه الى ان وصل الى مصر واما العادل
والافضل فانهما ارسلا الى القدس وفيه نائب العزيز فسلمه اليهما وسارا فيمن معهما
من الاسدية والاكراد الى مصر فرأى العادل انضمام العساكر الى الافضل
واجتماعهم عليه فخاف انه يأخذ مصر ولا يسلم اليه دمشق فارسل حينئذ سرا الى
العزيز يأمره بالثبات وان يجعل بمدينة بلبيس من يحفظها وتكفل بانه يمنع الافضل
وغيره من مقاتلة من بها فجعل العزيز بها الناصرية ومقدمهم فخر الدين جهاركس بها ومعهم
غيرهم ووصل العادل والافضل الى بلبيس فنازلوا من بها من الناصرية واراد الافضل
مناجزتهم او تركهم بها والرحيل الى مصر فمنعه العادل من الامرين وقال هذه عساكر
الاسلام فاذا اقتتلوا فى الحرب فمن يرد العدو الكافر وما بنا حاجة الى هذا فان البلاد
لك وبحكمك ومتى قصدت مصر والقاهرة واخذتهما قهرا زالت هيبة البلاد وطمع
فيها الاعداء وليس فيها من يمنعك عنها وسلك معه مثل هذا فطالت الايام وارسل الى
العزيز سرا يأمره بارسال القاضى الفاضل وكان مطاعا عند البيت الصلاحى لعلو منزلته
كانت عند صلاح الدين فحضر عندهما واجرى ذكر الصلح وزاد القول ونقص
وانفسخت العزائم واستقر الامر على ان يكون للافضل القدس وجميع البلاد بفلسطين
وطبرية والاردن وجميع ما بيده ويكون للعادل اقطاعه الذى كان قديما ويكون
مقيما بمصر عند العزيز وانما اختار ذلك لان الاسدية والاكراد لا يريدون العزيز
فهم يجتمعون معه فلا يقدر العزيز على منعه عما يريد فلما استقر الامر على ذلك وتعاهدوا
عاد الافضل الى دمشق وبقى العادل بمصر عند العزيز

(ذكر عدة حوادث)

فى ذى القعدة تاسع عشره وقع حريق عظيم ببغداد بدرب المطبخ فاحترقت المربعة التى
بين يديه ودكان ابن البخيل الهراس وقيل كان ابتداؤها من دار ابن البخيل

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك شهاب الدين بهنكر وغيرها من بلاد الهند)

فى هذه السنة سار شهاب الدين الغورى صاحب غزنة الى بلاد الهند وحصر قلعة بهنكر
وهى قلعة عظيمة منيعة فحصرها فطلب اهلها منه الامان على ان يسلموا اليه فامنهم
وتسلمها واقام عندها عشرة ايام حتى رتب جندها واحوالها وسار عنها الى قلعة كوالير
وبينهما مسيرة خمسة ايام وفى الطريق نهر فجازه ووصل الى كوالير وهى قلعة منيعة

حصينة

بجرى مستمر وانصح الباشا وذكر فى كلامه فى مجالسه ويبين السر فى اخراجهم من
وخروج العسكر الى ناحية
المدينة بان العسكر قد كثروا
فى اقامتهم بالبلد مع كثرتهم
ضرر وافساد وضيق على
الرعية مع عدم الحاجة اليهم
داخل البلد والاولى والاحوط
ان يكونوا خارجها وحولها
مرابطين لحفظ الثغور من
طارق على حين غفلة او حادث
خارجى وليس لهم الا رواتبهم
وعلائفهم تأتيهم فى اماكنهم
ومراكزهم والسر الخفى
اخراج الذين قصد واغدره
وخيانته ووقع بسبب مراكزهم
ما وقع من النهب والازعاج
فى اواخر شعبان من السنة
الماضية وكان قد ابتدأ باخراج
اولاده وخواصه من قبله
واحدا بعد واحد واضمر الى
اولاده بما فى ضميره واصحب
مع ولده طوسون باشا اشخاصا
من خواصه يسمى احمد اغا
البخورجى المدللى واخذ
طوسون باشا فى تدبير الايقاع
مع من بين يديه فبدأ بمحو بك
وهو اعظمهم واكثرهم
جندا فاخذ فى تأليف عساكره
حتى لم يبق معه الا القليل ثم
ارسل اليه فى وقت يطلب محو بك
عنده فى مشورة فذهب اليه
احمد اغا المدللى المذكور وامره
اليه بما يراد به واشار اليه بعدم
الذهاب فركب محو بك فى
الحال وذهب عند الدلاة
فارسلوا الى مصطفى بك وهو كبير على طائفة من الدلاة واخو زوجة الباشا وقريبه

اهل الذى هم فيه يرسلون اماءهم فجاءا بالخبر بظفرهم وبركهم سموا وانتقالهم اليهم

الى بغداد انكرت هذه الحال على ابى الهيجاء وامر بالافراج عن الجماعة وسيرت لهم الخلع من بغداد تطييبا لقلوبهم ثم لم يسكنوا بعد هذه الحادثة ولا امنوا ففارقوا ابا الهيجاء السمين فخاف الديوان فلم يرجع اليه ولم يمكنه ايضا المقام فسار الى اربل لانه من بلدها فتوفى قبل وصوله اليها وهو من الاكراد الحكمية من بلد اربل

(ذكر ملك العادل يافا من الفرنج وملك الفرنج بيروت من المسلمين وحصر الفرنج تبنين ورحيلهم عنها)

فى هذه السنة فى شوال ملك العادل ابو بكر بن ايوب مدينة يافا من الساحل الشامى وهو بيد الفرنج لعنهم الله وسبب ذلك ان الفرنج كان قد ملكهم الكندهرى على ما ذكرناه قبل وكان الصلح قد استقر بين المسلمين والفرنج ايام صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله تعالى فلما توفى وملك اولاده بعده كما ذكرناه جدد الملك العزيز الهدنة مع الكندهرى وزاد فى مدة الهدنة وبقى ذلك الى الآن وكان بمدينة بيروت امير يعرف باسامة وهو مقطعها فكان يرسل الشوانى تقطع الطريق على الفرنج فاشتكى الفرنج من ذلك غير مرة الى الملك العادل بدمشق والى الملك العزيز بمصر فلم يمنعا اسامة من ذلك فارسلوا الى ملوكهم الذين داخل البحر يشكون اليهم ما يفعل بهم المسلمون ويقولون ان لم تنجدونا والا اخذ المسلمون البلاد فامدهم الفرنج بالعساكر الكثيرة وكان اكثرهم من ملك الالمان وكان المقدم عليهم قسيس يعرف بالخنصلير فلما سمع العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب العساكر وارسل الى ديار الجزيرة والموصل يطلب العساكر فجاءته الامداد واجتمعوا على عين جالوت فاقاموا شهر رمضان وبعض شوال ورحلوا الى يافا وملكوا المدينة وامتنع من بها بالقلعة التى لها فخرب المسلمون المدينة وحصروا القلعة فملكوها عنوة وقهرا بالسيف فى يومها وهو يوم الجمعة واخذ كل ما بها غنيمة واسرا وسبيا ووصل الفرنج من عكا الى قيسارية ليمنعوا المسلمين عن يافا فوصلهم الخبر بها بملكها فعادوا وكان سبب تأخرهم ان ملكهم الكندهرى سقط من موضع عال بعكا فمات فاختلفت احوالهم فتأخروا لذلك وعاد المسلمون الى عين جالوت فوصلهم الخبر ان الفرنج على عزم قصد بيروت فرحل العادل والعسكر فى ذى القعدة الى مرج العيون وعزم على تخريب بيروت فسار اليها جمع من العسكر وهدموا سور المدينة سابع ذى الحجة وشرعوا فى تخريب دورها وتخريب القلعة فمنعهم اسامة من ذلك وتكفل بحفظها ورحل الفرنج من عكا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقوا هم والفرنج بنواحى صيدا وجرى بينهم مناوشة فقتل من الفريقين جماعة وحجز بينهم الليل وسار الفرنج تاسع ذى الحجة فوصلوا الى بيروت فلما قاربوها هرب منها اسامة وجميع من معه من المسلمين فملكوها صفوا عفوا بغير حرب ولا قتال فكانت غنيمة باردة فارسل العادل الى صيدا من خرب ما كان بقى منها فان صلاح الدين كان قد خرب اكثرها وسارت العساكر الاسلامية الى صور فقطعوا اشجارها

من أعيتها الاقامة الثانى اذا حلوا بارض الصعيد لا ياخذون من أهل النواحى كلفة ولا دجاجة ولا رغيفا واحدا وانما الذى يتعين للاقامة يقوم لهم بما يحتاجون اليه من مؤنة وعليق ومصرف الثالث انى لا اقطعهم شيئا من الاراضى والنواحى ولا اقامة فى جهة من جهات اراضى مصر بل يأتون عندى وينزلون على حكمى ولهم ما يليق بكل واحد منهم من المسكن والتعيين والمصرف ومن كان ذا قوة قلدته منصبا او خدمة تليق به او ضممته الى بعض الاكابر من رؤساء العسكر وان كان ضعيفا او هرما اجريت عليه نفقة لنفسه وعياله الرابع انهم اذا حصلوا بمصر على هذه الشروط وطلبوا شيئا من اقطاع او رزقة او قنطرة او اقل مما كان فى تصرفهم فى الزمن الماضى او بعد ذلك انتقض ما عاهدهم وبطل امانى لهم بمخالفة شرط واحد من هذه الشروط وهى سبعة خاب من دهى باقيها فسبحان المعز المذل مقلب الاحوال ومغير الشؤن ٥ فلعمر الله لما حضر المصريون ودخلوا الى مصر بعد مقتل طاهر باشا وتآمروا وتحكموا فكانت عساكر الاتراك فى خدمتهم ومن ارذل خولهم وعلائقهم تصرف عليهم من ايدى كتابهم واتباعهم وابراهيم بك هو الامير الكبير وراتب محمد على باشا هذا

الخصم يجرى على لسانه انه يعيد البلد الى الافضل فنقل ذلك الى العادل فى وقته فحضر العادل فى ساعته والعزيز سكران فلم يزل به حتى سلم البلد اليه وخرج منه وعاد الى مصر وسار الافضل الى صرخد وكان العادل يذكر ان الافضل سعى فى قتله فلهذا اخذ البلد منه وكان الافضل ينكر ذلك ويتبرأ منه والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

●(ذكر عدة حوادث)●

فى هذه السنة هبت ريح شديدة بالعراق واسودت لها الدنيا ووقع رمل أحمر واستعظم الناس ذلك وكبروا واشتعلت الاضواء بالنهار وفيها قتل صدر الدين محمود بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندى رئيس الشافعية باصفهان قتله فلك الدين سنقر الطويل شحنة اصفهان بها وكان قدم بغداد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة واستوطنها وولى النظر فى المدرسة النظامية ببغداد ولما ارسل مؤيد الدين بن القصاب الى خوزستان سار فى صحبته فلما ملك الوزير اصفهان أقام ابن الخجندى بها فى بيته وملكه ومنصبه فجرى بينه وبين سنقر الطويل شحنة اصفهان الخليفة منافرة فقتله سنقر وفى رمضان درس مجير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك البغدادى الفقيه الشافعى بالمدرسة النظامية ببغداد وفى شوال منها ناب نصير الدين ناصر بن مهدى العلوى الرازى فى الوزارة ببغداد وكان قد توجه الى بغداد لما ملك ابن القصاب الرى وفيها ولى أبو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة ديوان الانشاء ببغداد وكان كاتبا مفلقا وله شعر جيد وفى صفر منها توفى الفخر محمود بن على التوقانى الفقيه الشافعى بالكوفة عائدا من الحج وكان من اعيان اصحاب محمد بن يحيى وفى رجب منها توفى أبو الغنائم محمد بن على بن المعلم الشاعر الهرثى والهرث بضم الهاء والثاء المثلثة قرية من اعمال واسط عن احدى وتسعين سنة وفى رابع شعبان منها توفى الوزير مؤيد الدين أبو الفضل محمد بن على بن القصاب بهمذان وقد ذكرنا من كفايته ونهضته ما فيه كفاية

●(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة)●

●(ذكر ارسال الامير أبى الهيجاء الى همذان وما فعله)●

وصل الى بغداد امير كبير من امراء مصر اسمه أبو الهيجاء ويعرف بالسمين لانه كان كثير السمن وكان من اكابر أمراء مصر وكان فى اقطاعه اخيرا البيت المقدس وغيره مما يجاوره فلما ملك العزيز والعادل مدينة دمشق من الافضل اخذا القدس منه ففارق الشام وعبر الفرات الى الموصل ثم انحدر الى بغداد لانه طلب من ديوان الخلافة فلما وصل اليها اكرم اكراما كثيرا ثم امر بالتجهيز والمسير الى همذان مقدما على العساكر البغدادية فسار اليها والتى صنعها بالملك اوزبك بن البهلوان وامير علم وابنه وابن اسطمش وغيرهم وهم قد كاتبوا الخليفة بالطاعة فلما اجتمع بهم ونقوا اليه ولم يحذروه فقبض على اوزبك وابن سطمش وابن قراء وافلت من امير علم فلما وصل الخبر بذلك

من لاصلح لنا الخبرة اخبارهم بمعاملة حتى على اهل منازلهم وبقى من لم يمت منهم ابراهيم بك الكبير وعبد الرحمن بك تابع عثمان بك المرادى وعثمان بك يوسف واحمد بك الالفى زوج عديلة ابنة ابراهيم بك الكبير وعلى بك ايوب وبواقى صغار الامراء والمماليك على نحو شباتهم وقد كبر سن ابراهيم بك الكبير وعجزت قواه ووهن جسمه فلما طالت عليهم الغربة ارسلوا هذا المرسل بمكاتبة الى الباشا يستعطفونه ويسألون فضله ويرجون مراحمه بان ينعم عليهم بالامان على نفوسهم ويأذن لهم بالانتقال من دنقلة الى جهة من اراضى مصر يقيمون بها ايضا ويتعيشون فيها باقل العيش تحت امانه ويدفعون ما يجب عليهم من الخراج الذى يقرره عليهم ولا يتعدون مراسمه واوامره فلما حضر وقابل الباشا وتكلم معه وسأله عن حالهم وشأنهم ومن مات ومن لم يمت منهم وهو يخبره ثم يخبرهم ثم امره بالانصراف الى محله الذى نزل فيه الى ان يرد عليه الجواب وانعم عليه بخمسة اكياس فاقام اياما حتى كتب له جواب رسالته مضمونه انه اعطاهم الامان على انفسهم بشروط شرطها عليهم ان خالفوا منها شرطا واحدا كان امانهم منتقضا وعهدهم منكرا ويحل بهم ما حل بمن تقدم منهم فأول الشروط انهم اذا عزموا على الانتقال من

الى

اموال التجار لنفسه ويبيعها كيف شاء واراد فلما ملك مكة حرسها الله تعالى ارسل الخليفة الناصر لدين الله الى اخيه صلاح الدين فى المعنى فمنعه من ذلك وجمع من الاموال ما لا يحصى حتى انه من كثرته كان يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويتركه ولما توفى ملك بعده ابنه اسمعيل وكان اهوج كثير التخليط بحيث انه ادعى انه قرشى من بنى امية وخطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالهادى فلما سمع عمه الملك العادل ذلك ساءه واهمه وكتب اليه يلومه ويوبخه ويأمره بالعود الى نسبه الصحيح وبترك ما ارتكبه مما يضحك الناس منه فلم يلتفت اليه ولم يرجع وانضاف الى ذلك انه اساء السيرة مع اجناده وامرائه فوثبوا عليه فقتلوه وملكوا بعده اميرا من مماليك ابيه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر توفى ابو بكر عبد الله بن منصور بن عمران الباقلانى المقرى الواسطى بها عن ثلاث وسبعين سنة وثلاثة اشهر وايام وهو آخر من بقى من اصحاب القلانسى وفى جمادى الآخرة توفى قاضى القضاة ابو طالب على بن البخارى ببغداد ودفن بتربته فى مشهد باب التبن وفيها فى ربيع الآخر توفى ملكشاه بن خوارزم شاه تكش بنيسابور وكان ابوه قد جعله فيها واضاف اليه عساكر جميع البلاد التى بخراسان وجعله ولى عهده فى الملك وخلف ولدا اسمه هندوخان فلما مات جعل فيها ابوه خوارزم شاه بعده ولده الآخر قطب الدين محمدا وهو الذى ملك بعد ابيه وكان بين الاخوين عداوة مستحكمة افضت الى ان محمدا لما ملك بعد ابيه هرب هندوخان بن ملكشاه منه على ما نذكره وفيها توفى شيخنا ابو القاسم يعيش بن صدقة بن على الفراتى الضرير الفقيه الشافعى كان اماما فى الفقه مدرسا صالحا كثير الصلاح سمعت عليه كثيرا لم ار مثله رحمه الله تعالى ولقد شاهدت منه عجبا يدل على دينه وارادته بعلمه وجه الله تعالى وذلك انى كنت اسمع عليه ببغداد سنن ابى عبد الرحمن النسائى وهو كتاب كبير والوقت ضيق لانى كنت مع الحجاج قد عدنا من مكة حرسها الله فبينما نحن نسمع عليه ومع اخى الاكبر مجد الدين ابى السعادات اذ قد اتاه انسان من اعيان بغداد وقال له قد برز الامر لتحضر لامر كذا فقال انا مشغول بسماع هؤلاء السادة ووقتهم يفوت والذى يراد منى لا يفوت فقال انا لا احسن اذكر هذا فى مقابلة امر الخليفة فقال لا عليك قل قال ابو القاسم لا احضر حتى يفرغ السماع فسألناه ان يمضى معه فلم يفعل ذلك وقال اقرؤا فقرأنا فلما كان الغد حضر غلام لنا وذكر ان امير الحاج الموصلى قد رحل فعظم الامر علينا فقال ولم يعظم عليكم العود الى اهلكم وبلدكم قلنا لاجل فراغ هذا الكتاب فقال اذا رحلتم اسعيد ابدا وارسل كتابا الى امير الحاج يأمره بالانتظار حتى نرحل فلما فرغتم عدتم وقرأنا فاعدوه ذكر ان الحجاج لم يرحلوا ففرغنا من الكتاب فانظر الى هذا الدين المتين يرد امر الخليفة وهو يخافه ويرجوه ولم يرد يسير معنا ونحن غرباء لا يخافنا ولا يرجونا

(ثم دخلت سنة اربع وتسعين وخمسمائة)

دار امرأة من اقاربه بالقرب من جامع مسكة وقال لها احفظى عندك هذه الصرة حتى ارجع ونزل الى اسفل الدار فنادته المرأة اصبر حتى آتيك بشئ تأكله فقال نعم فانى جيعان وجلس اسفل الدار ينتظر اتيانها اليه بما يأكله وصادف مجئ زوج المرأة تلك الساعة فوجده فرحب به وهو يعلم بحاله ويكرهه بمجيئه الى داره وطلع الى زوجته فوجد بين يديها تلك الصرة فسألها عنها فاخبرته ان قريبها المذكور اتى بها اليها حتى يعود ولا اخذها ففتشها فوجدها ثقيلة فنزل فى الحال ودخل على محمد افندى سليم من اعيان جيران المحلة فاخبره فاحضر محمد افندى انفارا من الجيران ايضا وقبضوا على المنسوب الى احد اغا لاظ المقتول ودخل الجميع الى الدار وذلك الحرامى جالس ومشتغل بالاكل فوكلوا به الخدم واحضروا تلك الصرة وفتشوها فوجدوا بها مصاغا وكيسا بداخله انصاف فضة عددية ذكروا ان عدتها اربعون الفا ولكنها من غير ختم وبدون نقش السكة فاخذوا ذلك وتوجهوا الى كتخدا بك وصحبتهم الحرامى فسأله وهدده فاقر واخبر عن المكان الذى اختلسها منه فاحضر واصاحبة المكان فقالت هو وديعة عندى لزوجة احمد افندى المدارجى فثبت له يوم جنايته هو اختلاسه وصل احمد افندى بخلاف انه ابدا لا يعلم بشئ من ذلك وان زوجته كانت زوجا لابراهيم

وخربوا اعمالها من قرى وابراج فلما سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت الى صور واقاموا عليها ونزل المسلمون عند قلعة تبنين واذن للعساكر الشرقية بالعود ظنا منه ان الفرنج يقيمون ببلادهم واراد ان يعطى العساكر المصرية دستورا بالعود فاتاه الخبر منتصف المحرم ان الفرنج يريدون ان يحصروا حصن تبنين فسير العادل اليه عسكرا يحمونه ويمنعون عنه ورحل الفرنج من صور ونازلوا تبنين اول صفر سنة اربع وتسعين وقاتلوا من به وجدوا فى القتال ونقبوه من جهاتهم فلما علم العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب منه ان يحضر هو بنفسه ويقول له ان حضرت والا فلا يمكن حفظ هذا الثغر فسار العزيز مجدا فمن بقى معه من العساكر واما من بحصن تبنين فانهم لما راوا النقوب قد خربت القلعة ولم يبق الا ان يملكوها بالسيف نزل بعض من فيها الى الفرنج يطلب الامان على انفسهم واموالهم ليسلموا القلعة وكان المرجع الى القسيس الخنصلير من اصحاب ملك الالمان فقال لهؤلاء المسلمين بعض الفرنج الذين من ساحل الشام ان سلمتم الحصن استاسركم هذا وقتلكم فاحفظوا انفسكم فعادوا كانهم يراجعون من فى القلعة ليسلموا فلما صعدوا اليها اصروا على الامتناع وقاتلوا قتال من يحمى نفسه فحموها الى ان وصل الملك العزيز الى عسقلان فى ربيع الاول فلما سمع الفرنج بوصوله واجتماع المسلمين وان الفرنج ليس لهم ملك يجمعهم وان امرهم الى امراة وهى الملكة فاتفقوا وارسلوا الى ملك قبرس واسمه هرى فاحضروه وهو اخو الملك الذى اسر بحطين كما ذكرناه فزوجوه بالملكة زوجة الكندهرى وكان رجلا عاقلا يحب السلامة والعافية فلما ملكهم لم يعد الى الزحف على الحصن ولا قاتل واتفق وصول العزيز اول شهر ربيع الآخر ورحل هو والعساكر الى جبل الخليل الذى يعرف بجبل عاملة فاقاموا اياما والامطار متداولة فبقى الى ثالث عشر الشهر ثم سار وقارب الفرنج وارسل رماة النشاب فرموهم ساعة وعادوا ورتب العساكر ليزحف الى الفرنج ويجد فى قتالهم فرحلوا الى صور خامس عشر الشهر المذكور ليلا ثم رحلوا الى عكا فسار المسلمون فنزلوا اللجون وتراسلوا فى الصلح وتطاول الامر فعاد العزيز الى مصر قبل انفصال الحال وسبب رحيله ان جماعة من الامراء وهم ميمون القصرى واسامة وسراسنقر والجاف وابن المشطوب وغيرهم قد عزموا على الفتك به وبفخر الدين جركس مدبر دولته والله سبحانه وتعالى اعلم بذلك فلما سمع بذلك سار الى مصر وبقى العادل وترددت الرسل بينه وبين الفرنج فى الصلح فى شعبان سنة اربع وتسعين فلما انتظم الصلح عاد العادل الى دمشق وسار منها الى ماردين من ارض الجزيرة فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة سيف الاسلام وملك ولده)

فى شوال من هذه السنة توفى سيف الاسلام طغتكين بن ايوب اخو صلاح الدين وهو صاحب اليمن بزبيد وقد ذكرنا كيف ملك وكان شديد السيرة مضيقا على رعيته يشترى

والحصن الذى عين له من كذا ورشوة فاقمزوا المنقلب ورجع سالم كاشف

من الخبز والخشم والارز المرسل اليهم بالجواب المشتمل على ما فيه من الشروط (وفيه) امر الباشا بحبس احمد افندى المعارجى بدار الضرب وحبس ايضا عبد الله بكتاش ناظر الضربخانه واحتج عليهما باختلاسات بختلسانها واستمر الباشا حتى قرر عليهما نحو السبعمائة كيس وعلى الحاج سالم الجواهرجى وهو الذى يتعاطى ايراد الذهب والفضة الى شغل الضربخانه مثلهما ثم اطلق المذكوران ليحصلا ما تقرر عليهما وكذلك اطلق الحاج سالم وشرعوا فى التحصيل بالبيع والاستدانة واشتد القهر بالحاج سالم ومات على حين غفلة وقيل انه ابتلع فص الماس وكان عليه ديون باقية من التى استدانها فى المرة الاولى والغرامة السابقة (ومن النوادر الغريبة والاتفاقات العجيبة) انه لما مات ابراهيم بك الحداد بالضربخانه قبل تاريخه تزوج بزوجته احمد افندى المعارجى المذكور فلما عوق احمد افندى خافت زوجته المذكورة ان يدهمها امر مثل الختم على الدار او نحو ذلك فجمعت مصاغها وما تخاف عليه عما خف حمله وغلا ثمنه ووضعته فى

صرة وا ودعتها عند امراة من معارفها فسكنها فى بيت تلك المراة شخص حرامى واخذ تلك الصرة وذهب بها الى اموال

مجاهد الدين برتقش الى قلعة نصيبين وأدركهم الليل فخرجوا منها هاربين الى حران وراسلوا الملك العادل أبابكر بن أيوب صاحب حران وغيرها وهو بدمشق وبذلوا له الاموال الكثيرة ليجيئهم ويبعد نصيبين اليهم وأقام نور الدين بنصيبين ما لسكها فتضعضع عسكره بكثرة الامراض وعودهم الى الموصل وموت كثير منهم ووصل العادل الى الديار الجزرية فحينئذ فارق نور الدين نصيبين وعاد الى الموصل في شهر رمضان فلما فارقها تسلمها قطب الدين وممن توفي من امراء الموصل عز الدين جورديك وشمس الدين عبد الله بن ابراهيم وفخر الدين عبد الله بن عيسى المهرانيان ومجاهد الدين قايماز وظهير الدين بولق بن بلنكري وجمال الدين محاسن وغيرهم ولما عاد نور الدين الى الموصل قصد العادل قلعة ماردين فحصرها وضيق على أهلها على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك الغور مدينة بلخ من الخطا الكافرة)

في هذه السنة ملك بهاء الدين سام بن محمد بن مسعود وهو ابن اخت غياث الدين وشهاب الدين صاحبي غزنة وغيرها ولد باميان مدينة بلخ وكان صاحبها تركيا اسمه ازبه وكان يحمل الخراج كل سنة الى الخطا بما وراء النهر فتوفي في هذه السنة فسار بهاء الدين سام الى المدينة فملكها وتمكن منها وقطع الحمل الى الخطا وخطب لغياث الدين وصارت من جملة بلاد الاسلام بعد ان كانت في طاعة الكفار

(ذكر انهزام الخطا من الغورية)

وفي هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون الى ناحية خراسان فعاثوا في البلاد وافسدوا فلقيهم عسكر غياث الدين الغوري وقاتلهم فانهزم الخطا وكان سبب ذلك ان خوارزم شاه تكش كان قد سار الى بلاد الري وهمذان واصفهان وما بينهما من البلاد وملكها وتعرض الى عساكر الخليفة وأظهر طلب السلطنة والخطبة ببغداد فارسل الخليفة الى غياث الدين ملك الغور وغزنة يأمره بقصد بلاد خوارزم شاه ليعود عن قصد العراق وكان خوارزم شاه قد عاد الى خوارزم فراسله غياث الدين يقبح له فعله ويتهدده بقصد بلاده واخذها فارسل خوارزم شاه الى الخطا يشكو اليهم من غياث الدين ويقول ان لم تتداركوه بانفاذ العساكر والا أخذ غياث الدين بلاده كما أخذ مدينة بلخ وتقصد بعد ذلك بلادهم ويتعذر عليهم منعه ويعجزون عنه ويضعفون عن رده عما وراء النهر فجهز ملك الخطا جيشا كثيفا وجعل مقدمهم المعروف بطاينكو وهو كالوزير فساروا وعبروا جيحون في جمادى الآخرة وكان الزمان شتاء وكان شهاب الدين الغوري اخو غياث الدين ببلاد الهند والعساكر معه وغياث الدين به من النقرس ما يمنعه من الحركة انما يحمل في محفة والذي يقود الجيوش ويباشر الحروب أخوه شهاب الدين فلما وصل الخطا الى جيحون سار خوارزم شاه الى طوس عازما على قصد هراة ومحاصرتها وعبر الخطا النهر ووصلوا الى بلاد الغور مثل كرزبان وشبرقان

ولا جليلا وكان المعتاد القديم انه اذا اورد القاضي في أول السنة التوتية التزم بالقبحة بعض المميزين من رجال المحكمة بقدر معلوم يقدم يدفعه للقاضي وكذلك تقرير الوظائف كانت بالفراغ او الحلول وله شهريا على باقي المحاكم الخارجة كالصالحية وباب سعادة والخرق وباب الشعرية وباب زويلة وباب الفتوح وطيلون وقناطر السباع وبولاق ومصر القديمة ونحو ذلك شهرية وانتدوا مشلاقات وغلال من الميرى وليس له غير ذلك الا معلوم الامضاء وهو خمسة انصاف فضة فاذا احتاج الناس في قضاياهم ومواريثهم احضروا شاهدا من المحكمة القريبة منهم يقضي فيها ما قضيه ويعطونه اجرته وهو يكتب التوثيق اوحجة المبايعة اوالتورث ويجمع العدة من الاوراق في كل جمعة أو شهر ثم يمضيها من القاضي ويدفع له معلوم الامضاء لا غير واما القضايا لمثل العلماء والامراء فبالمسامحة والاكرام وكان القضاة يخشون صولة الفقهاء وقت كونهم يصدعون بالحق ولا يداهنون فيه فلما تغيرت الاحوال وتحكمت الاتراك وقضاتها ابتدعوا بدعا شتى منها ابطال نواب الحكم وابطال القضاة الثلاثة بخلاف مذهب الحنفي وان يتمكنون بجميع ما يجري بين يديه ويدي نائبه وبعد الانفصال يأمرهم بالذهاب الى كتخداه ليدفع

ذكر وفاة عماد الدين وملك ولده قطب الدين محمد

في هذه السنة في المحرم توفي عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقة وقد تقدم ذكر كيف ملكها سنة تسع وسبعين وكان رحمه الله عادلا حسن السيرة في رعيته عفيفا عن اموالهم واملاكهم متواضعا يحب اهل العلم والدين ويحترمهم ويجالسهم ويرجع الى اقوالهم الا انه كان بخيلا شديد البخل ولما توفي ملك بعده ابنه قطب الدين محمد وتولى تدبير دولته مجاهد الدين يرنقش مملوك ابيه وكان دينا خيرا عادلا حسن السيرة كثير البر والاحسان الى الفقراء وكان رحمه الله شديد التعصب لمذهب الحنفية كثير الذم للشافعية فمن تعصبه انه بنى مدرسة للحنفية بسنجار وشرط ان يكون النظر للحنفية من اولاده دون الشافعية وشرط ان يكون البواب والفراش على مذهب ابي حنيفة وشرط للفقهاء طبيخا يطبخ ذلك كل يوم وهذا نظر حسن رحمه الله

ذكر ملك نور الدين نصيبين

في هذه السنة في جمادى الاولى سار نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل الى مدينة نصيبين فملكها واخذها من ابن عمه قطب الدين محمد وسبب ذلك ان عمه عماد الدين كان له نصيبين فتطاول نوابها اولا واستولوا على عدة قرى من اعمال بين النهرين من ولاية الموصل وهي تجاور نصيبين فبلغ الخبر مجاهد الدين قايماز القائم بتدبير مملكة نور الدين بالموصل كلها والمرجوع اليه فيها فلم يعلم مخدومه بذلك لما علم من قلة صبره على احتمال مثل هذا وخاف ان يجري خلف بينهما فارسل من عنده رسولا الى عماد الدين في المعنى وقبح هذا الفعل الذي فعله النواب بغير امره وقال انني ما اعلمت نور الدين بالحال لئلا يخرج عن يدك فانه ليس كوالده واخاف ان يبدو منه ما يخرج الامر فيه عن يدي فاعاد الجواب انهم لم يفعلوا الا ما امرتهم به وهذه القرى من اعمال نصيبين فترددت الرسل بينهما فلم يرجع عماد الدين عن اخذها فحينئذ اعلم مجاهد الدين نور الدين بالحال فارسل نور الدين رسولا من مشايخ دولته ممن خدم جدهم الشهيد زنكي ومن بعده وحمله رسالة فيها بعض الخشونة فمضى الرسول فلحق عماد الدين قد مرض فلما سمع الرسالة لم يلتفت وقال لا اعيد ملكي فاشار الرسول من عنده حيث هو من مشايخ دولتهم بترك ذلك وتسليم ما اخذه وحذره عاقبة ذلك فاغلظ عليه عماد الدين القول وعرض بذم نور الدين واحتقاره فعاد الرسول وحكى لنور الدين جلية الحال فغضب نور الدين وعزم على المسير الى نصيبين واخذها من عمه فاتفق ان عمه مات وملك بعده ابنه فقوي طمعه فمنعه مجاهد الدين فلم يمتنع وتجهز وسار اليها فلما سمع قطب الدين صاحبها سار اليها من سنجار في عسكره ونزل عليها ليمنع نور الدين عنها فوصل نور الدين وتقدم الى البلد وكان بينهما ثم زحف بعض امرائه وقاتل من بازائه فلم يثبتوا له فعم جميع العسكر النوري وتمت الهزيمة على قطب الدين فصعد هو ونائبه

ايامه وسألت هي ايضا عن تحقيق ذلك فقال الصحيح ان ابراهيم المداد كان اشترى المداد فلعل ذلك عندها من هذه الدراهم من شخص مغربي عند ما نهب عسكر المغاربة الشربجانه في وقت حادثة الامراء المصريين وخروجهم من مصر عند ما قامت عليهم عسكر الارنؤد فلم يزيلوا الشبهة عن احمد افندي بل زادت وكانت هذه النادرة من عجائب الاتفاق فقدروا اثمانها وقصروها من المطلوب منه (وفي يوم الخميس عشرينه) حصلت جمعية ببيت البكري وحضر المشايخ وخلافهم وذلك بامر باطني من صاحب الدولة وتذاكروا ما يفعله قاضي العسكر من الجور والطمع في اخذ اموال الناس والمحاصيل وذلك ان القضاة الذين يأتون من باب السلطنة كانت لهم عوائد وقوانين قديمة لا يتعدونها في ايام الامراء المصريين فلما استولت هؤلاء الاروام على الممالك والقاضي منهم مشى اثرهم وزادوا طمعهم وابتدعوا بدعا وابتكروا حيلا لسلب اموال الناس والايتام والارامل وكلما ورد قاض ورأى ما ابتكره الذي كان قبله احدث هو الآخر اشياء يمتاز بها عن سلفه حتى فحش الامر وتعدى ذلك القضايا الى اكابر الدولة وكتخدا البيك والباشا وصار يحرص رعيته واعوانه لا يختشون منه ولا يراعون جليلا ولا كبيرا

هذا سلطانكم وكان الخوارزميون يسبونهم و يقولون يا اجناد الكفار انتم قد ارتددتم عن الاسلام ولم يزل هذا دأبهم حتى ملك خوارزم شاه البلاد بعد أيام يسيرة عنوة وعفا عن اهله واحسن اليهم وفرق فيهم مالا كثيرا واقام بها مدة ثم عاد الى خوارزم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ذي الحجة توفي ابو طالب يحيي بن سعيد بن زبادة كاتب الانشاء بديوان الخليفة وكان عالما فاضلا له كتابة حسنة وكان رجلا عاقلا خيرا كثير النفع للناس وله شعر جيد وفيها حصر الملك العادل ابو بكر بن ايوب قلعة ماردين في شهر رمضان وكان من بها وكان صاحبها حسام الدين بولق ارسلان بن ايلغازي بن البي بن تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق كل هؤلاء ملوك ماردين وقد تقدم من اخبارهم ما يعلم به محلهم وكان صبيا والحاكم في بلده ودولته مملوك أبيه النظام برتقش وليس لصاحبه معه حكم البتة في شيء من الامور ولما حصر العادل ماردين ودام عليها سلم اليه بعض اهلها الربض بمخامرة منهم فنهب العسكر اهله نهبا قبيحا وفعلوا بهم افعالا قبيحة لم يسمع بمثلها فلما تسلم الربض تمكن من حصر القلعة وقطع الميرة عنها وبقي عليها الى ان رحل عنها سنة خمس وتسعين على ما نذكره ان شاء الله وفيها توفي الشيخ ابو علي الحسن بن مسلم ابن ابي الحسن القادسي الزاهد المقيم بغداد والقادسية التي ينسب اليها قرية بنهر عيسى من اعمال بغداد وكان من عباد الله الصالحين العاملين ودفن بقريته وابو المجد علي ابن ابي الحسن علي بن الناصر بن محمد الفقيه الحنفي مدرس أصحاب أبي حنيفة ببغداد وكان من اولاد محمد بن الحنفية ابن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة)

(ذكر وفاة الملك العزيز وملك أخيه الافضل ديار مصر)

في هذه السنة في العشرين من المحرم توفي الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف ابن ايوب صاحب ديار مصر وكان سبب موته انه خرج الى الصيد فوصل الى الفيوم يتصيد فرأى ذئبا فركض فرسه في طلبه فعثر الفرس فسقط عنه في الارض ولحقته حمى فعاد الى القاهرة مريضا فبقي كذلك الى ان توفي فلما مات كان الغالب على امره مملوكه والده فخر الدين جهاركس وهو الحاكم في بلده فاحضر انسانا كان عندهم من اصحاب الملك العادل ابي بكر بن ايوب واراه العزيز ميتا وسيره الى العادل وهو يحاصر ماردين فكاتبه واستدعيه ليملكه البلاد فسار القاصد مجدا فلما كان بالشام رأى بعض اصحاب الافضل علي بن صلاح الدين فقال له قل لصاحبك ان اخاه العزيز توفي وليس في البلاد من يمنعها فليسر اليها فليس دونها مانع وكان الافضل محبوبا الى الناس يريدونه ولم يلتفت الافضل الى هذا القول واذ قد وصله رسل الامراء من مصر يدعونه اليهم ليملكوه وكان السبب في ذلك ان الامير سيف الدين يازكج مقدم الاسدية والفرقة الاسدية والامراء الاكراد يريدونه و يميلون اليه وكان الملك الناصر يه

نظار الاوقاف والعزل والتولية فيهم والمصالحات على ذلك وقرر على نصارى الاقباط والارمن قدرا معلوما في كل سنة بحجة الطلبة على الدور والكنائس وغيرها هو زائد الشناعة ايضا انه اذا ادعى مبطل على انسان دعوى لا اصل لها بان قال ادعى عليه بكذا وكذا من المال وغيره كتب المقيد ذلك القول حقا كان او باطلا معقولا اوغير معقول ثم يظهر بطلان الدعوى أو صحة بعضها فيطالب الخصم بحصول القدر الذي ادعاه المدعي وسطره الكاتب يدفعه المدعى عليه للقاضي على دور النصف الواحد او يحبس عليه حتى يوفيه وذلك خلاف ما يؤخذ من الخصم الآخر وحصل نظيرها لبعض من هو ملتجئ لكتخدا باشا فحبس على الحصول فارسل الكتخدا يترجى في اطلاقه والمصالحة عن بعضه فابى فعند ذلك حنق الكتخدا وارسل من اعوانه من استخرجه من الحبس ومن الزيادات في تعميقاتهم المشهور كتابة الاعلامات وهو انه اذا حضر عند القاضي دعوى بقاصد من عند الكتخدا او الباشا بقضي فيها وتقضى فيها لاحد الخصمين طلب المقضي له اعلاما بذلك الى الكتخدا او الباشا يرجع بمعرفة القاصد تقييدا واثباتا فعند ذلك لا يكتب له ذلك الاعلام الاعتباطي لا يرتبه الا ان يبلغ من جلد طاقا او طاقين وقد حكمت عليه

وغيرهما وقتلوا وأسروا ونهبوا وسبوا كثيرا لا يحصى فاستغاث الناس بغياث الدين
فلم يكن عنده من العساكر ما يلقاهم بها فراسل الخطا بهاء الدين سام ملك باميان
يأمرونه بالإخراج عن بلخ أو أن يحمل ما كان من قبل يحمله من المال فلم يجبهم إلى
ذلك وعظمت المصيبة على المسلمين بما فعله الخطا فانتدب الأمير محمد بن خرميل الغوري
وهو مقطع الطالقان من قبل غياث الدين وكان شجاعا وكاتب الحسين بن خرميل وكان
بقلعة كرزبان واجتمع معهما الأمير حروش الغوري وساروا جميعا كلهم إلى الخطا
فبيتوهم وكبسوهم ليلا ومن عادة الخطا أنهم لا يخرجون من خيامهم ليلا ولا
يفارقونها فلما أتاهم هؤلاء الغورية وقاتلوهم أكثروا القتل في الخطا وانهزم من سلم
منهم من القتل وأين ينهزمون والعسكر الغوري خلفهم وجيحون بين أيديهم وظن
الخطا أن غياث الدين قد قصدهم فيما كره فلما أصبحوا عرفوا من أتاهم وعلموا
أن غياث الدين بمكانه فقويت قلوبهم وثبتوا لقتالهم فقتل من الغورية خلق
عظيم ولحقت المنهزمة بالغورية بين أيديهم مدد من غياث الدين وهم في الحرب فثبت
المسلمون وعظمت نكايتهم في الكفار وحمل الأمير حروش على قلب الخطا وكان شيخا
كبيرا فأصابه جراحة توفي منها ثم إن محمد بن خرميل وابن خرميل حملا في أصحابهما
وتنادوا أن لا يرمي أحد بقوس ولا يطعن برمح وأخذوا اللتوت وحملوا على الخطا
فهزموهم وألحقوهم بجيحون فمن صبر قتل ومن ألقى نفسه في الماء غرق ووصل الخبر
إلى ملك الخطا فعظم عليه وأرسل إلى خوارزم شاه يقول له أنت قتلت رجالي وأريد
من كل قتيل عشرة آلاف دينار وكان القتلى اثني عشر ألفا وأنفذ إليه من رده إلى
خوارزم وألزموه بالحضور عنده فأرسل حينئذ خوارزم شاه إلى غياث الدين يعرفه
حاله مع الخطا ويشكو إليه ويستعطفه غير مرة فأعاد الجواب يأمره بطاعة الخليفة وإعادة
ما أخذه الخطا من بلاد الإسلام فلم يتفصل بينهما حال

(ذكر ملك خوارزم شاه مدينة بخارا)

لما ورد رسول ملك الخطا على خوارزم شاه بما ذكرناه أعاد الجواب أن عسكرك إنما
قصدوا انتزاع بلخ ولم يأتوا إلى نصرتي ولا اجتمعت بهم ولا أمرتهم بالعبور وإن كنت
فعلت ذلك فأنا مقر بالمال المطلوب مني ولكن حيث عجزتم أنتم عن الغورية عدتم علي
بهذا القول وهذا المطلب وأما أنا فقد اصطلحت الغورية ودخلت في طاعتهم ولا طاعة
لكم عندي فعاد الرسول بالجواب فجهز ملك الخطا جيشا عظيما وسيره إلى خوارزم
فحصرها فكان خوارزم شاه يخرج إليهم كل ليلة ويقتل منهم خلقا عظيما وأقام من
المناوشة شيء كثير فلم يزل هذا دأبهم حتى أتى على أكثرهم فرحل الباقون إلى
بلادهم ورحل خوارزم شاه في آثارهم وقصد بخارا فنازلها وحصرها وامتنع أهلها منه
وقاتلوه مع الخطا حتى إنهم أخذوا كلبا أعور وألبسوه قباء وقلنسوة وقالوا هذا
خوارزم شاه لأنه كان أعور وطافوا به على السور ثم ألقوه في منجنيق إلى العسكر وقالوا

هذا

الحصول فيطلب منهم المقادير الخارجة من المعقول وذلك خلاف الرشوات الخفية
والمصالحات التي به واضاف
التقرير والقسمة لنفسه ولا
يلتزمها احد من الشهود كما
كان في السابق واذا دعى
بعض الشهود لكتابة توثيق
او مبايعة او تركة فلا يذهب
لا بعد ان يأذن له القاضي
او يصحبه بجوخدار ليباشر
القضية وله نصيب ايضا وزاد
طمع هؤلاء الجوخدارية حتى
لا يرضون بالقليل كما كان في
اول الامر وتخالف منهم التفاخر
بعضهم عن عادتهم وصاروا
عند المتولي لما انفتح لهم هذا
الباب واذا ضبط تركة
من التركات وبلغت مقدارا
اخرج والقاضي العشر من ذلك
ومعلوم الكاتب والجوخدار
والرسول ثم التجهيز والتكفين
والمصرف والديون وما بقي
بعد ذلك يقسم بين الورثة
فيتفق ان الوارث واليتيم
لا يبقى له شيء ويأخذ من
ارباب الديون عشر ديونهم
ايضا ويأخذ من عاليل وظائف
الفقراء بمعلوم سنتين او ثلاثة
وقد كان يصالح عليه بادنى
شيء والا كرهوا او يدع بعضها
التي من وظائف القبانية
والموازين وطالب نقادة برهم
القديمة ومن ابن نالة رجال وتعالل
عليهم بعدم صلاحية المحرر
وغيره ممن هو باسم القضاة
وابنوا الاطلاقات وجمع من هذا
النوع مقدارا عظيما من المال ثم محاسبات

(واستهل شهر رجب الاصم بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢١) (في ثالثه يوم الخميس) قبل الغروب حصل في الناس انزعاج ولغط ونقل اصحاب الحوانيت بضائعهم منها مثل سوق الغورية ومرجوش وخان الحمزاوي وخان الخليلي وغيرهم ولم يظهر لذلك سبب من الاسباب واصبح الناس مبهوتين واغلقوا الحوانيت وحضر الباشا وحضر اغات الينكجرية واغات التبديل الى الغورية واقاما بطول النهار وهما يامران الناس بالسكون وفتح الدكاكين وكذلك علي اغا الوالي بباب زويلة واصبح يوم السبت فركب الباشا وخرج الى قبة العزب وعمل رماحة وملعبا ورجع الى شبرا وحضر كتخدا بك الى سوق الغورية وجلس بالمدرسة وامر بضرب شيخ الغورية فبطحوه على الارض في وسط السوق وهو مرشوش بالماء وضربه الاتراك بعصيهم ثم رفعوه الى داره ثم امر الكتخدا بكتابة اصحاب الدكاكين الذين نقلوا متاعهم فشرعوا في ذلك وضرب الكثير منهم وحبسهم في داره ثم ركب الكتخدا ومر في طريقه على خان الحمزاوي وطلب البواب فلما امتثل بين يديه امر بضربه كذلك وضرب ايضا شيخ مرجوش واما طائفة خان الخليلي ونصارى الحمزاوي فلم يتعرض لهم

(واستهل شهر شعبان بيوم الخميس سنة ١٢٢١) (فيه) من الحوادث ان بعض العيارين من البراق تعقدوا

(ذكر حصر الافضل مدينة دمشق وعوده عنها)

لما ملك الافضل مصر واستقر بها ومعه ابن اخيه الملك العزيز اسم الملك له لصغره واجتمعت الكلمة على الافضل بها وصل اليه رسول اخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب ورسول ابن عمه اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص يحثانه على الخروج الى دمشق واغتنام الفرصة بغيبة العادل عنها وبذلا له المساعدة بالمال والنفس والرجال فبرز من مصر منتصف جمادى الاولى من السنة على عزم المسير الى دمشق واقام بظاهر القاهرة الى ثالث رجب ورحل فيه وتعوق في مسيره ولو بادر وعجل المسير لملك دمشق لكنه تاخر فوصل الى دمشق ثالث عشر شعبان فنزل عند جسر الخشب على فرسخ ونصف من دمشق وكان العادل قد ارسل اليه نوابه بدمشق يعرفونه قصد الافضل لهم وفارق ماردين وخلف ولده الكامل محمدا في جميع العساكر على حصارها وسار جريدا فجد في السير فسبق الافضل فدخل دمشق قبل الافضل بيومين واما الافضل فانه تقدم الى دمشق من الغد وهو رابع عشر شعبان ودخل ذلك اليوم بعض عسكره من عند الى دمشق من باب السلامة وسبب دخولهم ان قوما من اجناده ممن بيوتهم مجاورة الباب اجتمعوا بالامير مجد الدين اخي الفقيه عيسى الهكاري فتحدثوا معه في ان يقصدوا العسكر باب السلامة ليفتحوه لهم فاراد مجد الدين ان يختص بفتح الباب وحده فلم يعلم الافضل ولا اخذ معه احدا من الامراء بل سار وحده بعفرده ومعه نحو خمسين فارسا من اصحابه ففتح له الباب فدخله هو ومن معه فلما رآهم عامة البلد نادوا بشعار الافضل واستسلم من به من الجند ونزلوا عن الاسوار وبلغ الخبر الى الملك العادل فكاد يستسلم ويتماسك واما الذين دخلوا البلد فانهم وصلوا الى باب البريد فلما راى عسكر العادل بدمشق قلة عددهم وانقطاع مددهم وثبوا بهم واخرجوهم منه وكان الافضل قد نصب خيمة بالميدان الاخضر وقارب عسكره الباب الحديد وهو من ابواب القلعة وقدر الله تعالى ان اشير على الافضل بالانتقال الى ميدان الحصى ففعل ذلك فقويت نفوس من فيه وضعفت نفوس العسكر المصري ثم ان الامراء الاكراد منهم لما فرقوا فصاروا وابدا واحدة يعني لا يغضب احدهم ويرضون لرضا احدهم فظن الافضل وباقي الاسدية انهم فعلوا بقاعدة بينهم وبين العادل فبين فرحلوا من موضعهم وتاخروا الى العشرين من شعبان ووصل اسد الدين شيركوه صاحب حمص الى الافضل الخامس والعشرين من شعبان ووصل بعده الملك الظاهر صاحب حلب ثاني عشر شهر رمضان وارادوا الزحف الى دمشق فمنعهم الملك الظاهر مكرا باخيه وحسدا له ولم يشعر انه رام الافضل بذلك واما الملك العادل فانه لما راى كثرة العساكر وتتابع الامداد الى الافضل خاف منه فارسل الى المماليك الناصرية بالبيت المقدس يستدعيهم اليه فساروا واسلخ شعبان فوصل خبرهم الى الافضل فسير اسد الدين صاحب حمص ومعه جماعة من الامراء الى طريقهم ليمنعوهم فسلكوا غير طريقهم

الصور ونائب الباشا و الكتخدا لازمه ويستفهم ويساعد كتخدا القاضي عليه ويسليه على ذلك القدر والنصر على الخصم مع ان الفرنساوية الذين كانوا لا يتدينون بدين لما قلدوا الشيخ احمد العريشي القضاء بين المسلمين بالمحكمة حددوا له حدا في اخذ المحاصيل لا يتعداه بان يأخذ على المائة اثنين فقط له منها جزء والكتاب جزء فلما زاد الحال وتعدى الى اهل الدولة رتبوا هذه الجمعية فلما تكاملوا بمجلس بيت البكري كتبوا عرضا حضرا ذكروا فيه بعض هذه الاحداثات والتمسوا من ولي الامر رفعها ويرجون من المراحم ان يجري القاضي ويسلك في الناس طريقة من احدى الطرق الثلاث اما الطريقة التي كان عليها القضاة في زمن الامراء المصريين واما الطريقة التي كانت في زمن الفرنساوية او الطريقة التي كانت ايام مجيء الوزير وهي الاقرب والاوفق وقد اخترناها ورضيناها بالنسبة لما هو عليه الآن من الجور وختموا العرض حضرا واطلعوا عليه الباشا فارسله الى القاضي فامتثل الامر وتعلل بالعجل على مضض منه ولم تسعه المخالفة

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣١)

في منتصفه ورد الخبر بموت مصطفى بك دالي باشا بناحية الاسكندرية وهو قريب الباشا واخو زوجته

الدين هم مماليك ابيه يكرهونه فاجتمع سيف الدين يازكج مقدم الاسدية وفخر الدين جهاركس مقدم الناصرية ليتفقوا على من يولونه الملك فقال فخر الدين نولي ابن الملك العزيز فقال سيف الدين انه طفل وهذه البلاد ثغر الاسلام ولا بد من قيم بالملك يجمع العساكر ويقاتل بها والرأي اننا نجعل الملك في هذا الطفل الصغير ونجعل معه بعض اولاد صلاح الدين يدبره الى ان يكبر فان العساكر لا تطيع غيرهم ولا تنقاد لامير فاتفقا على هذا فقال جهاركس فمن يتولى هذا فاشار يازكج بغير الافضل لتجري بينه وبين جهاركس منازعة لئلا يتهم ونفر جهاركس منه فامتنع من ولايته فلم يزل يذكر من اولاد صلاح الدين واحدا بعد آخر الى ان ذكر آخرهم الافضل فقال جهاركس هو بعيد عنا وكان بصرخد مقيما فيها من حين اخذت منه دمشق فقال يازكج نرسل اليه من يطلبه عجلا فاخذ جهاركس بيده الطلب فقال يازكج نمضي الى القاضي الفاضل ونأخذ رأيه فاتفقا على ذلك وارسل يازكج يعرفه ذلك ويشير بتمليك الافضل فلما اجتمعا عنده وعرفاه صورة الحال اشار بالافضل فارسل يازكج في الحال القصاد وراءه فسار عن صرخد لليلتين بقيتا من صفر متنكرا في تسعة عشر نفسا لان البلاد كانت للعادل ويضبط نوابه الطرق لئلا يجوز الى مصر ليجيء العادل ويملكها فلما قارب الافضل القدس وقد عدل عن الطريق المؤدي اليه لقيه فارسان قد ارسلا اليه من القدس فاخبراه ان من بالقدس قد صار في طاعته وجد في السير فوصل الى بلبيس خامس ربيع الاول ولقيه اخوته وجماعة الامراء المصرية وجميع الاعيان فاتفق ان اخاه الملك المؤيد مسعودا صنع له طعاما وصنع له فخر الدين مملوك ابيه طعاما فابتدأ بطعام اخيه ليمين حلفها اخوه انه يبدأ به فظن جهاركس انه فعل هذا انحرافا عنه وسوء اعتقاد فيه فتغيرت نيته وعزم على الهرب فحضر عند الافضل وقال ان طائفة من العرب قد اقتتلوا وان لم امض اليهم اصلح بينهم يؤدي ذلك الى فساد فاذن له الافضل في المضي اليهم ففارقه وسار مجدا حتى وصل الى البيت المقدس ودخله وتغلب عليه ولحقه جماعة من الناصرية منهم قراجا الزردكاش وسراسنقر واحضروا عندهم ميمونا القصري صاحب نابلس وهو ايضا من المماليك الناصرية فقويت شوكتهم به واجتمعت كلمتهم على خلاف الافضل وارسلوا الى الملك العادل وهو يحاصر ماردين يطلبونه اليهم ليدخلوا معه الى مصر ليملكوها فلم يسر اليهم لانه كانت اطماعه قد قربت في اخذ ماردين وقد عجز من بها عن حفظها وانه يأخذها والذي يريدونه لا يفوته واما الافضل فانه دخل الى القاهرة تاسع ربيع الاول وسمع بهرب جهاركس فاهمه ذلك وترددت الرسل بينه وبينهم ليعودوا اليه فلم يزدادوا الا بعدا ولحق بهم جماعة من الناصرية ايضا فاستوحش الافضل من الباقين فقبض عليهم وهم شقيرة وايبك فطيس والبكى الفارس وكل هؤلاء ابطال مشهور ومقدم مذكور سوى من ليس مثلهم في التقدم وعلو القدر واقام الافضل بالقاهرة واصلح الامور وقرر القواعد والمرجع في جميع الامور الى سيف الدين يازكج

(ذكر

سبحان الخلاق العليم ٭(واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة ١٢٣١)٭ (حصل فيه من النوادر)

بما عاقهما اخذهم من التهم فقال احمد الجند ولا آخذ رهلى رده فاغلظ له فى القول واراد ان يبطش به فاستعمله الى ان يرجع الى المهدية ويستردمن الجند ما يجده عندهم وما عدم منه غرم العوض عنه من ماله فامهله فعاد الى المهدية وهو خائف فلما وصلها جمع اصحابه واعلمهم ما كان من ابى سعيد وحالفهم على موافقته فخلفوا له فقبض على ابى على يونس وتغلب على المهدية وملكها فارسل اليه ابو سعيد فى معنى اطلاق اخيه يونس فطالبه على اثنى عشر الف دينار فلما ارسلها اليه ابو سعيد فرقها فى الجند واطلق يونس وجمع ابو سعيد العساكر واراد قصده فحصره فارسل محمد بن عبد الكريم الى على بن اسحق الملثم يخالفه واعتضد به فامتنع ابو سعيد من قصده ومات يعقوب وولى ابنه محمد فسير عسكرا مع عمه فى البحر وعسكرا آخر فى البر مع ابن عمه الحسن بن ابى حفص ابن عبد المؤمن فلما وصل عسكر البحر الى بجاية وعسكر البر الى قسنطينة الهوى هرب الملثم ومن معه من العرب من بلاد افريقية الى الصحراء ووصل الاسطول الى المهدية فشكا محمد بن عبد الكريم ما لقى من ابى سعيد وقال انا على طاعة امير المؤمنين محمد ولا اسلمها الى ابى سعيد وانما اسلمها الى من يرسله امير المؤمنين فارسل محمد من تسلمها منه وعاد الى الطاعة

٭(ذكر رحيل عسكر الملك العادل عن ماردين)٭

فى هذه السنة زال الحصار عن ماردين ورحل عسكر الملك العادل عنها مع ولده الملك الكامل وسبب ذلك ان الملك العادل لما حصر ماردين عظم ذلك على نور الدين صاحب الموصل وغيره من ملوك ديار بكر والجزيرة وخافوا ان ملكها لا يبقى عليهم الا انه عجز عن منعه لما هو على طاعته فلما توفى العزيز صاحب مصر وملك الافضل مصر كما ذكرناه وبينه وبين العادل اختلاف فارسل اخذ عسكر مصر من عنده وارسل الى نور الدين صاحب الموصل وغيره من الملوك يدعوهم الى موافقته فاجابوه الى ذلك فلما وصل الملك العادل عن ماردين الى دمشق كما ذكرناه برز نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عنها ثانى شعبان وسار الى دنيسر فنزل عليها ووافقه ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكى بن مودود صاحب سنجار وابن عمه الآخر معز شاه بن غازى بن مودود صاحب جزيرة ابن عمر فاجتمعوا كلهم بدنيسر الى ان عيدوا العيد الفطر ثم ساروا عنها سادس شوال ونزلوا بحرزم وتقدم العسكر الى تحت الجبل ليرتادوا موضعا للنزول وكان اهل ماردين قد عدمت الاقوات عندهم وكثرت الامراض فيهم حتى ان كثيرا منهم كان لا يطيق القيام فلما راى النظام وهو الحاكم فى دولة صاحبها ذلك ارسل الى ابن العادل فى تسليم القلعة اليه الى اجل معلوم ذكره على شرط ان يتركهم يدخل اليهم من الميرة ما يقوتهم حسب فاجابهم الى ذلك وضعا قراعليه ورفعوا اعلامهم الى راس القلعة وجعل ولد العادل بباب القلعة اميرا لا يترك يدخلها من الاطعمة الا ما يكفيهم يوما بيوم فاعطى من بالقلعة ذلك الامير

ان فى تاسع عشره علق شخص عسكرى غلاما من أولاد البلد وصار يتبعه فى الطرقات الى ان صادفه ليلة بالقرب من جامع المارداني بالشارع فقبض عليه واراد الفعل به فى الطريق فخدعه الغلام وقال له ان كان ولا بد فادخل بنا فى مكان لا يرانا فيه احد من الناس فدخل معه درب حلب المعروف الآن بدرب الحمام خلف [illegible] وهنالك دور الامراء التى صارت خرائب فحل العسكرى سراويله فقال له الغلام ارنى متاعك فلعله يكون عظيما لا احتمله فاخرجه وقبض عليه وكان بيده موسى مخفية فى يده الأخرى فقطع ذكره بتلك الموسى ضربة وسقط العسكرى مغشيا عليه وتركه الغلام وذهب فى طريقه وحضر رفقاء ذلك العسكرى وحملوه واحضروا المزين الجرائحى فقطع ما بقى من مذاكيره واخذ فى معالجته ومداواته ولم يمت العسكرى

٭(واستهل شهر شوال بيوم السبت سنة ١٢٣١)٭ وكان حقه يوم الاحد وذلك ان فى أواخر رمضان حضر جماعة من دمنهور البحيرة واخبروا عن اهل دمنهور انهم صاموا يوم الخميس فطلب الباشا حضور من رأى الهلال تلك الليلة فحضر اثنان من العسكر وشهدا برؤيته ليلة الخميس فاثبتوا

جميع ما بالنصبة من الاولى والبكارج والقناجين والظروف

بغداء والملك ودخلوا دمشق خامس رمضان فقوى العادل بهم قوة عظيمة وايس الافضل ومن معه من دمشق وخرج عسكر دمشق فى شوال فكبسوا العسكر المصرى فوجدوهم قد حذروهم فعادوا عنهم خاسرين واقام العسكر على دمشق ما بين قوة وضعف وانتصار وتخاذل حتى ارسل الملك العادل خلف ولده الملك الكامل محمد وكان قد رحل عن ماردين على ما نذكره ان شاء الله تعالى وهو بحران فاستدعاه اليه بعسكره فسار على طريق البر فدخل الى دمشق ثانى عشر صفر سنة ست وتسعين وخمسمائة فعند ذلك رحل العسكر عن دمشق الى ذيل جبل الكسوة رابع عشر صفر واستقر ان يقيموا بحوران حتى يخرج الشتاء فرحلوا الى رأس الماء وهو موضع شديد البرد فتغير العزم عن المقام واتفقوا على ان يعود كل منهم الى بلده فعاد الظاهر صاحب حلب واسد الدين صاحب حمص الى بلادهما وعاد الافضل الى مصر فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

ذكر وفاة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه محمد

فى هذه السنة ثامن عشر ربيع الآخر وقيل جمادى الاولى توفى ابو يوسف يعقوب ابن ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس بمدينة سلا وكان قد سار اليها من مراكش وكان قد بنى مدينة محاذية لسلا وسماها المهدية من احسن البلاد وانزهها فسار اليها يشاهدها فتوفى بها وكانت ولايته خمس عشرة سنة وكان ذا جهاد للعدو ودين وحسن سيرة وكان يتظاهر بمذهب الظاهرية واعرض عن مذهب مالك فعظم امر الظاهرية فى ايامه وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزمية منسوبون الى ابى محمد بن حزم رئيس الظاهرية الا انهم مغمورون بالمالكية ففى ايامه ظهروا وانتشروا ثم فى آخر ايامه استقضى الشافعية على بعض البلاد ومال اليهم

ذكر عصيان اهل المهدية على يعقوب وطاعتهم لولده محمد

كان ابو يوسف يعقوب صاحب المغرب لما عاد من افريقية كما ذكرناه سنة احدى وثمانين وخمسمائة استعمل ابا سعيد عثمان وابا على يونس بن عمر اينتى وهما وابوهما من اعيان الدولة فولى عثمان مدينة تونس وولى اخاه المهدية وجعل قائد الجيش بالمهدية محمد بن عبد الكريم وهو شجاع مشهور وعظمت نكايته فى العرب فلم يبق منهم الا من يخافه فاتفق انه اتاه الخبر بان طائفة من عوف نازلون بمكان فخرج اليهم وعدل عنهم حتى جازهم ثم اقبل عائدا اليهم واتاهم الخبر بخروجه اليهم فهربوا من بين يديه فلقيهم امامهم فهربوا وتركوا المال والعيال من غير قتال فاخذ الجميع ورجع الى المهدية وسلم العيال الى الوالى واخذ من الاسلاب والغنيمة ما شاء وسلم الباقى الى الوالى والى الجند ثم ان العرب من بنى عوف قصدوا ابا سعيد بن عمر اينتى فوحدوا وصاروا من حزب الموحدين واستجاروا به فى رد عيالهم واموالهم فاحضر محمد بن عبد الكريم وامره

على قهوة الباشا بحراوم سرقوا فاحضر الباشا بعض ارباب الدرك بتلك الناحية والزمه باحضار السراق والمسروق ولا يقبل له عذرا فى التأخير ولو صالح على نفسه بخزينة او اكثر من المال ولا يكون غير ذلك ابدا والا نكل به نكالا عظيما وهو الاخ وبعد ذلك تزحى فى طلب المهمة فامهله اياما وحضر بجماعة اشخاص واحضروا المسروق بتمامه لم ينقص منه شئ وامر بالسراق فخوزقوهم فى نواحى متفرقين بعد ان قرروهم على امثالهم وعرفوا عن اماكنهم وجمع منهم زيادة على الخمسين وشنق الجميع فى نواح متفرقة بالاقاليم مثل القليوبية والغربية والمنوفية (وفى منتصفه) يوم الجمعة الموافق لرابع مسرى القبطى اوفى النيل اذرعه وفتح سد الخليج يوم السبت (وفيه) وقع من النوادر ان امرأة ولدت مولودا برأسين واربعة ايد وله وجهان متقابلان والوجهان بكتفيهما مفروقان من حد الراس وقيل تحد الصدر والبطن واحدة وثلاثة ارجل واحدى الارجل لها عشرة اصابع فيقال انه اقام يوما وليلة حيا ومات وشاهده خلق كثير وطلعوا به الى القلعة ورآه كذا ابك وكل من كان حاضرا بديوانه

باعادة

له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع فقصده الفقهاء من البلاد فعظم ذلك على الكرامية وهم كثيرون بهراة واما الغورية فكلهم كرامية وكرهوه وكان أشد الناس عليه الملك ضياء الدين وهو ابن عم غياث الدين وزوج ابنته فاتفق ان حضر الفقهاء من الكرامية والحنفية والشافعية عند غياث الدين بفيروزكوه للمناظرة وحضر فخر الدين الرازي والقاضي مجد الدين عبد المجيد بن عمر المعروف بابن القدوة وهو من الكرامية الهيصمية وله عندهم محل كبير لزهده وعلمه وبيته فتكلم الرازي فاعترض عليه ابن القدوة وطال الكلام فقام غياث الدين فاستطال عليه الفخر وسبه وشتمه وبالغ في أذاه وابن القدوة لا يزيد على ان يقول لا يفعل مولانا لا واخذك الله استغفر الله فانفصلوا على هذا وقام ضياء الدين في هذه الحادثة وشكا الى غياث الدين وذم الفخر ونسبه الى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصغ غياث الدين اليه فلما كان الغد وعظ ابن عم المجد بن القدوة بالجامع فلما صعد المنبر قال بعد ان حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أيها الناس انا لا نقول الا ما صح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما علم ارسطاطاليس وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابي فلا نعلمها فلأي حال يشتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام يذب عن دين الله وعن سنة نبيه وبكى وضج الناس وبكى الكرامية واستغاثوا واعانهم من يؤثر بعد الفخر الرازي عن السلطان وثار الناس من كل جانب وامتلأ البلد فتنة وكادوا يقتتلون ويجري ما يهلك فيه خلق كثير فبلغ ذلك السلطان فارسل جماعة من عنده الى الناس وسكنهم ووعدهم باخراج الفخر من عندهم وتقدم اليه بالعود الى هراة فعاد اليها

ذكر مسير خوارزم شاه الى الري

في هذه السنة في ربيع الاول سار خوارزم شاه علاء الدين تكش الى الري وغيرها من بلاد الجبل لانه بلغه ان نائبه بها ميانجق قد تغير عن طاعته فسار اليه فلما قاربه ميانجق فعل يفر من بين يديه وخوارزم شاه في طلبه يدعوه الى الحضور عنده وهو يمتنع فاستأمن أكثر أصحابه الى خوارزم شاه وهرب هو فتحصن بقلعة من اعمال مازندران فامتنع بها فسارت العساكر في طلبه فاخذته واحضر بين يدي خوارزم شاه فامر بحبسه بشفاعة اخيه اقجه وسيرت الخلع من الخليفة لخوارزم شاه ولولده قطب الدين محمد وتقليد بما بيده من البلاد فلبس الخلعة واشتغل بقتال الملاحدة فافتتح قلعة على باب قزوين تسمى ارسلان كشاه وانتقل الى حصار الموت فقتل عليها صدر الدين محمد بن الوزان رئيس الشافعية بالري وكان قد تقدم عنده تقدما عظيما قتله الملاحدة وعاد خوارزم شاه الى خوارزم فوثب الملاحدة على وزيره نظام الملك مسعود بن علي فقتلوه في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين فامر تكش ولده قطب الدين بقصد الملاحدة فقصد قلعة ترشيش وهي من قلاعهم فحصرها فاذعنوا له بالطاعة وصالحوه على مائة الف دينار

ما يحصدونه من المنتجات التي لا حصر لها (ومنها) الحجر على المزارع التي يزرعها الفلاحون في الاراضي التي يدفعون خراجها من الكتان والسمسم والعصفر والنيلة والقطن والقرطم واذا بدا صلاحه لا يبيعون منه شيئا كعادتهم وانما يشتريه الباشا بالثمن الذي يفرضه ويقدره على يد امناء النواحي والكشاف ويحملونه الى المحل الذي يؤمرون بحمله اليه ويعطى لهم الثمن او يحسب لهم من اصل المال فان احتاجوا الى شئ من ذلك اشتروه بالثمن الزائد المفروض وكذلك القمح والفول والشعير لا يبيعون منه شيئا لغير طرف الباشا بالثمن المفروض والكيل الوافي (ومنها) الامر لكشاف الاقاليم بالمناداة العامة بالمنع ان يأخذوا ويأكلوا من الفول الاخضر والحمص والحلبة وان المعينين في الخدم والمباشرين وكشاف النواحي لا يأخذون شيئا من الفلاحين كعادتهم من غير ثمن فمن عثر عليه بأخذ شئ ولو رغيفا او تبنا او من رعي البهائم حصل له مزيد الضرر ولو كان من الاعاظم وكذلك الامر بتكميم افواه المواشي التي تسرح للرعي حوالي الجسور والغيطان (ومنها) ان تصرف انيا من الارض الترم وضع الابراد التي تاتي من بلاد الصعيد مثل الكتانية السوداء والتمر والانيجرون والسكر وغير ذلك بقدر كبير من الاكياس ونزل هو

شيئًا كثيرًا لانهم من ادخال الذخائر الكثيرة فيمنعهم كذلك اذا اتاهم خبر وصول نور الدين صاحب الموصل فقويت نفوسهم وعزموا على الامتناع فلما تقدم عسكره الى ذيل جبل ماردين قدر الله تعالى ان الملك الكامل بن العادل نزل بعسكره من ربض ماردين الى لقاء نور الدين وقتاله ولو اقاموا بالربض لم يمكن نور الدين ولا غيره الصعود اليهم ولا ازالتهم لكن نزلوا ليقضي الله امرا كان مفعولا فلما انحدروا من الجبل اقتتلوا وكان من عجيب الاتفاق ان قطب الدين صاحب سنجار كان قد واعد العسكر العادلي ان ينهزم اذا التقوا ولم يعلم بذلك احد من العسكر فقدر الله تعالى انه لما نزل العسكر العادلي واصطفت العساكر للقتال انحاز قطب الدين الضرورة بالزحمة الى ان وقف في مضيق بجبل ماردين ليس اليه طريق للعسكر العادلي ولا يرى الحرب الواقعة بينهم وبين نور الدين ففاته ما اراده من الانهزام فلما التقى العسكران واقتتلوا حمل ذلك اليوم نور الدين بنفسه واصطلى الحرب الناس انفسهم بين يديه فانهزم العسكر العادلي وصعدوا في الجبل الى الربض واسر منهم كثير فحملوا الى بين يدي نور الدين فاحسن اليهم ووعدهم الاطلاق اذا انفصلوا ولم يظن ان الملك الكامل ومن معه يرحلون عن ماردين سريعا فجاءهم امر لم يكن في الحساب فان الملك الكامل لما صعد الى الربض رأى اهل القلعة قد نزلوا الى الذين جعلوهم بالربض من العسكر فقاتلوهم ونالوا منهم ونهبوا فالقى الله الرعب في قلوب الجميع فاجمعوا اراءهم على مفارقة الربض بلا فرحلوا ليلة الاثنين سابع شوال وتركوا كثيرا من اثقالهم ورحالهم وما اعدوه فاخذه اهل القلعة ولو ثبت العسكر العادلي بمكانه لم يمكن احدا ان يقرب منهم ولما رحلوا نزل صاحب ماردين حسام الدين يولق بن ايلغازي الى نور الدين ثم عاد الى حصنه وعاد اتابك الى دنيسر ورحل عنها الى راس عين على عزم قصد حران وحصرها فاتاه رسول من الملك الظاهر يطلب الخطبة والسكة وغير ذلك فتغيرت نية نور الدين وفترت عزيمته عن حصرها فعزم على العود الى الموصل فهو يقدم الى العود رجلا ويؤخر اخرى اذ اصابه مرض فتحقق عزم العود الى الموصل فعاد اليها وارسل رسولا الى الملك الافضل والملك الظاهر يعتذر من عوده بمرضه فوصل الرسول ثاني ذي الحجة اليهم وهم على دمشق وكان عود نور الدين من سعادة الملك العادل فانه كان هو وكل من عنده ينتظرون ما يجيء من اخباره فان من بحران استسلموا فقدر الله تعالى انه عاد فلما عاد جاء الملك الكامل الى حران وكان قد سار عن ماردين الى ميافارقين فلما رجع نور الدين سار الكامل الى حران وسار الى ابيه بدمشق على ما ذكرناه فازداد به قوة والافضل ومن معه ضعفا

(ذكر الفتنة بفيروزكوه من خراسان)

في هذه السنة كانت فتنة عظيمة بعسكر غياث الدين ملك الغور وغزنة وهو بفيروزكوه عمت الرعية والملوك والامراء وسببها ان الفخر محمد بن عمر بن الحسين الرازي الامام المشهور الفقيه الشافعي كان قدم الى غياث الدين مفارقا لبهاء الدين سام صاحب باميان وهو ابن اخت غياث الدين فاكرمه غياث الدين واحترمه وبالغ في اكرامه وبنى

بذلك الهلال ومكان ويكون تمامه يوم الجمعة واخبر جماعة ايضا انهم رأوا الهلال شوال ليلة السبت وكان

قريبا في حساب قواعد الاهلة تلك الليلة قليلا جدا ولم يرى ثاني ليلة عند الابصار وانما اشتبه على الرائي لان المريخ كان مقارنا للزهرة في برج الشمس من خلفها وبينهما وبين الشمس نحو ما بعدها في شعاع الشمس شبه الهلال فظن الرائي انه الهلال فليتنبه لذلك فان ذلك من الدقائق التي تخفى على اهل الفطانة فضلا عن غيرهم من العوام الذين يسارعون الى افساد العبادات حسبة بالظنون الكاذبة لاجل ان يقال شهد فلان وشهد ذلك (وفي اواخره) قلد الباشا خصامن الارنؤد يسمى شريف اغا على دواوين المبتدعات وضم اليه جماعة من الكتبة ايضا المسلمين والاقباط وجعلوا ديوانهم ببيت ابي الشوارب وعمروه عمارة عظيمة وواظبوا الجلوس فيه كل يوم لتحرير المبتدعات ودفاتر المكوس

(واستهل شهر ذي القعدة سنة ١٢٣١)

(فيه) انهدم جانب من السواقي التي انشاها الباشا بشبرا على حين غفلة وقد قوي عليها النيل فتهدمت وتكسرت اخشابها وسقط معها اشخاص كانوا حولها فتخلص منهم من نجا وغرق منهم من غرق وكان الباشا بقصر شبرا قبالته وهو يرى ذلك وانقضت السنة واخبار بعض حوادثها واستمرار

الملك العادل قد سار من دمشق قاصدا مصر ومعه المماليك الناصرية وقد حلف معظم على ان يكون ولده الملك العزيز هو صاحب البلاد وهو المدبر للملك الى ان يكبر فساروا على ذلك وكان عسكر مصر قد تفرق عن الافضل من الخشي فسار كل منهم الى اقطاعه ليريحوا دوابهم فرام الافضل جمعهم من اطراف البلاد فاعجله الامر عن ذلك ولم يجتمع منهم الا طائفة يسيرة ممن قرب اقطاعه ووصل العادل فاشار بعض الناس على الافضل ان يحتمي بسور بلبيس ويقيم بالقاهرة واشار غيرهم بالتقدم الى اطراف البلاد ففعل ذلك فسار من بلبيس ونزل موضعا يقال له السائح في طرف البلاد والتقى هو والعادل سابع ربيع الآخر فانهزم الافضل ودخل القاهرة ليلا وفي تلك الليلة توفي القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني كاتب الانشاء لصلاح الدين ووزيره فحضر الافضل الصلاة عليه وسار العادل فنزل على القاهرة وحصرها فجمع الافضل من عنده من الامراء واستشارهم فرأى منهم تخاذلا فارسل رسولا الى عمه في الصلح وتسليم البلاد اليه واخذ العوض عنها وطلب دمشق فلم يجبه العادل فنزل عنها الى حران والرها فلم يجبه فنزل الى ميافارقين وحاني وجبل جور فاجابه الى ذلك وتحالفوا عليه وخرج الافضل من مصر ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر واجتمع بالعادل وسار الى صرخد ودخل العادل الى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر ولما وصل الافضل الى صرخد ارسل من تسلم ميافارقين وحاني وجبل جور فامتنع نجم الدين ايوب ابن الملك العادل من تسليم ميافارقين وسلم ما عداها فترددت الرسل بين الافضل والعادل في ذلك والعادل يزعم ان ابنه عصاه فامسك عن المراسلة في ذلك لعلمه ان هذا فعل بامر العادل ولما ثبت قدم العادل بمصر قطع خطبة الملك المنصور ابن الملك العزيز في شوال من السنة وخطب لنفسه وحاقق الجند في اقطاعاتهم واعترضهم في اصحابهم ومن عليهم من العسكر المقرر فتغيرت لذلك نياتهم فكان ما نذكره سنة سبع وتسعين ان شاء الله

(ذكر وفاة خوارزم شاه)

في هذه السنة في العشرين من رمضان توفي خوارزم شاه تكش بن ارسلان صاحب خوارزم وبعض خراسان والري وغيرها من البلاد الجبالية بشهرستانة بين نيسابور وخوارزم وكان قد سار من خوارزم الى خراسان وكان به خوانيق فاشار عليه الاطباء بترك الحركة فامتنع وسار فلما بلغ شهرستانة اشتد مرضه ومات ولما اشتد مرضه ارسلوا الى ابنه قطب الدين محمد يستدعونه ويعرفونه شدة مرض ابيه فسار اليهم وقد مات ابوه فولي الملك بعده ولقب علاء الدين لقب ابيه وكان لقبه قطب الدين وامر بحمل ابيه ودفن بخوارزم في تربة عملها في مدرسة بناها كبيرة عظيمة وكان عادلا حسن السيرة له معرفة حسنة وعلم بعرف الفقه على مذهب ابي حنيفة ويعرف الاصول وكان ولده علي شاه باصفهان فارسل اليه اخوه خوارزم شاه محمد يستدعيه فسار اليه ونهب اهل اصفهان خزانته ورحله فلما وصل الى اخيه ولاه حرب خراسان والتقدم على

وعدم الربح وتسعير الحال فيه المرة بعد المرة ويشكون من قلة الطلوب الى ان سعر رطله بستة وثلاثين نصفا فلم يرضوا بذلك وبالغوا في التعدي فطلب قواتهم وعمل حسابهم وزادهم خمسة انصاف في كل رطل وحلف ان لا يزيد على ذلك وهم مصممون على دعوى الخسران فاوصل من اتباعه شخصا تركيا لمباشرة البيع وعدم الزيادة فيأتي الى الخان في كل يوم يباشر البيع على من يشتري بذلك الثمن لاربابه ويمكث مقدار ساعتين من النهار ويغلق الحواصل ويرفع البيع اثناء يوم وفي طرف هاتين الساعتين تزدحم العسكر على الشراء ولا يتمكن خلافهم من اهل البلد من اخذ شيء ويخرج العسكر فيبيعون من الذي اشتروه على الناس بزيادة فاحشة فياخذ الرطل بقرش ويبيعه على غيره بقرشين ورفع التشكي الى الكتخدا فامر ببيعه عند باب زويلة في السبيلين المواجهة احدهما للباب والسبيل الذي ائتانه المستقبلة المرادية عند الخان تجاه الجامع المؤيدي ليسهل على العامة تحصيله وشراؤه فلم يزدد الحال الا عسرا وذلك ان البائع يجلس داخل السبيل ويغلق عليه بابه ويتناول من شبابيك السبيل من المشتري الثمن ويناوله الصابون فازدحمت طوائف العسكر على الشراء ويتعلقون بايديهم وارجلهم على شبابيك السبيلين

فقاربها واعمد المحرم لانه بلغه خبر مرض ابيه وكانوا راسلوه بالصلح فلا يعمل فلما سمع بمرض ابيه لم يرحل حتى صالحهم على المال المذكور والطاعة ورحل

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة في ربيع الاول توفي مجاهد الدين قايماز رحمه الله بقلعة الموصل وهو الحاكم في دولة نور الدين والمرجوع اليه فيها وكان ابتداء ولايته قلعة الموصل في ذي الحجة سنة احدى وسبعين وخمسمائة وولي اربل سنة تسع وخمسين وخمسمائة لما سار زين الدين علي كوجك سنة ثلاث وستين الى حران كم فيها ومعه من يختاره من اولاد زين الدين ليس لواحد منهم معه حكم وكان عاقلا ديناخيرا فاضلا يعرف الفقه على مذهب ابي حنيفة ويحفظ من التاريخ والاشعار والحكايات شيئا كثيرا وكان كثير الصوم يصوم من كل سنة نحو سبعة اشهر وله اوراد كثيرة حسنة كل ليلة ويكثر الصدقة وكان له فراسة حسنة فيمن يستحق الصدقة ويعرف الفقير المستحق ويبرهم وبنى عدة جوامع منها الجامع الذي بظاهر الموصل بباب الجسر وبنى الربط والمدارس والخانات في الطرق وله من المعروف شئ كثير رحمه الله فلقد كان من محاسن الدنيا وفيها فارق غياث الدين صاحب غزنة وبعض خراسان مذهب الكرامية وصار شافعي المذهب وكان سبب ذلك انه كان عنده انسان يعرف بالفخر مبارك شاه يقول الشعر بالفارسية متفننا في كثير من العلوم فاوصل الى غياث الدين الشيخ وجيه الدين ابا الفتح محمد بن محمود المرورودي الفقيه الشافعي فاوضح له مذهب الشافعي وبين له فساد مذهب الكرامية فصار شافعيا وبنى المدارس للشافعية وبنى بغزنة مسجدا لهم ايضا واكثر مراعاتهم فخرق الكرامية في اذى وجيه الدين فلم يقدرهم الله تعالى على ذلك وقيل ان غياث الدين واخاه شهاب الدين لما ملكا خراسان قيل لهما ان الناس في جميع البلاد يزرون على الكرامية ويحتقرونهم والرأى ان تفارقا مذاهبهم فصارا شافعيين وقيل ان شهاب الدين كان حنفيا والله اعلم وفي هذه السنة توفي ابو القاسم يحيى بن علي بن فضلان الفقيه الشافعي وكان اماما فاضلا ودرس ببغداد وكان من اعيان اصحاب محمد بن يحيى النيسابوري

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة)

●(ذكر ملك العادل الديار المصرية)●

قد ذكرنا سنة خمس وتسعين حصر الافضل والظاهر ولدى صلاح الدين دمشق ورحيلهما الى راس الماء على عزم المقام بحوران الى ان يخرج الشتاء فلما اقاموا براس الماء وجد العسكر بردا شديدا لان البرد في ذلك المكان في الصيف موجود فكيف في الشتاء فتغيرا العزم على المقام واتفقوا على ان يعود كل انسان منهم الى بلده ويعودوا الى الاجتماع فتفرقوا تاسع ربيع الاول فعاد الظاهر وصاحب حمص الى بلادهما وسار الافضل الى مصر فوصل بلبيس فاقام بها ووصلته الاخبار بان عمه

شر احساوون غيره ويبيعه ابا شئ الذى يقرضه وبقدار ما القوم يدفعه من الاكياس المخزينة على ما بلغنا خمسمائة كيس وكانت في ايام الامراء المصريين عشرة اكياس لاغير فلما تولى علي وكالة دار السعادة صالح بك المحمدي زادها عشرة اكياس وكانت وكالة الابزار والقطن وقفا اصليا اظلار السعادة سابقا على خيرات الحرمين وخلافهما فلما كانت هذه الدولة تولاها شخص على ماتي كيس وعند ذلك سعر الابزار اضعاف الثمن الاصلي ومن داخل الابزار الثمر الاحمر بى والسلطاني والخوص والقاطف والسلب والليف وبلغ سعر القفص الذي يسع الكيلة من البرغمة وعشرين نصفا وكان يباع بنصف او نصفين ان كان جيدا وفي الجملة باقل من ذلك (ومنها) ان كرانيت معلم ديوان الكمرك ببولاق البرغية جهة الجمالية واحدث عليها وعلى توابعها حوادث وعلى النساء البلانات في كل جمعة قدرا من الدراهم وجعل لنفسه يوما في كل جمعة ياخذ ايراده من كل حمام (ومنها) ما حصل في هذه السنة من شحة الصابون وعدم وجوده بالاسواق ومع المراحمين وهو شئ لا يستغنى عنه الغني ولا الفقير وذلك ان تجاره بوكالة الصابون زادوا في ثمنه محتجين بما عليهم من المغارم والرواتب لاهل الدولة فيامر الكتخدا فيه بامر وسعر بثمن فيدعون الخسران

صلاح الدين بحلقه وبحضوره وبكرمه وبرجع الى قوله رحمهما الله تعالى

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك الملك الظاهر صاحب حلب منبج وغيرها من الشام وحصره هو وأخوه الافضل مدينة دمشق وعودهما عنها)

قد ذكرنا قبل ملك العادل ديار مصر وقطعه خطبة الملك المنصور ولد الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب وانه لما فعل ذلك لم يرضه الامراء المصريون وخبثت نياتهم في طاعته فراسلوا أخويه الظاهر بحلب والافضل بصرخد وتكررت المكاتبات والمراسلات بينهم يدعونهما الى قصد دمشق وحصرها ليخرج الملك العادل اليهم فاذا خرج اليهم من مصر أسلموه وصاروا معهما فاتسع الكلام وكثر ذلك حتى فشا الخبر واتصل بالملك العادل وانضاف الى ذلك ان النيل لم يزد بمصر الزيادة التي تركب الارض ليزرع الناس فعظم الغلاء فضعفت قوة الجند وكان فخر الدين جهاركس قد فارق مصر الى الشام هو وجماعة من المماليك الناصرية فحصر بانياس ليأخذها لنفسه بأمر العادل وكانت لأمير كبير تركي اسمه بشارة قد تهمه العادل فأمر جهاركس بذلك وكان أمير من أمراء العادل يعرف بعز الدين أسامة قد حج هذه السنة فلما عاد من الحج وقارب صرخد نزل الملك الافضل فلقيه وأكرمه ودعاه الى نفسه فأجابه وحلف له وعرفه الافضل جلية الحال وكان أسامة من بطانة العادل وانما حلف ليكشف له الامر فلما فارق الافضل أرسل الى العادل وهو بمصر يعرفه الخبر جميعه فأرسل الى ولده الذي بدمشق يأمره بحصر الافضل بصرخد وكتب الى اياس جهاركس وميمون القصري صاحب بلبيس وغيرهما من الناصرية يأمرهم بالاجتماع مع ولده على حصر الافضل وسمع الافضل الخبر فسار الى أخيه الظاهر بحلب مستهل جمادى الاولى من السنة ووصل الى حلب عاشر الشهر وكان الظاهر قد أرسل أميرا كبيرا من امرائه الى عمه العادل فمنعه العادل من الوصول اليه وأمره بان يكتب رسالته فلم يفعل وعاد لوقته فحرك الظاهر لذلك وجمع عسكره وقصد منبج فملكها السادس والعشرين من رجب وسار الى قلعة نجم وحصرها فتسلمها سلخ رجب وأما الملك المعظم عيسى بن العادل المقيم بدمشق فانه سار الى بصرى وأرسل الى جهاركس ومن معه وهم على بانياس يحصرونها يدعوهم اليه فلم يجيبوه الى ذلك بل غالطوه فلما طال مقامه على بصرى عاد الى دمشق وأرسل الامير أسامة اليهم يدعوهم الى مساعدته فاتفق انه جرى بينه وبين البكاء الفارس بعض المماليك الناصرية منافرة فأغلظ له البكاء القول وتعدى الى الفعل باليد وثار العسكر جميعه على أسامة فاستذم بميمون فآمنه وأعاده الى دمشق واجتمعوا كلهم عند الملك الظافر خضر بن صلاح الدين وأنزلوه من صرخد وأرسلوا الى الملك الظاهر والافضل يحثونهما على الوصول اليهم والملك الظاهر يتربص ويتوقف ووصل من منبج الى حماة في عشرين يوما وأقام على حماة يحصرها وبها صاحبها ناصر الدين

على ان من كان له نوع مقدرة على الهدم والبناء لا يجد من أدواته شيئا بسبب التقصير الواقع في ارباب الاشغال واستعمال الجميع في عمائر الباشا وأكابر الدولة حتى ان الانسان اذا احتاج لبناء كانون لا يجد من يبنيه ولا يقدر على تحصيل صانع أو فاعل أو أخذ شيء من رماد الحمام الا بغرامات ومن حصل شيئا من ذلك على طريق السرقة في غفلة وعثر عليه نكلوا به وبرئيس الحمام وحمير الباشا وهي أزيد من الفي حمار تنقل بالمزابل والسرقانيات طول النهار ما يوجد بالحمامات من الرماد وتنقل ايضا الطوب والدبش والاتربة وانقاض البيوت المنهدمة لعمل العمائر بالقلعة وغيرها فترى الاسواق والعطف مزدحمة بقطارات الحمير الذاهبة والراجعة واذا هدم انسان داره التي أمروه بهدمها وصل اليه في الحال قطار من الحمير لاخذ الطوب الذي يتساقط الا ان يكون من أهل القدرة على منعهم وربما كانت هذه الاوامر حيلة على أخذ الانقاض وأما الاتربة فتبقى بحالها حتى في طرق المارة للعجز عن نقلها فترى غالب الطرق والنواحي مردومة بالاتربة وأما الهدم ونقل الانقاض من البيوت الكبار والدور الواسعة التي كانت مساكن الامراء المصريين بكل ناحية وخصوصا بركة الفيل وجهة الحبانية فهو مستمر حتى بقيت [illegible] خرائب ودعائم قائمة وكيمان

جنده وأرسل إليه نيسابور وكان عنده وهو نائب شاه بن خوارزم شاه تكش يخاف عمه
محمداً ويرهب منه وذهب كثير من خزائن جنده تكش للماليك وكان معه وسار إلى مرو
ولما سمع غياث الدين ملك الغزنة وفاة خوارزم شاه أمر أن لا تضرب نوبته ثلاثة أيام
وجلس للعزاء مع ما بينهما من العداوة والمحاربة فعل ذلك عقلاً منه ومروءة ثم إن هندو
خان جمع جمعاً كثيراً بخراسان فسير إليه عمه خوارزم شاه جيشاً مقدمهم جقر التركي
فلما سمع هندو خان عبر بهم هرب من خراسان وسار إلى غياث الدين يستنجده على عمه
فأكرمه غياث الدين وأقطعه ووعده النصرة فأقام عنده ودخل جقر مدينة مرو وبها
والدة هندو خان وأولاده فأحسن إليهم ولم يصادرهم فأمر بإرسالهم إلى خوارزم
فكرهوا ذلك فلما سمع غياث الدين ذلك أرسل إلى محمد بن جربك صاحب الطالقان يأمره أن
يرسل إلى جقر يتهدده ففعل وسار من الطالقان فأخذ مرو الروذ وبنج ده قرى وتسمى
بالفارسية بنج ده وأرسل إلى جقر يأمره بإقامة الخطبة لغياث الدين أو يفارق البلد
فأعاد الجواب يتهدد ابن جربك ويتوعده وكتب إليه سراً يسأله أن يأخذ له أماناً من
غياث الدين ليحضر في خدمته فكتب إلى غياث الدين بذلك فلما قرأ كتابه علم أن
خوارزم شاه ليس له قوة فطلب ذلك طالب جقر الانحياز إليه فقوي طمعه في البلاد وكتب
إلى أخيه شهاب الدين يأمره بالخروج إلى خراسان ليتفقا على أخذ بلاد خوارزم شاه محمد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في جمادى الآخرة وثب الإسماعيلية على نظام الملك مسعود
ابن علي وزير خوارزم شاه تكش فقتلوه وكان صالحاً كثير الخير حسن السيرة شافعي
المذهب بنى للشافعية بمرو جامعاً مشرفاً على جامع الحنفية فتعصب شيخ الإسلام وهو
مقدم الحنابلة بها فيه من الرياسة وجمع الأوباش فأحرقه فأنفذ خوارزم شاه فأحضر شيخ
الإسلام وجماعة ممن سعى في ذلك فأغرمهم مالاً كثيراً وبنى الوزير أيضاً مدرسة عظيمة
بخوارزم وجامعاً وجعل فيها خزانة كتب وله آثار حسنة بخراسان باقية ولما مات
خلف ولداً صغيراً فاستوزره خوارزم شاه رعاية لحق أبيه فأشير عليه أن يستعفي فأرسل
يقول إني صبي لا أصلح لهذا المنصب الجليل فيولي السلطان فيه من يصلح له إلى أن أكبر
فإن كنت أصلح فأنا المملوك فقال خوارزم شاه لست أعفيك وأنا وزيرك فكن تراجعني
في الأمور فإنه لا يقف منها شيء فاستحسن الناس هذا ثم إن الصبي لم تطل أيامه فتوفي
قبل خوارزم شاه بيسير وفي هذه السنة في ربيع الأول توفي شيخنا أبو الفرج عبد المنعم
ابن عبد الوهاب بن كليب الحراني المقيم ببغداد وله ست وتسعون سنة وشهران وكان
عالي الإسناد في الحديث وكان ثقة صحيح السماع وفي ربيع الآخر منها توفي القاضي
الفاضل عبد الرحيم البيساني الكاتب لم يكن في زمانه أحسن كتابة منه ودفن بظاهر
مصر بالقرافة وكان ديناً كثير الصدقة والعبادة وله وقوف كثيرة على الصدقة وفك
الأسارى وكان يكثر الحج والمجاورة مع اشتغاله بخدمة السلطان وكان السلطان

والعامة أسفلهم لا يتمكنون من أخذ شيء ويمنعون من يزاحمهم فيكرون على الدبابيز ضجة وصياح من الفريقين فلا
يبيع ابن البلد الفقير المضطر
الآن يشتري من العسكري
بما أحب وإلا رجع إلى منزله
من غير شيء واستمر الحال
على هذا المنوال أياماً وفي
بعض الأحايين يكثر وجود
الصابون بين أيدي الباعة
بوسط السوق ولا تجد عليه
تزاحمة وأمام الباب مع كوم
عظيم وهو يعتذر ممن يشتري
وذلك في غالب الأسواق مثل
الموردة والأشرفية وباب زويلة
والبندقانيين والجهات
الخارجية ثم يصبحون فلا
يوجد منه شيء ويرجع
الازدحام على الصابون
كالأول (ومنها) أن الباشا
أطلق المناداة في البلدة وندب
جماعة من المهندسين
والمباشرين للكشف على
الدور والأماكن فإن وجدوا
به أو ببعضه خللاً أمروا
صاحبه بهدمه وتعميره
فإن كان يعجز عن ذلك فيؤمر
بالخروج منها وإخلائها
ويعادونها وقفاً على طرف
الميري وتصير من حقوق الدولة
وسبب هذه النكتة أنه بلغ
الباشا سقوط دار ببعض
الجهات وماتت تحت ردمها
ثلاثة أشخاص من سكانها
فأمر بالمناداة وأرسل المهندسين
والأمر بعلاوة كرغل بأهالي
البلد من الكرب أمر عظيم مع ما هم فيه من الإفلاس وقطع الإيراد وغلو الأسعار

كتاب ابن خرميل الى غياث الدين في معنى جقر وعلم ان هذا انما دعاه الى الانتماء اليهم
ضعف صاحبه فوصل الى اخيه شهاب الدين بن... يدعوه الى خراسان فسار من غزنة في
عساكره وجنوده وعدته وما يحتاج اليه وكان بهراة الامير عمر بن محمد المرغني من اتباع
غياث الدين وكان يكره خروج غياث الدين الى خراسان فاحضره غياث الدين واستشاره
فاشار بالكف عن قصدها وترك المسير اليها فانكر عليه ذلك واراد ابعاده عنه ثم تركه
ووصل شهاب الدين في عساكره وعساكر سجستان وغيرها في جمادى الاولى من هذه
السنة فلما وصلوا الى ميهنة وهي قرية بين الطالقان وكرز بان وصل الى شهاب الدين
كتاب جقر مستحفظ مرو يطلبه ليسلمها اليه فاستاذن اخاه غياث الدين فاذن له فسار
اليها فخرج اهلها مع العسكر الخوارزمي وقاتلوه فامر اصحابه بالحملة عليهم واخذ في قتالهم
فحملوا عليهم فادخلوهم البلد وزحفوا بالفيلة الى ان قاربوا السور فطلب اهل البلد
الامان فامنهم وكف الناس عن التعرض اليهم وخرج جقر الى شهاب الدين فوعده
الجميل ثم حضر غياث الدين الى مرو بعد فتحها فاخذ جقر وسيره الى هراة مكرما وسلم
مرو الى هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش وقد ذكرنا هربه من عمه خوارزم
شاه محمد بن تكش الى غياث الدين ووصاه بالاحسان الى اهلها ثم سار غياث الدين الى
مدينة سرخس فاخذها صلحا وسلمها الى الامير زنكي بن مسعود وهو من اولاد عمه
واقطعه معها نسا وابيورد ثم سار بالعساكر الى طوس فاراد الامير الذي بها ان يمتنع
فيها ولا يسلمها فاغلق باب البلد ثلاثة ايام فبلغ الخبز ثلاثة امنان بدينار ركني فضج
اهل البلد عليه فارسل الى غياث الدين يطلب الامان فامنه فخرج اليه فخلع عليه وسيره
الى هراة ولما ملكها ارسل الى علي شاه بن خوارزم شاه تكش وهو نائب اخيه علاء
الدين محمد بنيسابور يامره بمفارقة البلد ويحذره ان اقام سطوة اخيه شهاب الدين وكان
مع علي شاه عسكر من خوارزم شاه فاتفقوا على الامتناع من تسليم البلد وحصروه وخربوا
ما بظاهره من العمارة وقطعوا الاشجار وسار غياث الدين الى نيسابور فوصل اليها اوائل
رجب وتقدم عسكر اخيه شهاب الدين الى القتال فلما راى غياث الدين ذلك قال لولده
محمود قد سبق عسكر غزنة بفتح مرو وهم يريدون ان يفتحوا نيسابور ويحصلون بالاسم
فاحمل الى البلد ولا ترجع حتى تصل السور فحمل وحمل معه وجوه الغورية فلم يردهم
احد عن السور حتى اصعدوا علم غياث الدين عليه فلما راى شهاب الدين علم اخيه على
السور قال لاصحابه اقصدوا ابنا هذه الناحية واصعدوا السور من ههنا واشار الى مكان
فيه فقصدوا السور وهدموه فضج الناس بالتكبير وذهل الخوارزميون واهل البلد ودخل
الغورية البلد وملكوه عنوة ونهبوه ساعة من نهار فبلغ الخبر الى غياث الدين فامر
بالنداء من نهب مالا او آذى احدا فدمه حلال فاعاد الناس ما نهبوه عن آخره ولقد
حدثني بعض اصدقائنا من التجار وكان بنيسابور في هذه الحادثة نهب من متاعي شيء
من جملته سكر فلما سمع العسكر النداء ردوا جميع ما اخذوا مني وبقي لي بساط وشيء من
السكر مع جماعة فطلبته منهم فقالوا اما السكر فاكلناه فقال الشان لا يسمع احد وان اردت

الآن فانهم اتخذوا دورا وقصورا وبساتين بمصر القديمة لسكنهم فهم يقيمون ايضا وينقلون لابنيتهم
ما شاؤا ولا حرج عليهم وانما
الحرج والمنع والحجر والهدم
على المسلمين من اهل البلدة
فقط (ومنها) ان الباشا لما
بنا عمارا لكن للعسكر الذين
اخرجهم من مصر بالاقاليم
بنى وبنا القشلات بكل جهة
من اقاليم الارياف لسكن
العساكر المقيمين بالنواحي
لتضررهم من الاقامة الطويلة
بالخيام في الحر والبرد واحتياج
الخيام في كل حين الى تجديد
وترقيع وكثير خدمة وهي جمع
قشلة بكسر القاف وسكون
الشين وهي في اللغة التركية
المكان الشتوي لان الشتاء في
لغتهم يسمى قش بكسر القاف
وسكون الشين فكتب مراسيم
الى النواحي بسائر القرى
بالامر لهم بعمل الطوب اللبن
ثم حرقه وجلبه الى محل البناء
وفرضوا على كل بلد وقرية فرضا
وعددا معينا فيفرض على
القرية مثلا خمسمائة الف اجرة
واكثر بحسب كبر القرية
وصغرها فيجمع كاشف
الناحية مشايخ القرى ثم
يفرض على كل شيخ قدرا
وعددا من اللبن عشرين الفا
او ثلاثين الفا او اكثر او اقل
ويلزم بضربه واحراقه ورفعه
واجلهم مدة ثلاثين يوما
وفرضوا على كل قرية ايضا
مقادير من اطلاق النخيل
ومقادير من الجريد ثم فرضوا عليهم ايضا انفارا من الرجال لحمل الاشغال والعمائر يستعملونهم في فعالة تقل

محمد بن تقي الدين الى تاسع عشر شهر رمضان فاصطلحا وحمل له ابن تقي الدين ثلاثين الف دينار صورية وساروا عنها الى حمص وساروا منها الى دمشق على طريق بعلبك فنزلوا عليها عند مسجد القدم فلما نزلوا على دمشق أتاهم المماليك الناصرية مع الملك الظافر خضر ابن صلاح الدين وكانت القاعدة استقرت بين الظاهر وأخيه الافضل أنهم اذا ملكوا دمشق تكون بيد الافضل ويسيرون الى مصر فاذا ملكوها تسلم الظاهر دمشق ويبقى الشام جميعه له وتبقى مصر للافضل وسلم الافضل صرخد الى زين الدين قراجة مملوك والده ليجعله في خدمته وانزل والدته وأهله منها وسيرهم الى حمص فاقاموا عند أسد الدين شيركوه صاحبها وكان الملك العادل قد سار من مصر الى الشام فنزل على مدينة نابلس وسير جمعا من العسكر الى دمشق ليحفظها فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل ووصل فخر الدين جهاركس وغيره من الناصرية فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل وزحفوا الى دمشق وقاتلوها رابع عشر ذي القعدة واشتد القتال عليها فالتصق الرجال بالسور فادركهم الليل فعادوا وقد قوي الطمع في أخذها ثم زحفوا اليها مرة ثانية وثالثة فلم يبق الا ملكها والان العسكر صعد الى سطح خان ابن المقدم وهو ملاصق السور فلو لم يدركهم الليل لملكوا البلد فلما أدركهم الليل وهم عازمون على الزحف بكرة وليس لهم من البلد مانع حسد الظاهر أخاه الافضل فارسل اليه يقول له تكون دمشق له وبيده ويسير العساكر معه الى مصر فقال له الافضل قد علمت ان والدتي وأهلي وهم اهلك أيضا على الارض ليس لهم موضع يأوون اليه فاحسب ان هذا البلد لك تعيرنا اياه ليسكنه أهلي هذه المدة الى ان يملك مصر فلم يجبه الظاهر الى ذلك ولج فلما رأى الافضل ذلك الحال قال للناصرية وكل من جاء اليهم من الجند ان كنتم جئتم الى فقد اذنت لكم في العود الى العادل وان كنتم جئتم الى أخي الظاهر فانتم وهو اخبر وكان الناس كلهم يريدون الافضل فقالوا انما نريدك والعادل احب الينا من اخيك فاذن لهم في العود فهرب فخر الدين جهاركس وزين الدين قراجة الذي اعطاه الافضل صرخد فمنهم من دخل دمشق ومنهم من عاد الى اقطاعه فلما انفسخ الامر عليهم عادوا الى تجديد الصلح مع العادل فترددت الرسل بينهم واستقر الصلح على ان يكون للظاهر منبج وافامية وكفرطاب وقرى معينة من المعرة ويكون للافضل سميساط وسروج ورأس العين وجملين ورحلوا عن دمشق أول المحرم سنة ثمان وتسعين فقصد الافضل حمص فاقام بها وسار الظاهر الى حلب ووصل العادل الى دمشق تاسع المحرم وسار الافضل اليه من حمص فاجتمع به بظاهر دمشق وعاد من عنده الى حمص وسار منها الى سميساط فتسلمها وتسلم باقي ما استقر له برأس العين وسروج وغيرها

(ذكر ملك غياث الدين واخيه ما كان لخوارزم شاه بخراسان)

قد ذكرنا مسير محمد بن خرميل من الطالقان واستيلاءه على مرو ودخول جقر التركي نائب علاء الدين محمد بن خوارزم شاه بمرو ان يكون في جملة عسكر غياث الدين ولما وصل

كتاب

ها الهوا اختلفت بها الطارق واصبحت موحشة ولا مارى بها حتى اليوم بعد ان كانت مراتع غزلان فكانت كما وانها كما قال القائل

هذى منازل اقوام عهدتهم
في خفض عيش نعيم ماله خطر
صاحت بهم نوب الايام فارتحلوا
الى القبور فلا عين ولا اثر

وكذلك بولاق التى كانت منتزه الاحباب والرفاق فانه تسلط عليها كل من سليمان اغا السلحدار واسمعيل باشا فى الهدم واخذ انقاض الابنية لابنيتهم بين انبابة والجزيرة الوسطى بين انبابة وبولاق فان سليمان اغا انشأ بستانا كبيرا بين انبابة وسورها وبنى به قصرا وسواقى واخذ يهدم ابنية بولاق من الوكائل والدور وينقل احجارها وانقاضها فى المراكب ليلا ونهارا الى البر الآخر واسمعيل باشا كذلك انشأ بستانا وقصرا بالجزيرة وشرع ايضا فى اتساع سرايته وعمل سكنه ببولاق واخذ الدور والمساكن والوكائل من حد الشون القديم الى آخر وكالة الارز العظيمة ولا يهدمون الدور وغيرها من غير مانع ولا شافع وينقلون الانقاض الى محل البناء وكذلك ولى خوجه شرع فى بناء قصر بالروضة ببستان فهو الا[illegible] ثم يهدم ما يجمعه من مصر القديمة وينقل انقاضه لبنائه وهلك قبل انقضائه واما نصارى الارمن وسائر النصارى الارمن الذين هم اخصاء الدولة

من المكاسب التى كانوا يتوسعون بها فى معايشهم باقتناء المواشى والحلى اقتناء فالواما عقا تزرع هذه الاشياء

الامراء يطلبون الصلح ويرغبون فيه وكان نور الدين قد سمع بان الصلح قد ابتدا بين الملك العادل والملك القاهر والافضل واضاف الى ذلك كثرة الامراض فى عسكره فاجاب اليه وحلف الملك الظاهر ومن عنده من اكابر الامراء على القاعدة التى استقرت وحلفوا انهم يحافون الملك العادل له فان امتنع كانوا معه عليه وحلف هو والملك العادل وسارت الرسل من عنده ومن عند ولده فى طلب اليمين من العادل فاجاب الى ذلك وحلف له واستقرت القاعدة وامنت البلاد وعاد نور الدين الى الموصل فى ذى القعدة من السنة

(ذكر ملك شهاب الدين نهروالة)

لما سار شهاب الدين من خراسان على ما ذكرناه لم يقم بغزنة وقصد بلاد الهند وارسل مملوكه قطب الدين ايبك الى نهروالة فوصلوا صفر سنة عمار ونحو من خلفه عسكر الهند فقاتلوه قتالا شديدا فهزمهم ايبك واستباح معسكرهم وما معهم فيه من الدواب وغيرها وتقدم الى نهروالة فملكها عنوة وهرب ملكها فجمع وحشد فكثر جمعه وعلم شهاب الدين انه لا يقدر على حفظها الا بان يقيم هو فيها او يجعلها من اهلها فيتعذر عليه ذلك فان البلد عظيم هو اعظم بلاد الهند واكثرها اهلا فصالح صاحبها على مال يؤديه اليه عاجلا وآجلا واعاد عسكره عنها وسلمها الى صاحبها

(ذكر ملك ركن الدين ملطية من اخيه وارزن الروم)

فى هذه السنة فى شهر رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان مدينة ملطية وكانت لاخيه معز الدين قيصرشاه فسار اليه وحصرها اياما وملكها وسار منها الى ارزن الروم وكانت لولد الملك ابن محمد بن صلتق وهم بيت قديم ملكوا ارزن الروم مدة طويلة فلما سار اليها وقاربها خرج صاحبها اليه ثقة به ليقرر معه الصلح على قاعدة يؤثرها ركن الدين فقبض عليه واعتقله عنده واخذ البلد وكان هذا آخر اهل بيته ملكوا فسبحان الله الحى القديم الذى لا يزول ملكه ابدا سرمدا

(ذكر وفاة سقمان صاحب آمد وملك اخيه محمود)

فى هذه السنة توفى قطب الدين سقمان بن محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب آمد وحصن كيفا سقط من سطح جوسق كان له بظاهر حصن كيفا فمات وكان شديد الكراهة لاخيه محمود والنفور عنه قد ابعده واترله حصن منصور فى آخر بلادهم واتخذ له مملوكا اسمه اياس فزوجه اخته واحبه حبا شديدا وجعله ولى عهده فلما توفى ملك بعده عدة ايام وتهدد وزيرا كان لقطب الدين وغيره من امراء الدولة فارسلوا الى اخيه محمود سرا يستدعونه فسار مجدا ووصل الى آمد وقد سبقه اليها اياس مملوك اخيه فلم يقدم على الامتناع فتسلم محمود البلاد جميعها وملكها وحبس المملوك فبقى مدة محبوسا ثم شفع فيه صاحب بلاد الروم فاطلق من الحبس وسار الى الروم فصار اميرا من امراء الدولة

(ذكر عدة حوادث)

وظنوا ان يتركوا على هواهم ونسوا امكر اولى ما بهم تتوال عليهم الامر والالزام بزرع الضعف فضجوا وزجوا واستشفعوا ورضوا بمقدار العام الماضى فمنهم من سومح ومنهم من لم يسامح وهو دون المقدر وبعد اتمامه وكمال صلاحه يؤخذ بالثمن المفروض على طرف الميرى ويباع لمن يشترى من اربابه او خلافهم بالثمن المقدر وربح زيادته لطرف حضرة الباشا مع التضييق والحجر البليغ والفحص عن الاختلاس فمن عثر واعلم باختلاس شئ ولو قليلا عوقب عقابا شديدا البرتدع خلافه والكتبة والموظفون لقصر بركل صنف ووزنه وضبطه فى تنقلات الطواره وعند تسليم الصناع ونتج من ذلك واستمر عزة الاشياء وغلو الاسعار على الناس منها ان المقطع القماش الذى كان ثمنه ثلاثين نصفا بلغ سعره عشرة قروش مع عزة وجدانه بالاسواق المعدة لبيعه مثل سوق مرجوش وخلافه خلا الطواقى به والثوب البطانة الذى كان ثمنه قرشين بلغ ثمنه سبعة قروش وادركناه فى الازمان السابقة يباع بعشرين نصفا وبلغ ثمن الثوب من البفتة الهلاوى اربعة عشر قرشا وكان يباع فيما ادركنا بدكان التاجر بستين نصفا

عنه اعطيناك فقالت انا في حل منه ولم يكن البساط مع ارسلان قال فمشيت الى باب البلد مع النظارة فرايت البساط الذي لي قد القي عند باب البلد يعبر احد ياخذه فاخذته وقلت هذا لي فطالبوني من يشهد به فاحضرت من شهد لي واخذته ثم ان الخوارزميين تحصنوا بالجامع فاخرجهم اهل البلد فاخذهم الغورية ونهبوا اموالهم واخذ علي شاه بن خوارزم شاه واحضر عند غياث الدين راجلا فانكر ذلك على من احضره وعظم الامر فيه واحضر له دابة كانت لعلي شاه وقال لغياث الدين اهكذا يفعل باولاد الملوك فقال لا بل هكذا واخذ بيده واقعده معه على السرير وطيب نفسه وسير جماعة الامراء الخوارزمية الى هراة تحت الاستظهار واحضر غياث الدين ابن عمه وصهره وهو على ابنته ضياء الدين محمد بن ابي علي الغوري وولاه خراسان وخراجه ولقبه علاء الدين وجعل معه وجوه الغورية ورحل الى هراة وسلم علي شاه الى اخيه شهاب الدين واحسن الى اهل نيسابور وفرق فيهم مالا كثيرا ثم رحل بعده شهاب الدين الى ناحية قهستان ووصل الى قرية فذكر له ان اهلها اسماعيلية فامر بقتل المقاتلة ونهب الاموال وسبي الذراري وخرب القرية وجعلها خاوية على عروشها ثم سار الى كناباد وهي من المدن التي جميع اهلها اسماعيلية فنزل عليها وحصرها فارسل صاحب قهستان الى غياث الدين يشكو ويقول بيننا عهد فما الذي بدا منا حتى تحاصر بلدي واشتد خوف الاسماعيلية الذين بالمدينة من شهاب الدين فطلبوا الامان ليخرجوا من البلد فامنهم واخرجهم وملك المدينة وسلمها الى بعض الغورية فاقام بها الصلوات وشعار الاسلام ورحل شهاب الدين فنزل على حصن آخر للاسماعيلية فوصل اليه رسول اخيه غياث الدين فقال الرسول هذا تقدم من السلطان فلا تجري حربا فقد امنهم فقال لا ارحل قال اذن افعل ما امرني قال افعل فسل سيفه وقطع اطناب سرادق شهاب الدين وقال ارحل بتقدم السلطان فرحل شهاب الدين والعسكر وهو كاره الى بلد الهند ولم يقم بغزنة غضبا لما فعله اخوه معه

(ذكر قصد نور الدين بلاد العادل والصلح بينهما)

في هذه السنة ايضا تجهز نور الدين ارسلان صاحب الموصل وجمع عساكره وسار الى بلاد الملك العادل بالجزيرة حران والرها وكان سبب حركته ان الملك العادل لما ملك مصر على ما ذكرناه قبل اتفق نور الدين والملك الظاهر صاحب حلب وصاحب ماردين وغيرهما على ان يكونوا يدا واحدة متفقين على منع العادل عن قصد احدهم فلما تجددت حركة الافضل والظاهر ارسلا الى نور الدين ليقصد البلاد الجزرية فسار عن الموصل في شعبان من هذه السنة وسار معه ابن عمه قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي صاحب سنجار ونصيبين وصاحب ماردين ووصل الى راس العين وكان الزمان قيظا فكثرت الامراض في عسكره وكان بحران ولد العادل يلقب بالملك الفائز ومعه عسكر يحفظ البلاد فلما وصل نور الدين الى راس العين جاءت رسل الفائز ومن معه من اكابر

الامراء

ادوات العمارة في النواحي حتى الاسكندرية وثلاثة ارطال واجراء الخبز في كل يوم لكل شخص صنعة اصناف فضة لا غير ولمن يعمل الآن اجرة ايضا ولثمن الافلاق والحديد قدر معلوم لكنه قليل (ومنها) انه توجه الامر لكشاف النواحي عند انكشاف المياه عن الاراضي بان يتقدموا الى الفلاحين بان من كان زارعا في العام الماضي فدانا كتان او حمص او سمسم او قطن فليزرع في هذه السنة اربعة افدنة ضعف ما تقدم لان المزارعين عزموا على عدم زراعة هذه الاشياء لما حصل لهم من اخذ غلات متاعهم وزراعاتهم التي دفعوا خراجها الزائد بدون القيمة التي كانوا يبيعون بها مع قلة الخراج الذي كانوا يعاملون فيه الملتزمين السابقين مع التظلم والتشكي فيزرع الزارع ما يزرعه من هذه الاشياء من التقاوى المتروكة في مخزنه ثم يبيع الفدان من الكتان الاخضر في غيطه ان كان مستعجلا بالثمن الكثير والا ابقاه الى تمام صلاحه وتصبيعه وبدقه ويبيع ما يبيعه من البزر خاصة بالفلس على ثم يتمم خدمته من التعطين والنشر والتجفيف الى ان يصفى وينظف من ادرانه وخشونته ويصلح للغزل والقبح فيباع يتلذذ بالاوقية والرطل وكذا القطن والنيلة والعصفر لما وقع عليهم التحجير وجبروا

غياث الدين يعاتبه ويقول كنت أعتقد ان تخلفه لي بعد اخي وان تنصرني على الخطا وتردهم عن بلادي فحيث لم تفعل فلا أقل من ان لا تؤذيني وتأخذ بلادي والذي أريده ان تعيد ما اخذته مني والا انتصرت عليك بالخطا وغيرهم من الاتراك فان عجزت عن اخذ بلادي فاني اما شغلني عن منعكم عنها الاشتغال بعزاء والدي وتقرير أمر بلادي والا فانا ابن من عجز عنكم وعن اخذ بلادكم خراسان وغيرها فغالطه غياث الدين في الجواب ليعود الايام بالمراسلات ويخرج اخوه شهاب الدين من الهند بالعساكر فان غياث الدين كان عاجزا باستيلاء النقرس عليه فلما وقف خوارزم شاه على رسالة غياث الدين أرسل الى علاء الدين الغوري نائب غياث الدين بخراسان يأمره بالرحيل عن نيسابور ويتهدده ان لم يفعل فكتب علاء الدين الى غياث الدين بذلك ويعرفه ميل اهل البلد الى الخوارزميين فاعاد غياث الدين جوابه يقوي قلبه ويعده النصرة والمنع عنه وجمع خوارزم شاه عساكره وسار عن خوارزم نصف ذي الحجة سنة سبع وتسعين وخمسمائة فلما قارب نسا وابيورد هرب هندوخان ابن اخي ملكشاه من مرو الى غياث الدين بفيروز كوه وملك خوارزم شاه مدينة مرو وسار الى نيسابور وبها علاء الدين فحصره وقاتله قتالا شديدا وطال مقامه عليها وراسله غير مرة في تسليم البلد اليه وهو لا يجيب الى ذلك انتظارا للمدد من غياث الدين فبقي نحو شهرين فلما ابطأت عليه النجدة ارسل الى خوارزم شاه يطلب الامان لنفسه ولمن معه من الغورية وانه لا يتعرض اليهم بحبس ولا غيره من الاذى فاجابه الى ذلك وحلف لهم وخرجوا من البلد واحسن خوارزم شاه اليهم ووصلهم بمال جليل وهدايا كثيرة وطلب من علاء الدين ان يسعى في الصلح بينه وبين غياث الدين واخيه فاجابه الى ذلك وسار الى هراة وفيها اقطاعه ولم يمض الى غياث الدين غضبا عليه لتأخر امداده ولما خرج الغورية من نيسابور احسن خوارزم شاه الى الحسين بن خرميل وهو من اعيان امرائهم زيادة على غيره وبالغ في اكرامه فقيل ان من ذلك اليوم استحلفه لنفسه وان يكون معه بعد غياث الدين واخيه شهاب الدين ثم سار خوارزم شاه الى سرخس وبها الامير زنكي فحصره اربعين يوما وجرى بين الفريقين حروب كثيرة فضاقت الميرة على اهل البلد لا سيما الحطب فارسل زنكي الى خوارزم شاه يطلب منه ان يتأخر عن باب البلد حتى يخرج هو واصحابه ويترك البلد له فراسله خوارزم شاه في الاجتماع به ليحسن اليه والى من معه فلم يجبه الى ذلك واحتج بقرب نسبه من غياث الدين فابعد خوارزم شاه عن باب البلد بعساكره فخرج زنكي فاخذ من الغلات وغيرها التي في المعسكر ما اراد لا سيما من الحطب وعاد الى البلد واخرج منه من كان قد ضاق به الامر وكتب الى خوارزم شاه العود احمد فندم حيث لم ينفعه الندم ورحل عن البلد وترك عليه جماعة من الامراء يحصرونه فلما ابعد خوارزم شاه سار محمد بن جربك من الطالقان وهو من امراء الغورية وارسل الى زنكي امير سرخس يعرفه انه يريد يكبس الخوارزميين لئلا ينزعج اذا سمع الغلبة وسمع الخوارزميون الخبر ففارقوا سرخس وخرج زنكي ولقي محمد بن جربك وعسكر في مرو الروذ واخذ خراجها وما يجاورها فسير

البلاد وعاينت الباشا وجعل معلمهم حسن افندي المعروف بالدرويش الموصلي يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات واستخراج المجهولات مع مشاركة شخص رومي يقال له روح الدين افندي بل واشخاص من الافرنج واحضر لهم آلات هندسية متنوعة من اشغال الانكليز يأخذون بها الابعاد والارتفاعات والمساحة ورتب لهم شهريات وكساوي في السنة واستمروا على الاجتماع بهذا المكتب وسموه مهندس خانه في كل يوم من الصباح الى بعد الظهيرة ثم ينزلون الى بيوتهم ويخرجون في بعض الايام الى الخلاء لتعليم مساحات الاراضي وقياساتها بالاقصاب وهو الغرض المقصود للباشا (ومنها) استمرار الانشاء في السفن الكبار والصغار لنقل الغلال من قبلي وبحري لناحية الاسكندرية لتباع على الافرنج من سائر اصناف الحبوب فيشحنون السفن من سواحل البلاد القبلية وتأتي الى ساحل بولاق ومصر القديمة فيصبونها كيمانا هائلة عظيمة صاعدة في الهواء فتصل المراكب الصغيرة لنقلها فتصبح ولا يبقى شيء منها ويأتي غيرها وتعود كما كانت بالامس ومثل ذلك بساحل رشيد واما الحبوب البحرية فانها لا تأتي الى هذه السواحل

في هذه السنة اشتد الغلاء بالبلاد المصرية لعدم زيادة النيل وتعذرت الاقوات حتى اكل الناس الميتة واكل بعضهم بعضا ثم لحقهم عليه وباء وموت كثير افنى الناس وفي شعبان منها تزلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة كلها والشام ومصر وغيرها فاثرت في الشام آثارا قبيحة فخربت كثيرا من الدور بدمشق وحمص وحماة وانخسفت قرية من قرى بصرى واثرت في الساحل الشامي اثرا كثيرا فاستولى الخراب على طرابلس وصور وعكا ونابلس وغيرها من القلاع ووصلت الزلزلة الى بلاد الروم وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دورا وفيها ولد ببغداد طفل له رأسان وذلك ان جبهته مفروقة بمقدار ما يدخل فيها ميل وفي هذه السنة في شهر رمضان توفي ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي الحنبلي الواعظ ببغداد وتصانيفه مشهورة وكان كثير الوقيعة في الناس لا سيما في العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له وكان مولده سنة عشر وخمسمائة وفيها ايضا توفي عيسى بن نصير النميري الشاعر وكان حسن الشعر وله ادب وفضل وكان موته ببغداد وفيها توفي العماد ابو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد اله باللام المشددة وهو العماد الكاتب الاصفهاني كاتب نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين يوسف بن ايوب رضي الله عنهما وكان كاتبا مفلقا قادرا على القول وفيها اجمع عبد الله بن حمزة العلوي المتغلب على جبال اليمن جموعا كثيرة فيها اثنا عشر الف فارس ومن الرجالة ما لا يحصى كثرة وكان قد انضاف اليه من جند المعز بن اسمعيل بن سيف الاسلام طغدكين بن ايوب صاحب اليمن جماعة وايقنوا بملك البلاد واقتسموها وخافهم ابن سيف الاسلام خوفا عظيما فاجتمع قواد عسكر ابن حمزة ليلا ليتفقوا على رأي يكون العمل بمقتضاه وكانوا اثني عشر اميرا فانقضت عليهم صاعقة اهلكتهم جميعهم فاتى الخبر ابن سيف الاسلام في باقي الليلة بذلك فسار اليهم مجدا فاوقع بالعسكر المجتمع فلم يثبتوا له وانهزموا بين يديه ووضع السيف فيهم فقتل منهم ستة آلاف قتيل او اكثر من ذلك وثبت ملكه واستقر امره وفيها وقع في بني عنزة بارض الشراة بين الحجاز واليمن وباء عظيم وكانوا يسكنون في عشرين قرية فوقع الوباء في ثمان عشرة قرية فلم يبق منهم احد وكان الانسان اذا قرب من تلك القرى يموت ساعة ما يقاربها فتحاماها الناس وبقيت ابلهم واغنامهم لا مانع لها واما القريتان الاخريان فلم يمت فيهما احد ولا احسوا بشيء مما كان فيه اولئك

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك خوارزم شاه ما كان اخذه الغورية من بلاده)

قد ذكرنا في سنة سبع وتسعين ملك غياث الدين واخيه شهاب الدين ما كان لخوارزم شاه محمد بن تكش بخراسان ومرو ونيسابور وغيرها وعودهما عنها بعد ان اقطعا البلاد ومسير شهاب الدين الى الهند فلما اتصل بخوارزم شاه علاء الدين محمد ابن تكش عود العساكر الغورية عن خراسان ودخول شهاب الدين الهند ارسل الى

والقه بالقصر عال خلقه وما دام لو زوجته امرأة مطاعة فالميل في الجسم (ومنها) استمر القصير على الارز وزارعه على مثل هذا النسق بحيث ان الزارعين له التعبانين فيه لا يمكنون من اخذ حبة منه فيحجز باجمعه لطرف الباشا بما قدره من الثمن ثم يحكم ويضرب ويبيض في المداوير والمدقات والمناشر باجرة العمال على طرفه ثم يباع بالثمن المفروض واتفق ان شخصا من ابناء البلد يسمى حسين جلبي عجوة ابتكر بفكره صورة دائرة وهي التي يدقون بها الارز وعمل لها مثالا من الصفيح تدور باسهل طريقة بحيث ان الآلة المعتادة اذا كانت تدور باربعة اثوار فيدير هذه ثوران وقدم ذلك المثال الى الباشا فانعم عليه بدراهم وامره بالسير الى دمياط و يبني بها دائرة و يهندسها برايه ومعرفته واعطاه مرسوما بما يحتاج اليه من الاخشاب والحديد والمصرف ففعل وصح قوله ثم عمل اخرى برشيد وراج امره بسبب ذلك (ومنها) ان الباشا لما رأى هذه النكتة من حسين شلبي هذا قال ان في اولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف فامر ببناء مكتب بحوش السراية ورتب فيه جملة من اولاد

ارتحل عن مكانه شبه المنهزم وقطع القناطر وقتل الامير سنقر صاحب نيسابور لانه اتهمه بالمخامرة عليه وتوجه شهاب الدين الى طوس فاقام بها ثلاث اشهر وعلى عزم المسير الى خوارزم لحصرها فاتاه الخبر بوفاة اخيه غياث الدين فقصد هراة وترك ذلك العزم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة درس مجد الدين ابو علي يحيى بن الربيع الفقيه الشافعي بالنظامية ببغداد في ربيع الاول وفيها توفيت بنفشة جارية الخليفة المستنصر بامر الله وكان كثير الميل اليها والمحبة لها وكانت كثيرة المعروف والاحسان والصدقة وفيها ايضا توفي الخطيب عبد الملك بن زيد الدولعي خطيب دمشق وكان فقيها شافعيا والدولعية قرية من اعمال الموصل

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة)

(ذكر حصر العادل ماردين وصلحه مع صاحبها)

في هذه السنة في المحرم سير الملك العادل ابو بكر بن ايوب صاحب دمشق ومصر عسكرا مع ولده الملك الاشرف موسى الى ماردين فحصروها وشنوا الغارات على اعمالها وانضاف اليه عسكر الموصل وسنجار وغيرهما ونزلوا بحرزم تحت ماردين ونزل عسكر من قلعة البارعية وهي لصاحب ماردين يقطعون الميرة عن العسكر العادلي فسار اليهم طائفة من العسكر العادلي فاقتتلوا فانهزم عسكر البارعية وثار التركمان وقطعوا الطريق في تلك الناحية واكثروا الفساد فتعذر سلوك الطريق الا لجماعة من ارباب السلاح فسار طائفة من العسكر العادلي الى راس العين لاصلاح الطرق وكف عادية الفساد واقام ولد العادل ولم يحصل له غرض فدخل الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب في الصلح بينهم وارسل الى عمه العادل في ذلك فاجابه اليه على قاعدة ان يحمل له صاحب ماردين مائة وخمسين الف دينار يكون صرف الدينار احد عشر قيراطا من اميري ويخطب له ببلاده ويضرب اسمه على السكة ويكون عسكره في خدمته اي وقت طلبه واخذ الظاهر عشرين الف دينار من النقد المذكور وقرية القرادي من اعمال شبختان فرحل ولد العادل عن ماردين

(ذكر وفاة غياث الدين ملك الغور وشيء من سيرته)

في هذه السنة في جمادى الاولى توفي غياث الدين ابو الفتح محمد بن سام الغوري صاحب غزنة وبعض خراسان وغيرها واخفيت وفاته وكان اخوه شهاب الدين بطوس عازما على قصد خوارزم شاه فاتاه الخبر بوفاة اخيه فسار الى هراة فلما وصل اليها جلس للعزاء باخيه في رجب واظهرت وفاته حينئذ وخلف غياث الدين من الولد ابنا اسمه محمود لقب بعد موت ابيه غياث الدين وسنورد من اخباره كثيرا ولما سار شهاب الدين من طوس استخلف بمرو الامير محمد بن جربك فسار اليه جماعة من الامراء الخوارزمية فخرج اليهم محمد ليلا وبيتهم فلم ينج منهم الا القليل وانفذ الاسرى والرؤس الى هراة

بليمر سواقي وعمارات ومزارع واشجار توت وزيتون فذهب هناك وكشف عن اراضيه فوجدها فسيحة

وخالية من المزارع وهي اراضي رمال واودية فوكل اناسا لاصلاحها وتمهيدها وان يحفروا بها جملة من السواقي تزيد عن الالف ساقية ويبنوا ابنية ومساكن ويزرعوا اشجار التوت لتربية دود القز واشجارا كثيرة من الزيتون لاجل الصابون وشرعوا في العمل والحفر والبناء وفي انشاء توابيت خشب للسواقي تصنع ببيت الجبجي بالتبانة وتحمل على الجمال الى راس الوادي شيئا بعد شيء وامر ايضا ببناء جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية وان يعمل مصبنة لصناعة الصابون وطبخه مثل الذي يصنع ببلاد الشام ووكل بذلك السيد احمد بن يوسف فخر الدين وعمل به احواضا كبيرة للزيت والقلي (ومن المتجددات) ايضا محل بخط قنطرة الربع يعمل به وتسبك اوان ودسوت من النحاس في غاية الكبر والعظم (ومنها) شغل البارود وصناعته بالمكان والصناع المعدة لذلك بجزيرة الروضة بالقرب من المقياس بعد ان يستخرجوه من كيمان السباخ في احواض مبنية ومنقفة ثم يكررونه بالطبخ حتى يكون

ملحه غاية في البياض والجودة كالذي يجلب من بلاد الانكليز واعتنى كثيرا على صناعته شخص افرنكي ولهم معالم

اليهم خوارزم شاه عسكرا مع خاله فلقيهم محمد بن جربك وقاتلهم وحمل بانشق بيد مقبل صاحب علم الخوارزمية فضربه فقتله والقى علمهم وكبر كوساتهم فانقطع صوتها عن العسكر ولم يروا اعلامهم فانهزموا وركبهم الغورية قتلا واسرا وكانوا عشرة آلاف وكانوا ثلاثة آلاف فارس وابن جربك فى تسعمائة فارس وغنم جميع عسكرهم فلما سمع خوارزم شاه ذلك عاد الى خوارزم وارسل الى غياث الدين فى الصلح فاجابه عن رسالته مع امير كبير من الغورية يقال له الحسين بن محمد المرغنى ومرغن من قرى الغور فقبض عليه خوارزم شاه

(ذكر حصر خوارزم شاه هراة وعوده عنها)

لما ارسل خوارزم شاه الى غياث الدين فى الصلح واجابه عن رسالته مع الحسين المرغنى كما ذكرنا قبض خوارزم شاه على الحسين وسار الى هراة فحاصرها فكتب الحسين الى اخيه عمر بن محمد المرغنى امير هراة يخبره بذلك فاستعد للحصار وكان سبب قصد خوارزم شاه حصار هراة ان رجلين من الخوين ممن كان يخدم محمد سلطان شاه اتصلا بغياث الدين بعد وفاة سلطان شاه فاكرمهما غياث الدين واحسن اليهما يقال لاحدهما الامير الحاجى فكاتبا خوارزم شاه واطمعاه فى البلد وضمنا له تسليمه اليه فسار لذلك ونازل المدينة وحصرها فاستعمل الامير عمر المرغنى امير البلد مفاتيح الابواب اليهما وجعلهما على القتال ثقة بهما وظنا انهما عدوا خوارزم شاه لانه كان قد قتل سلطان شاه فكاتبا خوارزم شاه وابنه محمد بعده فاتفق ان بعض الخوارزمية اخبر الحسين المرغنى عند خوارزم شاه بحال الرجلين وانهما هما اللذان يدبران خوارزم شاه ويامرانه بما يفعل ثم يصدقه واتاه بخط الامير حاجى فاخذه وارسله الى اخيه عمر امير هراة فاخذهما واعتقلهما واخذ اصحابهما ثم ان البغازى وهو ابن اخت غياث الدين جاء فى عسكر من الغورية فنزل على خمسة فراسخ من هراة فكان يمنع الميرة عن خوارزم شاه ثم ان خوارزم شاه سير عسكرا الى اعمال الطالقان للغارة عليها فلقيهم الحسين بن جربك فقاتلهم فظفر بهم فلم يفلت منهم احد وسار غياث الدين عن فيروزكوه الى هراة فى عسكره فنزل برباط زرين بالقرب من هراة ولم يتقدم الى خوارزم شاه لقلة عسكره لان اكثر عساكره كانت مع اخيه بالهند وغزنة فاقام خوارزم شاه على هراة اربعين يوما وعزم على الرحيل لانه بلغه انهزام اصحابه بالطالقان وقرب غياث الدين وكذلك ايضا قرب البغازى وسمع ايضا ان شهاب الدين قد خرج من الهند الى غزنة وكان وصوله اليها فى رجب من هذه السنة فخاف ان يصل بعساكره فلا يمكنه المقام على البلد فارسل الى امير البلد عمر المرغنى فصالحه على مال حمله اليه وارتحل عن البلد واما شهاب الدين فانه لما وصل الى غزنة بلغه الخبر بما فعله خوارزم شاه بخراسان وملكه لما فسار الى خراسان فوصل الى بلخ ومنها الى باميان ثم الى مرو عازما على حرب خوارزم شاه وكان نازلا هناك فالتقت اوائل عسكريهما واقتتلوا قتالا شديدا فقتل من الفريقين خلق كثير ثم ان خوارزم شاه

بل تذهب من سواحلها الى تعيث هي برشيد ثم الى الاسكندرية فولما بطل البغاز جمعوا الحمير الكبير والجمال

ينقلون عليها الى طريق البر بالاجرة القليلة فكانت تموت من قلة العلف ومشقة الطريق وتوسق بها السفن الواصلة بالطلب الى بلاد الافرنج بالثمن عن كل اردب من البرسنة آلاف فضة واما الفول والشعير والحلبة والذرة وغيرها من الحبوب والادهان فاسعارها مختلفة ويعوض بالبضائع والنقود من الفرانسه معباة فى صناديق صغيرة تحمل الثلاثة منها على بعير الى الخزينة وهى مصفحة بالحديد يمرون بها قطارات الى القلعة وعند قلة الغلال ومضى وقت الحصاد يتقدم الى كشاف النواحى القبلية والبحرية بفرض مقادير من الغلال على البلدان والقرى فيلزمون مشايخ البلدان بما تقرر على كل بلد من القمح والفول والذرة ليجمعوه ويحصلوه من الفلاحين وهم ايضا يعملون بفلاحى بلادهم بما يعملون بجورهم واغراضهم ويأخذون الاقوات المدخرة للعيال وذلك بالثمن عن كل اردب من البرغانية ريالات يعطى له نصفها ويبقى له النصف الثانى ليحسب له من اصل المال الذى سيطالب به فى العام القابل (ومنها) ان الباشا صح له ان ينشئ بالمحل المعروف براس الوادى بشرقية

ارقل

يكون البلد عليه ولم تزل الرسل تتردد حتى حلها اليه في شعبان وطلب منه ان يعوضه
قرى ومالا ففعل وكان هذا من اقبح ما سمع عن ملك يزاحم اخاه في مثل قلعة نجم
مع خستها وحقارتها وكثرة بلاده وهذه الاخيرة واما العادل فانه لما اخذ سروج
ورأس العين من الافضل ارسل والدته اليه لتسأل في ردهما فلم يشفعها وردها خائبة
والله عوقب البيت الصلاحي بما فعله ابوهم مع البيت الاتابكي فانه لما حصر
الموصل سنة ثمانين وخمسمائة ارسل صاحب الموصل والدته وابنة عمه نور الدين اليه
يسالانه ان يعود فلم يشفعهما فجرى لاولاده هذا وردت زوجته خائبة كما فعل ولما رأى
الافضل عمه واخاه قد اخذا ما كان بيده ارسل الى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان
صاحب ملطية وقونية وما بينهما من البلاد يبذل له الطاعة وان يكون في خدمته
ويخطب له ببلده ويضرب السكة باسمه فاجابه ركن الدين الى ذلك وارسل له خلعة
فلبسها الافضل وخطب له بسميساط في سنة ستمائة وصار في جملته

(ذكر ملك الكرج مدينة دوين)

في هذه السنة استولى الكرج على مدينة دوين من اذربيجان ونهبوها واستباحوها
واكثروا القتل في اهلها وكانت هي وجميع بلاد اذربيجان للامير ابي بكر بن البهلوان
وكان على عادته مشغولا بالشرب ليلا ونهارا لا يفيق ولا يصحو ولا ينظر في امر مملكته
ورعيته وجنده قد القى الجميع عن قلبه وسلك طريق من ليس له علاقة وكان اهل
تلك البلاد قد اكثروا الاستغاثة اليه واعلامه بقصد الكرج بلادهم بالغارة مرة بعد
اخرى فكانهم ينادون صخرة صماء فلما حصر الكرج هذه السنة مدينة دوين سار
منهم جماعة يستغيثون فلم يغثهم وخوفه جماعة من امرائه عاقبة اهماله وتوانيه
واصراره على ما هو فيه فلم يصغ اليهم فلما طال الامر على اهلها ضعفوا وعجزوا واخذهم
الكرج عنوة بالسيف وفعلوا ما ذكرنا ثم ان الكرج بعد ان استقر امرهم بها احسنوا الى
من بقي من اهلها فالله تعالى ينظر الى المسلمين ويسهل للثغور من يحفظها ويحميها
فانها مستباحة لا سيما هذه الناحية فانا لله وانا اليه راجعون فقد بلغنا من فعل
الكرج باهل دوين من القتل والسبي والاسر ما تقشعر منه الجلود

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة احضر الملك العادل محمد ولده المعز صاحب مصر الى الرها وذلك انه
لما قطع خطبته من مصر سنة ست وتسعين كما ذكرناه خاف شيعة ابيه ان يجتمعوا
عليه ويصيروا معهم فتنة فاخرجه سنة ثمان وتسعين الى دمشق ثم نقله هذه السنة الى
الرها فاقام بها ومعه جميع اخوته واخواته ووالدته ومن يختصه وفيها في رجب توفي الشيخ
وجيه الدين محمد بن محمود المروروذي الفقيه الشافعي وهذا الذي كان السبب في ان
صار غياث الدين شافعيا وفي ربيع الاول منها توفي ابو الفتح عبيد الله بن ابي المعمر
الفقيه الشافعي المعروف بالمستملي ببغداد وله خط حسن وفي ربيع الآخر توفيت

اموال يسافرون بها ويجلبون البضائع ويجعل لهم الثلث في الربح في نظير سفرهم هذا وخدمتهم فمن ذلك انه اعطى الرئيس
حسن المحروقي خمسمائة
الف فرانسه يسافر بها الى
الهند ويشتري البضائع الهندية
ويأتي بها الى مصر ولشخص
نصراني ايضا ستمائة الف
فرانسه وكذلك لمن يذهب
الى بيروت وبلاد الشام ليشتري
القز والحرير وغير ذلك وعمل
بمصر اماكن ومصانع لنسج
القطاني التي يتخذها الناس
في ملابسهم من القطن والحرير
وكذلك الجنفس والصندل
واحتكر ذلك باجمعه وابطل
دواليب الصناع لذلك ومعلميهم
واقامهم يشتغلون ويصنعون
في المناسج التي احدثها
بالاجرة وابطل مكاسبهم ايضا
وطرائقهم التي كانوا عليها
واخذ من ذلك ما يحتاجه في
البلكات والكساوي وما زاد
يرميه على التجار وهم يبيعونه
على الناس باغلى ثمن ويطلع ثمن
الدرهم من الحرير بخمسة
وعشرين نصفا بعد ان كان
يباع بنصفين (ومنها) انه
ابطل ديوان المنيرة وهي
عبارة عما يؤخذ من المعاشات
وهي المراكب التي تغدو
وتروح لموارد الارياف مثل
شبين الكوم ومنوف والبلاد
البحرية وعليها ضرائب
وفرائض للملتزم بذلك وهو
شخص يسمى علي الجزار
وسبب ذلك ان معظم المراكب
التي تصعد بحر النيل وتنحدر من انشاء الباشا ولم يبق لغيره الا القليل جدا والعمل والانشاء بالترسخانة مستمر

فامر شهاب الدين بالاستعداد للمصاف وانهزم خوارزم شاه على طريق الرمل وجهز خوارزم شاه جيشا وسيرهم مع برفور التركي الى قتال محمد بن جربك فسمع بهم فخرج اليهم ولقيهم على عشرة فراسخ من مرو فاقتتلوا قتالا شديدا قتل بين الفريقين خلق كثير وانهزم الغورية ودخل محمد بن جربك مرو فى عشرة فرسان وجاء الخوارزميون فحصروه خمسة عشر يوما فضعف عن الحفظ فارسل فى طلب الامان فقالوا له ان يخرج اليهم على حكمهم انهم لا يقتلونه فخرج اليهم فقتلوه واخذوا كل ما معه وسمع شهاب الدين الخبر فعظم عليه وترددت الرسل بينه وبين خوارزم شاه فلم يستقر الصلح واراد العود الى غزنة فاستعمل على هراة ابن اخيه الب غازي وقلد الملك علاء الدين محمد بن ابي على الغوري على مدينة فيروزكوه وجعل اليه حرب خراسان وامر كل ما يتعلق بالمملكة واما محمود ابن اخيه غياث الدين فولاه مدينة بست واسفرار وتلك النواحي وجعله بمعزل من الملك جميعه ولم يحسن الخلافة عليه بعد ابيه ولا على غيره من اهله فمن جملة فعله ان غياث الدين كانت له زوجة كانت مغنية فهويها وتزوجها فلما مات غياث الدين قبض عليها وضربها ضربا مبرحا وضرب ولدها غياث الدين وزوج اختها واخذ اموالهم واملاكهم وسيرهم الى بلاد الهند فكانوا فى اقبح صورة وكانت قد بنت مدرسة ودفنت فيها اباها وامها واخاها فهدمها ونبش قبور الموتى ورمى بعظامهم منها واما سيرة غياث الدين واخلاقه فانه كان مظفرا منصورا فى حروبه لم تنهزم له راية قط وكان قليل المباشرة للحروب وانما كان له دهاء ومكر وكان جوادا حسن الاعتقاد كثير الصدقات والوقوف بخراسان بنى المساجد والمدارس بخراسان لاصحاب الشافعي وبنى الخانكاهات فى الطرق واسقط المكوس ولم يتعرض الى مال احد من الناس ومن مات ببلده يسلم ماله الى اهل بلده من التجار فان لم يجد احدا يسلمه الى القاضي ويختم عليه الى ان يصل من ياخذه بمقتضى الشرع وكان اذا وصل الى بلد عم احسانه اهله والفقهاء واهل الفضل يخلع عليهم ويفرض لهم الاعطيات كل سنة من خزانته ويفرق الاموال فى الفقراء وكان يراعي كل من وصل الى حضرته من العلويين والشعراء وغيرهم وكان فيه فضل غزير وادب مع حسن خط وبلاغة وكان رحمه الله ينسخ المصاحف بخطه ويوقفها فى المدارس التي بناها ولم يظهر منه تعصب على مذهب ويقول التعصب فى المذاهب من الملك قبيح الا انه كان شافعي المذهب فهو يميل الى الشافعية من غير ان يطمعهم فى غيرهم ولا اعطاهم ما ليس لهم

(ذكر اخذ الظاهر قلعة نجم من اخيه الافضل)

فى هذه السنة اخذ الظاهر غازي قلعة نجم من اخيه الافضل وكانت فى جملة ما اخذه من العادل لما صالحه سنة سبع وتسعين فلما كان هذه السنة اخذ العادل من الافضل سروج وحملين وراس العين وبقي بيده سميساط وقلعة نجم فارسل الظاهر اليه يطلب منه قلعة نجم وضمن له انه يشفع الى عمه العادل فى اعادة ما اخذ منه فلم يفعل ثم تهدده بان

والبنيات وارتفاعها ومقاديرها وبنى ذلك المكان الطبخانة وعليه رئيس وكتبة وصناع ولهم شهريات (ومنها) شدة رغبة الباشا فى تحصيل الاموال والزيادة من ذلك من اى طريق بعد استيلائه على البلاد والاقطاعات والرزق الاحباسية وابطال الفراغ والبيع والشراء والحلول عن الموتى من ذلك والعلوفات وغلال الانبار ونحو ذلك فكل من مات عن حصة او رزقة او مرتب انحل بموته ما كان على اسمه وضبط واضيف الى ديوانه ولو له اولاد او كان هو كتبه باسم اولاده وماتت اولاده قبله انحل عنه واصبح هو واولاده من غير شيء فان عرض حاله على الباشا امر بالكشف عن ايراده فان وجدوا بالدفاتر جهة او وظيفة اخرى قيل له هذه تكفيك وان لم يوجد فى حوزه خلافها امر له بشيء يستغله من اقلام المكوس اما قرش او نصف قرش فى كل يوم او نحو ذلك هذا مع التفاته ورغبته فى انواع التجارات والشركات وانشاء السفن ببحر الروم والقلزم واقامة وكلاء ببلاد الاسلام كل جهة بلاد فرانسة والانكليز ومالطه وازمير وتونس والنابلطان والونديك والبنادقة والهند والسند واعطى الناس اجلا عظيمة من

فيهم واسر كثيرا فلما كان اليوم الثاني جاءه من الخطا ما لا قبل له بهم فانهزم المسلمون
هزيمة قبيحة وبقي شهاب الدين في نفر يسير وقتل بيده اربعة افيال لانها اعيت واخذ
الكفار فيلين ودخل شهاب الدين اندخوي فحصره الكفار ثم صالحوه على
ان يعطيهم فيلا آخر ففعل وخلص ووقع الخبر في جميع بلاده بانه عدم وكثرت
الاراجيف بذلك ثم وصل الى الطالقان في سبعة نفر وقد قتل اكثر عسكره ونهبت
خزائنه جميعها فلم يبق منها شيء فاخرج له الحسين بن خرميل صاحب الطالقان خياما
وجميع ما يحتاج اليه وسار الى غزنة واخذ معه الحسين بن خرميل لانه قيل له عنه انه شديد
الخوف لانهزامه وانه قال اذا سار السلطان هربت الى خوارزم شاه فاخذه معه وجعله امير
حاجب ولما شاع الخبر بقتل شهاب الدين جمع تاج الدين الدز وهو مملوك اشتراه شهاب
الدين اصحابه وقصد قلعة غزنة ليصعد اليها فمنعه مستحفظها فعاد الى داره فاقام بها
وافسد الخلج وسائر المفسدين في البلاد وقطعوا الطرق وقتلوا كثيرا فلما عاد شهاب
الدين الى غزنة بلغه ما فعله الدز واراد قتله فشفع فيه سائر المماليك فاطلقه ثم اعتذر
وسار شهاب الدين في البلاد فقتل من المفسدين من تلك الامم نفرا كثيرا وكان له ايضا
مملوك آخر اسمه ايبك بال تر فسلم من المعركة ولحق بالهند ودخل الملتان وقتل نائب
السلطان بها وملك البلد واخذ الاموال السلطانية واساء السيرة في الرعية واخذ
اموالهم وقال قتل السلطان وانا السلطان وكان يحمله على ذلك ويحسنه له انسان اسمه
عمر بن يزان وكان زنديقا ففعل ما امره وجمع المفسدين واخذ الاموال فاخاف الطريق
فبلغ خبره الى شهاب الدين فسار الى الهند وارسل اليه عسكرا فاخذوه ومعه عمر بن يزان
فقتلهما اقبح قتلة وقتل من وافقهما في جمادى الآخرة من سنة احدى وستمائة ولما
رآهم قتلى قرأ انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا
او يصلبوا الآية وامر شهاب الدين في جميع بلاده بالتجهز لقتال الخطا وغزوهم والاخذ
بثأرهم وقيل كان سبب انهزامه انه لما عاد الى الخطا من خوارزم فرق عسكره في
المفازة التي في طريقه لقلة الماء وكان الخطا قد نزلوا على طرف المفازة فكلما خرج من
اصحابه طائفة فتكوا فيهم بالقتل والاسر ومن سلم من عسكره انهزم نحو البلاد ولم يرجع
اليه احد يعلمه الحال وجاء شهاب الدين في ساقة العسكر في عشرين الف فارس ولم يعلم
الحال فلما خرج من البرية لقيه الخطا مستريحين وهو ومن معه قد تعبوا واعيوا وكان
الخطا اضعاف اصحابه فقاتلهم عامة نهاره وحمى نفسه منهم وحصروه في اندخوي فجرى
بينهم في عدة ايام اربعة عشر مصافا منها مصاف واحد كان من العصر الى بكرة الغد ثم
انه بعد ذلك سير طائفة من عسكره ليلا سرا وامرهم ان يرجعوا اليه بكرة كأنهم قد اتوه
مددا من بلاده فلما فعلوا ذلك خافه الخطا وقال لهم صاحب سمرقند وكان مسلما وهو
في طاعة الخطا وقد خاف على الاسلام والمسلمين ان هم ظفروا بشهاب الدين فقال لهم ان
هذا الرجل لا تجدونه اضعف منه لما خرج من المفازة ومع ضعفه وتعبه وقلة من معه

البعض من العسكر يشتري الاغنام ويذبحها او يبيعها بالثمن الغالي وينقص الوزن ولا يقدر ابن البلد على
مراجعته (ومنها) ان ابراهيم
آغا الذي كان كتخدا ابراهيم
باشا قلده الباشا كشوفية
المنوفية فمن افاعيله انه يطلب
مشايخ البلدة او القرية
ويسال الشخص منهم عن
من شيخه فيقول استاذ البلدة
فيقول له في اي وقت فيقول
سنة كذا فيقول وما الذي
قدمته له في شياخته ويزيده
او يحبسه على الانكار
او يخبره من بادئ الامر ويقول
اعطيته كذا وكذا اما دراهم
او اغناما فيأمر الكاتب
بتقييده وتحريره وضبطه على
الملتزم وسطر بذلك دفترا
وارسله الى الديوان ليخصم
على الملتزمين من فائظهم
المحررة لهم بالديوان فيتفق ان
المحرر عليه يزيد على القدر
المطلوب له فيطالب بالباقي
او يخصم عليه من السنة
القابلة (ومنها) الحجر على
القصب الفارسي فلا يتمكن
احد من شراء شيء منه ولو
قصبة واحدة الا برسوم من
كتخدا بك فمن احتاج منه في
عمارة او شبابيك او الدوارات
الحصر او اقصاب الدخان
اخذ فرمانا بقدر احتياجه
واحتاج الى وسائط ومعالجات
واحتيالات حتى يظفر
بمطلوبه (ومنها) وهي من
محاسن الافعال ان الباشا اهمل همته في اعادة السد الاعظم الممتد الموصل الى الاسكندرية وقد كان اتسع

زمرد خاتون ام الخليفة الناصر لدين الله واخرجت جنازتها ظاهرة وصلى الخلق الكثير عليها ودفنت في التربة التي بنتها لنفسها وكانت كثيرة المعروف

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة)

(ذكر حصار خوارزم شاه هراة ثانية)

في هذه السنة أول رجب وصل خوارزم شاه محمد الى مدينة هراة فحصرها وبها الب غازي ابن اخت شهاب الدين الغوري ملك غزنة بعد مراسلات جرت بينه وبين شهاب الدين في الصلح فلم يتم وكان شهاب الدين قد سار من غزنة الى لهاوور عازما على غزو الهند فأقام خوارزم شاه على حصار هراة الى سلخ شعبان وكان القتال دائما والقتل من الفريقين كثيرا وممن قتل رئيس خراسان وكان كبير القدر يتهم بتشيعه طوس وكان الحسين بن خرميل بكرزبان وهي اقطاعه فارسل الى خوارزم شاه يقول له أرسل الى عسكر لاسلم اليهم الفيلة وخزانة شهاب الدين فارسل اليه الف فارس من أعيان عسكره الى كرزبان فخرج عليهم هو والحسين بن محمد المرغني فقتلوهم الا القليل فبلغ الخبر الى خوارزم شاه فسقط في يديه وندم على انفاذ العسكر وارسل الى الب غازي يطلب منه ان يخرج اليه من البلد ويخدمه خدمة سلطانية ليرحل عنه فلم يجبه الى ذلك فاتفق ان الب غازي مرض واشتد مرضه فخاف ان يشتغل بمرضه فيملك خوارزم شاه البلد فاجاب الى ما طلب منه واستحلفه على الصلح واهدى له هدية جليلة وخرج من البلد ليخدمه فسقط الى الارض ميتا ولم يشعر احد بذلك وارتحل خوارزم شاه عن البلد واحرق المجانيق وسار الى سرخس فأقام بها

(ذكر عود شهاب الدين من الهند وحصر خوارزم وانهزامه من الخطا)

في هذه السنة في رمضان عاد شهاب الدين الغوري الى خراسان من قصد الهند وسبب ذلك انه بلغه حصر خوارزم شاه هراة وموت الب غازي نائبه بها فعاد حنقا على خوارزم شاه فلما بلغ ميمند عدل الى طريق أخرى قاصدا الى خوارزم فارسل خوارزم شاه يقول له ارجع الى لاقاتلك والا سرت الى هراة ومنها الى غزنة وكان خوارزم شاه قد سار من سرخس الى مرو فأقام بظاهرها فاعاد اليه شهاب الدين جوابه لعلك تنهزم كما فعلت تلك الدفعة لكن خوارزم تجمعنا ففرق خوارزم شاه عساكره واحرق ما جمعه من العلف ورحل يسابق شهاب الدين الى خوارزم فسبقه اليها فقطع الطريق واجرى المياه فيها فتعذر على شهاب الدين سلوكها واقام اربعين يوما يصلحها حتى امكنه الوصول الى خوارزم والتقى العسكران بسوقرا ومعناه الماء الاسود فجرى بينهم قتال شديد كثرت القتلى فيه بين الفريقين وممن قتل من الغورية الحسين بن المرغني وغيره واسر جماعة من الخوارزمية فامر شهاب الدين بقتلهم فقتلوا وأرسل خوارزم شاه الى الاتراك الخطا يستنجدهم وهم حينئذ اصحاب ما وراء النهر فاستعدوا وساروا الى بلاد الغورية فلما بلغ شهاب الدين ذلك عاد عن خوارزم فالتقى أوائلهم في صحراء اندخوي أول صفر سنة احدى وستمائة فقتل

في الدوام والرؤساء والاخوان ٨٦ يحتذمون فيها بالاجرة ويعمرون خشبها واحبالها وجميع احتياجاتها في طرف الترسخانه ولهم مباشرون وكتاب وامناء يكتبون ويقيدون الصادر والوارد وهذه الترسخانه بساحل بولاق بها الاخشاب الكثيرة والمتنوعة وما يصلح له من الدوائر والمراكب ويأتي اليها المجلوب من البلاد الرومية والشامية فاذا ورد شئ من انواع الاخشاب وما يحتاجه يشترى بعضه بالثمن الزائد ويرفع الباقي الى الترسخانه وجميع الاخشاب الواردة والاحطاب جميعها في متاجر الباشا وليس لتجارها الا ما كان من داخل متاجره وهو القليل (ومن النوادر) انه وصل من بلاد الانكليز سواقي بالات الحديد تدور بالماء لاستقام دورانها على بحر النيل (ومنها) انه انشأ جسرا ممتدا من ناحية قنطرة الليمون على يمنة السالك الى طريق بولاق متصلا الى شبرا على خط مستقيم وزرعوا بجانبيه اشجار التوت وعلى هذا النسق جسور بطرق الارياف والاقاليم (ومنها) ان اللحم قل وجوده من اول شهر رجب الى غاية السنة وغلا سعره مع رداءته وهزاله حتى بيع الرطل بعشرين نصفا وازيد واقل مبيعها في بعض العظام واجزاء السقط والشغت وسبب ذلك رواتب الدولة واخذها بالثمن القليل فيستعوض الجزار ورب خسارته من الناس وكان

فيهم

فاذا اراد الفارس ان يستدفع في ابدالها عشرة قروش عنها اربعمائة نصف فضة زيادة على المثل ان كان ذهبا او فرانسه او قروشا ووصل صرف البندقي الى ثمانمائة نصف والمجر ثمانية عشر قرشا والمحبوب المصري الى اربعمائة والاسلامبولي الى اربعمائة وثمانين كل ذلك اسماء لا مسميات لانعدام الانصاف مع انه ضرب منها القناطير والقناطير واخذها التجار الشاميون والروميون بالافراط ثم يرسلونها مثاقيل بدلا عن البضائع لان الريال في تلك البلاد صرفه ثلثمائة نصف فقط فيكون فيه من الربح ستون نصفا في كل ريال ولما علم الباشا ذلك جعل يرسل لوكلائه بالشام في كل شهر الف كيس من الفضة العددية ويأتيه بدلها فرانسه فيضيف عليها ثلاثة امثالها نحاسا ويضرب بها الفضة العددية فيربح فيها ربحا بدون حد مقيما وهكذا من هذا الباب فقط (ومن حوادث السنة) الآتية واقعة الانكليز مع اهل الجزائر وهو ان لاهل الجزائر صولة واستعدادا وغزوات في البحر ويغزون مراكب الافرنج ويغتنمون منها غنائم ويأخذون منهم اسرى وتحت ايديهم من اسارى الانكليز وغيرهم شيء كثير ومينتهم حصينة بالبرج بها سور خارج في البحر كنصف الدائرة في غاية الضخامة والمتانة ذو ابراج مشحونة بالمدافع والقنابر

فلما علم الفرنج ظاهروه محاصرين للروم وقاتلوهم ولازموا قتالهم ليلا ونهارا وكان الروم قد ضعفوا ضعفا كثيرا فارسلوا الى السلطان ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب قونية وغيرها من البلاد يستنجدونه فلم يجد الى ذلك سبيلا وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين يقاربون ثلاثين الفا ولعظم البلد لا يظهر أمرهم فتواضعوا هم والفرنج الذين بظاهر البلد ووثبوا فيه والقوا النار فيه مرة ثانية فاحترق نحو ربع البلد وفتحوا الابواب فدخلوها ووضعوا السيف ثلاثة ايام وفتكوا بالروم قتلا ونهبا فاصبح الروم كلهم ما بين قتيل او فقير لا يملك شيئا ودخل جماعة من اعيان الروم الكنيسة العظمى التي تدعى صوفيا فجاء الفرنج اليها فخرج اليهم جماعة من القسيسين والاساقفة والرهبان بايديهم الانجيل والصليب يتوسلون بهم الى الفرنج ليبقوا عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلوهم اجمعين ونهبوا الكنيسة وكانوا ثلاثة ملوك دوقس البنادقة وهو صاحب المراكب البحرية وفي مراكبهم ركبوا الى القسطنطينية وهو شيخ اعمى اذا ركب تقاد فرسه والآخر يقال له المركيس وهو مقدم الافرنسيس والآخر يقال له كند افلند وهو اكثرهم عددا فلما استولوا على القسطنطينية اقترعوا على الملك فخرجت القرعة على كند افلند فاعادوا القرعة ثانية وثالثة فخرجت عليه فملكوه والله يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فلما خرجت القرعة عليه ملكوه وتملك عليها وعلى ما يجاورها وتكون لدوقس البنادقة الجزائر البحرية مثل جزيرة اقريطش وجزيرة رودس وغيرهما ويكون لمركيس الافرنسيس البلاد التي هي شرق الخليج مثل أزنيق ولاذيق فلم يحصل لاحد منهم شيء غير الذي اخذ القسطنطينية واما الباقي فلم يسلم من به من الروم واما البلاد التي كانت لملك القسطنطينية شرقي الخليج المجاورة لبلاد ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان ومن جملتها ازنيق ولاذيق فانها تغلب عليها بطريق كبير من بطارقة الروم اسمه لشكري وهي بيده الى ان توفي

ذكر انهزام نور الدين صاحب الموصل من العساكر العادلية

في هذه السنة في العشرين من شوال انهزم نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل من العساكر العادلية وسبب ذلك ان نور الدين كان بينه وبين ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار وحشة مستحكمة اولا فاتفقا وسار معه الى ميافارقين سنة تسع وتسعين وقد ذكرناه فلما كان الآن ارسل الملك العادل ابو بكر بن ايوب صاحب مصر ودمشق وبلاد الجزيرة الى قطب الدين واستماله فمال اليه وخطب له فلما سمع نور الدين ذلك سار الى مدينة نصيبين سلخ شعبان وهي لقطب الدين فحصرها وملك المدينة وبقيت القلعة فحصرها عدة ايام فبينما هو يحاصرها وقد اشرف على ان يتسلمها اتاه الخبر ان مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي صاحب اربل قد قصد اعمال الموصل فنهب نينوى واحرق غلاتها فلما بلغه ذلك من نائبه المرتب بالموصل يحفظها سار عن نصيبين الى الموصل على عزم العبور الى بلد اربل ومجازاته بفعله

لم تقع حربه والامداد أتته وكل يوم يصله عساكر وقد أقبلت من كل طريق وحينئذ فطلب الخلاص منه فلا نفع رعايته والرأي انا الصلح معه فاجابوا الى ذلك فارسلوا اليه في الصلح وكان صاحب سمرقند قد ارسل اليه وعرفه الحال سرا وامره باظهار الامتناع من الصلح اولا والاجابة اليه اخيرا فلما أتته الرسل امتنع واظهر القوة بانتظار الامداد وطال الكلام فاصطلحوا على ان الخطا لا يعبرون النهر الى بلاده ولا يعبر الى بلادهم ورجعوا عنه وخلص هو وعاد الى بلاده والباقي نحو ما تقدم

(ذكر قتل طائفة من الاسماعيلية بخراسان)

في هذه السنة وصل رسول الى شهاب الدين الغوري من عند مقدم الاسماعيلية بخراسان برسالة أنكرها فأمر علاء الدين محمد بن أبي علي متولي بلاد الغور بالمسير اليهم ومحاصرة بلادهم فسار في عساكر كثيرة الى قهستان وسمع به صاحب زوزن فقصده وسار معه وفارق خدمة خوارزم شاه ونزل علاء الدين على مدينة قاين وهي للاسماعيلية وحصرها وضيق على أهلها ووصل خبر قتل شهاب الدين فصالح اهلها على ستين ألف دينار ركنية ورحل عنهم وقصد حصن كاخك فأخذه وقتل المقاتلة وسبى الذرية ورحل الى هراة ومنها الى فيروزكوه

(ذكر ملك القسطنطينية من الروم)

في هذه السنة في شعبان ملك الفرنج مدينة القسطنطينية من الروم وأزالوا ملك الروم عنها وكان سبب ذلك ان ملك الروم بها تزوج أخت ملك افرنسيس وهو من أكبر ملوك الفرنج فرزق منها ولدا ذكرا ثم وثب على الملك اخ له فقبض عليه وملك البلد منه وسمل عينيه وسجنه فهرب ولده ومضى الى خاله مستنصرا به على عمه فاتفق ذلك وقد اجتمع كثير من الفرنج ليخرجوا الى بلاد الشام لاستنقاذ البيت المقدس فأخذوا ولد الملك معهم وجعلوا طريقهم على القسطنطينية قصد الاصلاح الحال بينه وبين عمه ولم يكن له طمع في سوى ذلك فلما وصلوا خرج عمه في عساكر الروم محاربا لهم فوقع القتال بينهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمائة فانهزمت الروم ودخلوا البلد فدخله الفرنج معهم فهرب ملك الروم الى اطراف البلاد وقيل ان ملك الروم لم يقاتل الفرنج بظاهر البلد وانما حصروه فيها وكان بالقسطنطينية من الروم من يريد الصبي فالقوا النار في البلد فاشتغل الناس بذلك ففتحوا بابا من أبواب المدينة فدخلها الفرنج وخرج ملكها هاربا وجعل الفرنج الملك في ذلك الصبي وليس له من الحكم شئ وأخرجوا اباه من السجن الا ان الفرنج هم الحكام في البلد فثقلوا الوطأة على اهله وطلبوا منهم اموالا عجزوا عنها وأخذوا أموال البيع وما فيها من ذهب ونقرة وغير ذلك حتى ما على الصلبان وما هو على صورة المسيح عليه السلام والحواريين وما على الاناجيل من ذلك أيضا فعظم ذلك على الروم وحملوا منه خطبا عظيما فعمدوا الى ذلك الصبي الملك فقتلوه واخرجوا الفرنج من البلد واغلقوا الابواب واستقصروا الملك وكان ذلك في جمادى الاولى سنة ستمائة

أمره وتخرب من مقطعين وزحف منه ماء البحر المالح وأتلف أراضي كثيرة وخربت منه قرى ومزارع وتعطلت بسببه الطرق والمسالك وعجزت الدولة في أمره ولم يزل يتزايد في التهور وزحف المياه المالحة على الاراضي حتى وصلت الى خليج الاشرفية التي يستقي منها أهالي الثغر فكانوا يجسرون عليه بالاتربة والطين فلما اعتنى الباشا بتعمير الاسكندرية وتشييد أركانها وابراجها وتحصينها ولم تزل بها العمارات اعتنى أيضا بأمر الجسر وأرسل اليه المباشرين والقومة والرجال والفعلة والنجارين والبنائين والمسامير وآلات الحديد والاحجار والمون والاخشاب العظيمة والسهوم والبرابخ حتى تممه وكان له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه الازمان فلو وفقه الله لشئ من العدل مع ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان أعجوبة زمانه وفريد أوانه وأما أمر المعاملة فلم يزل حالها في التزايد حتى وصل صرف الريال الفرانسه الى تسعة قروش وهو أربعة أمثال الريال المتعارف ولما بطل ضرب القروش من العام الماضي ضربوا بدلها أنصاف قروش وأرباعها وأثمانها وتصرف بالقرط والانصاف العددية لا توجد بأيدي الناس الا ما قل جدا

العادل على قصد بلادهم وهم بها فلم يفعل فبقوا كذلك الى ان انقضت السنة ودخلت سنة احدى وستمائة فاصطلح هو والفرنج على دمشق واعمالها وما بيد العادل من الشام ونزل لهم عن كثير من المناصفات في الرملة وغيرها واعطاهم ناصرة وغيرها وسار نحو الديار المصرية فقصد الفرنج مدينة حماة فلقيهم صاحبها ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب فقاتلهم وكان في قلة فهزموه الى البلد فخرج العامة الى قتالهم فقتل الفرنج منهم جماعة وعاد الفرنج

(ذكر قتل كوكجة ببلاد الجبل وولاية ايتغمش)

قد ذكرنا قبل تغلب كوكجة مملوك البهلوان على الري وهمذان وبلد الجبل وبقي الآن وكان قد اصطنع مملوكا آخر كان للبهلوان اسمه ايتغمش وقدمه واحسن اليه ووثق به فجمع ايتغمش الجموع من المماليك وغيرهم ثم قصد كوكجة فتصافا واقتتل الفريقان فقتل كوكجة في الحرب واستولى ايتغمش على البلاد واخذ معه اوزبك ابن البهلوان له اسم الملك وايتغمش هو المدبر والقيم بامر المملكة وكان شجاعا عادلا وكان كوكجة عادلا حسن السيرة رحمه الله

(ذكر وفاة ركن الدين بن قلج ارسلان وملك ابنه بعده)

وفي هذه السنة سادس ذي القعدة توفي ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان بن مسعود ابن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق صاحب ديار الروم ما بين ملطية وقونية وكان موته بمرض القولنج في سبعة ايام وكان قبل مرضه بخمسة ايام قد غدر باخيه صاحب انكورية وهي تسمى ايضا انقرة وهي مدينة منيعة وكان مشاقا لركن الدين حصره عدة سنين حتى ضعف واودت الاقوات عنده فاذعن بالتسليم على عوض يأخذه فعوضه قلعة في اطراف بلاده وحلف له عليها فنزل اخوه عن مدينة انقرة وسلمها ومعه ولدان له فوضع ركن الدين عليه من اخذه واخذ اولاده معه فقتله فلم يمض غير خمسة ايام حتى اصابه القولنج فمات واجتمع الناس بعده على ولده قلج ارسلان وكان صغيرا فبقي في الملك الى بعض سنة احدى وستمائة واخذه منه عمه كيخسرو على ما نذكره هناك وكان ركن الدين شديدا على الاعداء قيما بامر الملك الا ان الناس كانوا ينسبونه الى فساد الاعتقاد كان يقال انه يعتقد مذهب الفلاسفة وكان كل من يرمى بهذا المذهب يأوي اليه ولهذه الطائفة منه احسان كثير الا انه كان عاقلا يحب ستر هذا المذهب لئلا ينفر الناس منه فحكى لي عنه انه كان عنده انسان وكان يرمى بالزندقة ومذهب الفلاسفة وهو قريب منه فحضر يوما عنده فقيه فتناظرا فظهر شيء من اعتقاد الفلاسفة فقام الفقيه اليه ولطمه وشتمه بحضرة ركن الدين وركن الدين ساكت وخرج الفقيه فقال لركن الدين تجري على مثل هذا في حضرتك ولا تنكره فقال لو تكلمت لقتلنا جميعا ولا يمكن اظهار ما تريده انت

(ذكر قتل الباطنية بواسط)

وترددوا في الصلح على شرائطهم التي منها تسليم بواقي الاسرى واسترداد المال ؟ الذي سلموه في الفداء السابق حالا من غير مهلة فكان ذلك وتسلموا الاسرى وفيهم من كان صغيرا واسلم وقرا القرآن وانفقوا على المتاركة والمهادنة زمنا مقداره ستة اشهر ورجعوا الى بلادهم بالفقر والاسرى والارقة وحده ثم ان الجزائرلية اجتهدوا في تعمير ما تهدم وتخرب من السور والابراج والجوامع في الحرب وكذلك ما خربه عسكرهم الذين هم اعدى من الاعداء واضر ما يكون على الاسلام واهله وصارت الاخبار بذلك في الآفاق وامدهم سلطان المغرب مولاي سليمان وبعث اليهم مراكب عوضا عن الذي تلف من مراكبهم فارسل اليهم معمرين وادوات ولوازم عمارات وكذلك حاكم تونس وغيرها ومن السلطان العثماني ايضا ولم يتفق فيما نعلم لاهل الجزائر مثل هذه الحادثة الهائلة ولا اشنع منها وكانت هذه الواقعة غرة شهر شوال من السنة وهو يوم عيد الفطر وكان عيدا عليهم في غاية الشناعة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(واما من مات في هذه السنة ممن له ذكر) مات الشيخ الامام والعمدة والنحرير العلامة الفقيه النحوي الاصولي ابراهيم السبوقي البصيري الشافعي وهو ابن اخت الشيخ موسى البصيري الشيخ الصالح المقتصد الورع الزاهد حضر

صاحبها بلده فوصل الى مدينة بلد وعاد مظفر الدين الى بلده وتحقق نور الدين ان الذى قيل له وقع فيه زيادة فسار الى تل اعفر من بلد وهى لصاحب سنجار وحصرها واخذها ورتب امورها واقام فيها بضعة عشر يوما وكان الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل ابن ايوب قد سار من مدينة حران الى راس عين نجدة لقطب الدين صاحب سنجار ونصيبين وقد اتفق هو ومظفر الدين صاحب اربل وصاحب الحصن وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر وغيرهم على ذلك وعلى منع نور الدين من أخذ شئ من بلادهم وكانوا خائفين منه ولم يمكنهم الاجتماع وهو على نصيبين فلما فارقها نور الدين سار الاشرف اليها واتاه اخوه نجم الدين صاحب ميافارقين وصاحب الحصن وصاحب الجزيرة وصاحب دارا وساروا عن نصيبين نحو بلد البقعا قريبا من بوشرى وسار نور الدين من تل اعفر الى كفر زمار وعزم على المطاولة لينفد زادهم فاتاه كتاب من بعض مماليكه يسمى جرديك وقد ارسله يتجسس اخبارهم يذكر له ما هم فيه ويطمعه فيهم ويقول ان أذنت لى أتيتهم بمفردى فسار حينئذ نور الدين الى بوشرى فوصل اليها من الغد الظهر وقد تعبت دوابه واصحابه ولقوا شدة من الحر فنزل بالقرب منهم اقل من ساعة واتاه الخبر ان عساكر الخصم قد ركبوا فركب هو واصحابه وساروا نحوهم فلم يروا لهم اثرا فعادوا الى خيامهم ونزل هو وعساكره وتفرق كثير منهم فى القرى لتحصيل العلوفات وما يحتاجون اليه فاتاه من اخبره بحركة الخصم وقصده فركب نور الدين وعسكره وتقدموا اليهم وبينهم نحو فرسخين فوصلوا وقد ازداد تعبهم والخصم مستريح فالتقوا واقتتلوا فلم يطل الحرب بينهم حتى انهزم عسكر نور الدين وانهزم هو ايضا وطلب الموصل فوصل اليها فى اربعة انفس وتلاحق الناس واتى الاشرف ومن معه فنزلوا فى كفر زمار ونهبوا البلاد نهبا قبيحا واهلكوا ما لم يصلح لهم لا سيما مدينة بلد فانهم اخذوا اهلها ومن اعجب ما سمعنا ان امرأة كانت تطبخ فرأت النهب فالقت سوارين كانا فى يديها فى النار وهربت فجاء بعض الجند ونهب ما فى البيت فرأى بيضا فاخذه وجعله فى التنور ليأكله فحرك فرأى السوارين فيها فاخذهما وطال مقامهم والرسل تتردد فى الصلح فوقف الامر على اعادة تل اعفر ويكون الصلح على القاعدة الاولى وتوقف نور الدين فى اعادة تل اعفر فلما طال الامر ارسلها اليهم واصطلحوا أوائل سنة احدى وستمائة وتفرقت العساكر من البلاد

(ذكر خروج الفرنج بالشام الى بلاد الاسلام والصلح معهم)

فى هذه السنة خرج كثير من الفرنج فى البحر الى الشام وسهل الامر عليهم بذلك لملكهم قسطنطينية وارسوا بعكا وعزموا على قصد البيت المقدس حرسه الله واستنقاذه من المسلمين فلما استراحوا بعكا ساروا واغاروا كثيرا من بلاد الاسلام بنواحى الاردن وسبوا وفتكوا فى المسلمين وكان الملك العادل بدمشق فارسل فى جمع العساكر من بلاد الشام ومصر وسار فنزل عند الطور بالقرب من عكا لمنع الفرنج من قصد بلاد الاسلام ونزل الفرنج بمرج عكا واغاروا على كفر كنا فاخذوا كل من بها واموالهم والامراء يحثون

والمرابطين والمجاهدين ومراكبهم من داخله فوصل اليهم بعض مراكب الانكليز ومعهم رسوم من السلطان العثمانى ليفتدوا اساراهم بمال فاعطوهم مائتين بدلا عن الالف أسير ودفعوا عن كل راس اسير مائة وخمسين فرانسا ورجعوا من حيث أتوا وبعد مدة وصل منهم بعض سفائن الى خارج المينا رافعين اعلام السلم والصلح فعبروا داخل المينا من غير ممانع ونزل منهم انفار فى فلوكة وبيدهم رسوم بطلب باقى الاسرى فامتنع حاكمهم من ذلك وترددوا فى المخاطبات وفى اثناء ذلك وصلت عدة مراكب من مراكبهم وشلنبات وهى المراكب الصغار المعدة للحرب وعبروا فى مساعدة الريح الى المينا واثاروا الحرب والضراب بطرائقهم المستحدثة فاحرقوا مراكب اهل الجزائر مع المغاربة ايضا من اهل المدينة مع تمام استعدادهم ومرعبة استعداد الخصم ومدافع الابراج الداخلة لا تصيب الشلنبات الصغيرة المنسفلة عنهم لانهم لا يحكمون ثم هم فى شدة الغارة والحرب اذ قيل لحاكم بان عساكره الاتراك تركوا المحاربة واشتغلوا بنهب البلدة واحراق الدور فسقط فى يده واحتار فى امره ما بين قتال العدو الواصل او قتال عسكره ومنعهم وكفهم عن النهب والاحراق والفساد وهد اركانهم فلم يسعه الا خفض الاعلام وطلب الامان من الانكليز فعند ذلك ابطلوا الحرب وكفوا عن الضراب

فحرك الجماعة عادة الصوفية في السماع وطرب الشيخ المذكور وتواجد ثم سقط مغشيا عليه فحركوه فاذا هو ميت فصلي عليه ودفن وكان رجلا صالحا وفيها توفي ابو الفتوح اسعد بن محمود العجلي الفقيه الشافعي باصفهان في صفر وكان اماما فاضلا وفي رمضان منها توفي قاضي هراة مجد الدين الفضل بن محمود بن صاعد الساوي وولي بعده ابنه صاعد

(ثم دخلت سنة احدى وستمائة)

●(ذكر ملك كيخسرو بن قلج ارسلان بلاد الروم من ابن اخيه)●

في هذه السنة في رجب ملك غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان بلاد الروم التي كانت بيد اخيه ركن الدين سليمان وكان سبب ملك غياث الدين لها ان ركن الدين كان قد اخذها كان لاخيه غياث الدين وهو مدينة قونية فهرب غياث الدين منه وقصد الشام الى الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب فلم يجد عنده قبولا وقصر به فسار من عنده وتقلب في البلاد الى ان وصل الى القسطنطينية فاحسن اليه ملك الروم واقطعه واكرمه فاقام عنده وتزوج بابنة بعض البطارقة الكبار وكان لهذا البطريق قلعة من عمل القسطنطينية فلما ملك الفرنج القسطنطينية هرب غياث الدين الى حميه وهو بقلعته فانزله عنده وقال له نشترك في هذه القلعة ونقنع بدخلها فاقام عنده فلما مات اخوه ركن الدين سنة ستمائة كما ذكرناه اجتمع الامراء على ولده وخالفهم الاتراك الاوج وهم كثير بتلك البلاد وانف من اتباعهم وارسل الى غياث الدين يستدعيه اليه ليملكه البلاد فسار اليه فوصل في جمادى الاولى اجتمع به وكثر جمعه وقصد مدينة قونية ليحصرها وكان ولد ركن الدين والعساكر بها فاخرجوا اليه طائفة من العسكر فلقوه فهزموه فبقي حيران لا يدري اين يتوجه فقصد بلدة صغيرة يقال لها اوكرم بالقرب من قونية فقدر الله تعالى ان اهل مدينة اقصرا وثبوا على الوالي فاخرجوه منها ونادوا بشعار غياث الدين فلما سمع اهل قونية ما فعله اهل اقصرا قالوا نحن اولى بفعل هذا لانه كان حسن السيرة فيهم لما كان ملكهم فنادوا باسمه ايضا واخرجوا من عندهم واستدعوه فحضر عندهم وملك المدينة وقبض ابن اخيه ومن معه وانتظم له الملك وجمع له البلاد جميعها في ساعة واحدة فسبحان من اذا اراد امرا هيأ اسبابه وكان اخوه قيصرشاه الذي كان صاحب ملطية لما اخذها ركن الدين منه سنة سبع وتسعين خرج منها وقصد الملك العادل ابا بكر بن ايوب لانه كان تزوج ابنته مستنصرا به فامره بالمقام بمدينة الرها فاقام بها فلما سمع بملك اخيه غياث الدين سار اليه فلم يجد عنده قبولا انما اعطاه شيئا وامره بمفارقة البلاد فعاد الى الرها واقام بها فلما استقر ملك غياث الدين سار اليه الافضل صاحب سميساط واتصل به بمدينة قيسارية وقصده ايضا نظام الدين صاحب خرتبرت وصار معه فعظم شانه وقوي امره

●(ذكر حصر صاحب آمد خرتبرت ورجوعه عنها)●

صار اعلى منها كدمتر وحشو باثره أصيب في شدقه بداء الفالج انقطع بسببه اشهرا ثم انجلى عنه بسوابغ سلامة حواسه وعاد الى الاقراء والافادة ولم يزل على حسن حاله ورضاه وانشراح صدره وعدم تضجره وشكواه للمخلوقين الى ان توفي في شهر جمادى الثانية سنة احدى وثلاثين ومائتين والف رحمه الله وايانا ●(ومات) الشيخ العلامة والنحرير الفهامة السيد احمد بن محمد بن اسمعيل من ذرية السيد محمد الدوقاطي الطهطاوي الحنفي والده رومي حضر الى ارض مصر متقلدا القضاء بطهطا بلدة بالقرب من اسيوط بالصعيد الادنى فتزوج بامرأة شريفة فولد له منها المترجم واخوه السيد اسمعيل ولم يزل مستوطنا بها الى ان مات وترك ولديه المذكورين واختا لهما حضر المترجم الى مصر في سنة احدى وثمانين ومائة والف وكان ابتداء نبات لحيته بعدما حفظ القرآن ببلده وقرأ شيئا من الفقه فدخل الازهر ولازم الحضور في الفقه على الشيخ احمد الحماقي والمقدسي والحريري والشيخ مصطفى الطائي والشيخ عبد الرحمن العريشي حضر عليه من اول كتاب الدر المختار الى كتاب البيوع وتمم حضوره على المرحوم الوالد مع الجماعة لتوجه الشيخ عبد الرحمن لدار السلطنة لبعض المقتضيات عن امر علي بك في سنة ثلاث وثمانين ومائة والف التمس الجماعة

حل الاشياخ المتقدمين وهو في عداد الطبقة الاولى ودرس وافاد وانتفع به الطلبة غالب التآليف كان طارحا للتكلف متقشفا قامع النواضع والانكسار ملازما على العبادة مستحضر الفروع الفقهية والمعقولية والمناسبات الشعرية والشواهد النحوية والادبية جيدا لمحافظة لاهل بحالسته ومؤانسته ولم يزل على حالته وافادته واتجماعه وعفته حتى مرض وتوفي يوم السبت منتصف المحرم من السنة من نحو الخمسة وسبعين وصلى عليه بالازهر في مشهد حافل رحمه الله تعالى وايانا

●(ومات) الشيخ العلامة الاصولي الفقيه النحوي علي الحصاوي الشافعي نسبة الى بلدة بالقليوبية تسمى الحصة حضر الى الجامع الازهر صغيرا وحفظ القرآن والمتون وحضر دروس الاشياخ كالشيخ علي العدوي المنفيسي الشهير بالصعيدي والشيخ عبد الرحمن النحريري الشهير بالمقرى ولازم الشيخ سليمان الجمل وبه تخرج وحضر على الشيخ عبد الله الشرقاوي مصطلح الحديث وكان يحفظ جمع الجوامع مع شرحه للجلال المحلي في الاصول ومختصر السعد وقرأ الدروس وبفيد الطلبة وكان انسانا حسنا مهذبا متواضعا ولا يرى لنفسه مقاما عاش ممتعا للخمول في جهد وقلة من العيش مع العفة وعدم التطلع لغيره

في هذه السنة في رمضان قتل الباطنية بواسط وسبب ذلك انهم بها وقد لهم امور داليها رجل يعرف بار كم محمد بن طالب بن عصية واصله من القاروب من قرى واسط وكانا باطنيا ملحدا ونزل بجاور الدور بحي الهروي وغشيه الناس وكثر اتباعه وكان ممن يغشاه رجل يعرف بحسن الصابوني فاتفق انه اجتاز بالسويقة فكلمه رجل يجارق مذهبهم فرد عليه الصابوني ردا غليظا فقام اليه النجار وقتله وتسامع الناس بذلك فوثبوا وقتلوا من وجدوا من ينتسب الى هذا المذهب وقصدوا دار ابن عصية وقد اجتمع اليه خلق من اصحابه واغلقوا الباب وصعدوا الى سطحها ومنعوا الناس عنهم فصعدوا اليهم من بعض الدور من على السطح وتحصن من بقي في الدار باغلاق الابواب والمعارق فكسروها ونزلوا فقتلوا من وجدوا في الدار واحرقوا وقتل ابن عصية وفتح الباب وهرب منهم فقتلوا وبلغ الخبر الى بغداد وانحدر فخر الدين ابو البدر بن امسينا الواسطي لاصلاح الحال وتسكين الفتنة

●(ذكر استيلاء محمود على مرباط وغيرها من حضرموت)●

في هذه السنة استولى انسان اسمه محمود بن محمد الحميري على مدينة مرباط وظفار وغيرهما من حضرموت وكان ابتداء امره انه مركب يكرى في البحر للتجار ثم وزر لصاحب مرباط وفيه كرم وشجاعة وحسن سيرة فلما توفي صاحب مرباط ملك المدينة بعده واطاعه الناس محبة له لكرمه وسيرته ودامت ايامه بها فلما كان سنة تسع عشرة وستمائة خرب مرباط وظفار وبنى مدينة جديدة على ساحل البحر بالقرب من مرباط وعندها عين عذبة كبيرة اجراها الى المدينة وعمل عليها سورا وخندقا وحصنها وسماها الاحمدية وكان يحب الشعر ويكثر الجائزة عليه

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة خرج اسطول من الفرنج الى الديار المصرية فنهبوا مدينة نوة واقاموا بها ايام يسبون وينهبون وعساكر مصر مقابلهم بينهم النيل ليس لهم وصول اليهم لانهم لم تكن لهم سفن وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت اكثر البلاد مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس ووصلت الى الموصل والعراق وغيرها وخربت من مدينة صور عدة دور واثرت في كثير من الشام وفيها في رجب اجتمع جماعة من الصوفية برباط شيخ الشيوخ ببغداد وفيهم صوفي اسمه احمد بن ابراهيم الداري من اصحاب شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل رحمهم الله ومعهم مغن يغني بقول الشاعر

اعاذ لتي اقصري ● كفى بمشيبي عذل
شباب كأن لم يكن ● وشيب كأن لم يزل
وحق ليالي الوصال ● وآخرها والاول
وصفرة لون المحب عند استماع العذل
لئن عاد عيشي بكم ● حلا العيش لي واتصل

في البلد وقتل جماعة ممن فيه ثم تمكن الناس

❁(ذكر غارة الكرج على بلاد الاسلام)❁

في هذه السنة اغارت الكرج على بلاد الاسلام من ناحية اذربيجان فاكثروا العيث
والفساد والنهب والسبي ثم اغاروا على ناحية خلاط من ارمينية فاوغلوا في البلاد
حتى بلغوا ملازكرد ولم يخرج اليهم احد من المسلمين يمنعهم فجاسوا خلال البلاد
ينهبون ويأسرون وكلما تقدموا تأخرت عساكر المسلمين منهم ثم انهم رجعوا فالله تعالى
ينظر الى الاسلام واهله وييسر لهم من يحمي بلادهم ويحفظ ثغورهم ويغزو اعداءهم
وفيها اغارت الكرج على بلاد خلاط فاتوا الى ارجيش ونواحيها فنهبوا وسبوا وخربوا
البلاد وساروا الى حصن التين من اعمال خلاط وهو مجاور ارزن الروم فجمع صاحب
خلاط عسكره وسار الى طغرل شاه ولد قلج ارسلان صاحب ارزن الروم فاستنجده على
الكرج فسير معه عسكره وجميعه عسكر خرج وانحدر الكرج فلقوهم وتصافوا واقتتلوا
فانهزمت الكرج وقتل زكري الصغير وهو من اكابر مقدميهم وهو الذي كان مقدم
هذا العسكر من الكرج والمقاتل بهم وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح
والكراع وغير ذلك وقتلوا منهم خلقا كثيرا واسروا كذلك وعاد الى بلاده

❁(ذكر الحرب بين امير مكة وامير المدينة)❁

وفي هذه السنة ايضا كانت الحرب بين الامير قتادة الحسني امير مكة وبين الامير سالم
ابن قاسم الحسيني امير المدينة ومع كل واحد منهما جمع كثير فاقتتلوا قتالا شديدا
وكانت الحرب بذي الحليفة بالقرب من المدينة وكان قتادة قد قصد المدينة ليحصرها
وياخذها فلقيه سالم بعد ان قصد الحجرة على ساكنها الصلاة والسلام فصلى عندها ودعا
وسار فلقيه فانهزم قتادة وتبعه سالم الى مكة فحصره بها فارسل قتادة الى من مع سالم من
الامراء فافسدهم عليه فمالوا اليه وحالفوه فلما راى سالم ذلك رحل عنه عائدا الى
المدينة وعاد امر قتادة قويا

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة في يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة قطعت خطبة ولي العهد واظهر
خطا قرئ ببغداد والوزير نصير الدين بن مهدي الرازي واقف وخط ولي العهد الامير ابي نصر
ابن الخليفة الى ابيه الناصر لدين الله امير المؤمنين يتضمن العجز عن القيام بولاية العهد
ويطلب الاقالة وشهد عدلان انه خطه وان الخليفة اقاله وعمل بذلك محضر شهد فيه
القضاة والعدول والفقهاء وفي هذه السنة ولدت امرأة ببغداد ولدا له راسان واربع
ارجل ويدان ومات في يومه وفيها ايضا وقع الحريق في خزانة السلاح التي للخليفة
فاحترق فيها منه شيء كثير وبقيت النار يومين وسار ذكر هذا الحريق في البلدان فحمل
الملوك من السلاح الى بغداد شيئا كثيرا وفي هذه السنة وقع الثلج بمدينة هراة اسبوعا
كاملا فلما سكن جاء بعده سيل من الجبل من باب سرا خرب كثيرا من البلد ومن

العلم وخصوصا الاحناف
وملازمة المترجم الحالة
المحمودة من الافادة مع شرف
النفس والتباعد عما يخل
بالمروءة الا ما يأتيه عفوا فاذا ادت
عن تهسله ووثقوا فيها
بقضيه ثم تصدى لوقف
الشيخونيتين وايرادهما
واستخلاص اماكنهما وشرع
في تعميرهما وساعده على ذلك
كل من كان يحب الاصلاح
فجدد عمارة المسجد والتكية
واثابها صهريجا وفي اثناء ذلك
انتقل باهله الى دار مليحة بجوار
المسجد بالدرب المعروف بدرب
الميضاة وتمم بنيانها على
المسجد كل ذلك والمترجم
ينقطع عن الحضور الى الازهر
في كل يوم ويقرأ درسه ايضا
بالجامع ولما كثرت جماعته
انتقل الى المدرسة العينية
بالقرب من الازهر ولما عمر
محمد افندي الودنلي الجامع
المجاور لمنزله تجاه القنطرة
المعروفة بعمار شاه والمكتب
قرر المترجم في درس الحديث
به في كل يوم بعد العصر وقرر
له عشرة من الطلبة ورتب
للشيخ والطلبة معلوما
وادرارا يقبض من الديوان
ولما مات الشيخ ابراهيم
الحريري تعين المترجم لمشيخة
الحنفية فتقلدها على امتناع
منه فاستمر الى ان اخرج
السيد عمر مكرم من مصر منفيا وكتبوا في شانه عرضحال الى الدولة نسبوا اليه فيه اشياء لم تحصل منه

كانت خرتبرت لعماد الدين بن قرا ارسلان فمات وملكها بعده ابنه نظام الدين ابو بكر والتجا الى ركن الدين بن قلج ارسلان و بعده الى اخيه غياث الدين ليمتنع به من ابن عمه ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا ارسلان فامتنع به وكان صاحب آمد ملتجئا الى الملك العادل وفي طاعته وحضر مع ابنه الملك الاشرف قتال صاحب الموصل على شرط انه يسير معه عساكره ويأخذ له خرتبرت واغتاظ طمع فيها بموت ركن الدين فلما دخلت هذه السنة طلب ما كان استقر الامر عليه فسار معه الملك الاشرف وعساكر ديار الجزيرة من سنجار وجزيرة ابن عمر والموصل وغيرها وكانوا نزلوا عليها في شعبان وفي رمضان تسلموا ربضها وكان صاحبها قد اجتمع بغياث الدين بعد ان ملك البلاد الرومية وصار معه في طاعته فلما نزل صاحب آمد على خرتبرت طلب صاحبها غياث الدين يستنجده بعسكر يرحلهم عنه فجهز عسكرا كثيرا عدتهم ستة آلاف فارس وسيرهم مع الملك الافضل صاحب سميساط فلما وصل العسكر الى ملطية فارق صاحب آمد ومن معه من خرتبرت ونزلوا الى الصحراء وحصروا الحبيرة المعروفة بجبير شهرين وبها حصنان احدهما لصاحب آمد والآخر لصاحب خرتبرت فحصره وزاحفه فملكه ثاني ذي الحجة ووصل صاحب خرتبرت مع العسكر الرومي الى خرتبرت فرحل صاحب آمد عن الحبيرة وقوى الحصن الذي ملكه فيها وازاح علته ورحل الى خاني مرحلة ونزل وترددت الرسل والعسكر الرومي يطلب اعادة الحبيرة وصاحب آمد يمتنع من ذلك فلما طال الامر بقي الحصن بيد صاحب آمد وانفصل العسكران وعاد كل فريق الى بلاده

(ذكر الفتن ببغداد)

في سابع عشر شعبان جرت فتنة ببغداد بين اهل باب الازج واهل المأمونية وسببها ان اهل باب الازج قتلوا سبعا وارادوا ان يطوفوا به فمنعهم اهل المأمونية فوقعت الفتنة بينهما عند البستان الكبير فجرح منهم خلق كثير وقتل جماعة وركب صاحب الباب لتسكين الفتنة فجرح فرسه فعاد فلما كان الغد سار اهل المأمونية الى باب الازج فوقعت بينهم فتنة شديدة وقتال بالسيوف والنشاب واشتد الامر فنهبت الدور التي يقربهم وجاء الركن بن عبد القادر ويوسف في تسكين الناس وركب الاتراك فصاروا يبيتون تحت المنظرة فامتنع اهل الفتنة من الاجتماع فسكنوا وفي العشرين منه جرت فتنة بين اهل قطفتا والقرية من محال الجانب الغربي بسبب قتل سبع ايضا اراد اهل قطفتا ان يجتمعوا ويطوفوا به فمنعهم اهل القرية ان يجوزوا به عندهم فاقتتلوا وقتل بينهم عدة قتلى فارسل اليهم عسكر من الديوان لتلافي الامر ومنع الناس من الفتنة فامتنعوا وفي تاسع رمضان كانت فتنة بين اهل سوق السلطان والجعفرية ومنشؤها ان رجلين من المحلتين اختصما وتوعد كل واحد منهما صاحبه فاجتمع اهل المحلتين واقتتلوا في مقبرة الجعفرية فسير اليهم من الديوان من تلافى الامر وسكنه فلما كثرت الفتن ركب امير كبير من مماليك الخليفة ومعه جماعة كثيرة فطاف

فاجابهم لذلك فكانوا يأتون للتلقي عنه في المنزل والمترجم معهم وفي اثناء ذلك قرأت معا المترجم على الوالد شرح نور الايضاح بعد انصراف الجماعة عن الدرس وتخلف المترجم وذلك لعلو السند فان الوالد تلقاه عن ابن المؤلف وهو عن جد الوالد عن المؤلف وجد الوالد والمؤلف يسميان بحسن فهو من عجيب الاتفاق وكان المترجم ملازما للفقير في الصحبة فكنت معه في غالب الاوقات اما في الجامع او في المنزل للطافة طبعه وقرب سني من سنه وكان الوالد يرى ذلك ويسألني عنه اذا تخلف في بعض الاحيان ويقول اين رفيقك الصعيدي فكان يعيد معي ويفهمني ما يصعب على فهمه ولم يزل يدأب في الاشتغال والطلب مع جودة ذهنه وشغل باله وتفرغه والفقير بخلاف ذلك وتلقى المترجم الحديث سماعا واجازة عن كل من الشيخ حسن الجداوي والشيخ محمد الامير والشيخ عبد العليم الفيومي ثلاثتهم عن الشيخ علي العدوي المنسفيسي عن الشيخ محمد عقيلة بسنده المشهور ولم يزل ترشح للافادة والتدريس وكان مسكنه بناحية الصليبة وجلس للاقراء بالمدرسة الشيخونية والصرغتمشية اختص بسكان تلك الناحية واكابرهم واعتنوا بشأنه واسكنوه في دار تليق به وعادوه ووانسوه واكرموه وكانت تلك الناحية

غزنة فلما بلغ شهاب الدين من نزل مملوكه ايبك بال وعنده عساكره ارسل الى نائبه بلهاوور
والمولتان وهو محمد بن ابي علي يامره بحمل المال لسنة ستمائة وسنة احدى وستمائة
ليتجهز به لحرب الخطا فاجاب ان اولاد كوكر قد قطعوا الطريق ولا يمكنه ارسال المال
وحضر جماعة من التجار وذكروا ان قفلا كبيرا اخذه اولاد كوكر ولم ينج منه الا القليل
فامر شهاب الدين مملوكه ايبك مقدم عساكر الهند ان يراسل بني كوكر يدعوهم الى الطاعة
ويتهددهم ان لم يجيبوا اذا فعل ذلك فقال ابن كوكر لاي معنى لم يرسل السلطان الينا رسولا
فقال له الرسول وما قدركم انتم حتى يرسل اليكم وانما مملوكه يحضر كبيركم ويهددكم
فقال ابن كوكر لو كان شهاب الدين حيا لراسلنا وقد كنا نؤدي الاموال اليه فحيث عدم
فلا ايبك يترك لنا الهند ويرد علينا لهاوور وفرشابور ونحن نصالحه فقال الرسول نفذ انت
ياسوما انفق اليه ما يليك بحضر شهاب الدين من فرشابور وقطع بعض الى نحوله فرقة فعادوا واخبر
بما سمع ورأى فامر شهاب الدين مملوكه قطب الدين ايبك بالعود الى بلاده وجمع
العساكر وقتال بني كوكر فعاد الى دهلي وامر عساكره بالاستعداد فاقام شهاب الدين
في فرشابور الى نصف شعبان من سنة احدى وستمائة ثم عاد الى غزنة فوصلها اول
رمضان وامر بالنداء في العساكر بالتجهز لقتال الخطا وان المسير يكون اول شوال فتجهزوا
لذلك فاتفق ان الشكايات كثرت من بني كوكر وما يفعلونه من اخافة السبيل
وانهم قد انفذوا ايديهم الى البلاد ووافقهم اكثر الهنود وخرجوا من طاعة امير لهاوور
والمولتان وغيرهما ووصل كتاب الوالي بذكر ما قد دهمهم وان عماله قد اخرجهم
بنو كوكر وجبوا الخراج وان ابن كوكر مقدمهم ارسل اليه ليترك له لهاوور والبلاد
الاخرى ويقول له ان لم يحضر السلطان شهاب الدين بنفسه ومعه العساكر والا اخرجت
البلاد من يده وتحدث الناس بالكثرة من معهم من الجموع ومالهم من القوة فتغير عزم
شهاب الدين حينئذ عن غزو الخطا واخرج خيامه وسار عن غزنة خامس ربيع الاول
سنة اثنتين وستمائة فلما سار وابعد انقطعت اخباره عن الناس بغزنة وفرشابور حتى
ارجف الناس بانهزامه وكان شهاب الدين لما سار عن فرشابور اتاه خبر ابن كوكر انه
نازل في عساكره ما بين جيلم وسودرة فقصد اليه فدهمه قبل الوقت الذي كان يقدر
وصوله فيه فاقتتلوا قتالا شديدا يوم الخميس لخمس بقين من ربيع الآخر من بكرة الى
العصر واشتد القتال فبينما هم في القتال واذ قد اقبل قطب الدين ايبك في عساكره
فنادوا بشعار الاسلام وحملوا حملة صادقة فانهزم الكوكرية ومن انضم اليهم وقتلوا
بكل مكان وقصدوا اجمة هناك فاجتمعوا بها واضرموا نارا فكان احدهم يقول لصاحبه
لا تترك المسلمين يقتلونك ثم يلقي نفسه في النار فيلقي صاحبه نفسه بعده فيها فعمهم
الفناء قتلا وحرقا فبعدا للقوم الظالمين وكان اهلهم واموالهم معهم لم يفارقوها فغنم
المسلمون منهم ما لم يسمع بمثله حتى ان المماليك كانوا يباعون كل خمسة بدينار وكي
ونحوه وهرب ابن كوكر بعد ان قتل اخوته واهله واما ابن دانيال صاحب جبل
الجودي فانه جاء ليلا الى قطب الدين ايبك فاستجار به فاجاره وشفع فيه الى شهاب

لكل قبيل وفصائل كل جيل فمن ينتسب الى فارس واخرى الى بني مكانس فذكر انه المعنى بما قيل
ملو راعان اذا الاقيت ذا لين
وان رأيت معديا فعدناني
هذا مع فصاحة لسان وقوة
جنان والمشاركة في كل فن
من الرياضيات والادبيات
حتى يظن سامعه انه مجيد في
ذلك الفن منفرد به وليس
الامر كذلك وانما ذلك بقوة
الفهم والحفظ وما فيه من
القابلية فيستغني بذلك عن
التلقي من الاشياخ وايضا
قصد التفرض اهل الفنون
فيحفظ اصطلاحات الفن
واوضاع اهله ويورده في الفاظ
ينمقها ويحسنها ويذكر اسماء
كتب مؤلفة واشياخا وحكايا
يقل الاطلاع عليها والوصول
اليها ولمعرفته باللغات خالط
كل ملة حتى يظن كل اهل
ملة انه واحد منهم ويحفظ
كثيرا من الشبه والمدركات
العقلية والبراهين الفلسفية
واهمل الواجبات الشرعية
والفرائض القطعية ورواقلد
كلام الملحدين وشكوك
المارقين وبرز لسانه في
بعض المجالس بكلمات من
ذلك ووساوس فلذلك طعن
الناس عليه في الدين واخرجوه
عن اعتقاد المسلمين وساءت
فيه الظنون وكثر عليه الطاعنون
وصرحوا بلعنه وتبديعه كانوا
يخفونه في حياته لاتقاء شره
وسطوته وكان له تداخل
١٤ يخ مل ١٣ عيب في الاعيان ومع كل اهل دولة وزمان ورؤساء الكتبة والمباشرين من الاقباط

حصنه قلعة عظيمة وجاء بعده برد شديد اهلك الثمار فلم يكن بها الثمار المستغنى الا اليسير وفيها في شعبان خرج عسكر من الغور يقدمهم الامير زنكي بن مسعود الى مدينة مرو فاتاهم نائب خوارزم شاه بمدينة سرخس وهو الامير جقر وكمن لهم كمينا فلما وصلوا اليه هزمهم واخذ وجوه الغورية اسرى فلم يفلت منهم الا القليل واخذ اميرهم زنكي اسيرا فقتل صبرا وعلقت رؤوسهم بمرو اياما وفيها في ذي القعدة سار الامير عماد الدين عمر بن الحسين الغوري صاحب بلخ الى مدينة ترمذ وهي للاتراك الخطا فافتتحها عنوة وجعل بها ولده الاكبر وقتل من بها من الخطا ونقل العلويين منها الى بلخ وصارت ترمذ دار اسلام وهي من امنع الحصون واقواها وفيها توفي صدر الدين السجزي شيخ خانكاه السلطان بهراة وفيها في صفر توفي ابو علي الحسن بن محمد بن عبدوس الشاعر الواسطي وهو من الشعراء المجيدين واجتمعت به بالموصل وورد ها مادحا لصاحبها نور الدين ارسلان شاه وغيره من المقدمين وكان نعم الرجل حسن الصحبة والعشرة وفيها اجتمع ببغداد رجلان اعميان على رجل اعمى ايضا وقتلاه بمسجد طمعا ان يأخذا منه شيئا فلم يجدا معه ما يأخذانه وادركهما الصباح فهربا من الخوف يريدان الموصل ورؤى الرجل مقتولا ولم يعلم قاتله فاتفق ان بعض اصحاب الشحنة اجتاز من الحريم في خصومة جرت فرأى الرجلين الضريرين فقال لمن معه هذان اللذان قتلا الاعمى يقوله مزاحا فقال احدهما هذا والله ذلك فقال الآخر بل انت قتلته فاخذا الى صاحب الباب فاقرا فقتل احدهما وصلب الآخر على باب المسجد الذي قتلا فيه الرجل

(ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة)

(ذكر الفتنة بهراة)

في هذه السنة في المحرم ثارت العامة بهراة وجرت فيه فتنة عظيمة بين اهل السوقين الحدادين والصفارين قتل فيها جماعة ونهبت الاموال وخربت الديار فخرج امير البلد ليكفهم فضربه بعض العامة بحجر فاله منه الم شديد واجتمع القوم عليه فرفع الى القصر الفيروزي واختفى اياما الى ان سكنت الفتنة ثم ظهر

(ذكر قتال شهاب الدين الغوري بني كوكر)

قد ذكرنا انهزام شهاب الدين محمد بن سام الغوري صاحب غزنة من الخطا الكفار وان الخبر شاع في بلاده انه عدم من المعركة فلم يقف اصحابه له على خبر فلما اشتهر هذا الخبر ثار المفسدون في اطراف البلاد وكان ممن افسد دانيال صاحب جبل الجودي فانه كان قد اسلم فلما بلغه الخبر ارتد عن الاسلام وقاسم بني كوكر ومساكنهم في جبال بين لهاوور والملتان حصينة منيعة وكانوا قبل اطاعوا شهاب الدين وحملوا اليه الخراج فلما بلغهم خبر عدمه ثاروا فيمن معهم من قبائلهم وعشائرهم واطاعهم صاحب جبل الجودي وغيره من القاطنين بتلك الجبال ومنعوا الطريق من لهاوور وغيرها الى

وطلبوا الشهادة فيها فامتنع وشنعوا عليه وبالغوا في الحط عليه وعزلوه من المشيخة وقلدوها الشيخ حسينا المنصوري فلما مات المذكور اعيد المترجم الى مشيخة الحنفية وذلك في غرة شهر صفر سنة الف ومائتين وثلاثين ولبس الخلع من الشيخ الشنواني شيخ الجامع ثم من الباشا وباقي المشايخ ارباب المظاهر ولم يختلف عليه اثنان وفي هذه السنة استأذن الفقير في بناء مقبرة يدفن فيها اذا مات بجوار الشيخ ابي جعفر الطحاوي بالقرافة لكونه ناظرا عليها فاذنت له في ذلك فبنى له قبرا بجانب مقام الاستاذ ولما توفي دفن فيه وكانت وفاته ليلة الجمعة بعد الغروب خامس عشر شهر رجب سنة احدى وثلاثين ومائتين والف وله من المؤلفات حاشية على الدر المختار شرح تنوير الابصار في اربع مجلدات جمع فيها المواد التي على الكتاب وضم اليها [illegible] (ومات) النجيب الاديب والنادرة العجيب اعجوبة الزمان وبهجة الخلان حسن افندي المعروف بالدرويش الموصلي كما اخبر عن نفسه الذكي الالمعي والسميدع اللوذعي كان انسانا عجيبا في نفسه جوابا شهيرا في عصره طاف البلاد والنواحي وجال في الممالك والفيافي واطلع على عجائب المخلوقات وعرف الكثير من الالسن واللغات ويعزى

لكن كان على نية صالحة من قتال الكفار فلما تفرق عنه اصحابه وبقى وحده في
خركاه ثار اولئك النفر فقتل احدهم بعض الحرس بباب سرادق شهاب الدين فلما
قتلوه صاح فثار اصحابه من حول السرادق لينظروا ما بصاحبهم فاخلوا مواقفهم وكثر
الزحام فاغتنم الكوكرية غفلتهم عن الحفظ فدخلوا على شهاب الدين وهو في الخركاه
فضربوه بالسكاكين اثنتين وعشرين ضربة فقتلوه فدخل عليه اصحابه فوجدوه على
مصلاه قتيلا وهو ساجد فاخذوا اولئك الكفار فقتلوهم وكان فيهم اثنان مختونان
وقيل انما قتله الاسماعيلية لانهم خافوا خروجه الى خراسان وكان له عسكر يحاصر بعض
قلاعهم على ما ذكرناه فلما قتل اجتمع الامراء عند وزيره مؤيد الملك بن خواجا
سجستان فتحالفوا على حفظ الخزانة والملك ولزوم السكينة الى ان يظهر من يتولاه
واجلسوا شهاب الدين وخيطوا جراحه وجعلوه في المحفة وساروا به ورتب الوزير الامور
وسكن الناس بحيث لم يرق محجمة دم ولم يوجد في احد شئ وكانت المحفة محفوفة بالحشم
والوزير والعسكر والشمسة على حاله في حياته وتقدم الوزير الى امير دار العسكر
باقامة السياسة وضبط العسكر وكانت الخزانة التى في صحبته الفي حمل ومائتي
حمل وشغب الغلمان الاتراك الصغار لينهبوا المال فمنعهم الوزير والامراء الكبار من
المماليك وهو صونج صهر الدز وغيره وامروا كل من له اقطاع عند قطب الدين ايبك
مملوك شهاب الدين ببلاد الهند بالعود اليه وفرقوا فيهم اموالا كثيرة فعادوا وسار
الوزير ومعه من له اقطاع واهل بغزنة وعلموا انه يكون بين غياث الدين محمود بن غياث
الدين اخى شهاب الدين الاكبر وبين بهاء الدين صاحب باميان وهو ابن اخت شهاب
الدين حروب شديدة وكان ميل الوزير والاتراك وغيرهم الى غياث الدين محمود وكان
الامراء الغورية يميلون الى بهاء الدين سام صاحب باميان فارسل كل طائفة الى من
يميلون اليه يعرفونه قتل شهاب الدين وجلية الامور وجاء بعض المفسدين من اهل
غزنة فقال للمماليك ان فخر الدين الرازى قتل مولاكم لانه هو اوصل من قتله فوضع
من خوارزمشاه فثاروا به ليقتلوه فهرب وقصد مؤيد الملك الوزير فاعلمه الحال فسيره
سرا الى مأمنه ولما وصل العسكر والوزير الى فرشابور اختلفوا فالغورية يقولون نسير
الى غزنة على طريق مكرهان وكان غرضهم ان يقربوا من باميان ليخرج صاحبها
بهاء الدين سام فيملك الخزانة وقال الاتراك بل نسير على طريق سوران وكان مقصودهم
ان يكونوا قريبا من تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين وهو صاحب كرمان مدينة بين
غزنة ولهاوور وليست بكرمان التى تجاور بلاد فارس ليحفظ الدز الخزانة ويرسلوا من
كرمان الى غياث الدين يستدعونه الى غزنة ويملكونه وكثر بينهم الاختلاف حتى
كادوا يقتتلون فتوسل مؤيد الملك مع الغورية حتى اذنوا له وللاتراك بأخذ
الخزانة والمحفة التى فيها شهاب الدين والمسير على كرمان وساروا هم على طريق
مكرهان ولقى الوزير ومن معه مشقة عظيمة وخرج عليهم الاعم الذين في تلك الجبال
التيراهية واوغان وغيرهم فنالوا من اطراف العسكر الى ان وصلوا الى كرمان فخرج

من تسعة اشهر ومات الترجمى وذلك انه افتصد وخرج الى القلعة فلقى على بعض
المعلمين وضربة فانحلت
الرفادة فسال منه دم كثير فحم
حمى مختلطة واستمر اياما
وتوفى ودفن بجامع السراج
البلقيني بين السيارج وعند
ذلك زاد قول الشامتين وصرحوا
بما كانوا يخفونه في حياته
فيقول البعض مات رئيس
الملحدين وآخر يقول انهدم
ركن الزندقة ونسبوا اليه ان
عنده الكتاب الذى الفه
ابن الراوندى لبعض اليهود
وسماه دامغ القرآن وانه
كان يقرؤه ويعتقده واخبروا
بذلك كتخدا بك فطلب كتبه
وتصفحها فلم يجدوا بها ذلك
الكتاب وما كفى مبغضيه
وحاسديه من الشناعات حتى
رأوا له منامات شنيعة تدل
على انه من اهل النار والله اعلم
بحاله وبالجملة فكان غريبا
في بابه وكانت وفاته يوم
الخميس سابع عشرى
جمادى الثانية من السنة
وانفرد برياسة المكتب روح
الدين افندى المذكور
(ومات) الاجل المكرم
الشريف غالب بسلانيك
وهو المنفصل عن امارة
مكة وجدة والمدينة وما
انضاف الى ذلك من بلاد
الحجاز فكانت امارته نحوا
من سبع وعشرين سنة فانه
تولى بعد موت الشريف
سرور في سنة ثلاث ومائتين
والف وكان من دهاة العالم واخباره ومناقبه تحتاج الى مجلدين ولم يزل حتى اتاح الله عليه بافعاله هذا الباشا

والمسلمين بالمعرفة الزائدة ٩٨ واستجلاب القاعدة لاغل مجالسته ولا معاشرته وما ترقت ارتب الباشا في الفاضل

الدين فخنقوه فيعرا اخذ منه قلعة الجودي فلما فرغ منهم سار نحوها ووليوا من أهلها ويسكن روعهم وامر الناس بالرجوع الى بلادهم والتجهيز لحرب الخطا واقام شهاب الدين بلهاوور الى سادس عشر رجب وعاد نحو غزنة وارسل الى بهاء الدين سام صاحب باميان ان يتجهز للمسير الى سمرقند وليعمل جسرا ليعبر هو وعساكره عليه

(ذكر الظفر بالتيراهية)

كان من جملة الخارجين المفسدين أيضا على شهاب الدين التيراهية فانهم خرجوا الى حدود سوران ومكرهان للغارة على المسلمين فاوقع بهم نائب تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين بتلك الناحية ويعرف بالخلجي وقتل منهم خلقا كثيرا وحمل رؤس القتلى فعلقت ببلاد الاسلام وكانت فتنة هؤلاء التيراهية على بلاد الاسلام عظيمة قديما وحديثا وكان اذا وقع بايديهم أسير من المسلمين عذبوه بانواع العذاب وكان أهل فرشابور معهم في ضر شديد لانهم يحيطون بتلك الولاية من جوانبها لاسيما آخر ايام سبكتكين فان الملوك ضعفوا وقوى هؤلاء عليهم وكانوا يغيرون على اطراف البلاد وكانوا كفارا لا دين لهم يرجعون اليه ولا مذهب يعتمدون عليه الا انهم كانوا اذا ولد لاحدهم بنت وقف على باب داره ونادى من يتزوج هذه من يقبلها فان أجابه أحد تركها والا قتلها ويكون للمرأة عدة أزواج فاذا كان أحدهم عندها جعل مداسه على الباب فاذا جاء غيره من أزواجها ورأى مداسه عاد ولم يزالوا كذلك حتى اسلم طائفة منهم آخر ايام شهاب الدين الغوري فكفوا عن البلاد وسبب اسلامهم انهم أسروا انسانا من فرشابور فعذبوه فلزمت ودامت ايامه عندهم فاحضره بعض مقدميهم وسأله عن بلاد الاسلام وقال له لو حضرت انا عند شهاب الدين ماذا كان يعطيني فقال له كان يعطيك الاموال والاقطاع ويرد اليك حكم جميع البلاد التي لكم فارسله الى شهاب الدين في الدخول في الاسلام فعاد ومعه رسول بالخلع والمنشور بالاقطاع فلما وصل اليه الرسول سار هو وجماعة من اهله الى شهاب الدين فاسلموا وعادوا وكان للناس بهم راحة فلما كانت هذه الفتنة واختلفت البلاد نزل اكثرهم من الجبال فلم يكن لهذه الطائفة بهم قدرة ليمنعوهم فافسدوا وفعلوا ما ذكرناه

(ذكر قتل شهاب الدين الغوري)

في هذه السنة اول ليلة من شعبان قتل شهاب الدين ابو المظفر محمد بن سام الغوري ملك غزنة وبعض خراسان بعد عوده من لهاوور بمنزل يقال له دميك وقت صلاة العشاء وكان سبب قتله ان نفرا من الكفار الكوكرية لزموا عسكره عازمين على قتله لما فعل بهم من القتل والاسر والسبي فلما كان هذه الليلة تفرق عنه اصحابه وكان قد عاد ومعه من الاموال ما لا يحد فانه كان عازما على قصد الخطا والاستكثار من العساكر وتفريق المال فيهم وقد امر عساكر الهند باللحاق به وامر عساكر الخراسانية بالتجهيز الى ان يصل اليهم فاتاه القضاء من حيث لم يحتسب ولم يغن عنه ما جمع من مال وسلاح ورجال

لمعرفة علم الحساب والهندسة
والمساحة تعين المترجم رئيسا
ومعلما لمن يكون متعلما
بذلك المكتب وذلك انه
تداخل بتحيلاته لتعليم مماليك
الباشا الكتابة والحساب
ونحو ذلك ورتب له خروجا
وشهرية وتحت يده
بعض المماليك في معرفة
الحسابيات ونحوها واعجب
الباشا ذلك فذاكره وحسن
له بان يفرد مكانا للتعليم
ويضم الى مماليكه من يريد
التعليم من اولاد الناس فامر
بانشاء ذلك المكتب وحضر
اليه اشياء من آلات الهندسة
والمساحة والهيئة الفلكية
من بلاد الانكليز وغيرهم
واستجلب من اولاد البلد
ما ينيف على الثمانين شخصا
من الشبان الذين فيهم قابلية
التعليم ورتبوا لكل شخص
شهرية وكسوة في آخر السنة
فكان يسعى في تحصيل كسوة
الفقير منهم ليتجمل بها بين
اقرانه ويواسي من يستحق
المواساة ويشتري لهم الحمير
مساعدة لطلوعهم ونزولهم الى
القلعة فيجتمعون للتعليم في
كل يوم من الصباح الى بعد
الظهر واضيف اليه آخر
حضر من اسلامبول لمعرفة
بالحسابيات والهندسيات
لتعليم من يكون اعجميا
لا يعرف العربية مساعد المترجم في التعليم يسمى روح الدين افندي فاستمر نحوا

لما ملك غياث الدين ابو الفتح محمد بن سام باميان اقطعها ابن عمه شمس الدين محمد بن مسعود وزوجه اخته فاتاه منها ولد اسمه سام فبقي فيها الى ان توفي وملك بعده ابنه الاكبر واسمه عباس وامه تركية فغضب غياث الدين واخوه شهاب الدين في ذلك وارسلا من احضر عباسا عندهما واخذا البلاد منه وجعلا ابن اختهما سام ملكا على باميان وتلقب بهاء الدين وعظم شانه ومحله وجمع الاموال واملاك البلاد بعد خاله واحبه امراء الغورية حبا شديدا وعظموه فلما قتل خاله شهاب الدين سار بعض الامراء الغورية الى بهاء الدين سام فاخبره بذلك فلما بلغه قتله كتب الى من بغزنة من الامراء الغورية يامرهم بحفظ البلد ويعرفهم انه على الطريق سائرا اليهم وكان والي قلعة غزنة ويعرف بامير داد قد ارسل ولده الى بهاء الدين سام يستدعيه الى غزنة فاعاد جوابه انه يتجهز ويصل اليه ووعده الجميل والاحسان وكتب بهاء الدين الى علاء الدين محمد بن ابي علي ملك الغور يستدعيه اليه والى غياث الدين محمود بن غياث الدين والى ابن خرميل والى هراة يامرهما باقامة الخطبة له وحفظ ما بايديهما من الاعمال ولم يظن ان احدا يخالفه فاقام اهل غزنة ينتظرون وصوله او وصول غياث الدين محمود والاتراك يقولون لا نترك غير ابن سيدنا يعنون غياث الدين يدخل غزنة والغورية يتظاهرون بالميل الى بهاء الدين ومنع غيره فسار من باميان الى غزنة في عساكره ومعه ولداه علاء الدين محمد وجلال الدين فلما سار عن باميان مرحلتين وجد صداعا فنزل يستريح ينتظر خفته عنه فازداد الصداع وعظم الامر عليه فايقن بالموت فاحضر ولديه وعهد الى علاء الدين وامرهما بقصد غزنة وحفظ مشايخ الغورية وضبط الملك وبالرفق بالرعايا وبذل الاموال وامرهما ان يصالحا غياث الدين على ان يكون له خراسان وبلاد الغور ويكون لهما غزنة وبلاد الهند

(ذكر ملك علاء الدين غزنة واخذها منه)

لما فرغ بهاء الدين من وصيته توفي فسار ولداه الى غزنة فخرج امراء الغورية واهل البلد فلقوهما وخرج الاتراك معهم على كره منهم ودخلوا البلد وملكوه ونزل علاء الدين وجلال الدين دار السلطنة منتصف رمضان وكانوا قد وصلوا في ضر وقلة من العسكر واراد الاتراك منعهم فنهاهم مؤيد الملك وزير شهاب الدين لقلتهم ولاشتغال غياث الدين بابن خرميل والي هراة على ما نذكره فلم يجمعوا ولما استقرا بالقلعة ونزلا بالدار السلطانية راسلهما الاتراك بان يخرجا من الدار والا قاتلوهما ففرقا فيهم اموالا كثيرة واستحلفاهم فحلفوا واستثنوا غياث الدين محمودا وانفذا خلعا الى تاج الدين الدز وهو باقطاعه مع رسول وطلباه الى طاعتهما ووعداه بالاموال والزيادة في الاقطاع وامارة الجيش والحكم في جميع الممالك فاتاه الرسول فلقيه وقد سار عن كرمان في جيش كثير من الاتراك والخلج والغز وغيرهم فابلغه الرسالة فلم يلتفت اليه وقال قل لهما يعودان الى باميان وفيها كفاية فاني قد امرني مولاي غياث الدين ان اسير الى غزنة

ثاني ساعة من ليلة الجمعة سادس عشري جمادى الثانية وذهبوا به الى المدفن في المشاعل من خلف الجنازة فلما وصلوا الى المدفن ارادوا انزاله الى القبر بالصندوق فزعكلهم فكسروا الصندوق فنبعث رائحته وقد تهرى فهرب كل من كان حاضرا فكبوه على حصير ولفوه فيه وانزلوه الى الحفرة وغشي على الحفارين وجزعت النفوس من رائحة اخشاب الصندوق فتراءى ليه الاثر فليس من يفتكر او يعتبر (ومات) ايضا حسن اغا كم ندر السوبيني معطوفا وولي الباشا عوضه السيد احمد الملا الترجمان (ومات) ايضا سليمان اغا كم رشيد (ومات) الامير الكبير الشهير ابراهيم بك المحمدي من اعيان امراء الالوف المصريين ومات بدنقلة متغربا عن مصر وضواحيها وهو من مماليك محمد بك ابي الذهب تقلد الامرة والامارة في سنة اثنتين وثمانين ومائة والف في ايام علي بك الكبير وتقلد مشيخة البلد ورياسة مصر بعد موت استاذه في سنة تسع وثمانين ومائة والصحيح مشاركة خشداشه مراد بك وباقي امرائهم والجميع راضون برياسته وامارته لا يخالفونهم ولا يخالفونه ويراعي جانب الصغير منهم قبل الكبير ويحرص على جمعية امرهم والفة قلوبهم طالت ايامه وتولى قائممقامية مصر على الوزرا نحو العشرة مرار وطلع اميرا على الحج في سنة ست وثمانين

فلم يزل يخادعه حتى تمكن منه وقبض عليه وارسله الى بلاد سلانيك وخرج من سلطنته وصيانته الى بلاد القرية ونهبت امواله ومتاعه اولاده وجواريه ثم مات هو في هذه السنة (ومات) الامير مصطفى بلده الى باشا وهو قريب الباشا ونسيبه ايضا وكان من اعاظم ارباب دولته شهير الذكر موصوفا بالاقدام والشجاعة ومات بالاسكندرية ولما وصل خبره الى الباشا اغتم غما شديدا وتأسف عليه وكان الباشا ولاه كشوفية الشرقية وقرن به على كاشف فاقاما بالنحو الستين ومهدا البلاد واخافا العربان واذلاهم وقتلا منهم الكثير وجمعا وحدوده اموالا جمة وكان جسيما بطينا يأكل التيس الخصي وحده ويشرب عليه الزق من الشراب ثم يتبعه بثانية او انقص من الثمين ويستلقي نائما مثل الجمل العظيم ذي الخوار الا انه كان يقضي حاجة من التجا اليه ويحب اولاد الناس ويواسيهم ويتجاوز عن الكثير ويعطي ما يلزمه من الحقوق لاربابها ولما تحققت اخته التي هي زوج الباشا وكذلك والدته امرتا باحضاره ومنه الى مصر ويدفن عند قومهم وتعين لذلك سليمان اغا السلحدار فسافر الى الاسكندرية ووضعه في صندوق مرفت على عربة ووصل به بعد اثني عشر يوما من موته وكان وصوله في

اليهم تاج الدين الدز يستقبلهم فلما ابصر الجنازة وفيها شهاب الدين ميتا نزل وقبل الارض على عادته في حياة شهاب الدين وكشف عنه فلما رآه ميتا مزق ثيابه وصاح وبكى فابكى الناس وكان يوما مشهودا

(ذكر ما فعله الدز)

كان الدز من اول مماليك شهاب الدين واكبرهم وهو واقد وهو اكبرهم محلا عنده بحيث ان اهل شهاب الدين كانوا يخدمونه ويقصدونه في اشغالهم فلما قتل صاحبه طمع ان يملك غزنة فاول ما فعل انه سأل الوزير مؤيد الملك عن الاموال والسلاح والدواب فاخبره بما خرج من ذلك وبالباقي معه فانكر الحال واساء ادبه في الجواب وقال ان الغورية قد كاتبوا علاء الدين سام صاحب باميان ليملكوه غزنة وقد كتب الى غياث الدين محمود وهو مولاي يامرني ان لا اترك احدا يقرب من غزنة وقد جعلني نائبه فيها وفي سائر الولاية المجاورة لها لانه مشتغل بامر خراسان وقال للوزير انه قد امرني ايضا ان اتسلم الخزانة منك فلم يقدر على الامتناع عليه الاتراك اليه فسلمها اليه وسار الثقل والمماليك والوزير الى غزنة فدفن شهاب الدين في التربة بالمدرسة التي انشاها ودفن ابنته فيها وكان وصوله اليها في الثاني والعشرين من شعبان من السنة

(ذكر بعض سيرة شهاب الدين)

كان رحمه الله شجاعا مقداما كثير الغزو الى بلاد الهند عادلا في رعيته حسن السيرة فيهم حاكما بينهم بما يوجبه الشرع المطهر وكان القاضي بغزنة يحضر داره في كل اسبوع السبت والاحد والاثنين والثلاثاء ويحضر معه امير حاجب وامير دار وصاحب التربة فيحكم القاضي واصحاب السلطان ينفذون احكامه على الصغير والكبير والشريف والوضيع وان طلب احد الخصوم الحضور عنده احضره وسمع كلامه وامضى عليه اولاه حكم الشرع فكانت الامور جارية على احسن نظام (وحكي عنه) انه اتاه صبي علوي عمره نحو خمس سنين فدعا له وقال لي خمسة ايام ما اكلت شيئا فعاد من الركوب لوقته ومعه الصبي فنزل في داره واطعم العلوي اطيب الطعام بحضرته ثم اعطاه مالا وبعد ان احضر اباه وسلمه اليه وفرق في سائر العلويين مالا عظيما (وحكي) ان تاجرا من مراغة كان بغزنة وله على بعض مماليك شهاب الدين دين مبلغه عشرة آلاف دينار فقتل المملوك في حرب كانت له فرفع التاجر حاله فامر بان يقر اقطاع المملوك بيد التاجر الى ان يستوفي دينه ففعل ذلك (وحكي عنه) انه كان يحضر العلماء بحضرته فيتكلمون في المسائل الفقهية وغيرها وكان فخر الدين الرازي يعظ في داره فحضر يوما فوعظ وقال في آخر كلامه يا سلطان لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازي وان مردنا الى الله فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس لكثرة بكائه وكان رقيق القلب وكان شافعي المذهب مثل اخيه وقيل كان حنفيا والله اعلم

(ذكر مسير بهاء الدين سام الى غزنة وموته)

بالخطبة له ولا القصر وانما خطب للخليفة ويترحم على شهاب الدين الشهيد حسب
فلما كان في اليوم الرابع احضر مقدمي الغورية والاتراك وتقدم من كاتب علاء الدين
وانشاء وقبض على امير داد والي غزنة فلما كان الغد وهو سادس عشر رمضان احضر
القضاة والفقهاء والمقدمين واحضر ايضا رسول الخليفة وهو الشيخ مجد الدين ابو علي
ابن الربيع الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد وكان قد ورد الى غزنة رسولا الى
شهاب الدين فقتل شهاب الدين وهو بغزنة فارسل اليه والى قاضي غزنة يقول له انني
اريد ان انتقل الى الدار السلطانية وان اخاطب بالملك ولابد من حضورك والمقصود
من هذا ان تستقر امور الناس فحضر عنده فركب الدز والناس في خدمته وعليه
ثياب الحزن وجلس في الدار في غير مجلس كان يجلس فيه شهاب الدين فتغيرت لذلك
نيات كثير من الاتراك لانهم كانوا يطيعونه ظنا منهم انه يريد الملك لغياث الدين
فحيث رأوه يريد الانفراد تغيروا عن طاعته حتى ان بعضهم بكى غيظا من فعله واقطع
الاقطاعات الكثيرة وفرق الاموال الجليلة وكان عند شهاب الدين جماعة من اولاد
ملوك الغور وسمرقند وغيرهم فانفوا من خدمة الدز وطلبوا منه ان يقصدوا خدمة
غياث الدين واخيه صاحب باميان وارسل غياث الدين الى الدز يشكره ويثني عليه
لاخراج اولاد بهاء الدين من غزنة ويسير له الخلع وطلب منه الخطبة والسكة فلم يفعل
واعاد الجواب فغالطه وطلب منه ان يخاطبه بالملك وان يعتقه من الرق لان غياث
الدين ابن اخي سيده لا وارث له سواه وان يزوج ابنه بابنة الدز فلم يجبه الى ذلك واتفق
ان جماعة من الغوريين من عسكر صاحب باميان اغاروا على اعمال كرمان وسوران
وهي اقطاع الدز القديمة فغنموا وقتلوا فارسل صهره وصونج في عسكر فلقوا عسكر
الباميان فظفر بهم وقتل منهم كثيرا وانفذ رؤسهم الى غزنة فنصبت بها واجرى الدز
في غزنة رسوم شهاب الدين وفرق في اهلها اموالا جليلة المقدار والزم مؤيد الملك ان
يكون وزيرا له فامتنع من ذلك فالح عليه فاجابه على كره منه فدخل على مؤيد الملك
صديق له يهنئه فقال بماذا تهنئني من بعد ركوب الجواد بالحمار وانشد

ومن ركب الثور بعد الجواد ۞ انكر اطلاقه والخبب

يعني ان الدز انتهى الى باب القصر حتى اذن له في الدخول اصبح على بابه ولولا حفظ النفس
مع هؤلاء الاتراك لكان لي حكم آخر

۞ (ذكر حال غياث الدين بعد قتل عمه) ۞

واما غياث الدين محمود بن غياث الدين فانه كان في اقطاعه وهو بست واسفرار وكان
الملك علاء الدين بن محمد بن ابي علي قد ولاه شهاب الدين بلاد الغور وغيرها من ارض
الداور فلما بلغه قتله سار الى فيروزكوه خوفا ان يسبقه اليها غياث الدين فيملك البلد
ويأخذ الخزائن التي بها وكان علاء الدين حسن السيرة من اكابر بيوت الغورية الا ان
الناس كرهوه لميلهم الى غياث الدين وابى الامراء من خدمته مع وجود ولد غياث الدين

والاكتراث بسلطانهم الذي بيده وان انهم في طاعته مع خفة اوامره ومنع خزينته
واحتقار الولاة ومنعهم من
التصرف والحجر عليهم فلا
يصل للوالي عليهم الا بعض
صدقاتهم الى ان تحرك عليهم
حسن باشا الجزائرلي في سنة
مائتين والف وحضر على
الصورة التي حضر فيها وساعدته
الرعية وخرجوا من المدينة
الى الصعيد وانهكت حرمتهم
ثم رجعوا بعد الفصل في سنة
ست ومائتين الى امارتهم
ودولتهم وعادوا الى حالتهم
الاولى بل وازيد منها في
التعدي فاوجب ذلك ركوب
الفرنساوية عليهم ولم يزل
الحال يتزايد والاهوال يتلو
بعضها بعضا حتى انقلبت
اوضاع الديار المصرية وزالت
حرمتها بالكلية وادى الحال
بالمترجم الى الخروج والتشتت
والتشريد هو ومن بقي من
عشيرته الى بلاد العبيد
يزرعون الدخن ويتقوتون
منه وملابسهم القمصان التي
يلبسها الجلابة في بلادهم
الى ان وردت الاخبار بموته
في شهر ربيع الاول من السنة
وبالجملة فاخباره قد تقدمت
في ضمن السوابق والملابسات
واللواحق (ومات) الامير
الاجل احمد اغا الخازندار
المعروف ببونابارته وهو ايضا
شهير الذكر من اعاظم الدولة
وقد تقدم كثير من اخباره
وسفره الى الحجاز وكان عمر
دارا عظيمة على بركة الازبكية جهة الرويعي ثم حصل لهما كثير الزواج ابنه وهو اذ ذاك مريض في حياض

وامنعهما عنها فان عادا الى بلدهما والاعلات بهما وبجبين معهما ما يكرهون وزودهما من المطايا والخلع ولم يكن قصد الدز بهذا حفظ بيت صاحبه وانما اراد ان يجعل هذا طريقا الى ملك غزنة لنفسه فعادا الرسول وابلغ علاء الدين رسالة الدز فارسل وزيره وكان قبله وزير ابيه الى باميان وبلخ وترمذ وغيرها من البلاد ليجمع العساكر ويعود اليه فارسل الدز الى الاتراك الذين بغزنة يعرفهم ان غياث الدين امره ان يقصد غزنة ويخرج علاء الدين واخاه منها فحضروا واعتقلوا وزير علاء الدين وطلبوا منه سلاحا ففتح خزانة السلاح فهرب ابن الوزير الى علاء الدين وقال له قد كان كذا وكذا فلم يقدر ان يفعل شيئا وسمع مؤيد الملك وزير شهاب الدين فركب وانكر على الخازن تسليم المفاتيح وامره فلم يرد ما نهبه الترك جميعه لانه كان عطاءهم ووصل الدز الى غزنة فاخرج اليه علاء الدين جماعة من الغورية ومن الاتراك وفيهم صونج صهر الدز فاشار عليه اصحابه ان لا يفعل وينتظر العسكر مع وزيره فلم يقبل منهم وسيرالعسكر فالتقوا خامس رمضان فلما التقوا خدعه الاتراك وعادوا معه على عسكر علاء الدين فقتلوهم فهزموهم واسروا مقدمهم وهو محمد بن على بن حردون ودخل عسكر الدز المدينة فنهبوا بيوت الغورية والباميانية وحصر الدز القلعة فخرج جلال الدين منها في عشرين فارسا وسار عن غزنة فقالت له امرأة تستهزئ به الى اين عفى غد تجتمع الشمس فطلعت ما اريخ خروج السلاطين هكذا فقال لها الملك سفر من ذلك اليوم واعمل بكم ما تقرون به بالسلطنة لي وكان قد قال لاخيه احفظ القلعة الى ان آتيك بالعساكر فبقي الدز يحاصرها واراد من مع الدز نهب البلد فنهاهم عن ذلك وارسل الى علاء الدين يامره بالخروج من القلعة ويتهدده ان لم يخرج منها وترددت الرسل بينهما في ذلك فاجاب الى مفارقتها والعود الى بلده وارسل من حلف له الدز ان لا يؤذيه ولا يتعرض اليه ولا الى احد ممن يخلف له وسار عن غزنة فلما رآه الدز وقد نزل من القلعة عدل الى تربة شهاب الدين مولاه ونزل اليها ونهب الاتراك ما كان مع علاء الدين والقوه عن فرسه واخذوا ثيابه وتركوه عريانا بسراويله فلما سمع الدز ذلك ارسل اليه بدواب وثياب ومال واعتذر اليه فاخذ ما لبسه وترك الباقي فلما وصل الى باميان لبس ثياب سواد وركب حمارا فاخذ جواله مراكب ملوكية وملابس جليلة فلم يركب ولم يلبس وقال اريد ان يرانى الناس وما صنع بي اهل غزنة حتى اذا عدت اليها وخربتها لا يلومني احد ودخل دار الامارة وشرع في جمع العساكر

(ذكر ملك الدز غزنة)

قد ذكرنا استيلاء الدز على الاموال والسلاح والدواب وغير ذلك مما كان صحبة شهاب الدين واخذه من الوزير مؤيد الملك فجمع له العساكر من انواع الناس الاتراك والخلج والغز وغيرهم وسار الى غزنة وجرى له مع علاء الدين ما ذكرنا فلما خرج علاء الدين من غزنة اقام الدز بداره اربعة ايام يظهر طاعة غياث الدين الا انه لم يامر الخطيب

وتولى الدفترداريه في سنة سبع وثمانين وكلاهما في حياة استاذه واشترى المماليك الكثيرة ورباهم واعتقهم وامر وقلد منهم صناجق وكشافا واسكنهم الدور الواسعة واعطاهم الاقطاعات ومات الكثير منهم في حياته واقام خلافهم من مماليكه وراى اولاد اولاده بل واولادهم وما زال يولد له واقام في الامارة نحو ثمان واربعين سنة وتنعم فيها وقاسى في اواخر امره شدائد واغترابا عن الاهل والاوطان وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية ومباشرة الحروب وكان لبسا كثير الخاش صبورا ذا تؤدة وحلم قريبا للانقياد للحق متجنبا للهزل الا نادرا مع الكمال والحشمة لا يحب سفك الدماء مرخصا لخشداشينه في افاعليهم كثير التغافل عن مساويهم مع معارضتهم له في كثير من الامور وخصوصا مراد بك واتباعه فيغضي ويتجاوز ولا يظهر لهما ولا خلافا ولا تأثرا حرصا على دوام الالفة وعدم المشاغبة وان حدث فيما بينهم ما يوجب وحشة تلافاه واصلحه وكان هذا الاهمال والترخص والتغافل سببا لمبادي الشرور فانهم تمادوا في التعدي وداخلهم الغرور وعميت عنهم العواقب في مراقب الامور واستصغروا من عداهم وامتدت ايديهم لاخذ اموال التجار وبضائع الافرنج الفرنساوية وغيرهم ويدفعون الثمن مع الحقارة لهم ولغيرهم وعدم المبالاة بالخطبة

غياث الدين لحقد عليهما فلما وصل كتاب غياث الدين خاف ميل الناس اليه فقطعه في الجواب وكان ابن خرميل قد كاتب خوارزمشاه يطلب منه ان يرسل اليه عسكرا ليصير في طاعته ويمتنع به على الغورية فطلب منه خوارزمشاه اقطاع ولده رهينة ويرسل اليه عسكرا فسير ولده الى خوارزمشاه فكتب خوارزمشاه الى عسكره الذين بنيسابور وغيرها من بلاد خراسان يأمرهم بالتوجه الى هراة وان يكونوا يتصرفون بأمر ابن خرميل ويمتثلون امره هذا وغياث الدين يتابع الكتب الى ابن خرميل وهو يحتج في بعضها بانتظار العسكر خوارزمشاه ولا يؤيسه من طاعته ولا يخطب له ويطمعه طاعة غير مستوية ثم ان الامير علي بن ابي علي صاحب كالوين اطلع غياث الدين على حال ابن خرميل فعزم غياث الدين على التوجه الى هراة فثبطه بعض الامراء الذين معه واشاروا عليه بانتظار آخر امره وترك محاققته واستشار ابن خرميل القاضي في امر غياث الدين فقال له علي بن عبد الخلاق بن زياد مدرس النظامية بهراة وهو متولي وقوف خراسان التي بيد الغورية جميعها ينبغي ان تخطب للسلطان غياث الدين وتترك المغالطة فاني اخاف على نفسي فامض انت وتوثق لي منه وكان قصده ان يبعده عن نفسه فمضى برسالته الى غياث الدين واطلعه على ما يريد ابن خرميل يفعله من الغدر به والميل الى خوارزمشاه وحثه على قصد هراة وقال له انا اسلمها اليك ساعة تصل اليها ووافقه بعض الامراء وخالفه غيرهم وقال ينبغي ان لا تترك له حجة فترسل اليه بتقليد بولاية هراة ففعل ذلك وسير مع ابن زياد بعض اصحابه ثم ان غياث الدين كاتب مبران بن [illegible] صاحب الطالقان يستدعيه اليه فتوقف وارسل الى صاحب مرو ليسير اليه فتوقف ايضا فقال له اهل البلدان لم تسلم البلاد الى غياث الدين وتتوجه والا سلمناك وقيدناك وارسلناك اليه فاضطر الى المجىء الى فيروزكوه فخلع عليه غياث الدين واقطعه اقطاعا سنيا واقطع الطالقان سونج مملوك ابيه المعروف بامير شكار

(ذكر استيلاء خوارزمشاه على بلاد الغورية بخراسان)

قد ذكرنا مكاتبة الحسين بن خرميل والي هراة خوارزمشاه ومراسلته في الانتماء اليه والطاعة له وترك طاعة الغورية وخداعه غياث الدين ومغالطته له بالخطبة له والطاعة انتظارا لوصول عسكر خوارزمشاه ووصول رسول غياث الدين وابن زياد بالخطبة فقال يوم الجمعة نخطب له فاتفق قرب عسكر خوارزمشاه منهم فلما كان يوم الجمعة قيل له في معنى الخطبة فقال نحن في شغل اهم منها بوصول هذا العدو فطالت المجادلات بينهم في ذلك وهو مصر على الامتناع منها ووصل عسكر خوارزمشاه فلقيهم ابن خرميل واكرمهم على باب البلد فقالوا له قد امرنا خوارزمشاه ان لا نخالف لك امرا فشكرهم على ذلك وكان يخرج اليهم كل يوم واقام لهم الوظائف الكثيرة واتاه الخبر ان خوارزمشاه نزل على بلخ محاصرها فلقيه صاحبها وقاتله بظاهر البلد فلم يظفر بالقرب منها فنزل على اربعة فراسخ فندم ابن خرميل على طاعة خوارزمشاه وقال لخواصه لقد اخطأنا حيث صرنا مع هذا الرجل فانني اراه عاجزا وشرع في اعادة العسكر فقال للامراء ان خوارزمشاه قد ارسل

المصرية والحجازية والقدور وما اضيف اليها وقد تقدم ذكر رجوعه من البلاد الحجازية وتوجهه الى الاسكندرية ورجوعه الى مصر ثم عوده الى ناحية رشيد وعرضي خيامه بجهة الجمار بالعسكر على الصورة المذكورة وهو ينتقل من العرضي الى رشيد ثم الى برنبال والى منصورة والعزب ولما رجع في هذه المرة اخذ صحبته من مصر المغنين وارباب الآلات لان المطربة بالعود والقانون والناي والكمنجات وهم ابراهيم الوراق والحبابي وقشوة ومن يصحبهم من باقي رفقائهم فذهب ببعض خواصه الى رشيد ومعه الجماعة المذكورون فاقام اياما وحضر اليه من جهة الروم جوار وغلمان ايضا رقاصون فانتقل بهم الى قصر برنبال ففي ليلة حلوله بهذا القصر نزل به ما نزل به من القضاء وقرص بالطاعون وعلمل نحو عشر ساعات وانقضى نحبه وذلك ليلة الاحد سابع شهر القعدة وحضره خليل افندي قرالي حاكم رشيد وعندما خرجت روحه انتفخ جسمه وتغير لونه الى الزرقة فغسلوه وكفنوه ووضعوه في صندوق من الخشب وسلوا به في السفينة منتصف الليلة الاولى بعدما [illegible] وكان والده بالجيزة فلم يتجاسروا على اخباره فذهب اليه احمد اغا اخو كتخدا بك فلما علم بوصوله ليلا انتكر حضوره في ذلك الوقت فاخبره عنه ورود الخبر بامتوته كالفراكب

سلطانهم ولانه كان كراميا فمال اليه في مذهبه واهل فيروزكوه شافعية والزموهم ان يجعلوا
الاقامة مثنى فلما وصل الى فيروزكوه احضر جماعة من الامراء منهم محمد المرغني واخوه
ومحمد بن عثمان وهم من اكابر الامراء وحلفهم على مساعدته على قتال خوارزمشاه
وبهاء الدين صاحب باميان ولم يذكر غياث الدين احتقارا له فحلفوا له ولولده من بعده
وكان غياث الدين بمدينة بست لم يتحرك في شيء انتظارا لما يكون من صاحب باميان
لانهما كانا قد تعاهدا ايام شهاب الدين ان تكون خراسان لغياث الدين وغزنة والهند
لبهاء الدين وكان بهاء الدين اقوى فلهذا لم يفعل شيئا فلما بلغه خبر موت بهاء الدين جلس
على التخت وخطب لنفسه بالسلطنة عاشر رمضان وحلف الامراء الذين قصدوه وهم
اسمعيل الخلجي وسونج امير شكار وزنكي بن خرحوم وحسين الغوري صاحب
تكياباذ وغيرهم وتلقب بالقاب ابيه غياث الدين وكتب الى علاء الدين محمد بن ابي علي
وهو بفيروزكوه يدعوه اليه ويستعطفه ليصدر عن رايه ويسلم مملكته اليه وكتب
الى الحسين بن خرميل والي هراة بمثل ذلك ايضا ووعده الزيادة في الاقطاع فاما علاء
الدين فاغلظ له في الجواب وكتب الى الامراء الذين معه يتهددهم فرحل غياث الدين
الى فيروزكوه فارسل علاء الدين عسكرا مع ولده وفرق فيهم مالا كثيرا وخلع عليهم
ليمنعوا غياث الدين فلقوه قريبا من فيروزكوه فلما تراءى الجمعان كشف اسمعيل
الخلجي المغفر عن وجهه وقال لمحمد ان الاتراك الذين لا يعرفون آباءهم لم يضيعوا
حق التربية وردوا ابن ملك باميان وانتم مشايخ الغورية الذين انعم عليكم والد هذا
السلطان وبالغ في الاحسان اليكم لا تعرفون الاحسان وجئتم تقاتلون ولده اهذا فعل
الاحرار فقال محمد المرغني وهو مقدم العسكر الذين يصدرون عن رايه لا والله ثم ترجل
عن فرسه والقى سلاحه وقصد غياث الدين وقبل الارض بين يديه وبكى بصوت عال
وفعل سائر الامراء كذلك فانهزم اصحاب علاء الدين مع ولده فلما بلغه الخبر خرج عن
فيروزكوه وسار نحو الغور وهو يقول انا امضي اجاور بمكة فانفذ غياث الدين خلفه من
رده اليه فاخذه وحبسه وملك فيروزكوه وفرح به اهل البلد وقبض غياث الدين على
جماعة من اصحاب علاء الدين الكرامية وقتل بعضهم ولما دخل غياث الدين فيروزكوه
ابتدأ بالجامع فصلى فيه ثم ركب الى دار ابيه فسكنها واعاد رسوم ابيه واستخدم حاشيته
وقدم عليه عبد الجبار بن محمد الكيراني وزير ابيه فاستوزره وسلك طريق ابيه في
الاحسان والعدل ولما فرغ غياث الدين من علاء الدين لم يكن له همة الا ابن خرميل
بهراة واجتذابه الى طاعته فكاتبه وراسله واتخذه ابا واستدعاه اليه وكان ابن خرميل
قد بلغه موت شهاب الدين ثامن رمضان فجمع اعيان الناس منهم قاضي هراة صاعد
ابن الفضل النيسابوري وعلي بن عبد الخلاق بن زياد مدرس النظامية بهراة
وشيخ الاسلام رئيس هراة ونقيب العلويين ومقدمي المحال وقال لهم قد بلغني وفاة
السلطان شهاب الدين وانا في ثغر خوارزمشاه واخاف الحصار واريد ان تحلفوا لي على
المساعدة على كل من نازعني فاجابه القاضي وابن زياد بانا نحلف على كل الناس الا اولاد

الموت حتى اشيع في الناس ا٠٠ يوم زفة العروس ثم مات بعد ايام قليلة مضت من الفرح وذلك يوم الاربعاء ثالث شهر
جمادى الثانية (وماتت)
الست الجليلة خاتون وهي
سرية علي بك بلوط قبان
الكبير وكانت عظيمة
و بنى لها الدار العظيمة على
بركة الازبكية بدرب عبد
الحق والساقية والطاحون
بجانبها والسامات على بك
وكان مراد بك تزوج بها
وعمرت طويلا مع العز
والسيادة والكلمة النافذة
واكثر نساء الامراء من
جواريها ولما ماتت بعد الست
شويكار من اشتهر ذكره
وخبره سواها ولما كان ايام
الفرنساوية واصطلح معهم
مراد بك حصل لها منهم غاية
الكرامة ورتبوا لها من ديوانهم
في كل شهر مائة الف نصف
فضة وشفاعتها عندهم مقبولة
لا ترد وبالجملة فانها كانت
من الخيرات ولها على الفقراء
بر واحسان ولها من المآثر
الخان الجديد والصهريج
داخل باب زويلة توفيت
يوم الخميس لعشرين من
شهر جمادى الاولى بمنزلها
المذكور بدرب عبد الحق
ودفنت بحوشهم في القرافة
الصغرى بجوار الامام الشافعي
واضيفت الدار الى الدولة
وسكنها بعض اكابرها
وسبحان الحي الذي لا يموت
(ومات) المقر المكرم
المخدوم احمد باشا الشهير بطوسون ابن حضرة الوزير محمد علي باشا مالك الاقاليم

الامراء الغورية فاحسن اليه واقطعه اشياء الغورية وجعله سفيراً بينه وبين صاحب بلخ فسير اخاه على شاه بين يديه في عسكر الى بلخ فلما قاربها خرج اليه عماد الدين عمر بن الحسين الغوري اميرها فدفعه عن النزول عليها فنزل على اربعة فراسخ منها فارسل الى اخيه خوارزمشاه يعلمه قوتهم فسار اليه في ذي القعدة من السنة فلما وصل الى بلخ خرج صاحبها فقاتلهم فلم يقو بهم لكثرتهم فنزلوا فصار يوقع بهم ليلا فكانوا معه على اقبح صورة فاقام صاحب بلخ محاصرا وهو ينتظر المدد من اصحابه اولاد بهاء الدين صاحب باميان وكانوا قد اشتغلوا عنه بغزنة على ما ذكرناه وعلى ما نذكره ان شاء الله تعالى فاقام خوارزمشاه على بلخ اربعين يوما كل يوم يركب الى الحرب فيقتل من اصحابه كثير ولا يظفر بشيء فراسل صاحبها عماد الدين مع محمد بن علي بن بشير الغوري وبذل له بذلا كثيرا ليسلم اليه البلد فلم يجبه الى ذلك وقال لا اسلم البلد الا الى اصحابه فعزم على المسير الى هراة فلما سار اصحابه اولاد بهاء الدين صاحب باميان الى غزنة المرة الثانية على ما نذكره ان شاء الله تعالى واسرهم تاج الدين الدز عاد عن ذلك العزم وارسل محمد بن علي بن بشير الى عماد الدين ثانيا يعرفه حال اصحابه واسرهم وانه لا يبقى عليه حجة ولا له في التاخر عنه عذر فدخل اليه ولم يزل يخدعه تارة يرغبه وتارة يرهبه حتى اجاب الى طاعة خوارزمشاه والخطبة له وذكر اسمه على السكة وقال انا اعلم انه لا يبقي لي وارسل من يحالفه على ما ارادوه فتم الصلح وخرج الى خوارزمشاه فخلع عليه واعاده الى بلده وكان صلح في ربيع الاول سنة ثلاث وستمائة ثم سار خوارزمشاه الى كرزبان ليحاصرها وبها علي بن ابي علي وارسل الى غياث الدين يقول ان هذه كان قد اقطعها عمك لابن خرميل فتنزل عنها ثم وقال بيني وبينكم السيف فارسل اليه خوارزمشاه مع محمد بن علي بن بشير فرغبه وآيسه من نجدة غياث الدين ولم يزل به حتى نزل عنها وسلمها وعاد الى فيروزكوه فامر غياث الدين بقتله فشفع فيه الامراء فتركه وسلم خوارزمشاه كرزبان الى ابن خرميل ثم ارسل الى عماد الدين صاحب بلخ يطلبه اليه ويقول قد حضر بهم ولا غنى عن حضورك فانت اليوم من اخص اوليائنا فحضر عنده فقبض عليه وسيره الى خوارزم ومضى هو الى بلخ فاخذها واستناب بها جعفرا التركي

٥(ذكر ملك خوارزمشاه ترمذ وتسليمها الى الخطا)٥

لما اخذ خوارزمشاه مدينة بلخ سار عنها الى مدينة ترمذ مجدا وبها ولد عماد الدين الذي كان صاحب بلخ فارسل اليه محمد بن علي بن بشير يقول له ان اباك قد صار من اخص اصحابي واكابر امراء دولتي وقد سلم الي بلخ وانما ظهر لي منه ما انكرته فسيرته الى خوارزم مكرما محترما واما انت فتكون عندي اخا ووعده واقطعه الكثير فغالطه محمد بن علي فرأى صاحبها ان خوارزمشاه قد حصره من جانب والخطا قد حصروه من جانب آخر واصحابه قد اسرهم الدز بغزنة فضعفت نفسه وارسل من يحالفه خوارزمشاه فحالفه وتسلم منه ترمذ وسلمها الى الخطا فلقد اكتسب بها خوارزمشاه

الارض وعلى الكيمان وعن يمين الكاخدا ويساره شخصان يتناولان منهما قراطيس الفضة يفرق على من يتعرض له من الفقراء والصبيان فاذا تكاثروا عليه نثر ما بقي في يده عليهم فيشتغلون عنه بالتقاطها من الارض فكان جملة ما فرق وبدر من الانصاف المؤيدية فقط خمسة وعشرين كيسا عنها خمسمائة الف فضة وذلك خلاف القروش ايضا والربعيات الذهب وساقوا امام الجنازة ستة رؤس من الجواميس الكبار اخذتها خدمة التربة ومن حولهم وخدمة ضريح الامام الشافعي ولم ينل الفقراء الا القليل منهم واخرجوا لاسقاط صلاة الميت في خمسة واربعين كيسا ولما تفرقوا الازهر وفرقت بجامع الغمري كما في حسب الاغراض للغني منهم اضعاف قسم الفقير واكثر الفقراء من الفقهاء لم ينالوا الا القليل ولما وصلوا الى المدفن هدموا التربة وانزلوه فيها بتابوته الخشب لتعسر اخراجه منه بسبب انتفاخه وتهريه حتى انهم كانوا يطلقون حول تابوته البخورات في مجامر الذهب والرائحة غالبة على ذلك وليس ثم من يتعظ او يعتبر ولما مات لم يخبروا والدته بموته الا بعد دفنه فجزعت عليه جزعا شديدا ولبست السواد وكذلك جميع نسائهم واتباعهم وصبغوا ابراقعهم بالسواد والزرقة وكذلك من يتعلق بهم من الناس حتى لطخوا ابواب البيوت ببولاق

في المحفة التقية ثم انحدروا الى ثم راح وطلع الى القصر وصار يدير بالمخادع ويقول اين هو فلم يجاسر احد ان يعبر بحركة

الى غياث الدين يقول له اني على العهد الذي بيننا وانا تركت ما كان لابيك
بخراسان والمصلحة ان ترجعوا حتى ننظر ما يكون فعادوا وارسل اليهم الهدايا الكثيرة
وكان غياث الدين حيث اتصل به وصول عسكر خوارزمشاه الى هراة اخذ اقطاع ابن
خرميل وارسل الى كرزبان واخذ كل ماله بها من مال واولاد ودواب وغير ذلك واخذ
اصحابه في القيود واتاه كتب من يميل اليه من الغورية يقولون له ان والد غياث
الدين قتلك ولما سمع اهل هراة بما فعل غياث الدين باهل ابن خرميل وماله عزموا على
قبضه والمكاتبة الى غياث الدين بالقبض بتسليم البلد وكتب القاضي صاعد قاضي
هراة وابن زياد الى غياث الدين بذلك فلما سمع ابن خرميل بما فعله غياث الدين باهله
وبما عزم عليه اهل هراة خاف ان يعاجله بالقبض فحضر عند القاضي واحضر اعيان
البلد والان لهم القول وتقرب اليهم واظهر طاعة غياث الدين وقال قد رددت عسكر
خوارزمشاه واريد ارسل رسولا الى غياث الدين بطاعتي والذي اوثره منكم ان تكتبوا
معه كتابا بطاعتي فاستحسنوا قوله وكتبوا له ما طلب وسير رسوله الى فيروزكوه وامره
اذا جنه الليل ان يرجع على طريق سبابور ويلحق عسكر خوارزمشاه ويجد السير فاذا
لحقهم ردهم اليه ففعل الرسول ما امره ولحق العسكر على يومين من هراة فامرهم
بالعود فعادوا فلما كان اليوم الرابع من مسير الرسول وصلوا الى هراة والرسول بين
ايديهم فلقيهم ابن خرميل وادخلهم البلد والطبول تضرب بين ايديهم فلما دخلوا اخذ
ابن زياد الفقيه فسمله واخرج القاضي صاعدا من البلد فسار الى غياث الدين
بفيروزكوه واخرج من عنده من الغورية وكل من يعلم انه يريدهم وسلم ابواب البلد الى
الخوارزمية واما غياث الدين فانه برز من فيروزكوه نحو هراة وارسل عسكرا اخذوا
حشيرا كان لاهل هراة فخرج الخوارزمية فشنوا الغارة على هراة الروذ وغيرها فامر
غياث الدين عسكره بالتقدم الى هراة وجعل المقدم عليهم علي بن ابي علي واقام هو
بفيروزكوه ولما بلغه ان خوارزمشاه على بلخ فسار العسكر وعلى يزكه الامير اميران بن
قيصر الذي كان صاحب الطالقان فارسل الى ابن خرميل يعرفه انه على اليزك ويامره
بالمجيء اليه فانه لا يمنعه وحلف له على ذلك فسار ابن خرميل في عسكره فكبس عسكر
غياث الدين فلم يلحقوا يركبون خيولهم حتى خالطوهم فقتلوا فيهم فكف ابن خرميل
اصحابه عن الغور يخشون ان يهلكوا وغنم واسر اسمعيل الخلجي واقام بمكانه وارسل
عسكره فشنوا الغارة على البلاد باذغيس وغيرها وعظم الامر على غياث الدين فعزم على
المسير الى هراة بنفسه فاتاه الخبر ان علاء الدين صاحب باميان قد عاد الى غزنة على
ما نذكره فاقام ينتظر ما يكون منهم ومن الدز واما بلخ فان خوارزمشاه لما بلغه قتل
شهاب الدين اخرج من كان عنده من الغورية الذين كان اسرهم في المصاف على
باب خوارزم فخلع عليهم واحسن اليهم واعطاهم الاموال وقال ان غياث الدين اخي
ولا فرق بيني وبينه فمن احب منكم المقام عندي فليقم ومن احب ان يسير اليه فاني
اسيره ولو اراد مني مهما اراد نزلت له عنه وعهد الى محمد بن علي بن بشير وهو من اكابر

وكانوا اذهبوا به وهو في
السفينة الى بولاق ووضعوا
به عند الترسخانه واقبل
كتخدا بك على الباشا فرآه
يبكي فانزعج انزعاجا شديدا
وكاد ان يقع على الارض
ونزل السفينة فاتى بولاق
آخر الليل واطلقت الرسل
لاخبار الاعيان فركبوا
باجمعهم الى بولاق وحضر
القاضي والاشياخ والسيد
المحروقي ثم نصبوا تظليلا ساترا
على السفينة واخرجوا
التابوت والدم والصديد
يقطر منه وطلبوا القلافطة
فسدوا خروقه ومنافسه ونصبوا
عودا عند رأسه ووضعوا
عليه تاج الوزارة المسمى
بالدلقان واحضروا الجنازة
من غير ترتيب والجميع
مشاة امامه وخلفه وليس
فيها من جوقات الجنائز المعتادة
كالفقهاء واولاد الكتاتيب
والاحزاب شيء من ساحل
بولاق على طريق المدابغ
وباب الخرق على الدرب
الاحمر على التبانة الى الرميلة
فصلوا عليه بمصلى المؤمنين
وذهبوا به الى المدفن الذي
اعده الباشا لنفسه ولموتاه
كل هذه المسافة ووالده خلف
نعشه ينظر اليه ويبكي
ومع الجنازة اربعة من
الهجن تحمل القروش وريالات الذهب ودراهم انصاف صغيرة ينثرون منها على

وعادوا من معهم من العساكر ينهب غزنة ثم وضعوهم من الخزانة فسكن الناس وعاد
العسكر الى غزنة اواخر ذي القعدة ومعهم الخزانة التي اخذها الدز من مؤيد الملك لما
عاد ومعه شهاب الدين قتيلا فكانت مع ما اضيف اليها من الثياب والعين تسعمائة حمل
ومن جملة ما كان فيها من الثياب المعلم المنسوج بالذهب اثنا عشر الف ثوب وعزم
علاء الدين ان يستوزر مؤيد الملك فمنعه اخوه جلال الدين فاحضره وخلع عليه على
كراهة منه للخلعة واستوزره فلما سمع علاء الدين بذلك قبض على مؤيد الملك وقيده
وحبسه فتغيرت نيات الناس واختلفوا ثم ان علاء الدين وجلال الدين اقتسما الخزانة
وجرى بينهما من المشاححة في القسمة ما لا يجري بين التجار فاستدل بذلك الناس على
انهما لا يستقيم لهما حال لضعفهما واختلافهما وندم الامراء على ميلهم اليهما وتركهم
غياث الدين مع ما ظهر من كرمه واحسانه ثم ان جلال الدين وعمه عباس سارا في بعض
العسكر الى باميان وبقي علاء الدين بغزنة فاساء وزيره عماد الملك السيرة مع الاجناد
والرعية ونهب اموال الاتراك حتى انهم باعوا امهات اولادهم وهن يبكين ويصرخن
ولا يلتفت اليهن

ذكر عود الدز الى غزنة

لما سار جلال الدين عن غزنة واقام بها اخوه علاء الدين جمع الدز ومن معه من الاتراك
عسكرا كثيرا وعادوا الى غزنة فوصلوا الى كلوا فملكوها وقتلوا جماعة من الغورية
ووصل المنهزمون الى كرمان فسار الدز اليهم وجعل على مقدمته مملوكا كبيرا من مماليك
شهاب الدين اسمه ايدكز التتري في الفي فارس من الخلج والاتراك والغز والغورية وغيرهم
وكان بكرمان عسكر لعلاء الدين مع امير يقال له ابن المؤيد ومعه جماعة من الامراء منهم
ابو علي بن سليمان بن سيسر وهو وابوه من اعيان الغورية وكانا مشتغلين باللعب واللهو
والشرب لا يفتران عن ذلك فقيل لهما ان عسكر الاتراك قد قربوا منكم فلم يلتفتا الى ذلك
ولا تركا ما كانا عليه فهجم عليهم ايدكز التتري ومن معه من الاتراك فلم يمهلوهم يركبون
خيلهم فقتلوا عن آخرهم فمنهم من قتل في المعركة ومنهم من قتل صبرا ولم ينج الا من تركه
الاتراك عمدا ولما وصل الدز رأى امراء الغورية كلهم قتلى قال كل هؤلاء قاتلونا فقال
ايدكز التتري لا بل قتلناهم صبرا فلامه على ذلك ووبخه واحضر راس ابن المؤيد بين يديه
فسجد شكرا لله تعالى وامر بالمقتولين فغسلوا ودفنوا وكان في جملة القتلى ابو علي بن سليمان
ابن سيسر ووصل الخبر الى غزنة في العشرين من ذي الحجة من هذه السنة فصلب علاء
الدين الذي جاء بالخبر فتغيرت السماء وجاء مطر شديد خرب بعض غزنة وجاء بعده
برد كبار مثل بيض الدجاج فضج الناس الى علاء الدين بانزال المصلوب فانزله آخر النهار
فانكشفت الظلمة وسكن ما كانوا فيه وملك الدز كرمان واحسن الى اهلها وكانوا في ضر
شديد مع اولئك ولما صح الخبر عند علاء الدين ارسل وزيره الصاحب الى اخيه جلال
الدين في باميان يخبره بحال الدز ويستنجده وكان قد اصعد العساكر ليسير الى بلخ يرحل

عشر قدمته فوصل الى جاهو نهما لى بيع الحشيش والسرجين والروث ثم خدم عند رجل يعني ملاحسين
مدة سنتين الى ان اتته قلبق
ثم خدم بعده ملا اسمعيل
بالكتاش وتعلم الفروسية
والرماحة فلعب يوما في
القمار وخسر ثيابه وخاف
على نفسه فخرج هاربا الى عمر
اغا باسيلي من اشراقات ابراهيم
باشا المعروف بالازدن فتوجه
معه الى غزة وكان مع المترجم
جواد اشقر من جياد الخيل
فقلده على اغا متسلم غزة ثم راغا
الد كرور وجعله دالي باشا
ففي بعض الايام طلب المتسلم
من المترجم الجواد فقال له
ان قلدتني دالي باشا قدمته
لك فاجابه الى ذلك وعزل
عمر اغا وقلد المترجم المنصب
عوضا عنه وامتنع من اعطائه
ذلك الجواد واقام في خدمته
مدة فوصل مرسوم من احمد
باشا الجزار خطابا للمترجم
بالقبض على المتسلم واحضاره
الى طرفه وان فعل ذلك ينعم
عليه بمبلغ خمسين كيسا ومائة
بيرق ففعل ذلك واوقع
القبض على علي اغا المتسلم
وتوجه الى عكا بلدة الجزار
فقال المتسلم للمترجم في اثناء
الطريق تعلم ان الجزار رجل
سفاك دماء فلا توصلني اليه
وان كان قصدك المال انا
اعطيك اضعافه واطلقني
اذهب حيث شاء الله ولا
تشاركه في دمي فلم يصغ الى
ذلك واوصله الى الجزار فطلبه ثم قتله ورماه في البحر واقام المترجم بباب الجزار اياما ثم ارسل اليه يامره بالذهاب

مصيبة عظيمة ودكرناها في عاجل الامر ثم ظهر للناس بعد ذلك انه انما فعله اليهم ليتمكن بذلك من ملك خراسان ثم يعود اليهم فيأخذها وغيرها منهم لانه لما ملك خراسان وقصد بلاد الخطا واخذها وافناهم ظهر على الناس انه فعل ذلك خديعة ومكرا فغفر الله له

(ذكر عود اصحاب باميان الى غزنة)

قد ذكرنا قبل وصول الدز التركي الى غزنة واخراجه علاء الدين وجلال الدين ولدي بهاء الدين سام صاحب باميان منها بعد ان ملكاها وأقام هو في غزنة من عاشر رمضان سنة اثنتين وستمائة الى خامس ذي القعدة من السنة يحسن السيرة ويعدل في الرعية وأقطع البلاد للاجناد فبعضهم أقام وبعضهم سار الى غياث الدين ولم يخطب لاحد ولا لنفسه وكان يعد الناس بان رسولي عند مولاي غياث الدين فاذا عاد خطبت له ففرح الناس بقوله وكان يفعل ذلك مكرا وخديعة بهم وبغياث الدين لانه لو لم يظهر ذلك لفارقه اكثر الاتراك وسائر الرعايا وكان حينئذ يضعف عن مقاومة صاحب باميان فكان يستخدم الاتراك وغيرهم بهذا القول واشباهه فلما ظفر بصاحب باميان على ما ذكرناه اظهر ما كان يضمره فبينما هو في هذا اتاه الخبر بقرب علاء الدين وجلال الدين ولدي بهاء الدين صاحب باميان في العساكر الكثيرة وانهم قد عزموا على نهب غزنة واستباحة الاموال والانفس فخاف الناس خوفا شديدا وجهز الدز كثيرا من عسكره وسيرهم الى طريقهم فلقوا أوائل العسكر فقتل من الاتراك وادركهم العسكر فلم يكن لهم قوة بهم فانهزموا وتبعهم عسكر علاء الدين يقتلون ويأسرون فوصل المنهزمون الى غزنة فخرج منها الدز منهزما طالبا بلده كرمان فادركه بعض عسكر باميان نحو ثلاثة آلاف فارس فقاتلهم قتالا شديدا فردهم عنه وأحضر من كرمان مالا كثيرا وسلاحا ففرقه في العسكر واما علاء الدين واخوه فانهما سارا الى غزنة لم يدخلاها وساروا في اثر الدز فسمع بهم فسار عن كرمان فنهب الناس بعضهم بعضا وملك علاء الدين كرمان وامنوا اهلها وعزموا على العود الى غزنة ونهبها فسمع اهلها بذلك فقصدوا القاضي سعيد بن مسعود وشكوا اليه حالهم فمشى الى وزير علاء الدين المعروف بالصاحب واخبره بحال الناس فطيب قلوبهم واخبرهم غيره ممن يثقون اليه انهم مجمعون على النهب فاستعدوا وضيقوا ابواب الدروب والشوارع واعدوا العرادات والاحجار وجاءت التجار من العراق والموصل والشام وغيرها وشكوا الى اصحاب السلطان فلم يمكنهم احد فقصدوا دار مجد الدين بن الربيع رسول الخليفة واستغاثوا به فكلمهم وقد تقدم الشفاعة فيهم وفي اهل البلد فارسل الى امير كبير من الغورية يقال له سليمان بن سيسر وكان شيخا كبيرا يرجعون الى قوله يعرفه الحال ويقول له يكتب الى علاء الدين واخيه يشفع في الناس ففعل وبالغ في الشفاعة وخوفهم من اهل البلدان اصروا على النهب فاجابوا الى العفو عن الناس بعد مراجعات كثيرة وكانوا قد

وغيرها بالوصل وامتنع الناس بالامر عليهم من عمل الافراح ودق الطبول والقاووقية الباشا واسمعيل باشا وطاهر باشا حتى ما يفعله دراويش المولوية في تكاياهم عند المقابلة من الناي والطبل أربعين يوما واقاموا عليه العزاء عند القبر وعدة من الفقهاء والمقرئين يتناوبون قراءة القرآن مدة الاربعين يوما وترتبوا المصدقات وما يحمل وكل ما يحتاجونه ثم ترادفت عليهم العطايا من والدته واخواته والوافدين من اقاربه وغيرهم على حد قول القائل مصائب قوم عند قوم فوائد ومات وهو مقتبل الشبيبة لم يبلغ العشرين وكان ابيض جسيما كأنه قد دارت لحيته بطلا شجاعا جوادا له ميل لاولاد العرب منقادا للملة الاسلامية ويعترض على ابيه في افعاله ويحاذره العسكر وتهابه ومن ذا تعرف ذنبا صغيرا تشفع احسانه وعطاياه للمتقدمين ولامرائه ولغالب الناس اليه ميل وكانوا يرجون تأمره بعد ابيه ويأبى الله الا ما يريد (ومات) الوزير المعظم يوسف باشا المنفصل عن امارة الشام وحضر الى مصر من نحو ثلاث سنوات وصار بها ملتجئا الى حاكم مصر وذلك في أواخر سنة سبع وعشرين ومائتين والف واصله من الاكراد الكرلية وينتسب الى الاكراد الملية وابتداء أمره بالتجارة ممن يعرفه انه هرب من أهله وعمره اذ ذاك نحو

او من كل مدينة عشرة رجال لاجتمع له اضعاف عسكرك فالمصلحة انك ترجع الى بلدك وهذا اقول لك هذا ابقاء عليك ثم سار نحوه عقيب هذه الرسالة فلما سمعها مظفر الدين وبلغه مسير ايتغمش عزم على العودة فاجتمع به صاحب مراغة ليقيم بمكانه ويسلم عسكره اليه وقال له انني قد كاتبني جميع امراء ابي بكر ونوابه اذا قصدتهم فلم يقبل مظفر الدين من قوله وعاد الى بلده وسلك الطريق الشاقة والمضايق الصعبة والعقاب الشاهقة خوفا من الطلب ثم ان ابا بكر وايتغمش قصدا مراغة وحصراها فصالحهما صاحبها على تسليم قلعة من حصونه الى ابي بكر هي كانت سبب الاختلاف واقطعه ابو بكر مدينتي استوا وارمية وعادا عنه

(ذكر ايقاع ايتغمش بالاسماعيلية)

وفي هذه السنة سار ايتغمش الى بلاد الاسماعيلية المجاورة لقزوين فقتل منهم مقتلة كبيرة ونهب وسبى وحصر قلاعهم ففتح منها خمس قلاع وصمم العزم على حصر الموت واستئصال اهلها فاتفق ما ذكرناه من حركة صاحب مراغة وصاحب اربل واستدعاه الامير ابو بكر ففارق بلادهم وسار الى ابي بكر كما ذكرناه

(ذكر وصول عسكر خوارزم الى بلاد الجبل وما كان منهم)

وفي هذه السنة سار من عسكر خوارزم طائفة كبيرة نحو عشرة آلاف فارس باهليهم واولادهم فوصلوا الى زنكان وكان ايتغمش صاحبها مشغولا مع صاحب اربل وصاحب مراغة واغتنموا خلو البلاد فلما عاد مظفر الدين الى بلده وانفصل الحال بين ايتغمش وصاحب مراغة سار ايتغمش نحو الخوارزمية فلقيهم وقاتلهم فاشتد القتال بين الطائفتين ثم انهزم الخوارزميون واخذهم السيف فقتل منهم واسر خلق كثير ولم ينج منهم الا الشريد وسبي نساؤهم وغنمت اموالهم وكانوا قد افسدوا في البلاد بالنهب والقتل فلقوا عاقبة فعلهم

(ذكر الغارة من ابن ليون على اعمال حلب)

وفي هذه السنة توالت الغارة من ابن ليون الارمني صاحب الدروب على ولاية حلب فنهب وحرق واسر وسبى فجمع الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب عساكره واستنجد غيره من الملوك فجمع كثيرا من الفارس والراجل وسار عن حلب نحو ابن ليون وكان ابن ليون قد نزل في طرف بلاده مما يلي بلد حلب فليس اليه طريق لان جميع بلاده لا طريق اليها الا من جبال وعرة ومضايق صعبة فلا يقدر غيره على الدخول اليها لاسيما من ناحية حلب فان الطريق منها متعذر جدا فنزل الظاهر على خمسة فراسخ من حلب وجعل على مقدمته جماعة من عسكره مع امير كبير من مماليك ابيه يعرف بميمون القصري ينسب الى قصر الخلفاء العلويين بمصر لان اباه منهم اخذه فانفذ الظاهر ميرة وسلاحا الى حصن له مجاور لبلاد ابن ليون اسمه دربساك وانفذ الى ميمون ليرسل طائفة من العسكر الذين عنده الى طريق هذه الذخيرة ليسيروا معها

فلم يكن غير ذلك فاننا ان قدرنا فلنكافح عن آخرنا وتقدم المترجم مع اغاته ملا اسمعيل وتبعهم العسكر وركبوا وسط خيل العدو وصدقوا الحملة حملة واحدة فحصلت في العدو الهزيمة وركبوا اقفيتهم وتبعهم المترجم حتى حال الليل بينهم فرجعوا برؤس القتلى والقلائع فلما اصبح النهار عرضوها على الوزير وهي نحو الالف راس والف قليعة فخلع عليهم وشكرهم وارتحلوا الى دمشق وذهب المترجم مع اغاته الى مدينة حماة واستمر هنالك الى ان حضر الوزير الاعظم يوسف باشا المعروف بالمعدن الى دمشق بسبب الفرنساوية ففارق المترجم مخدومه في نحو السبعين خيالا وجعل يدور باراضي حماة بطالا ويقال له قبيس ثم راسل الجزار لينضم اليه وكان الجزار عند حضور الوزير انفصل حكمه عن دمشق ورجع ولايتها الى عبد الله باشا العظم فلما بلغ المترجم ذلك توجه الى اغاته عبد الله باشا المعروف فاكرمه عبد الله باشا وقلده دالي باشا كبيرا على جميع الخيالة حتى على اغاته ملا اسمعيل اغا واقام بدمشق مدة الى ان حاصر عبد الله باشا مدينة طرابلس فوصل اليه الخبر بان عساكر الجزار استولوا على دمشق وبلادها فركب عبد الله باشا وذهب الى دمشق ودخلها بالسيف ونصب عرضيه خارجها فوصل خبر ذلك الى الجزار فكاتب عساكر عبد الله

الى حيث يريد فانه لا خير فيه ... الجبا فتعطلت ومنه فذهب الى حيفا واقام عند اغاته اسمعيل اغا وهو متولى من طرف عبد الله باشا المعروف بابن العظم فاقام في خدمته كلارجي زمن نحو الثلاث سنوات وكان بين عبد الله باشا واحمد باشا الجزار عداوة فتوجه عبد الله باشا الى الدورة فارسل الجزار عساكره ليقطع عليه الطريق فسلك طريقا اخرى فلما وصل الى جنين وهي مدينة قريبة من بلاد الجزار وجه الجزار عساكره عليه فلما تقارب العسكران وتسامعت اهل النواحي امتنعوا من دفع الاموال فما وسع عبد الله باشا الا الرحيل وتوجه الى ناحية نابلس مسافة يومين وحاصر بلدة تسمى صوفين واخذ مدافع من يافا واقام محاصر البلدة ستة ايام ثم طلبوا الامان فامنهم ورحل عنهم الى طرف الجبل مسيرة نصف ساعة وفرق عساكره لقبض اموال الميرى من البلاد واقام هو في قلة من العسكر فوصل اليه خيال وقت العصر في يوم من الايام يخبره بوصول عساكر الجزار وانه لم يكن بينه وبينهم الا نصف ساعة وهم خمسة آلاف مقاتل فارتبك في امره وارسل الى النواحي فحضر اليه من حضر وهم نحو الثلثمائة خيال ودونهم نحو الثمانين فامر بالركوب فلما تقاربوا هاله كثرة عساكر العدو ولا يختبوا بالملال فتقدم المغاربة الى العسكر واشار عليهم بالثبات وقال

عنها خوارزمشاه فلما اتاه هذا الخبر ترك بلخ وسار الى غزنة وكان اكثر عسكره من الغورية فقد فارقوه وفارقوا الخادم وقصدوا غياث الدين فلما كان اواخر ذي الحجة وصل الدز الى غزنة ونزل هو وعسكره بازاء قلعة غزنة وحصر علاء الدين وجرى بينهم قتال شديد وامر الدز فنودي في البلد بالامان وسكن الناس من اهل البلد والغورية وعسكر باميان واقام الدز يحاصر القلعة فوصل جلال الدين في اربعة آلاف من عسكر باميان وغيرهم فرحل الدز الى طريقهم وكان مقامه الى ان سار اليهم اربعين يوما فلما سار الدز سير علاء الدين من كان عنده من العسكر وامرهم ان يأتوا الدز من خلفه ويكون اخوه من بين يديه فلا يسلم من عسكره احد فلما خرجوا من القلعة سار سليمان بن سيسر الغوري الى غياث الدين بفيروزكوه فلما وصل اكرمه وعظمه وجعله امير داد فيروزكوه وكان ذلك في صفر سنة ثلاث وستمائة واما الدز فانه سار الى طريق جلال الدين فالتقوا بقرية بلق فاقتتلوا قتالا صبروا فيه فانهزم جلال الدين وعسكره واخذ جلال الدين اسيرا واتى الى الدز فلما رآه ترجل وقبل يده وامر بالاحتياط عليه وعاد الى غزنة وجلال الدين معه اسير والف اسير من الباميانية وغنم اصحابه اموالهم ولما عاد الى غزنة ارسل الى علاء الدين يقول له ليسلم القلعة اليه والا قتل من عنده من الاسرى فلم يسلمها فقتل منهم اربعمائة اسير بازاء القلعة فلما رأى علاء الدين ذلك ارسل مؤيد الملك يطلب الامان فامنه الدز فلما خرج قبض عليه ووكل به وباخيه من يحفظهما وقبض على وزيره لسوء سيرته وكان هندوخان بن ملكشاه بن خوارزمشاه تكش مع علاء الدين بقلعة غزنة فلما خرجا قبض عليه ايضا وكتب الى غياث الدين بالفتح وارسل اليه الاعلام وبعض الاسرى

(ذكر قصد صاحب مراغة وصاحب اربل اذربيجان)

في هذه السنة اتفق صاحب مراغة وهو علاء الدين هو ومظفر الدين كوكبري صاحب اربل على قصد اذربيجان واخذها من صاحبها ابي بكر بن البهلوان لاشتغاله بالشرب ليلا ونهارا وتركه النظر في احوال المملكة وحفظ العساكر والرعايا فسار صاحب اربل الى مراغة واجتمع هو وصاحبها علاء الدين وتقدما نحو تبريز فلما علم صاحبها ابو بكر ارسل الى ايتغمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان والري وما بينهما من البلاد وهو مملوك ابيه البهلوان وهو في طاعة ابي بكر الا انه قد غلب على البلاد فلا يلتفت الى ابي بكر فارسل اليه ابو بكر يستنجده ويعرفه الحال وكان حينئذ ببلد الاسماعيلية فلما اتاه الخبر سار اليه في العساكر الكثيرة فلما حضر عنده ارسل الى صاحب اربل يقول له اننا كنا نسمع عنك انك تحب اهل العلم والخير وتحسن اليهم فكنا نعتقد فيك الخير والدين فلما كان الآن ظهر لنا منك ضد ذلك لقصدك بلاد الاسلام وقتال المسلمين ونهب اموالهم واثارة الفتنة فاذا كنت كذلك فما لك عقل تجيء الينا وانت صاحب قرية ونحن لنا من باب همذان الى خلاط والى اربل واحسب انك هزمت هذا اما تعلم ان له عساكر انا احدهم ولو اخذ من كل قرية شحنة

او

فاوغر بهذه الاسباب صدور اهله واخوته فلما كان هذه السنة فى شعبان نزل بارض المشوق وركب فى بعض الايام ومعه اخوته وغيرهم من اصحابه فلما انفرد عن اصحابه ضربه اخوه على بن قلتمد بالسيف فسقط الى الارض فنزل اخوته اليه فقتلوه وفيها تحهز غياث الدين خسروشاه صاحب مدينة الروم الى مدينة طرابزون وحصر صاحبها لانه كان قد خرج عن طاعته فضيق عليه فانقطعت لذلك الطرق من بلاد الروم والروس وقفجاق وغيرها برا وبحرا ولم يخرج منهم احد الى بلاد غياث الدين فدخل بذلك ضرر عظيم على الناس لانهم كانوا يتجرون معهم ويدخلون بلادهم ويقصدهم التجار من الشام والعراق والموصل والجزيرة وغيرها فاجتمع منهم بمدينة سيواس خلق كثير حيث لم ينفتح الطريق فتاذوا اذى كثيرا فكان السعيد منهم من عاد الى رأس ماله وفيها تزوج ابو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان واران بابنة ملك الكرج وسبب ذلك ان الكرج تابعت الغارات منهم على بلاده لما راوا من عجزه وانهماكه فى الشرب واللعب وما جانسهما واعراضه عن تدبير الملك وحفظ البلاد فلما راى هو ايضا ذلك ولم يكن عنده من الحمية والانفة من هذه المناحس ما يتركه ماهو مصر عليه وانه لا يقدر على الذب عن البلاد عدل الى الذب عنها بان خطب ابنة ملكهم فتزوجها فكف الكرج عن النهب والاغارة والقتل فكان كما قيل اغمد سيفه وسل ايره وفيها حمل الى ازبك خروف وجهه صورة آدمى وبدنه بدن خروف وكان هذا من العجائب وفيها توفى القاضى ابو محمد بن محمد المندائى الواسطى بها وفيها فى شوال توفى فخر الدين مبارك شاه بن الحسن المروروذى وكان حسن الشعر بالفارسية والعربية وله منزلة عظيمة عند غياث الدين الكبير صاحب غزنة وهراة وغيرهما وكان له دار ضيافة فيها كتب وشطرنج فالعلماء يطالعون الكتب والجهال يلعبون بالشطرنج وفيها فى ذى الحجة توفى ابو الحسن على بن على بن سعادة الفارقى الفقيه الشافعى ببغداد وبقى مدة طويلة معيدا بالنظامية وصار مدرسا بالمدرسة التى انشأتها ام الخليفة الناصر لدين الله وكان مع علمه صالحا طالب للنيابة فى القضاء ببغداد فامتنع فالزم بذلك فوليه يسيرا ثم فى بعض الايام مشى الى جامع ابن المطلب فنزل ولبس مئزر صوف غليظ وغير ثيابه وامر الوكلاء وغيرهم بالانصراف واقام به حتى سكن الطلب عنه وعاد الى داره بغير ولاية وفيها وقع الشيخ ابو موسى المكى المقيم بمقصورة جامع السلطان ببغداد من سطح الجامع فمات وكان رجلا صالحا كثير العبادة وفيها ايضا توفى العفيف ابو المكارم المظفر بن على بن ... البندنيجى ببغداد وكان رجلا صالحا منقطعا الى العبادة رحمه الله

(ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة)

ذكر ملك عباس باميان وعودها الى ابن اخيه

فى هذه السنة ملك عباس باميان من علاء الدين وجلال الدين ولدى اخيه بهاء الدين وسبب ذلك ان عسكر باميان لما انهزموا من الدز وعادوا اليها اخبروا ان علاء الدين وجلال الدين اسروا وان الدز ومن معه غنموا ما فى ايديهم ما اخذوه من اموال خوارزم المعروف

دهوق ثم اخرجهم بالامان الى وطاقه واكرمهم وعمل لهم ضيافة ثلاثة ايام ثم ارسلهم الى عكا بغير ابراهيم ثم توجه ابراهيم باشا الى الدورة وصحبته المترجم وتركوا سليمان باشا مكانهم وخرج اسمعيل باشا من عكا واغلقت ابوابها فاتفقت عساكره وقبضوا عليه وسلموه الى ابراهيم باشا فعند ذلك برز امر ابراهيم باشا بتسليم عكا الى سليمان باشا وذهب بالمرسوم المترجم فادخله اليها ورجع الى مخدومه وذهب معه الى الدورة ثم عاد معه الى الشام وورد الامر بعزل ابراهيم باشا عن الشام وولاية عبد الله باشا المعروف بالعظم على يد باشت بغداد فخرج المترجم لاقاته من على حلب فقلده الباشا على جميع العسكر فلما وصل الى الشام ولاه على حوران واربد والقنيطرة ليقبض اموالها فاقام نحو السنة ثم توجه صحبة الباشا مع الحج وتلاقوا مع الوهابية فى الجديدة فحاربهم المترجم وهزمهم وجرحوا واعتمروا ورجعوا ومكثوا الى السنة الثانية فخرج عبد الله باشا بالحج وابقى المترجم نائبا عنه بالشام فلما وصل الى المدينة المنورة منعه الوهابيون ورجع من غير حج ووصل خبر ذلك الى الدولة فورد الامر بعزل

الى دربساك ففعل ذلك وسير جماعة كثيرة من عسكره وبقي في قلعة بغراس الى ابن ليون يحفظونها وهو خائف من العسكر فقاتلوه واشتد القتال بينهم فأرسل ميمون الى الناصر يعرفه وكان بعيداً عنه فطالت الحرب بينهم وحمى ميمون نفسه وأثقاله على قلة من المسلمين وكثرة من الارمن فانهزم المسلمون ونال العدو منهم فقتل وأسر وكذلك ايضاً فعل المسلمون بالارمن من كثرة القتل وظفر الارمن بأثقال المسلمين فغنموها وساروا بها فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الأثقال الى دربساك فلم يشعروا بالحال فلم يرعهم الا العدو وقد خالطهم ووضع السيف فيهم فاقتتلوا أشد قتال ثم انهزم المسلمون أيضاً وعاد الارمن الى بلادهم بما غنموا واعتصم ابن ليون بحصونهم

(ذكر نهب الكرج ارمينية)

في هذه السنة قصدت الكرج في جموعها ولاية خلاط من ارمينية ونهبوا وقتلوا وأسروا وسبوا أهلها كثيراً وجاسوا خلال الديار آمنين ولم يخرج اليهم من خلاط من يمنعهم فبقوا متصرفين في النهب والسبي والبلاد شاغرة لا مانع لها لان صاحبها صبي والمدبر لدولته ليست له تلك الطاعة على الجند فلما اشتد البلاء على الناس تذامروا وحرض بعضهم بعضاً واجتمعت العساكر الاسلامية التي بتلك الولاية جميعها وانضاف اليهم من المتطوعة كثير فساروا جميعهم نحو الكرج وهم خائفون فرأى بعض الصوفية الاخيار الشيخ محمداً البستي وهو من الصالحين وكان قد مات فقال له الصوفي أراك ههنا فقال جئت لمساعدة المسلمين على عدوهم فاستيقظ فرحاً بمحل البستي من الاسلام وأتى الى مدبر العسكر والقيم بامره وقص عليه رؤياه ففرح بذلك وقوي عزمه على قصد الكرج وسار بالعساكر اليهم فنزل منزلاً فوصلت الاخبار الى الكرج فعزموا على كبس المسلمين فانتقلوا من موضعهم بالوادي الى اعلاه فنزلوا فيه ليكبسوا المسلمين اذا لم الليلة في المسلمين الخبر فقصدوا الكرج وأمسكوا عليهم رأس الوادي وأسفله وهو واد ليس اليه غير هذين الطريقين فلما رأى الكرج ذلك ايقنوا بالهلاك وسقط في أيديهم وطمع المسلمون فيهم وحملوا عليهم وقاتلوهم فقتلوا منهم كثيراً وأسروا مثلهم ولم يفلت من الكرج الا القليل وكفى الله المسلمين شرهم بعد ان كانوا أشرفوا على الهلاك

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في جمادى الآخرة توفي الامير طاشتكين مجير الدين أمير الحاج بتستر وكان قد ولاه الخليفة على جميع خوزستان وكان أمير الحاج سنين كثيرة وكان خيراً صالحاً حسن السيرة كثير العبادة يتشيع ولما مات ولى الخليفة على خوزستان مملوكه سنجر وهو صهر طاشتكين زوج ابنته وفيها قتل معز بن مقلد بن سليمان بن مهارش أمير عبادة بالعراق وكان سبب قتله انه سعى بأبيه مقلد الى الخليفة الناصر لدين الله فأمر بالتوكيل على أبيه فبقي مدة ثم أطلقه الخليفة ثم ان معزاً قتل أخاً له اسمه ٣

باشا يستميلهم لان معظمهم غرباء فاتفقوا على خيانته والقبض عليه وتسليمه الى الجزار وعلم ذلك وتثبته فركب في بعض مماليكه وخاصته الى وطاق المترجم وهو اذ ذاك دالي باشا واعلمه الخبر وانه يريد النجاة بنفسه فركب بمن معه واخرجه من بين العسكر ثم راجعهم واوصله الى شول بغداد ثم ذهب على البر الى بغداد ورجع المترجم الى حماة فقبل وصوله اليها ورد عليه مرسوم الجزار باستدعائه فذهب اليه فجعله مقدم ألف وقلده باش الجردة فسافر الى الحجاز بالملاقاة وكان امير الحاج الشامي اذ ذاك سليمان باشا عوضاً عن مخدومه احمد باشا الجزار فلما حصلوا في نصف الطريق وصلهم خبر موت الجزار فرجع يوسف المترجم الى الشام واستولى اسمعيل باشا على عكا وتوجه منصب ولاية الشام الى ابراهيم باشا المعروف بقطر اغاسي أي اغات البغال وفي فرمان ولايته الامر بقطع رأس اسمعيل باشا وضبط مال الجزار فذهب المترجم بخيله واتباعه الى ابراهيم باشا وخدم عنده وركب الى عكا وحصروها وحطوا في ارض الكرداني مسيرة ساعة من عكا وكانت الحرب بينهم سجالا وعساكر اسمعيل باشا نحو العشرة آلاف والمترجم يباشر الوقائع وكل وقعة يظهر فيها على الخصم ففي يوم من الايام لم يشعروا الا وعسكر اسمعيل باشا قاصد اليهم من طريق

فادهم

صاحبها قد توجه الى غياث الدين فحصرها وارسل الى من بها يقسم بالله ان سلموها ان يؤمنهم وان امتنعوا اقام عليهم الى ان ياخذهم فاذا اخذهم قهرا لا يبقي على كبير ولا صغير فخافوا فسلموها في ربيع الاول فامنهم ولم يتعرض الى اهلها بسوء فلما اخذها ارسل الى حرب بن محمد صاحب سجستان يدعوه الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له ببلاده فاجابه الى ذلك وكان غياث الدين قد راسله قبل ذلك في الخطبة والدخول في طاعته فلم يجبه الى ما طلب ولما كان خوارزم شاه على هراة عاد اليها القاضي صاعد بن الفضل الذي كان ابن خرميل قد اخرجه من هراة في العام الماضي وسار الى غياث الدين فعاد الآن من عنده فلما وصل قال ابن خرميل لخوارزم شاه ان هذا يميل الى الغورية ويريد دولتهم ووقع فيه فسجنه خوارزم شاه بقلعة زوزن وولي القضاء بهراة الصفي ابا بكر بن محمد السرخسي وكان ينوب عن صاعد وابنه في القضاء بهراة

ذكر حال غياث الدين مع الدز وايبك

لما عاد الدز الى غزنة وامر علاء الدين واخاه جلال الدين كما ذكرناه وكتب اليه غياث الدين يطالبه بالخطبة له فاجابه في هذه المدة بما تقدم فاعاد غياث الدين اليه يقول اما ان تخطب لنا واما ان تعرفنا ما في نفسك فلما وصل الرسول بهذا احضر خطيب غزنة وامره ان يخطب لنفسه بعد الترحم على شهاب الدين فخطب لتاج الدين الدز بغزنة فلما سمع الناس ذلك ساءهم وتغيرت نياتهم ونيات الاتراك الذين معه ولم يروه اهلا ان يخدموه وانما كانوا يطيعونه ظنا منهم انه ينصر دولة غياث الدين فلما خطب لنفسه ارسل الى غياث الدين يقول له بماذا تتشطط علي وتتحكم هذه الخزائن نحن جمعناها باسيافنا وهذا الملك قد اخذناه وانت قد اجتمع عندك الذين هم اساس الفتنة واقطعتهم الاقطاعات ووعدتني بامور لم تف بها فان انت اعتقتني خطبت لك وحضرت خدمتك فلما وصل الرسول اجابه غياث الدين الى عتق الدز بعد الامتناع الشديد والعزم على مصالحة خوارزم شاه على ما بيده وقصد غزنة ومحاربته بها فلما اجابه الى العتق اشهد عليه به واشهد عليه ايضا بعتق قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين وما بيده ببلاد الهند وارسل الى كل واحد منهما الف قباء والف قلنسوة ومناطق الذهب وسيوفا كثيرة وجترين ومائة رأس من الخيل وارسل الى كل واحد منهما رسولا فقبل الدز الخلع ورد الجتر وقال نحن عبيد ومماليك والجتر له اصحاب وسار رسول ايبك اليه وكان بفرشابور قد ضبط المملكة وحفظ البلاد ومنع المفسدين من الفساد والاذى والناس معه في امن فلما قرب الرسول منه لقيه على بعد وترجل وقبل حافر الفرس ولبس الخلعة وقال اما الجتر فلا يصلح لمماليك واما العتق فمقبول وسوف اجازيه بعبودية الابد واما خوارزم شاه فانه ارسل الى غياث الدين يطلب منه ان يتصاهرا ويطلب منه ابن خرميل صاحب هراة الى طاعته ويسير معه في العساكر الى غزنة فاذا ملكها من الدز اقتسموا المال اثلاثا ثلثا لخوارزم شاه وثلثا لغياث الدين وثلثا للعسكر فاجابه الى ذلك

على قلعتها ونهبت منها اموال التجار وغيرهم ثم ارتحل الى دمشق واقام بها مدة فطرقه خبر الوهابية انهم حضروا الى المزيريب فبادر مسرعا وخرج الى لقائهم فلما وصل الى المزيريب وجدهم قد ارتحلوا من غير قتال فاقام هناك اياما فوصل اليه الخبر بان سليمان باشا وصل الى الشام وملكها فعاد مسرعا الى الشام وتلاقى مع عسكر سليمان باشا وتحارب العسكران الى المساء وبات كل منهم في محله ففي نصف الليل في غفلتهم والمترجم نائم وعساكره ايضا هاجعة فلم يشعروا الا وعساكر سليمان باشا كبستهم فحضر اليه كتخداه وايقظه من منامه وقال له انج اسرع والا قبضوا عليك فقام في الحين وخرج هاربا وصحبته ثلاثة انفار من مماليكه فقط ونهبت امواله وبرقه وزالت عنه سيادته في ساعة واحدة ولم يزل حتى وصل الى حماة فلم يتمكن من الدخول اليها ومنعه اهلها منها وطردوه فذهب الى [illegible] وارتحل منها الى بلدة يعمل بها البارود ومنها الى بلدة تسمى [illegible] ونزل عند سعيد اغا فاقام عنده ثلاثة ايام ثم توجه الى نواحي انطاكية وصحبته جماعة من عند سعيد اغا المذكور ثم الى السويدية ولم يبق معه سوى فرس واحد ثم انه ارسل الى محمد علي باشا صاحب مصر واستاذنه في حضوره الى مصر فكاتبه بالحضور اليه والترحيب به فوصل الى مصر في التاريخ

بالصاحب من الاموال كثيرا ومن الجواهر وغيرها من التحف واخذ قبلا وسار الى خوارزم شاه يستنجده على الدز ليسير معه عسكرا يستخلص به صاحبيه فلما فارق باميان ورأى عمه عباس خلو البلاد منه ومن ابني اخيه جمع اصحابه وقام في البلد فملكه وصعد الى القلعة فملكها واخرج اصحاب ابني اخيه علاء الدين وجلال الدين منها فبلغ الخبر الى الوزير السائر الى خوارزم شاه فعاد الى باميان وجمع الجموع الكثيرة وحصر عباسا في القلعة وكان مطاعا في جميع عسكر بهاء الدين وولديه من بعده واقام محاصرا الا انه لم يكن معه من المال ما يفرقه ما يحتاج اليه انما كان معه ما اخذه ليحمله الى خوارزم شاه فلما خلص جلال الدين من اسر الدز على ما ذكرناه وسار الى باميان فوصل الى ارصف وهي مدينة بباميان وجاء اليه الوزير الصاحب واجتمع به وسار الى القلاع وراسلوا عباسا المتغلب عليها ولاطفوه فسلم الجميع الى جلال الدين وقال انما فعلت ما فعلت خوفا ان يأخذها خوارزم شاه فاستحسن فعله وعاد الى ملكه

(ذكر ملك خوارزم شاه الطالقان)

لما سلم خوارزم شاه ترمذ الى الخطا سار منها الى ميمند واندخوى وكتب الى سونج امير اشكار نائب غياث الدين محمود بالطالقان يستميله فاعاد الرسول خائبا فتجهز سونج الى ما اراد منه وجمع عسكره وخرج يحارب خوارزم شاه فالتقوا بالقرب من الطالقان فلما تقابل العسكران حمل سونج وحده مجدا حتى قارب عسكر خوارزم شاه فالقى نفسه الى الارض ورمى سلاحه عنه وقبل الارض وسأل العفو فظن خوارزم شاه انه سكران فلما علم انه صاح ذمه وسبه وقال من يثق الى هذا واشباهه ولم يلتفت اليه واخذ ما بالطالقان من مال وسلاح ودواب وانفذه الى غياث الدين مع رسول وحمله رسالة تتضمن التقرب اليه والملاطفة له واستناب بالطالقان بعض اصحابه وسار الى قلاع كالوين وبيوار فخرج اليه حسام الدين علي بن ابي علي صاحب كالوين وقاتله على رؤس الجبال فارسل اليه خوارزم شاه يتهدده ان لم يسلم اليه فقال اما انا فمملوك وهذه الحصون هي امانة بيدي ولا اسلمها الا الى صاحبها فاستحسن خوارزم شاه منه هذا واثنى عليه وذم سونج ولما بلغ غياث الدين خبر سونج وتسليم الطالقان الى خوارزم شاه عظم عنده وشق عليه فسلاه اصحابه وهونوا الامر وسار خوارزم شاه من الطالقان سار الى هراة فنزل بظاهرها ولم يمكن ابن خرميل احدا من الخوارزميين ان يتطرق بالاذى الى اهلها وانما كان يجتمع منهم الجماعة بعد الجماعة فيقطعون الطريق وهذه عادة الخوارزميين ووصل رسول غياث الدين الى خوارزم شاه بالهدايا ورأى الناس عجبا وذلك ان الخوارزميين لا يذكرون غياث الدين الكبير والد غياث الدين ولا يذكرون ايضا شهاب الدين اخاه وهما صاحبان الا بالغوري وصاحب غزنة وكان وزير خوارزم شاه الآن مع عظم شأنه وقلة هذا غياث الدين لا يذكره الا مولانا السلطان مع ضعفه وعجزه وقلة بلاده واما ابن خرميل فانه سار من هراة في جمع من عسكر خوارزم شاه فنزل على اسفزار في صفر وكان

صاحبها

خرج بنفسه الى الحج بل ارسل ملا حسن عوضا عنه فتم ايضا من الحج فلما كانت القابلة انقضى عليه امر الدورة وعصى عليه بعض البلاد فخرج اليها وحاصر بلدة تسمى كردانية ووقع له فيها امشقة كبيرة الى ان ملكها بالسيف وقتل اهلها ثم توجه الى جبل نابلس وقهرهم وجبى منهم اموالا عظيمة ثم رجع الى الشام واستقام امره وحسنت سيرته وسلك طريق العدل في الاحكام واقام الشريعة والسنة وابطل البدع والمنكرات واستتاب الخواطئ وزوجهن ومشى يفرق الصدقات على الفقراء واهل العلم والغرباء وابن السبيل وامر بترك الاسراف في المأكل والملابس وشاع خبر عدله في النواحي ولكن ثقل ذلك على اهل البلاد بترك مألوفهم ثم انه ركب الى بلاد النصيرية وقاتلهم وانتصر عليهم وسبى نساءهم واولادهم وكان خيرهم بين الدخول في الاسلام او الخروج من بلادهم فامتنعوا وحاربوا واتخذوا او بيعت نساؤهم واولادهم فلما شاهدوا ذلك اظهروا الاسلام تقية خوفا منهم وعمل بظاهر الحديث وتركهم في البلاد ودخل عليهم الى طرابلس وحاصرها بسبب عصيان اميرها بربر باشا على الوزير واقام محاصرا لها عشرة اشهر حتى ملكها واستولى

نقض دولته بالظلم وقلعه وضعت عنه مصعفه وارسل اموال الناس الى غزنة الى قاضى
غزنة وامره ان يرد المال المغتصب الى أربابه فانهى القاضى الحال الى الدز واشار عليه
بالخطبة لغياث الدين وقال أنا أسعى فى الوصلة بينكما والصلح فامره بذلك فبلغ الخبر الى
غياث الدين فارسل الى القاضى ينهاه عن المضى اليه وقال لا ترسل فى عبد ابق تمرد على
ساداته واتضح عناده فاقام بغزنة هو والدز وسير غياث الدين عسكرا الى ابدكز التتر
فاقاموا معه وسير الدز عسكرا الى دو بين كان وهى لغياث الدين وقد اقطعها لبعض الامراء
فهجموا على صاحبها فقتلوه ونهبوا امواله واخذوا اولاده فسار وحده الى غياث الدين فاقتضى
الحال ان سار غياث الدين الى بست وتلك الولاية فاستردها واحسن الى اهلها واطلق لهم
خراج سنة لما نالهم من الدز من الاذى

(ذكر وفاة صاحب مازندران والخلف بين اولاده)

فى هذه السنة توفى حسام الدين اردشير صاحب مازندران وخلف ثلاثة اولاد فملك
بعده ابنه الاكبر واخرج اخاه الاوسط من البلاد فقصد جرجان وبها الملك على شاه بن
خوارزم شاه تكش اخو خوارزم شاه محمد وهو ينوب عن اخيه فيها فشكا اليه ما صنع
به اخوه من اخراجه من البلاد وطلب منه ان ينجده عليه وياخذ له البلاد ليكون فى
طاعته فكتب على شاه الى اخيه خوارزم شاه فى ذلك فامره بالمسير معه الى مازندران
واخذ البلاد له واقامة الخطبة لخوارزم شاه فيها فساروا عن جرجان فاتفق ان حسام
الدين صاحب مازندران مات فى ذلك الوقت وملك البلاد بعده اخوه الاصغر واستولى
على القلاع والاموال فوصل على شاه البلاد ومعه صاحب مازندران فنهبوها وخربوها
وامتنع منهم الاخ الصغير بالقلاع واقام بقلعة كورا وهى التى فيها الاموال والذخائر
وحصروه فيها بعد ان ملكوا سائر البلاد مثل سارية وآمل وغيرهما من البلاد والحصون
وخطب لخوارزم شاه فى جميعها فصارت فى طاعته وعاد على شاه الى جرجان واقام ابن
ملك مازندران فى البلاد مالكا لها جميعها سوى القلعة التى فيها اخوه الاصغر وهو
يراسله ويستميله ويستعطفه واخوه لا يرد جوابا ولا ينزل من حصنه

(ذكر ملك غياث الدين كيخسرو مدينة انطاكية)

فى هذه السنة ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو صاحب قونية وبلاد الروم مدينة
انطاكية بالامان وهى للروم على ساحل البحر وسبب ذلك انه كان حصرها قبل هذا
التاريخ واطال المقام عليها وهدم عدة ابراج من سورها ولم يبق الا فتحها عنوة فارسل
من بها من الروم الى الفرنج الذين بجزيرة قبرس وهى قريبة منها فاستنجدوهم فوصل
اليها جماعة منهم فعند ذلك يئس غياث الدين منها ورحل عنها وترك طائفة من عسكره
بالقرب منها بالجبال التى بينها وبين بلاده وامرهم بقطع الميرة عنها فاستمر الحال على ذلك
مدة حتى ضاق باهل البلد واشتد الامر عليهم فطلبوا من الفرنج الخروج لدفع المسلمين
عن مضايقتهم فظن الفرنج ان الروم يريدون اخراجهم من المدينة بهذا السبب فوقع

الحجازية بامرها محمد على باشا الوالى ووزيره وكتخداه محمد اغا لاظ والدفتردار محمد بك صهر الباشا وزوج ابنته وآغات
الباب ابراهيم اغا ومدبر امور
البلاد والاطيان والرزق
والمساحات وقبض الاموال
الميرية وحساباتها ومصارفها
محمود بك الخازندار والسلحدار
سليمان اغا وحاكم الوجه
القبلى محمد بك الدفتردار صهر
الباشا عوض ابراهيم باشا
ولد الباشا لانفصاله عن امارة
الوجه القبلى وسفره الى الحجاز
آنفا لحرب الوهابيين وباقى
امراء الدولة مثل عابدين بك
واسمعيل باشا ابن الباشا
وخليل باشا وهو الذى كان
حاكم الاسكندرية سابقا
وشريف اغا وحسن بك دالى
باشا وحسين بك الشماشرجى
وحسن بك الشماشرجى
الذى كان حاكما بالفيوم
وغير هؤلاء وحسن اغا اغات
الينكجرية واحمد اغا اغات
التبديل وعلى اغا الوالى وكاتب
الروزنامه مصطفى افندى
وحسن باشا بالديار الحجازية
وشاه بندر التجار السيد محمد
المحروقى وهو المتعين لمهمات
الاسفار وقوافل العربان
ومخاطباتهم وملاقاة
الاخبار الواصلة من الديار
الحجازية والمتوجه اليها واجر
الحمول ونصبة السفن ولوازم
الصادرين والواردين والمتوجهين
والمقيمين والراحلين والمتعهد
بجميع فرق القبائل والعشير
وشواذهم ومشايخهم وارباب ادراكهم وسياستهم على اختلاف اخلاقهم وطباعهم والمتعين ايضا

المذكورة للاغا صاحب مصر فاكرمه وقدم اليه خيولا وقماشا ومالا وانزله بدار واسعة بالازبكية ورتب له تعيينا وطاقا من

لم يبق الا الصلح فوصل الخبر الى خوارزم شاه بموت صاحب مازندران فسار عن هراة
الى مرو وسمع الدز بالصلح فجزع لذلك جزعا عظيما اظهر اثره عليه وارسل الى غياث الدين
يقول له ما حملك على هذا الفعل حتى عاديته عصيانك وخلافك على فسار الدز الى تكياباذ
فاخذها والى بست وتلك الاعمال فملكها وقطع خطبة غياث الدين منها وارسل الى
صاحب سجستان يامره باعادة الترحم على شهاب الدين وقطع خطبة خوارزم شاه
وارسل الى ابن خرميل صاحب هراة بمثل ذلك وتهددهما بقصد بلادهما فخافه الناس
ثم ان الدز اخرج جلال الدين صاحب باميان من اسره وسيره ومعه خمسة آلاف فارس
مع ايدكز التتر مملوك شهاب الدين الى باميان ليعيدوه الى ملكه ويزيلوا ابن عمه عنه
وزوجه ابنته وسار ومعه ايدكز فلما خلا به لامه على لبسه خلعة الدز وقال انتم ما رضيتم
تلبسون خلعة غياث الدين وهو اكبر سنا منكم واشرف بيتا تلبس خلعة هذا المابون يعني
الدز ودعاه الى العود معه الى غزنة واعلمه ان الاتراك كلهم مجمعون على خلاف الدز
فلم يجبه الى ذلك فقال ايدكز فاني لا اسير معك وعاد الى كابل وهي اقطاعه فلما وصل
ايدكز الى كابل اتاه رسول من قطب الدين ايبك الى الدز يقبح له فعله ويامره باقامة
خطبة غياث الدين ويخبره انه قد خطب له في بلاده ويقول له ان لم يخطب له هو ايضا
بغزنة ويعود الى طاعته والا قصده وحاربه فلما علم ايدكز ذلك قويت نفسه على محاربة
الدز وصمم العزم على قصد غزنة ووصل ايضا رسول ايبك الى غياث الدين بالهدايا
والتحف وبشره باجابة خوارزم شاه الى ما طلب الآن وعند الفراغ من امر غزنة تسهل
امور خوارزم شاه وغيره وانفذ له ذهبا عليه اسمه فكتب ايدكز الى ايبك يعرفه
عصيان الدز على غياث الدين وما فعله في البلاد وانه على عزم مشاققة الدز وهو ينتظر
امره فاعاد ايبك جوابه يامره بقصد غزنة فان حصلت له القلعة اقام بها الى ان ياتيه
وان لم تحصل له القلعة وقصده الدز انحاز اليه او الى غياث الدين او يعود الى كابل
فسار الى غزنة وكان جلال الدين قد كتب الى الدز يخبره خبر ايدكز وما عزم عليه
فكتب الدز الى نوابه بقلعة غزنة يامرهم بالاحتياط منه فوصلها ايدكز اول رجب من
السنة وقد حذروه فلم يسلموا اليه القلعة ومنعوه منها فامر اصحابه بنهب البلد فنهبوا عدة
مواضع منه فتوسط القاضي الحال بان سلم اليهم من الخزانة خمسين الف دينار ركنية
واخذ له من التجار شيئا آخر وخطب ايدكز بغزنة لغياث الدين وقطع خطبة الدز
ففرح الناس بذلك وكان مؤيد الملك ينوب عن الدز بالقلعة ووصل الخبر الى الدز
بوصول ايدكز الى غزنة ووصول رسول ايبك اليه فغشي في عضده وخطب لغياث الدين
في تكياباذ واسقط اسمه من الخطبة فخطب له ورحل الى غزنة فلما قاربها رحل ايدكز
عنها الى بلد الغور فاقام في قران وكتب الى غياث الدين يخبره بحاله وانفذ اليه المال
الذي اخذه من الخزانة ومن اموال الناس فارسل اليه خلعا واعتقه وخاطبه بملك
الامراء ورد عليه المال الذي كان اخذه من الخزانة وقال له اما مال الخزانة فقد اهديناه
اليك فاخرجه واما اموال التجار واهل البلد فقد ارسلته مع رسولي ليعاد الى اربابه لئلا

لحم وخبز وسمن وارز وحطب
وجميع اللوازم المحتاج اليها
واقام عليه بحراز وغير ذلك
واقام بمصر هذه المدة وارسل
في شانه الى الدولة وقبلت
شفاعة محمد على باشا فيه
ووصله العفو والرضا واعطاه
ولاية الشام وحصلت فيه علة
ذات الصدر فكان يظهر به
شبه السلعة مع الفواق بصوت
يسمعه من يكون بعيدا عنه
ويذهب اليه جماعة الحكماء
من الافرنج وغيرهم ويطالع
في كتب الطب مع بعض الطلبة
من المجاورين فلم ينجع فيه
علاج وانتقل الى قصر الآثار
بقصد تبديل الهواء ولم يزل
مقيما هناك حتى اشتد به
المرض ومات في ليلة السبت
العشرين من شهر ذي القعدة
وحملت جنازته من الآثار
الى القرافة من ناحية الخلاء
ودفن بالحوش الذي انشاه
الباشا واعده لموتاه وكانت
مدة اقامته بمصر نحو الستة
سنوات فسبحان الحي الذي
لا يموت الدائم الملك السلطان

(ودخلت سنة اثنتين وثلاثين
ومائتين والف)

(استهل المحرم) بيوم
الخميس وحاكم مصر والمتولى
عليها وعلى ضواحيها
وثغورها من حد رشيد
ودمياط الى اسوان واقصى
الصعيد والجهة الكائنة القصير والسويس وساحل القلزم وجدة ومكة والمدينة والاقطار

قاتلة فولوا منهزمين بلبان ومن معه من بين يديه وعاد الى الذى بيده من البلاد وهو ملاز كرد وارجيش وغيرهما من الحصون وجمع العساكر واستكثر منها وعاود حصار خلاط وضيق على أهلها فاضطرهم الى خذلان ولد بكتمر لصغره وجهله بالملك واشتغاله بلهوه ولعبه ثم قبضوا عليه فى القلعة وأرسلوا الى بلبان وحلفوه على ما أرادوا وسلموا اليه البلد وابن بكتمر واستولى على جميع اعمال خلاط وحبس ابن بكتمر فى قلعة هناك واستقر ملكه فسبحان من اذا أراد امرا هيأ اسبابه بالامس يقصدها شمس الدين محمد ابن البهلوان وصلاح الدين يوسف بن ايوب فلم يقدر واحد منهما عليها والآن يظهر هذا المملوك العاجز القاصر عن الرجال والبلاد والاموال فيملكها صفوا عفوا ثم ان نجم الدين ايوب بن العادل صاحب ميافارقين سار نحوه ولاية خلاط وكان قد استولى على عدة حصون من اعمالها منها حصن موش ومدينته فلما قارب خلاط أظهر له بلبان العجز عن مقابلته فطمعوا وقل فى القرب فأخذ عليه بلبان الطريق وقاتله فهزمه ولم يفلت من اصحابه الا القليل وهم جرحى وعاد الى ميافارقين

❁(ذكر ملك الكرج مدينة قرس وموت ملكة الكرج)❁

فى هذه السنة ملك الكرج حصن قرس من اعمال خلاط وكانوا قد حصروه مدة طويلة وضيقوا على من فيه واخذوا دخل الولاية عدة سنين وكل من تولى خلاط لا ينجدهم ولا يسعى فى راحة تصل اليهم وكان الوالى بها يواصل رسله فى طلب النجدة وازاحة من عليه من الكرج فلا يجاب له دعاء فلما طال الامر عليه ورأى ان لا ناصر له صالح الكرج على تسليم القلعة على مال كثير واقطاع يأخذه منهم وصارت دار شرك بعد ان كانت دار توحيد فانا لله وانا اليه راجعون ونسأل الله ان يسهل للاسلام واهله نصرا من عنده فان ملوك زماننا قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم وظلمهم عن سد الثغور وحفظ البلاد ثم ان الله تعالى نظر الى قلة ناصر الاسلام فتولاه فاماتت ملكة الكرج واختلفوا فيما بينهم وكفى الله شرهم الى آخر السنة

❁(ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وصاحب كرستان)❁

فى هذه السنة فى رمضان سار عسكر الخليفة من خوزستان مع مملوكه سنجر وهو كان المتولى لتلك الاعمال وليها بعد موت طاشتكين امير الحاج لانه زوج ابنة طاشتكين الى جبال كرستان وصاحبها يعرف بابى طاهر وهى جبال منيعة بين فارس واصبهان وخوزستان فقاتلوا اهلها وعادوا منهزمين وسبب ذلك ان مملوكا للخليفة الناصر لدين الله اسمه قشتمر من اكابر مماليكه كان قد فارق الخدمة لتقصير رآه من الوزير نصير الدين العلوى الرازى واجتاز بخوزستان واخذ منها ما امكنه ولحق بابى طاهر صاحب كرستان فاكرمه وعظمه وزوجه ابنته ثم توفى ابو طاهر فقوى امر قشتمر واطاعه اهل تلك الولاية فامر سنجر بجمع العساكر وقصده ففعل سنجر ما امر به وجمع العساكر وسار اليه فارسل قشتمر يعتذر ويسأل ان لا يقصده ويخرج الى

ايضا فان غالب الاصناف داخل فى المكوسات وزيادة المكوس الحادثة فى هذه السنين وما يضاف الى ذلك من طمع الباعة والسوقة وغشهم وقبحهم وعدم ديانتهم وخبث طباعهم فلما نودى بذلك وسمع الناس رخص المبيعات ظنوا بعقلهم حصول الرخاء ونزلوا على المبيعات مثل الكلاب السعرانة وخطفوا ما كان بالاسواق بموجب التسعيرة من اللحم وانواع الخضراوات والفاكهة والادهان فلما اصبح اليوم الثانى لم يوجد بالاسواق شئ من ذلك واغلقت الفكهانية حوانيتهم واخفوا ما عندهم وطفقوا يبيعونه خفية وفى الليل بالثمن الذى يرتضونه والمحتسب يكثر الطواف بالاسواق ويقبض على من اغلق حانوته او وجدها خالية او عثر عليه انه باع بالزيادة وينكل بهم ويسحبهم مكشوفين الرؤس مشنوقين وموثقين بالحبال ويضربهم ضربا مؤلما ويصلبهم فى مفارق الطرق مخزومين الانوف ومعلق فيها النوع المزاد فى ثمنه فلم يرتدعوا عن عادتهم ثم ان هذه المنادات والتسعيرة ظاهرها الرفق بالرعية ورخص الاسعار وباطنها المكر والتحيل والتوصل لما سيظهر بعد عن قريب وذلك ان ولى الامر لم يكن له من الشغل الا صرف همته وفكره وشكره فى تحصيل المال والمكاسب وقطع ارزاق المسترزقين والجور والاحتكار بجميع الاسباب

الخلاف بينهم فاقتتلوا فارسل الروم الى المسلمين وطلبوهم ليسلموا اليهم البلد فوصلوا اليهم واجتمعوا معهم على قتال الفرنج فانهزم الفرنج ودخلوا الحصن فاعتصموا به فارسل المسلمون يطلبون غياث الدين وهو بمدينة قونية فسار اليهم مجدا في طائفة من عسكره فوصلها ثاني شعبان وتقرر الحال بينه وبين الروم وتسلم المدينة ثالثه وحصر الحصن الذي فيه الفرنج وتسلمه وقتل كل من كان به من الفرنج

(ذكر عزل ولد بكتمر صاحب خلاط وملك بلبان ومسير صاحب ماردين الى خلاط وعوده)

وفي هذه السنة قبض عسكر خلاط على صاحبها ولد بكتمر وملكها بلبان مملوك شاه ارمن بن سكمان وكتب اهل خلاط الى ناصر الدين ارتق بن ايلغازي بن البي بن غرتاش بن ايلغازي بن ارتق يستدعونه اليها وسبب ذلك ان ولد بكتمر كان صبيا جاهلا فقبض على الامير شجاع الدين قتلغ مملوك من مماليك شاه ارمن وهو كان اتابكه ومدبر بلاده وكان حسن السيرة مع الجند والرعية فلما قتله اختلفت الكلمة عليه من الجند والعامة واشتغل هو باللهو واللعب وادمان الشرب فكاتب جماعة من اهل خلاط وجماعة من الجند ناصر الدين صاحب ماردين يستدعونه اليهم وانما كاتبوه دون غيره من الملوك لان اباه قطب الدين ايلغازي كان ابن اخت شاه ارمن بن سكمان وكان شاه ارمن قد حلف له الناس في حياته لانه لم يكن له ولد فلما تجددت بعده هذه الحادثة تذاكروا تلك الايمان وقالوا نستدعيه ونملكه فانه من اهل شاه ارمن فكاتبوه وطلبوه اليهم ثم ان بعض مماليك شاه ارمن اسمه بلبان وكان قد تجاهر ولد بكتمر بالعداوة والعصيان سار من خلاط الى بلاد ملازكرد وملكها واجتمع الاجناد عليه وكثر جمعه وسار الى خلاط فملكها واتفق وصول صاحب ماردين اليها وهو يظن ان احدا لا يمتنع عليه ويسلمون اليه المدينة فنزل قريبا من خلاط عدة ايام فارسل اليه بلبان يقول له ان اهل خلاط قد اتهموني بالميل اليك وهم ينفرون من العرب والرأي انك ترحل عائدا مرحلة واحدة وتقيم فاذا تسلمت البلاد حملته اليك لانني لا يمكنني ان املكه انا ففعل صاحب ماردين ذلك فلما ابعد عن خلاط ارسل اليه يقول له تعود الى بلدك والا جئت اليك واوقعت بك وبمن معك وكان في قلة من الجيش فعاد الى ماردين وكان الملك الاشرف موسى بن العادل ابي بكر بن ايوب صاحب حران وديار الجزيرة قد ارسل الى صاحب ماردين لما سمع انه يريد قصد خلاط يقول له ان سرت الى خلاط قصدت بلدك وانما خاف ان يملك خلاط فيقوى عليهم فلما سار الى خلاط جمع الاشرف العساكر وسار الى ولاية ماردين فاخذوا نهبوا واقام بدنيسر حتى تجبى الاموال اليه فلما فرغ منه عاد الى حران فكان مثل صاحب ماردين كما قيل خرجت تطلب قرنين عادت بلا اذنين واما بلبان فانه جمع العسكر وحشد وحصر خلاط وضيق على اهلها وبها ولد بكتمر فجمع من عنده بالبلد من الاجناد والعامة وخرج اليه

فالتقوا

لفصل قضايا التجار والباعة وارباب الحرف البلدية وفصل خصوماتهم ومشاجراتهم وتأديب المعترضين منهم والتصايرز وبموثات الباشا ومراسلاته ومكاتباته وتجاراته وشركاته وابتداعاته واجتهاده في تحصيل الاموال من كل وجه وأي طريق ومتابعة توجيه السرايا والعساكر والذخائر الى نواحي الحجاز للاغارة على بلاد الوهابية واخذ الدرعية مستمر لا ينقطع والعرضي منصوب خارج باب النصر وباب الفتوح واذا ارتحلت طائفة خرجت اخرى مكانها (وفيه) سومحت ارباب الحرف والباعة والزياتون والجزارون والخضرية والخبازون ونحوهم من المشاهرات واثمان اعراف واليوميات الموظفة عليهم للمحتسب ونودي برفعها امام المحتسب في الاسواق وعوض المحتسب عنها خمسة اكياس في كل شهر يستوفيها من الخزينة العامرة وعملوا تسعيرا بترخيص اسعار المبيعات بدلا عما كانوا يغرمونه للمحتسب ولكن من غير مراعاة النسبة والمعادلة في غالب الاصناف فان العادة عند اقبال وجود الفاكهة او الخضراوات تباع باغلى ثمن لعزتها وقلتها حينئذ وشهوة الطباع واشتياق النفوس لجديد الاشياء وزهدها في القديم الذي تكرر استعماله وتعاطيه كما يقال لكل جديد لذة فلم يراعوا ذلك ولم ينظروا الى اصول الاشياء

(ثم دخلت سنة اربع وستمائة)

(ذكر ملك خوارزم شاه ما وراء النهر وما كان بخراسان من الفتن واصلاحها)

في هذه السنة عبر علاء الدين محمد بن خوارزم شاه نهر جيحون لقتال الخطا وسبب ذلك ان الخطا كانوا قد طالت ايامهم ببلاد تركستان وما وراء النهر وثقلت وطأتهم على اهلها ولهم في كل مدينة نائب يجبي اليهم الاموال وهم يسكنون الخركاهات على عادتهم قبل ان يملكوا وكان مقامهم بنواحي اوزكند وبلاساغون وكاشغر وتلك النواحي فاتفق ان سلطان سمرقند وبخارا ويلقب خان خانان يعني سلطان السلاطين وهو من اولاد الخانية عريق النسب في الاسلام والملك انف وضجر من تحكم الكفار على المسلمين فارسل الى خوارزم شاه يقول له ان الله عز وجل قد اوجب عليك بما اعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود ان تستنقذ المسلمين وبلادهم من ايدي الكفار وتخلصهم مما يجري عليهم من التحكم في الاموال والابشار ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل اليك ما نحمله اليهم ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكة فاجابه الى ذلك وقال اخاف انكم لا توفون لي فسير اليه صاحب سمرقند وجوه اهل بخارا وسمرقند بعد ان حلفوا صاحبهم على الوفاء بما تضمنه وضمنوا عنه الصدق والثبات على ما بذل وجعلوا عنده رهائن فشرع في اصلاح امر خراسان وتقرير قواعدها فولى اخاه علي شاه طبرستان مضافة الى جرجان وامره بالحفظ والاحتياط وولى الامير كزلك خان وهو من اقارب امه واعيان دولته نيسابور وجعل معه عسكرا وولى الامير جلدك مدينة الجام وولى الامير امين الدين ابا بكر مدينة زوزن وكان هذا امين الدين حمالا ثم صار اكبر الامراء وهو الذي ملك كرمان على ما نذكره ان شاء الله تعالى واقر الامير الحسين على هراة وجعل معه فيها الف فارس من الخوارزمية وصالح غياث الدين محمودا على ما بيده من بلاد الغور وكرمسير واستناب في مرو وسرخس وغيرهما من خراسان نوابا وامرهم بحسن السياسة والحفظ والاحتياط وجمع عساكره جميعها وسار الى خوارزم وتجهز منها وعبر جيحون واجتمع بسلطان سمرقند ومع الخطا فشعروا وجمعوا وجاؤا اليه فجرى بينهم وقعات ومغاورات كثيرة تارة له وتارة عليه

(ذكر قتل ابن خرميل وحصر هراة وأسر خوارزم شاه وخلاصه)

ثم ان ابن خرميل صاحب هراة رأى سوء معاملة عسكر خوارزم شاه للرعية وتعديهم الى الاموال فقبض عليهم وحبسهم وبعث رسولا الى خوارزم شاه يعتذر ويعرفه ما صنعوا فعظم عليه ولم يمكنه اظهاره لاشتغاله بقتال الخطا فكتب اليه يحسن فعله ويأمره بانفاذ الجند الذين قبض عليهم اليه وقال له انني قد امرت عز الدين جلدك بن طغرل صاحب الجام ان يكون عندك لما اعلمه من عقله وحسن سيرته وارسل الى جلدك يأمره بالمسير الى هراة واسر اليه ان يحتال في القبض على حسين بن خرميل ولو اول ساعة يلقاه فسار جلدك في الفي فارس وكان ابوه طغرل ايام السلطان

المذابح والسلخانات وما يتصل بها وما يكتب الموظفون فيها اول ما يبدو به ابطال جميع ١٢١ المذابح التي بجهات مصر والقاهرة وبولاق خلاف السلخانة السلطانية التي خارج الحسينية وتولى رياستها شخص من الاتراك ثم صعرت هذه التسعيرة بقتل الرطل الذي يبيعه القصاب بسبعة انصاف فضة وعينه على القصاب من المذبح ثمانية انصاف ونصف وكان يباع قبل هذه التسعيرة بالزيادة الفاحشة فنقص وجود اللحم واغلقت حوانيت الجزارين وحصروا في شراء الاغنام وذبحها وبيعها بهذا السعر وانتهى امر قضية اللحم الى ولي الامر وان ذلك من قلة المواشي وغلوا ثمان مشترواتها على الجزارين وكثرة رواتب الدولة والعساكر واشيع انه امر بمراسيم الى كشاف الاقاليم قبلي وبحري اشتراء الاغنام من الارياف بخصوص رواتبه ورواتب العسكر والخاصة واهل الدولة ويترك ما يذبحه جزارو المذبح لاهل البلدة وعند ذلك ترخص الاسعار ثم تبين خلاف ذلك وان هذه الاشاعة تمويهة وتقدمة للمستقبل من قريب (وفي منتصفه) وصلت اغنام وعجول وجواميس من الارياف هزيلة وازدادت باقامتها هزالا من الجوع وعدم رعايتها فذبحوا منها بالمذابح اقل من المعتاد وزعقت على الجزارين لا يخص الشخص منهم الاثنان او الثلاث تنعقد

الخروج من العبودية فلم يقبل عذره فجمع اهل تلك الاعمال ونزل الى العسكر فلقيهم فهزمهم وارسل الى صاحب فارس بن دكلا وشمس الدين ايتغمش صاحب اصبهان وهمذان والرى يعرفهما الحال ويقول انني لا قوة لي بعسكر الخليفة لما اضيف اليهم عساكر اخرى من بغداد وعادوا الى سرفي وحينئذ لا اقدر به وطلب منهما النجدة وخوفهما من عسكر الخليفة ان ملك تلك الجبال فاجاباه الى ما طلب فقوى جنانه واستمر على حاله

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قتل صبي صبيا آخر ببغداد وكانا يتعاشران وعمر كل واحد منهما يقارب عشر سنين فقال احدهما للآخر الساعة اضربك بهذه السكين بما زحه بذلك واهوى نحوه بها فدخلت في جوفه فمات فهرب القاتل ثم اخذوا امر به ليقتل فلما ارادوا قتله طلب دواة وبيضاء وكتب فيها من قوله

قدمت على الكريم بغير زاد ٭ من الاعمال بل قلب سليم
وسوء الظن ان تعتقد زادا ٭ اذا كان القدوم على كريم

وفيها حج برهان الدين صدر جهان محمد بن احمد بن عبد العزيز بن مازة البخاري رئيس الحنفية ببخارا وهو كان صاحبها على الحقيقة يؤدي الخراج الى الخطا وينوب عنهم في البلد فلما حج لم تحمد سيرته في الطريق ولم يصنع معروفا وكان قد اكرم ببغداد عند قدومه من بخارا فلما عاد لم يلتفت اليه لسوء سيرته مع الحاج وسماه الحجاج صدر جهنم وفيها في شوال مات شيخنا ابو الحرم مكي بن ريان بن شبة النحوي المقرى بالموصل وكان عارفا بالنحو واللغة والقراآت لم يكن في زمانه مثله وكان ضريرا وكان يعرف سوى هذه العلوم من الفقه والحساب وغير ذلك معرفة حسنة وكان من خيار عباد الله وصالحيهم كثير التواضع لا يزال الناس يشتغلون عليه من بكرة الى الليل وفيها فارق امير الحاج مظفر الدين سنقر مملوك الخليفة المعروف بوجه السبع الحاج بموضع يقال له المرخوم ومضى في طائفة من اصحابه الى الشام وسار الحاج ومعهم الجند فوصلوا سالمين ووصل هو الى الملك العادل ابي بكر بن ايوب فاقطعه اقطاعا كثيرا بمصر واقام عنده الى ان عاد الى بغداد سنة ثمان وستمائة في جمادى الاولى فانه لما قبض الوزير امن على نفسه وارسل يطلب العود فاجيب اليه فلما وصل اكرمه الخليفة واقطعه الكوفة وفيها في جمادى الآخرة توفي ابو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الاسكندراني المعروف بابن النطروني في مارستان بغداد وكان قد مضى الى المايورقي في رسالة بامر يقتضيه حصل له منه عشرة آلاف دينار مغربية ففرقها جميعها في بلده على معارفه واصدقائه وكان فاضلا خبيرا نعم الرجل رحمه الله وله شعر حسن وكان عالما بعلم الادب واقام بالموصل مدة واشتغل على الشيخ ابي الحرم واجتمعت به كثيرا عند الشيخ ابي الحرم رحمه الله

ولا يتقرب اليه من يريد تقربه الا بمساعدته على مراداته ومقاصده ومن كان بخلاف ذلك فلا حظ له معه مطلقا ومن تجاسر عليه من الوجهاء بنصح او قول مناسب ولو على سبيل التشفع حقد عليه وربما اقصاه وابعده وعاداه معاداة من لا يصفو ابدا وعرفت طباعه واخلاقه في دائرته وبطانته فلم يمكنهم الا الموافقة والمساعدة في شره وعاداته اما رهبة او خوفا على مراداتهم ورياساتهم ومناصبهم واما رغبة وطمعا وتوصلا للرياسة والسيادة وهم الاكثر وخصوصا اعداء الملة من نصارى الارمن وامثالهم الذين هم الآن اخصاء حضرته ومجالسته وهم شركاؤه في انواع المناهي وهم اصحاب الرأي والمشورة وليس لهم شغل ودرس الا فيما يزيد حظوتهم ووجاهتهم عند مخدومهم وموافقة اغراضه وتحسين مخترعاته وربما ذكروه ونبهوه على اشياء تركها وغفل عنها من المبتدعات وما يتحصل منها من المنال والمكاسب التي يسترزقها ارباب تلك الحرفة لمعاشهم ومصاريف عيالهم ثم يقع الفحص على اصل الشئ وما يتفرع منه وما يؤول اذا احكم امره وانتظم ترتيبه وما يتحصل منه بعد التسعير الذي يجعلونه مصاريف التكية والمباشرين ابرزت مباديه في قالب العدل والرفق بالرعية ولما وقع الالتفات الى أمر

هو ومن عنده من الامراء منعه مخافة ان يجرى بينهم حرب يقتل فيه بينهم اهل هراة فهم يخرجون اليهم فيلقون منهم ما يريدونه فامسكوا عن معارضتهم وكان خوارزمشاه قد خرب سور نيسابور لما ملكها من الغورية فشرع كزلك خان يعمره وادخل اليها الميرة واستكثر من الجند وعزم على الاستيلاء على خراسان ان صح فقد السلطان وبلغ خبر عدم السلطان الى اخيه على شاه وهو بطبرستان فدعا الى نفسه وقطع خطبة اخيه واستعد لطلب السلطنة واختلطت خراسان اختلاطا عظيما واما السلطان خوارزمشاه فانه لما اسر قال له ابن شهاب الدين مسعود يجب ان تدع السلطنة فى هذه الايام وتصير خادما لعلى احتال فى خلاصك فشرع يخدم ابن مسعود ويقدم له الطعام ويخلع عنه ثيابه وخفه ويعظمه فقال الرجل الذى اسرهما لابن مسعود ارى هذا الرجل يعظمك فمن انت فقال انا فلان وهذا غلامى فقام اليه واكرمه وقال لولا ان القوم عرفوا بكونك عندى لاطلقتك ثم تركه اياما فقال له ابن مسعود انى اخاف ان يرجع المنهزمون فلا يرانى اهلى معهم فيظنون انى قتلت فيعملون العزاء والماتم وتضيق صدورهم لذلك ثم يقتسمون مالى فاهلك واحب ان تقرر على شيئا من المال حتى احمله اليك فقرر عليه مالا وقال له اريد ان تأمر رجلا عاقلا يذهب بكتابى الى اهلى ويخبرهم بعافيتى ويحضر معه من يحمل المال ثم قال ان اصحابكم لا يعرفون اهلنا ولكن هذا غلامى اثق به ويصدقه اهلى فاذن له الخطائى بانفاذه فسيره وارسل معه الخطائى فرسا وعدة من الفرسان يحمونه فساروا حتى قاربوا خوارزم وعاد الفرسان عن خوارزمشاه ووصل خوارزمشاه الى خوارزم فاستبشر به الناس وضربت البشائر وزينوا البلد واتته الاخبار بما صنع كزلك بنيسابور وبما صنع اخوه على شاه بطبرستان

(ذكر ما فعله خوارزمشاه بخراسان)

لما وصل خوارزمشاه الى خوارزم اتته الاخبار بما فعله كزلك خان واخوه على شاه وغيرهم فسار الى خراسان وتبعته العساكر فتقطعت ووصل هو اليها فى اليوم السادس ومعه ستة فرسان وبلغ كزلك خان وصوله فاخذ امواله وعساكره وهرب نحو العراق وبلغ اخاه على شاه فخافه وسار على طريق قهستان ملتجئا الى غياث الدين محمود الغورى صاحب فيروزكوه فلقاه واكرمه وانزله عنده واما خوارزمشاه فانه دخل نيسابور واصلح امرها وجعل فيها نائبا وسار الى هراة فنزل عليها مع عسكره الذين يحاصرونه واحسن الى اولئك الامراء ووثق بهم لانهم صبروا على تلك الحال ولم يتغيروا ولم يبلغوا من هراة غرضا بحسن تدبير ذلك الوزير فارسل خوارزمشاه الى الوزير يقول له انك وعدت عسكرى انك تسلم المدينة اذا حضرت وقد حضرت فسلم فقال لا افعل لانى اعرف انكم غدارون لا تبقون على احد ولا اسلم البلد الا الى غياث الدين محمود فغضب خوارزمشاه من ذلك وزحف اليه بعساكره فلم يكن فيه حيلة فاتفق جماعة من اهل هراة وقالوا هلك الناس من الجوع والقلة وقد تعطلت علينا معايشنا وقد مضى سنة وشهور وكان الوزير يعد بتسليم البلد الى خوارزمشاه اذا وصل اليه وقد حضر خوارزمشاه

فيه حضر المعلم غالى من الجهة القبلية ومعه مكاتبات من محمد بك الدفتردار الذى تولى امارة الصعيد مضمونها ان ابراهيم باشا ابن الباشا الذى توجه الى البلاد الحجازية لمحاربة الوهابية بعد ما كرهها نصح المعلم غالى ومعه فى فتح ابواب تحصيل الاموال للخزينة وانه ابتكر اشياء وحسابات يتحصل منها مقادير كثيرة من المال فقوبل بالرضا والاكرام وخلع عليه الباشا واختص به وجعله كاتب سره ولازم خدمته واخذ فيما يندب اليه وحضر لاجله التى منها حسابات جميع الدفاتر واقلام المبتدعات ومباشريها وحكام الاقاليم (وفيه) تجردت عدة عساكر اتراك ومغاربة الى الحجاز وصحبتهم ارباب صنائع وحرف (وفيه) ارسل الباشا الى بندر السويس اخشابا وادوات عمارة وبلاطا كذلك وحديدا وصناعا بقصد عمارة قصر مخصوص اذا نزل هناك

(واستهل شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٢)

فيه شحت المبيعات والغلال والادهان وقلت اسعار الحبوب وقل وجودها فى الرقع والسواحل فكان الناس لا يحصلون شيئا منها الا بغاية المشقة (وفيه) عزل الباشا حكام الاقاليم والكشاف وقرابهم وطلبهم للحضور وامر بحسابهم وما اخذوه من الفلاحين زيادة على ما فرضه عليهم وارسل من قبله اشخاصا لمزيد الفحص والتجسس على ما عسى يكون اخذوه

وعبروا اليها هراة فهو اليها بالاشواق يختارها على جميع خراسان فلما قارب هراة امر ابن خرميل الناس بالخروج لتلقيه وكان الحسين بن خرميل يعرف بخواجه الصاحب وكان كبيرا قد حنكته التجارب فقال لابن خرميل لا تخرج الى لقائه ودعه يدخل البلد منفردا فانني اخاف ان يغدر بك وان يكون خوارزمشاه امره بذلك فقال لا يجوز ان يقدم مثل هذا الامير ولا التقيه واخاف ان يضطغن ذلك على خوارزمشاه وما امنه يتبع امره على فخرج اليه الحسين بن خرميل فلما بصر كل واحد منهما بصاحبه ترجل للالتقاء وكان جلدك قد امر اصحابه بالقبض عليه فاختلطوا بهما وحالوا بين ابن خرميل واصحابه وقبضوا عليه فانهزم اصحابه ودخلوا المدينة واخبروا الوزير بالحال فامر باغلاق الباب والطلوع الى الاسوار واستعد للحصار ونزل جلدك على البلد وارسل الى الوزير يبذل له الامان ويتهدده ان لم يسلم البلد بقتل ابن خرميل فنادى الوزير بشعار غياث الدين محمود الغوري وقال لجلدك لا اسلم البلد اليك ولا الى الغادر ابن خرميل وانما هو لغياث الدين ولابيه قبله فقدموا ابن خرميل الى السور فخاطب الوزير وامره بالتسليم فلم يفعل فقتل ابن خرميل وهذه عاقبة الغدر فقد تقدم من اخباره عند شهاب الدين الغوري ما يدل على غدره وكفرانه الاحسان ممن احسن اليه فلما قتل ابن خرميل كتب جلدك الى خوارزمشاه بحقيقة الحال فانفذ خوارزمشاه الى كزلك خان والى نيسابور والى امين الدين ابي بكر صاحب زوزن يامرهما بالمسير الى هراة وحصارها واخذها فساروا في عشرة آلاف فارس فنزلوا على هراة وراسلوا الوزير بالتسليم فلم يلتفت اليهم وقال ليس لكم من المحل ما يسلم اليكم مثل هراة لكن اذا وصل السلطان خوارزمشاه سلمتها اليه فقاتلوه وجدوا في قتاله فلم يقدروا عليه وكان ابن خرميل قد حصن هراة وعمل لها اربعة اسوار محكمة وحفر خندقها وشحنها بالميرة فلما فرغ من كل ما اراده قال بقيت اخاف على هذه المدينة شيئا واحدا وهو ان تسكر المياه التي لها وهي كثيرة ثم ترسل دفعة واحدة فتغرق اسوارها فلما حصرها هؤلاء سمعوا قول ابن خرميل فسكروا المياه حتى اجتمعت كثيرا ثم اطلقوه على هراة فاحاطت بها ولم تصل الى السور لان ارض المدينة مرتفعة فامتلأ الخندق ماء وصار حولها وحلا فانتقل العسكر عنها ولم يمكنهم القتال لبعدهم عن المدينة وهذا كان قصد ابن خرميل ان يمتلئ الخندق ماء ويمنع الوحل من القرب من المدينة فاقاموا مدة حتى نشف الماء فكان قول ابن خرميل من احسن الحيل وقصود الى قتال خوارزمشاه الخطا واسره واما خوارزمشاه فانه دام القتال بينه وبين الخطا في بعض الايام اقتتلوا واشتد القتال ودام بينهم ثم انهزم المسلمون هزيمة قبيحة واسر كثير منهم وقتل كثير وكان من جملة الاسرى خوارزمشاه واسر معه امير كبير يقال له فلان بن شهاب الدين مسعود واسرهما رجل واحد ووصلت العساكر الاسلامية الى خوارزم ولم يروا السلطان معهم فارسلت اخت كزلك خان صاحب نيسابور وهو يحاصر هراة واعلمته الحال فلما اتاه الخبر سار عن هراة ليلا الى نيسابور واحس به الامير امين الدين ابو بكر صاحب زوزن فاراد

ما يصل الى حانوته وهو مثل العرامى فيخطفها العساكر التى هناك الخطة وتزدحم الناس فلا ينوبهم شئ وتذهب في لمح البصر ثم امتنع وجودها واستمر الحال والناس لا يجدون ما يطبخونه لعيالهم وكذلك امتنع وجود الخضراوات فكان الناس لا يحصلون القوت الا بغاية المشقة واقتاتوا بالفول المصلوق والعدس والبيصار ونحو ذلك وانعدم وجود السمن والزيت والشيرج وزيت البزر وزيت القرطم لاحتكارها بجهة البحري واغلقت المعاصر والسيارج وامتنع وجود الشمع العسل والشمع المصنوع من الشحم لاحتكار الشحم وعجز على عمال الشمع فلا يصنعه الشماعون ولا غيرهم ونودى على بيع الموجود منه باربعة وعشرين نصفا وكان يباع بثلاثين واربعين فاشتغلوه وطفقوا يبيعونه خفية عما احتسبوا وانعدم وجود بيض الدجاج فجعلوا العشرة منه باربعة انصاف وكان قبل المناداة اثنان بنصف وكل ذلك والمحتسب يطوف بالاسواق والشوارع ويشدد على الباعة وينكلهم بالضرب والتجريس ونقد وجود الدجاج فلا يكاد يوجد بالاسواق دجاجة لانه نودى على الدجاجة باثنى عشر نصفا وكان الثمن عنهما قبل ذلك خمسة وعشرين فاكثر (واستهل شهر صفر الخير سنة ١٢٢٢)

اليه فزوجه خوارزم شاه بابنته ورده الى سمرقند وبعث معه شحنة يكون بسمرقند على ما كان رسم الخطا

٭(ذكر غدر صاحب سمرقند بالخوارزميين)٭

لما عاد صاحب سمرقند اليها ومعه شحنة لخوارزم شاه واقام معه مخوسنة فرأى سوء سيرة الخوارزميين وقبح معاملتهم فندم على مفارقة الخطا وارسل الى ملك الخطا يدعوه الى سمرقند ليسلمها اليه ويعود الى طاعته وامر بقتل كل من في سمرقند من الخوارزمية من سكانها قديما وحديثا واخذ اصحاب خوارزم شاه فكان يجعل الرجل منهم قطعتين ويعلقهم في الاسواق كما يعلق القصاب اللحم وامانا غاية الاساءة ومضى الى القلعة ليقتل زوجته ابنة خوارزم شاه فاغلقت الابواب ووقفت بجواريها تمنعه وارسلت اليه تقول انا امرأة وقتل مثلي قبيح ولم يكن مني اليك ما استوجب به هذا منك ولعل تركي احمد عاقبة فاتق الله في قتلها ووكل بها من يمنعها التصرف في نفسها ووصل الخبر الى خوارزم شاه فقامت قيامته وغضب غضبا شديدا وامر بقتل كل من بخوارزم من الغرباء فمنعته امه من ذلك وقالت ان هذا البلد قد اتاه الناس من اقطار الارض ولم يرض كلهم بما كان من هذا الرجل فامر بقتل اهل سمرقند فنهته امه فانتهى وامر عساكره بالتجهيز الى ماوراء النهر وسيرهم ارسالا كل طائفة تتجهز جماعة عبروا جيحون فعبر منهم خلق كثير لا يحصى ثم عبر هو بنفسه في آخرهم ونزل على سمرقند وانفذ الى صاحبها يقول له قد فعلت ما لم يفعله مسلم واستحللت من دماء المسلمين ما لا يفعله عاقل لا مسلم ولا كافر وقد عفا الله عما سلف فاخرج من البلاد وامض حيث شئت فقال لا اخرج وافعل ما بدا لك فامر عساكره بالزحف فاشار عليه بعض من معه بان يامر بعض الامراء اذا قصدوا البلدان يقصدوا الدرب الذي يسلكه التجار فيمنع من نهبوا الطرق اليهم بسوء فانهم غرباء وكلهم كارهون لهذا الفعل فامر بعض الامراء بذلك وزحف ونصب السلاليم على السور فلم يكن باسرع من ان اخذوا البلد واذن لعسكره بالنهب وقتل من يجدونه من اهل سمرقند فنهب البلد وقتل اهله ثلاثة ايام فيقال انهم قتلوا منهم مائتي الف انسان وسلم ذلك الدرب الذي فيه الغرباء فلم يعدم منهم الفرد ولا الآدمي الواحد ثم امر بالكف عن النهب والقتل ثم زحف الى القلعة فراى صاحبها ما ملأ قلبه هيبة وخوفا فارسل يطلب الامان فقال لا امان لك عندي فزحفوا عليها فملكوها واسروا صاحبها واحضر وعند خوارزم شاه فقبل الارض فطلب العفو فلم يعف عنه وامر بقتله فقتل صبرا وقتل معه جماعة من اقاربه ولم يترك احدا من ينسب الى الخانية ورتب فيها وفي سائر البلاد نوابه ولم يبق لاحد معه في البلاد حكم

٭(ذكر الوقعة التي افنت الخطا)٭

لما فعل خوارزم شاه بالخطا ما ذكرناه مضى من سلم منهم الى ملكهم فانه لم يحضر الحرب فاجتمعوا اليه وكان طائفة عظيمة من التتر قد خرجوا من بلادهم حدود الصين قديما

من القرية بالبلاد ويدخلون المدينة ويمرون بها في الاسواق ويبيعونها بما احبوا من الثمن على الناس فانكب الناس على شرائها منهم لجودتها ويشترك الجماعة في الشاة فيذبحونها ويقسمونها بينهم وذلك لقلة وجدان اللحم كما سبقت الاشارة اليه وان تبين وجوده فيكون هزيلا ورديئا فان في كل يوم ترد الجملة الكثيرة من بحري وقبلي الى المكان المعد لها ولم يكن ثم من يراعيها بالعلف والسقي فتهزل وتضعف فلما كثر ورود الفلاحين بالاغنام وشراء الناس لها ووصل خبر ذلك الى الباشا امر بوقوف عساكر على مفارق الطرق خارج المدينة من كل ناحية فياخذون الشاة من الفلاحين اما بالثمن او يذهب صاحبها معها الى المذبح فتذبح في يومها ومن الغد ويوزن اللحم خالصا ويعطى اصاحبها ثمنه عن كل رطل ثمانية فضة ونصف ويوزن على الجزارين بذلك الثمن بما فيه من القلب والكبد والمعى والمذاكير والطرح بما فيه من الزبل ايضا والجزارون يبيعونها على من يشتري لشدة الطلب بزيادة النصف والنصفين بل والثلاثة والاربعة ان كان به نوع جودة واما الاسقاط من الرؤس والجلود والكروش فهو ولا يدرى وكذلك يفعل تجار لخاصة الناس من الاغنام يفعلها كذلك ولا ياخذ الاجر

ولم يسلم ويجب ان نحتال في تسليم البلد والخلاص من هذه الشدة التي نحن فيها فانتهى ذلك الى الوزير فبعث اليهم جماعة من عسكره وامرهم بالقبض عليهم فمضى الجند اليهم فثارت فتنة في البلد عظيمة فاحتاج الوزير الى تداركها بنفسه فمضى لذلك فكتب من البلد الى خوارزمشاه بالخبر وزحف الى البلد واهله مختلفون فخربوا برجين من السور ودخلوا البلد فملكوه وقبضوا على الوزير فقتله خوارزمشاه وملك البلد وذلك سنة خمس وستمائة واصلح حاله وسلمه الى خاله امير ملك وهو من اعيان امرائه فلم يزل بيده حتى هلك خوارزمشاه واما ابن شهاب الدين مسعود فانه اقام عند الخطا مدة فقال له الذي استأسره يوما ان خوارزمشاه قد عدم فاي شئ عندك من خبره فقال له انا اعرفه قال لا قال هو اسيرك الذي كان عندك فقال لم لا عرفتني حتى كنت اخدمه واسير بين يديه الى مملكته قال خفتكم عليه فقال الخطائي سر بنا اليه فسارا اليه فاكرمهما واحسن اليهما وبالغ في ذلك

(ذكر قتل غياث الدين محمود)

لما سلم خوارزمشاه هراة الى خاله امير ملك وسار الى خوارزم امره ان يقصد غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد بن سام الغوري صاحب الغور وفيروزكوه وان يقبض عليه وعلى اخيه علي شاه بن خوارزمشاه وياخذ فيروزكوه من غياث الدين فسار امير ملك الى فيروزكوه وبلغ ذلك الى محمود فارسل يبذل الطاعة ويطلب الامان فاعطاه ذلك فنزل اليه محمود فقبض عليه امير ملك وعلى علي شاه اخي خوارزمشاه فسالاه ان يحملهما الى خوارزمشاه ليرى فيهما رايه فارسل الى خوارزمشاه يعرفه الخبر فامره بقتلهما فقتلا في يوم واحد واستقامت خراسان كلها لخوارزمشاه وذلك سنة خمس وستمائة ايضا وهذا غياث الدين هو آخر ملوك الغورية ولقد كانت دولتهم من احسن الدول سيرة واعدلها واكثرها جهادا وكان محمود هذا عادلا حليما كريما من اكرم الملوك اخلاقا رحمه الله تعالى

(ذكر عود خوارزمشاه الى الخطا)

لما استقر امر خراسان لخوارزمشاه وعبر نهر جيحون جمع له الخطا جمعا عظيما وسار واليه والمقدم عليهم شيخ دولتهم القائم مقام الملك فيهم المعروف بطاينكو وكان عمره قد جاوز مائة سنة ولقي حروبا كثيرة وكان مظفرا حسن التدبير والعقل واجتمع خوارزمشاه وصاحب سمرقند وقصداهم والخطا [illegible] فجرت حروب لم يكن مثلها اشد وصبروا فانهزم الخطا هزيمة منكرة وقتل منهم واسر خلق لا يحصى وكان فيمن اسر طاينكو مقدمهم وجيء به الى خوارزمشاه فاكرمه واجلسه على سريره وسيره الى خوارزم ثم قصد خوارزمشاه الى بلاد ما وراء النهر فملكها مدينة مدينة وناحية ناحية حتى بلغ اوزكند وجعل نوابه فيها وعاد الى خوارزم ومعه سلطان سمرقند وكان من احسن الناس صورة فكان اهل خوارزم يجتمعون حتى ينظروا

اليه

منهم من غير ثمن فأخذوا يقررون المشايخ والفلاحين ويحررون اثمان مفرق الاشيا من غنم اودجاج او تبن او عليق او بيض او غير ذلك في المدة التي اقامها احدهم بالناحية فحصل للكثير من قائم مقاماتهم الضرر وكذلك من انتمى اليهم فمنهم من اضطر وباع فرسه واستدان (وفيه) حضر علي كاشف من ذرقية بلبيس معزولا عن كشوفيتها وقلدها خلافه وكان كاشفا بالاقليم عدة سنوات وكذلك جرى لكاشف المنوفية والغربية وحضر ايضا حسن بك الشماشرجي من الفيوم معزولا ووجهه الباشا الى ناحية دونة لمحاربة اولاد علي

(واستهل شهر ربيع الثاني سنة ١٢٣٢)

فيه حصل الحجز والمنع على من يذبح شيئا من المواشي في داره او غيرها ولا يأخذ الناس لحوم اكلهم منهم الا من المقيم واوقفت عساكر بالطرق رصدا لمن يدخل المدينة بشيء من الاغنام وذلك انه لما نزلت المراسيم الى الكشاف بشرى المواشي من الفلاحين وارسالها الى المكان الذي اعده الباشا لذلك ويؤخذ منها مقدار ما يذبح بالسلخانه في كل يوم لرواتب الدولة والمبيع طلب كشاف النواحي شراء الاغنام والعجول والجواميس بالثمن القليل من اربابها فهرب الكثير من الفلاحين باغنامهم فيخرجون

بلبان لم تثبت قدمه حتى يمنعه فلما ملكها طمع في خلاط فسار اليها فهزمه بلبان كما ذكرناه ايضا فعاد الى بلده وجمع وحشد وسار اليه ابو بكر ايضا فقصد خلاط فسار اليه بلبان فتصافا واقتتلا فانهزم بلبان وتمكن نجم الدين من البلاد وازداد منها ودخل بلبان خلاط واعتصم بها وارسل رسولا الى مغيث الدين طغرلشاه بن قلج ارسلان وهو صاحب ارزن الروم يستنجده على نجم الدين فحضر بنفسه ومعه عسكره فاجتمعا وهزما نجم الدين وحصرا موش فاشرف الحصار على ان تملك فغدر ابن قلج ارسلان بصاحب خلاط وقتله طمعا في البلاد فلما قتله سار الى خلاط فمنعه اهلها عنها فسار الى ملازكرد فرده اهلها ايضا وامتنعوا عليه فلما لم يحصل في شيء من البلاد مقصودا عاد الى بلده فارسل اهل خلاط الى نجم الدين يستدعونه اليهم ليملكوه فحضر عندهم وملك خلاط واعمالها سوى اليسير منها وكره الملوك المجاورون له ملكه لها خوفا من ابيه وكذلك ايضا خافه الكرج وكرهوه فتابعوا الغارات على اعمال خلاط وبلادها ونجم الدين مقيم بخلاط لا يقدر على مفارقتها فلقي المسلمون من ذلك اذى شديدا واعتزل جماعة من عسكر خلاط واستولوا على حصن وان وهو من اعظم الحصون وامنعها وعصوا على نجم الدين واجتمع اليهم جمع كثير وملكوا مدينة ارجيش فارسل نجم الدين الى ابيه الملك العادل يعرفه الحال ويطلب منه نجدة وان يمده بعسكر فسير اليه اخاه الملك الاشرف موسى بن العادل في عسكر فاجتمعا في عسكر كثير وحصرا قلعة وان وبها الخلاطية وجدوا في قتالهم فضعف اولئك عن مقاومتهم فسلموها صلحا وخرجوا منها وتسلمها نجم الدين واستقر ملكه بخلاط واعمالها وعاد اخوه الاشرف الى بلده حران والرها

﴿ذكر غارات الفرنج بالشام﴾

في هذه السنة كثر الفرنج الذين بطرابلس وحصن الاكراد واكثروا الاغارة على بلد حمص وولاياتها ونازلوا مدينة حمص وكان جمعهم كثيرا فلم يكن لصاحبها اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بهم قوة ولا يقدر على دفعهم ومنعهم فاستنجد الظاهر غازي صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده احد الا الظاهر فانه سير له عسكرا اقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته ثم ان الملك العادل خرج من مصر بالعساكر الكثيرة وقصد مدينة عكا فصالحه صاحبها الفرنجي على قاعدة استقرت من اطلاق اسرى من المسلمين وغير ذلك ثم سار الى حمص فنزل على بحيرة قدس وجاءته عساكر الشرق وديار الجزيرة ودخل الى بلاد طرابلس وحاصر موضعا يسمى القليعات واخذه صلحا واطلق صاحبه وغنم ما فيه من دواب وسلاح وخرّبه وتقدم الى طرابلس فنهب واحرق وسبى وغنم وعاد الى بحيرة قدس وترددت الرسل بينه وبين الفرنج في الصلح فلم تستقر قاعدة ودخل الشتاء وطلبت العساكر الشرقية العود الى بلادهم قبل البرد فترك طائفة من العسكر بحمص عند صاحبها وعاد الى دمشق فشتى بها وعادت عساكر ديار الجزيرة الى اماكنها وكان سبب خروجه من مصر بالعساكر ان اهل قبرس الفرنج اخذوا عدة قطع

الارطال ومشايخ البلاد تقبض الفلاحين عند كشاف النواحي ويرسلونهم الى مصر ويجب هذه الحدثة انه لما علت التسعيرة وتسعر رطل السمن ستة وعشرين نصفا ويبيعه السمان والزيات بزيادة عن ذلك امتنع وجوده وظهوره ويأتي به الفلاح ليلا في الخفية ويبيعه لزبون او للمتسبب ما احب ويبيعه المتسبب ايضا بالزيادة لمن يريده سرا فيبيعون الرطل باربعين وخمسين ويزيد على ذلك غش المتسبب وخلطه بالدقيق والقرع والشحم وعكر اللبن فيصير على النصف ولا يقدر مشتريه على رد غشه للبائع لانه ما حصله الا بغاية المشقة والعزة والانكار والمنع وان ذهب لا يجد من يعطيه ثانيا وتقف الطائفة من العسكر بالطرق ليلا وفي وقت الغفلات يرصدون الواردين من الفلاحين وياخذونه منهم بالقهر ويعطونهم ثمنه بالسعر المرسوم ويحتكرونه هم ايضا ويبيعونه لمن يشتريه منهم بالزيادة الفاحشة فامتنع وروده الا في النادر خفية مع الغرر او الخفارة والتحامي في بعض العساكر من امثالهم واشتد الحال في انعدام السمن حتى على اكابر الدولة فعند ذلك ابتدع الباشا هذه البدعة وفرض على كل فدان من طين الزراعات رطلا من السمن ويعطى في ثمن الرطل عشرين نصفا فاشتد الحال بتعطيل ما قدموه من هذه النازلة وطولب المزارع

راتبه في كل يوم من المذبح (وفيه) شح وجود الغلال في الرقع والسواحل حتى امتنع وجود الخبز في الأسواق فأمر الباشا بجلب مقدار ... إلى الرقع ويبعث على الناس وهي ألف أردب انقضت في يوم ... ولا يبيعون أزيد من كيلة أو كيلتين ويبيع الأردب بألف ومائتين وخمسين نصفا (وفيه) أفرد محل لعمل الشمع الذي يعمل من الشحوم بعطفة ابن عبد الله بك جهة الروجية واحتكروا لأجل عمله جميع الشحوم التي من المذبح وغيره وامتنع وجود الشمع من حوانيت الدهانين ومنعوا من يعمل شيئا من الشمع في داره أو في القرافة الرجاج وتتبعوا من يكون عنده شيء منها فأخذوه وغرموه وحذروا من عمله خارج المعمل كل التحذير وسعروا رطله بأربعة وعشرين نصفا

● (واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٣٢) ●

(فيه) حول معمل الشمع إلى جهة الحسينية عند الدرب الذي يعرف بالسبع والضبع (وفيه) ارتحلت عساكر مجردة إلى الحجاز (وفيه) برزت أوامر إلى كشاف النواحي بإحصاء عدد أغنام البلاد والقرى ويفرض عليها كل عشر شياه واحدة من أفضلها إما كبش أو نعجة بأولادها يجمعون ذلك ويرسلون به إلى مجمع أغنام الباشا وفرض أيضا على كل فدان رطلا من السمن يجمع

ودخلوا وراء بلاد تركستان وكان بينهم وبين الخطا عداوة وحروب فلما سمعوا بعبور خوارزم شاه إلى الخطا قصدوهم مع ملكهم كشلي خان فلما رأى ملك الخطا ذلك أرسل إلى خوارزم شاه يقول له أما ما كان منك من أخذ بلادنا وقتل رجالنا فعفو عنه وقد أتى من هذا العدو من لا قبل لنا به وإنهم إن انتصروا علينا وملكونا فلا دافع لهم عنك والمصلحة أن تسير إلينا بعساكرك وتنصرنا على قتالهم ونحن نحلف لك أنا إذا ظفرنا بهم لا نتعرض إلى ما أخذت من البلاد ونقنع بما في أيدينا وأرسل إليه كشلي خان ملك التتر يقول إن هؤلاء الخطا أعداؤك وأعداء آبائك وأعداؤنا فساعدنا عليهم ونحلف لك أنا إذا انتصرنا عليهم لا نقرب بلادك ونقنع بالمواضع التي ينزلونها فأجاب كلا منهما إني معك ومعاضدك على خصمك وسار بعساكره إلى أن نزل قريبا من الموضع الذي تصافوا فيه فلم يخالطهم مخالطة يتعين بها أنه من أحدهما فكانت كل طائفة منهم تظن أنه معها وتواقع الخطا والتتر فانهزم الخطا هزيمة عظيمة فمال حينئذ خوارزم شاه وجعل يقتل ويأسر وينهب ولم يترك أحدا ينجو منهم فلم يسلم منهم إلا طائفة يسيرة مع ملكهم في موضع من نواحي الترك يحيط به جبال ليس إليه طريق إلا من جهة واحدة تحصنوا فيه وانضم إلى خوارزم شاه منهم طائفة وساروا في عسكره وأنفذ خوارزم شاه إلى كشلي خان ملك التتر يمن عليه بأنه حضر لمساعدته ولولاه لما تمكن من الخطا فاعترف له كشلي خان بذلك مدة ثم أرسل إليه يطلب منه المقاسمة على بلاد الخطا وقال كما اتفقنا على إبادتهم ينبغي أن نقتسم بلادهم فقال ليس لك عندي غير السيف ولستم بأقوى من الخطا شوكة ولا أعز ملكا فإن قنعت بالمساكنة وإلا سرت إليك وفعلت بك شرا مما فعلت بهم وتجهز وسار حتى نزل قريبا منهم وعلم خوارزم شاه أنه لا طاقة له به فكان يراوغه فإذا سار إلى موضع قصده خوارزم شاه وأوقع بأهله وإذا سمع أن طائفة سارت عن موضعها سار إليها فأوقع بها فأرسل إليه كشلي خان يقول له ليس هذا فعل الملوك هذا فعل اللصوص وإلا إن كنت سلطانا كما تقول فيجب أن نلتقي فإما أن تهزمني وتملك البلاد التي بيدي وإما أن أفعل أنا بك ذلك فكان يغالطه ولا يجيبه إلى ما طلب لكنه أمر أهل الشاش وفرغانة وإسفيجاب وكاسان وما حولها من المدن التي لم يكن في الدنيا أنزه منها ولا أحسن عمارة بالجلاء عنها والالتحاق ببلاد الإسلام ثم خرب جميعها خوفا من التتر أن يملكوها ثم اتفق خروج هؤلاء التتر الآخر الذين خربوا الدنيا وملكهم جنكزخان التمرجي على كشلي خان التتري الأول فاشتغل بهم كشلي خان عن خوارزم شاه فخلا وجهه فعبر النهر إلى خراسان

● (ذكر ملك نجم الدين ابن الملك العادل خلاط) ●

في هذه السنة ملك الملك الأوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب مدينة خلاط وسبب ذلك أنه كان بمدينة ميافارقين من جهة أبيه فلما كان من ملك بلبان خلاط ما ذكرناه قصد هو مدينة موش وحصرها وأخذها وأخذ غيرها مما يجاورها وكان

بلبان

هرب من بلده الى الشام سنة ثلاث وستمائة ثم فارق الحاج بالمرخوم وأرسل يعتذر ويقول ان الوزير يريد ان لا يبقى في خدمة الخليفة أحدا من مماليكه ولا شك انه يريد أن يدعي الخلافة وقال الناس في ذلك فأكثروا وقالوا الشعر في ذلك فمن قول بعضهم

ألا مبلغ عني الخليفة أحمدا • توقّ وقيت السوء ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أمرين فيهما • فعالك يا خير البرية ضائع
فان كان حقا من سلالة أحمد • فهذا وزير في الخلافة طامع
وان كان فيما يدعي غير صادق • فأضيع ما كانت لديه الصنائع

فعزله وقيل في سبب ذلك غير هذا ولما عزل أرسل الى الخليفة يقول انني قدمت الى ههنا وليس لي دينار ولا درهم وقد حصل لي من الاموال والاعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسة آلاف دينار ويسأل أن يؤخذ منه الجميع ويمكن من المقام بالمشهد أسوة ببعض العلويين فأجابه انا ما أنعمنا عليك بشيء فنوينا اعادته ولو كان ملء الارض ذهبا ونفسك في أمان الله وأماننا ولم يبلغنا عنك ما تستوجب به ذلك غير أن الاعداء قد أكثروا فيك فاختر لنفسك موضعا تنتقل اليه موفرا محترما فاختار أن يكون تحت الاستظهار من جانب الخليفة لئلا يتمكن منه العدو وقد ذهب نفسه ففعل به ذلك وكان حسن السيرة قريبا الى الناس حسن اللقاء لهم والانبساط معهم عفيفا عن أموالهم غير ظالم لهم فلما قبض عاد أمير الحاج من مصر في الخدمة العادلية وعاد أيضا قشتمر وأقيم في النيابة في الوزارة فخر الدين أبو البدر محمد بن أحمد بن امسينا الواسطي الا انه لم يكن متحكما

• (ذكر عدة حوادث) •

في هذه السنة ليلة الاربعاء لخمس بقين من رجب زلزلت الارض وقت السحر وكنت حينئذ بالموصل ولم تكن بها شديدة وجاءت الاخبار من كثير من البلاد بأنها زلزلت ولم تكن بالقوية وفيها أطلق الخليفة الناصر لدين الله جميع حق البيع وما يؤخذ من أرباب الامتعة من المكوس من سائر المبيعات وكان مبلغا كثيرا وكان سبب ذلك أن بنت عز الدين نجاح الشرابي الخليفة توفيت فاشترى لها بقرة لتذبح ويتصدق بلحمها عنها فرفعوا في حساب ثمنها مؤونة البقرة فكانت كثيرة فوقف الخليفة على ذلك وأمر باطلاق المؤونة جميعها وفيها في شهر رمضان أمر الخليفة ببناء دور في المحال ببغداد ليفطر فيها الفقراء وسميت دور الضيافة يطبخ فيها اللحم الضأن والخبز الجيد فعمل ذلك في جانبي بغداد وجعل في كل دار من يوثق بأمانته وكان يعطى كل انسان قدحا مملوءا من الطبيخ واللحم ومنا من الخبز فكان يفطر كل ليلة على طعامه خلق لا يحصون كثرة وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة ودخل الماء في خندق بغداد من ناحية باب كلواذى وخيف على البلد من الغرق فاهتم الخليفة بسد الخندق وركب فخر الدين نائب الوزارة وعز الدين الشرابي ووقفا واهل البلد فيهما حتى سد الخندق وفيها توفي الشيخ حنبل

فاطلق ايضا القاردب توزع على الرقم ويباع على الناس اماردب واحد او كيلة فقط وكل ويبة ثمنه قرش فيكون الاردب باربعة وعشرين قرشا (وفيه) حضر حسن بك التجاقرجى من ناحية درنة وبلاد الاخرى يقال لها سيوة وصحبته فرقة من اولاد على وذلك ان اولاد على افترقوا فرقتين احداهما طائعة والاخرى عاصية عن الطاعة وتحازوا الى هذه الناحية فخرج الباشا عليهم حسن بك المذكور فغار عليهم وهزمهم وهزموه ثانيا ثم رجع الى مصر فضم اليه الباشا جملة من العساكر واصحب معه الفرقة الاخرى الطائعة فسار الجميع ودهموهم على حين غفلة وتقدم مع ربعهم اخوانهم الطائعة وقتلوا منهم واغاروا على مواشيهم واباعرهم واغنامهم فارسلوا المنهوبات الى جهة الفيوم وفي ظن العرب ان الغنائم تطيب لهم وحضر حسن بك وصحبته كبار العرب من اولاد على الطائعين وفي ظنهم الفوز بالغنيمة وان الباشا لا يطمع فيها لكون النصرة كانت بايديهم وانه يشكرهم ويزيدهم انعاما وكانوا نزلوا ببر الجيزة وحضر حسن بك الى الباشا وطلب كبار العرب ليخلع عليهم ويكسوهم فلما حضروا اليه امر بحبسهم واحضار الغنيمة من ناحية الفيوم بتمامها فاحضروها بعد ايام ولما اقهم فيقال ان الاغنام ستة عشر الف رأس

من أهله ولي مصر وأسروا من فيها فارسل العادل الى صاحب عكا في ردها أخذوا ويقول نحن صلح فلم تغدرتم باصحابنا فاعتذر بان أهل قبرس ليس لي عليهم حكم وان مرجعهم الى الفرنج الذين بالقسطنطينية ثم ان أهل قبرس سادوا الى القسطنطينية بسبب غلاء كان عندهم تعذرت عليهم الاقوات وعاد حكم قبرس الى صاحب عكا وأعاد العادل مراسلته فلم ينفصل حال فخرج بالعساكر ونزل بعكا فاذ كرناه فاجابه حينئذ صاحبها الى ما طلب وأرسل الاسرى

﴿ذكر الفتنة بخلاط وقتل كثير من أهلها﴾

لما تم ملك خلاط وأعمالها للملك الاوحد نجم الدين بن العادل سار عنها الى ملازكرد ليقرر قواعدها أيضا ويفعل ما ينبغي أن يفعله فيها فلما فارق خلاط وثب أهلها على من بها من العسكر فاخرجوه من عندهم وعصوا وحصروا القلعة وبها أصحاب الاوحد ونادوا بشعار شاه ارمن وان كان ميتا يعنون بذلك رد الملك الى أصحابه ومماليكه فبلغ الخبر الى الملك الاوحد فعاد اليهم وقدوا فاعسكر من الجزيرة فقوي بهم وحصر خلاط فاختلف أهلها ومال اليه بعضهم حسدا للآخرين فملكها وقتل بها خلقا كثيرا من أهلها وأسر جماعة من الاعيان وسيرهم الى ميافارقين وكان كل يوم يرسل اليهم فيقتل منهم جماعة فلم يسلم الا القليل وذل أهل خلاط بعد هذه الوقعة وتفرقت كلمة الفتيان وكان الحكم اليهم وكفى الناس شرهم فانهم كانوا قد صاروا يقيمون ملكا ويقتلون آخر والسلطنة عندهم لا حكم لها وانما الحكم لهم واليهم

﴿ذكر ملك أبي بكر بن البهلوان مراغة﴾

في هذه السنة ملك الامير نصرة الدين أبو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان مدينة مراغة وسبب ذلك ان صاحبها علاء الدين قرا سنقر مات هذه السنة وولي بعده ابن له طفل وقام بتدبير دولته وتربيته خادم كان لابيه فعصى عليه امير كان مع ابيه وجمع جمعا كثيرا فارسل اليه الخادم من عنده من العسكر فقاتلهم فملك الامير فانهزموا واستقر ملك ولد علاء الدين الا انه لم تطل ايامه حتى توفي في أول سنة خمس وستمائة وانقرض أهل بيته ولم يبق منهم أحد فلما توفي سار نصرة الدين أبو بكر من تبريز الى مراغة فملكها واستولى على جميع مملكة آل قرا سنقر ما عدا قلعة رويين دز فان الخادم اعتصم بها وعنده الخزائن والذخائر فامتنع بها على الامير أبي بكر

﴿ذكر عزل نصير الدين وزير الخليفة﴾

كان هذا نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي من أهل الري من بيت كبير فقدم بغداد لما ملك مؤيد الدين بن القصاب وزير الخليفة الري ولقي من الخليفة قبولا فجعله نائب الوزارة ثم جعله وزيرا وحكم ابنه صاحب المخزن فلما كان في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة عزل وأغلق بابه وكان سبب عزله انه أساء السيرة مع أكابر مماليك الخليفة فمنهم أمير الحاج مظفر الدين سنقر المعروف بوجه السبع فانه

اوطا الامن المعز ومن لم يكن مناسما عنده شئ من بعض بهيمته او لم يكن له بهيمة

عقدا زمار ز من الاقدمة أو احتاج الى [illegible] موجود عنده فيشتريه بثمن يوجد عنده باغلى ثمن لشدها عليه اضطرارا بجزاء وفاقا (وفيه) حصل الاذن بدخول ما دون العشرة من الاغنام الى المدينة واطلاق الاذن لمن يشتري شيئا منها من الاسواق وسبب اطلاق الاذن بذلك مجيء بعض اغنام الى اكابر الدولة ولا غنى عن ذلك لادنى منهم ايضا وحجزوا عن وصولها الى دورهم فشكوا الى الباشا فاطلق الاذن فيما دون العشرة (وفيه) ايضا امتنع وجود الغلال بالعرصات والسواحل بسبب احتكارها واستمرار انجرارها ونقلها الى المراكب قبلي وبحري الجهة الاسكندرية فتبيع على الافرنج بالثمن الكثير كما تقدم ووجهت المراسيم الى كشاف النواحي بمنع بيع الفلاحين غلالهم لمن يشتري منهم من المتسببين والتراسين وغيرهم وبان كل ما احتاجوا اليه مما خرج لهم من زراعتهم يؤخذ للطرف الميري بالثمن المفروض بالكيل الوافي واشتد الحال في هذا الشهر وما قبله حتى قل وجود الخبز من الاسواق بل امتنع وجوده في بعض الايام واقبلت الفقراء نساء ورجالا الى الرميلة طالبين جمعوا بها ذوارع من غير شئ وزاد الهول والتشكي وبلغ الخبر الباشا

ودخل اليه فضربه بالسكين اربع عشرة ضربة ثم ذبحه وتركه ومضى ودخل الحمام وقعد
يلعب مع الجواري فلو فتح باب الدار واحضر الجند واستحلفهم لملك البلد لكنه امن
واطمأن ولم يشك في الملك فاتفق ان بعض الخدم الصغار خرج الى الباب واعلم استاذ داره
خبر الخبر فاحضر اعيان الدولة وعرفهم ذلك واغلق الابواب على غازي واستحلف
الناس لمحمود بن سنجرشاه وارسل اليه احضره من فرح ومعه اخوه مودود فلما حلف
الناس وسكنوا فتحوا باب الدار على غازي ودخلوا عليه ليأخذوه فمانعهم عن نفسه
فقتلوه والقوه على باب الدار فاكلت الكلاب بعض لحمه ثم دفن باقيه ووصل محمود الى
البلد وملكه ولقب بمعز الدين لقب ابيه فلما استقر اخذ كثيرا من الجواري اللواتي
لابيه فغرقهن في دجلة ولقد حدثني صديق لنا انه رأى بدجلة في مقدار رغلوة سهم
سبع جوار مغرقات منهن ثلاث قد احرقت وجوههن بالنار ولم اعلم سبب ذلك الحريق
حتى حدثني جار به اشترى جارية مما وصل من جواريه ان محمودا كان يأخذ الجارية فيجعل
وجهها في النار فاذا احترقت القاها في دجلة وباع من لم يغرقه منهن فتفرق اهل تلك
الدار ايدي سبا وكان سنجرشاه قبيح السيرة ظالما غاشما كثير المخاتلة والمواربة والنظر
في دقيق الامور وجليلها لا يمتنع من قبيح يفعله مع رعيته وغيرهم من اخذ الاموال
والاملاك والقتل والاهانة وسلك معهم طريق الاقدام من قطع الالسنة والانوف
والآذان واما اللحى فانه حلق منها ما لا يحصى وكان جل فكره في ظلم يفعله وبلغ
من شدة ظلمه انه كان اذا استدعى انسانا ليحسن اليه لا يصل الا وقد قارب الموت من
شدة الخوف واشتغل في ايامه الفقهاء ونفقت سوق الاشرار والساعين بالناس فخرب
البلد وتفرق اهله لا جرم سلط الله عليه اقرب الخلق اليه فقتله ثم قتل ولده غازي وبعد
قليل قتل ولده محمود اخاه مودودا وجرى في داره من التحريق والتغريق والتفريق
ما ذكرنا بعضه ولو رمنا شرح قبيح سيرته لطال والله تعالى بالمرصاد لكل ظالم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ثاني المحرم توفي ابو الحسن ورام بن ابي فراس الزاهد بالحلة السيفية وهو
منها وكان صالحا وفي صفر توفي الشيخ مصدق بن شبيب النحوي وهو من اهل واسط وفي
شعبان توفي القاضي محمد بن احمد بن المندائي الواسطي بها وكان كثير الرواية للحديث
وله اسناد عال وهو آخر من حدث بمسند احمد بن حنبل عن ابن الحصين وفيه توفي القوام
ابو فراس نصر بن ناصر بن مكي المدائني صاحب المخزن ببغداد وكان اديبا فاضلا
كامل المروءة يحب الادب واهله ويحب الشعر ويحسن الجوائز عليه ولما توفي ولي بعده
ابو الفتوح المبارك ابن الوزير عضد الدين ابي الفرج بن رئيس الرؤساء وأكرم واعلى
محله فبقي متوليا الى سابع ذي القعدة وعزل لعجزه وفيها كانت زلزلة عظيمة
بنيسابور وخراسان وكان اشدها بنيسابور وخرج اهلها الى الصحراء اياما حتى
سكنت وعادوا الى مساكنهم

من ماهو مرتب لهم نفقات الى بلد وصلاح المزارع ثم انشأوا الطلب للصبيان النجباء
يختارون لهم ويرسلونهم الى بلاد
الافرنج ليتعلموا الصنائع
التي لم تكن بارض مصر
وشاع ذلك في اهل القرى
وثبت ذلك عندهم حتى
الجميع صبيانهم ومنهم من
ارسل ابنه او بنته وغيبها عند
معارفه بالمدينة الى غير ذلك
من الاقاويل التي لم يثبت
منها الا ما ذكر اولا من ان
المطلوب جلب الفلاحين
البطالين من بلاد الشرقية
لاغير وقد تعمر هذا الوادي
بالسواقي والاشجار والسكان
من جميع الاجناس والقشا
دنيا جديدة مقسمة لم يكن لها
وجود قبل ذلك بل كانت
برية قفرا وفضاء واسعا
(وفيه) سافر جملة من عساكر
الاتراك والمغاربة وكبيرهم
ابراهيم اغا الذي كان كتخدا
ابراهيم باشا ثم تولى كشوفية
المنوفية وصحبته خزينة وجبخانة
ومطلوبات للدولة

(واستهل شهر جمادى
الثانية بيوم الثلاثاء
سنة ١٢٣٣)

(في اوائله) حضر الى مصر ابن
يوسف باشا حاكم طرابلس
ومعه اخوه اصغر منه يستاذنان
الباشا في حضور والدهما الى
مصر فارا من ولده وكان ولاه
على ناحية درنة وبني غازي
فحصل منه ما غير خاطر والده
عليه وعزم على ان يجرد عليه فارسل اولاده الى صاحب مصر يستاذن في الحضور

ابو محمد عبد الله بن الفرج المكبر بجامع الرصافة وكان عالي الاسناد روى عن ابن الحصين مسند احمد بن حنبل وله اسناد حسن وقدم الموصل وحدث بها وبغيرها

(ثم دخلت سنة خمس وستمائة)

(ذكر ملك الكرج ارجيش وعودهم عنها)

في هذه السنة سارت الكرج في جموعها الى ولاية خلاط وقصدوا مدينة ارجيش فحصروها وملكوها عنوة ونهبوا جميع ما بها من الاموال والامتعة وغيرها واسروا وسبوا أهلها واحرقوها وخربوها بالكلية ولم يبق بها من اهلها أحد فاصبحت خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس وكان نجم الدين أيوب صاحب ارمينية بمدينة خلاط وعنده كثير من العساكر فلم يقدم على الكرج لاسباب منها كثرتهم وخوفه من اهل خلاط لما كان اسلف اليهم من القتل والاذى وخاف ان يخرج منها فلا يمكن من العود اليها فلما لم يخرج الى قتال الكفار عادوا الى بلادهم لم يذعرهم ذاعر وهذا جميعه وان كان عظيما شديدا على الاسلام وأهله فانه يسير بالنسبة الى ما كان منهم من سنة اربع عشرة الى سنة سبع عشرة وستمائة

(ذكر قتل سنجرشاه وملك ابنه محمود)

في هذه السنة قتل سنجرشاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر وهو ابن عم نور الدين صاحب الموصل قتله ابنه غازي ولقد ملك ابنه في قتله طريقا عجيبا يدل على مكر ودهاء وسبب ذلك ان سنجر كان سيئ السيرة مع الناس كلهم من الرعية والجند والحريم والاولاد وبلغ من قبيح فعله مع اولاده انه سير ابنيه محمودا ومودودا الى قلعة فرح من بلد الزوزان واخرج ابنه هذا الى دار بالمدينة اسكنه فيها ووكل به من يمنعه من الخروج وكانت الدار الى جانب بستان لبعض الرعية فكان يدخل اليه منه الحيات والعقارب وغيرهما من الحيوان المؤذي ففي بعض الايام اصطاد حية وسيرها في منديل الى ابيه لعله يرق له فلم يعطف عليه فاعمل الحيلة حتى نزل من الدار التي كان بها واختفى ووضع انسانا كان يخدمه فخرج من الجزيرة وقصد الموصل واظهر انه غازي بن سنجر فلما سمع نور الدين بقربه منها ارسل نفقة وثيابا وخيلا وامره بالعود وقال ان اباك يتهمنا بالذنوب التي لم نعملها ويتجنى ذنوبا فاذا صرت عندنا جعل ذلك ذريعة للشناعات والشناعات ونقع معه في صداع لا ينادي وليده فسار الى الشام واما غازي بن سنجر فانه تسلق الجدار الى ابيه واختفى عند بعض سراريه وعلم به كثير من بالدار فسترت عليه بغضا لابيه وتوقعا للخلاص منه لشدته عليهن فبقي كذلك وترك ابوه الطلب له ظنا منه انه بالشام فاتفق ان اباه في بعض الايام شرب الخمر بظاهر البلد مع ندمائه فكان يقترح على المغنين ان يغنوا في الفراق وما شاكل ذلك ويبكي ويظهر قرب الاجل ودنو الموت وزوال ما هو فيه فلم يزل كذلك الى آخر النهار وعاد الى داره وسكر عند بعض حظاياه فلما كان الليل دخل الخلاء وكان ابنه عند تلك الحظية

انوا كثيرا من الجمال القمانية ١٣٠ آلاف جمل وفاته وقيل اكثر من ذلك (وفيه) تحررت عمارة السواقي التي انشاها الباشا بالارض المصرية برأس الوادي بناحية شرقية بلبيس قيل انها تزيد على الف ساقية وهي سواقي دواليب خشب تعمل في الارض التي يكون منبع الماء فيها قريبا واستمر الصناع مدة مستطيلة في عمل آلاتها عند بيت الجبجي وهو بيت الرزاز الذي جهة التبانة بقرب المحجر وتحمل على الجمال الى الوادي وهناك المباشرون للعمل المقيدون بذلك وغرسوا بها اشجار التوت الكثيرة لتربية دود القز واستخراج الحرير كما يكون بنواحي الشام وجبل الدروز ثم برزت الاوامر الى جميع بلاد الشرقية باحضار أنفار من الفلاحين البطالين الذين لم يكن لهم اطيان فلاحة يسكنون بالوادي المذكور وتبنى لهم كفور يسكنون فيها ويتعاطون خدمة السواقي والمزارع ويتعلمون صناعة تربية القز والحرير واستجلب اناسا من نواحي الشام والجبل من اصحاب المعرفة بذلك ورتب للجميع نفقات الى حين ظهور النتيجة ثم يكونون شركاء في ربع المتحصل ولما برزت المراسيم بطلب الاشخاص من بلاد الشرق اشيع في جميع قرى الاقاليم المصرية الشناعات وتقولوا الاقاويل منها ان الباشا يطلب من كل بلدة عشرة من الصبيان البالغين وعشرة من البنات يزوجهم ببعضهم

فدخل

فيتفق الامر في ذلك اجتماعهم أمر لم يكن لهم في حساب وهو ان مظفر الدين كوكبري
صاحب اربل أرسل وزيره الى نور الدين يبذل من نفسه المساعدة على منع العادل
عن سنجار وان الاتفاق معه على ما يريده فوصل الرسول ليلا فوقف مقابل دار نور
الدين وصاح فعبر اليه سفينة عبر فيها واجتمع بنور الدين ليلا وأبلغه الرسالة فأجاب
نور الدين الى ما طلب من الموافقة وحلف له على ذلك وعاد الوزير من ليلته فسار مظفر
الدين واجتمع هو ونور الدين ونزلا جميعا بظاهر الموصل وكان سبب ما فعله
مظفر الدين ان صاحب سنجار ارسل ولده الى مظفر الدين يستشفع به الى العادل ليبقي
عليه سنجار وكان مظفر الدين يظن انه لو شفع في نصف ملك العادل لشفعه لاثره
الجميل في خدمته وقيامه في الذب عن ملكه غير مرة كما تقدم فشفع اليه فلم يشفعه
العادل فتنافسه ما به بعد اتفاقهم نور الدين لاجله الى مظفر الدين فلما رده العادل في
شفاعته راسل نور الدين في الموافقة عليه ولما وصل الى الموصل واجتمع بنور الدين
ارسلا الى الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين وهو صاحب حلب والى كيخسرو بن قلج
ارسلان صاحب بلاد الروم بالاتفاق معهما فكلاهما أجاب الى ذلك وتواعدوا على
الحركة وقصد بلاد العادل ان امتنع من الصلح والابقاء على صاحب سنجار وارسلا أيضا
الى الخليفة الناصر لدين الله ليرسل رسولا الى العادل في الصلح أيضا فقويت حينئذ
نفس صاحب سنجار على الامتناع ووصلت رسل الخليفة وهو هبة الله بن المبارك بن
الضحاك استاذ الدار والامير آقباش وهو من خواص مماليك الخليفة وكبارهم
فوصلا الى الموصل وسارا منها الى العادل وهو يحاصر سنجار وكان من معه لا يناصحونه
في القتال لا سيما اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة فانه كان يدخل اليها
الاغنام وغيرها من الاقوات ظاهرا ولا يقاتل عليها وكذلك غيره فلما وصل رسول
الخليفة الى العادل أجاب اولا الى الرحيل ثم امتنع من ذلك وغالط وأطال الامر لعله
يبلغ منها غرضا فلم ينل منها ما أمله وأجاب الى الصلح على ان له ما اخذ وتبقى سنجار
لصاحبها واستقرت القاعدة على ذلك وتحالفوا على هذا كلهم وعلى ان يكونوا يدا
واحدة على الناكث منهم ورحل العادل عن سنجار الى حران وعاد مظفر الدين الى اربل
وبقي كل واحد من الملوك في بلده وكان مظفر الدين عند مقامه بالموصل قد زوج
ابنتيه لولدين لنور الدين وهما عز الدين مسعود وعماد الدين زنكي

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول عزل فخر الدين بن امسينا عن نيابة الوزارة للخليفة والزم
بيته ثم نقل الى المخزن على سبيل الاستظهار عليه وولي بعده نيابة الوزارة مكين الدين
محمد بن محمد بن برز القمي كاتب الانشاء ولقب مؤيد الدين ونقل الى دار الوزارة مقابل
باب النوبي وفيها في شوال توفي مجد الدين يحيى بن الربيع الفقيه الشافعي مدرس
النظامية ببغداد وفيها توفي فخر الدين أبو الفضل محمد بن عمر بن خطيب الري الفقيه

بالاسواق ويقول في ندائه من كان مريضا او به وجع او جراحة او ادرة فليذهب الى خان بالموسكي به اربعة من
حكماء الافرنج الطبابة يداوونه
من غير مقابلة شيء فنصب
الناس من هذا ونحا كوه
وسعوا اليهم لطلب
التداوي (وفيه) حضر ابن
باشت طرابلس ودخل الى
المدينة وصحبته نحو الماتي
نفر من اتباعه فانزله الباشا
في منزل ام مرزوق بنت عمارة
عابدين واجرى عليه النفقات
والرواتب له ولاتباعه (وفي
يوم الخميس حادي عشر منه)
وصل خبر الاطباء ومناداتهم
الى كتخدا الباشا فاحضر حكيم
باشا وساله فانكر معرفتهم
وانه لا علم عنده بذلك فامر
باحضارهم وسالهم فخلطوا في
الكلام فامر باخراجهم من
البلدة ونفوهم في الحال
وذهبوا الى حيث شاء الله ولو
فعل مثل هذه الفعلة بعض
المسلمين لجوزي بالقتل او
الخازوق وكان صورة
جلوسهم ان يجلس احدهم
خارج المكان والآخر من
داخل ويدنو ترجمان ويأتي
مريد العلاج الى الاول وهو
كانه الرئيس فيجس نبضه او
يبصبصه وكانه عرف علته
ويكتب له ورقة فيدخل مع
الترجمان بها الآخر بداخل
المكان فيعطيه شيئا من
الدهن او السفوف او الحب
المركب ويطلب منه اما قرشا
او قرشين او نحوه بحسب الحال ويوهمه انه من الدواء الغالي وشاع ذلك وتسامع به الناس واكثرهم معلول ومن

(ثم دخلت سنة ست وستمائة)

(ذكر ملك العادل الخابور ونصيبين وحصر سنجار وعوده عنها واتفاق نور الدين ارسلان شاه ومظفر الدين)

في هذه السنة ملك العادل أبو بكر بن أيوب بلد الخابور ونصيبين وحصر مدينة سنجار والجميع من اعمال الجزيرة وهي بيد قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود وسبب ذلك ان قطب الدين المذكور كان بينه وبين ابن عمه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة وقد تقدم ذكر ذلك فلما كان سنة خمس وستمائة حصلت مصاهرة بين نور الدين والعادل فان ولدا للعادل تزوج بابنة لنور الدين وكان لنور الدين وزراء يحبون ان يشتغل عنهم فحسنوا له مراسلة العادل والاتفاق معه على ان يقتسما بالبلاد التي لقطب الدين وبالولاية التي لولد سنجر شاه بن غازي بن مودود وهي جزيرة ابن عمر واعمالها فيكون ملك قطب الدين للعادل وتكون الجزيرة لنور الدين فوافق هذا القول هوى نور الدين فارسل الى العادل في المعنى فاجابه الى ذلك مستبشرا وجاءه ما لم يكن يرجوه لانه علم انه متى ملك هذه البلاد اخذ الموصل وغيرها واطمع نور الدين أيضا في ان يعطي هذه البلاد اذا ملكها الولد الذي هو زوج ابنة نور الدين ويكون مقامه في خدمته بالموصل واستقرت القاعدة على ذلك وتحالفا عليها فبادر العادل الى المسير من دمشق الى الفرات في عساكره وقصد الخابور فاخذه فلما سمع نور الدين بوصوله كأنه خاف واستشعر فاحضر من يرجع الى رأيهم وقولهم وعرفهم وصول العادل واستشارهم فيما يفعله فاما من أشار عليه فسكتوا وكان فيهم من لم يعلم هذه الحال فعظم الامر وأشار بالاستعداد للحصار وجمع الرجال وتحصيل الذخائر وما يحتاج اليه فقال نور الدين نحن فعلنا ذلك وشبه الخبر فقال بأي رأي تجيء الى عدو هو أقوى منك وأكثر جمعا وهو بعيد منك متى تحرك انفصل تطمعه فلا يصل الا وقد فرغت من جميع ما تريده فتبقى حتى يحصر فتر ببابك ويزداد قوة الى قوته ثم ان الذي استقر بينكما انه اذا ملكه أولا بغير تعب ولا مشقة وتبقى أنت لا يمكنك أن تفارق الموصل الى الجزيرة وتحصرها والعادل ههنا هذا ان وفى لك بما استقرت القاعدة عليه لا يجوز ان تفارق الموصل وان عاد الى الشام لانه قد صار له ملك خلاط وبعض ديار بكر وديار الجزيرة جميعها والجميع بيده واولاده فمتى سرت عن الموصل امكنهم أن يحولوا بينك وبينها فما زدت على أن آذيت نفسك وابن عمك وقويت عدوك وجعلته شارك وقد فات الامر وليس يجوز الآن نقف معه على ما استقر بينكما لئلا يحصل ذلك حقيقة ويتعدى بك هذا والعادل قد ملك الخابور ونصيبين وسار الى سنجار فحصرها وكان في عزم صاحبها قطب الدين ان يسلمها الى العادل بعوض يأخذه عنها فمنعه من ذلك أمير كان معه اسمه أحمد بن برتقش غلام أبيه زنكي وقام بحفظ المدينة والذب عنها وجهز نور الدين عسكرا مع ولده الملك القاهر ليسيروا الى الملك العادل

الى مصر والاقباء اليه فاذن له في الحضور وهو ابن اخي الذي بمصر اولا وسافر مع الباشا الى الحجاز ورجع الى مصر واستمر ساكنا بالسبع قاعات (وفيه) وصل الخبر بان ابراهيم اغا الذي سافر مع الجردة لما وصل الى العقبة امرمن بصحبته من المغاربة والعسكر بالرحيل فلما ارتحلوا ركب هو في خاصته وذهب على طريق الشام (وفي ليلة الاربعاء سادس عشره) وصل جراد كثير ايضا الا و نزل ببستان الباشا بشبرا وتعلق بالاشجار والزهور وصاحت الخولة والبستانجية وارسل الباشا الى الجيزية وغيرها فجمعوا مشاعل كثيرة واوقدوها وضربوا بالطبول والصنوج النحاس لطرده وامر الباشا لكل من جمع منه رطلا فله قرشان فجمع الصبيان والفلاحون منه كثيرا (ثم في ليلة السبت تاسع عشره) قبل الغروب وصل جراد كثير من ناحية المشرق مارا بين السماء والارض مثل السحاب وكان الريح ساكنا فنزل منه الكثير على الجنائن والمزارع والمقاثي فلما كان في نصف الليل هبت رياح جنوبية واستمرت واشتد هبوبها عند انتصاف النهار وأثارت غبارا اصفر وهبوبا بالجو ودامت الى بعد العصر يوم السبت فطردت ذلك الجراد واذهبته فسبحان الحكيم المدبر اللطيف (وفي يوم الاحد) نادى مناد على يقوده آخر

ان أتابك سعد نهب مال سنجر وخزائنه ودوابه وكل ماله ولاصحابه وسيرهم فلما وصل سنجر الى الوزير والشرابي طلبوا المال فارسل شيئا يسيرا والله أعلم

(ذكر وفاة نور الدين أرسلان شاه وشيء من سيرته)

في هذه السنة أواخر رجب توفي نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل وكان مرضه قد طال ومزاجه قد فسد وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهرا وكان شهما شجاعا ذا سياسة للرعايا شديدا على أصحابه فكانوا يحذرونه خوفا شديدا وكان ذا سطوة مانعا من تعدي بعضهم على بعض وكان له همة عالية أعاد ناموس البيت الاتابكي وجاهه وحرمته بعد ان كانت قد ذهبت وخافه الملوك وكان سريع الحركة في طلب الملك الا انه لم يكن له صبر فلهذا لم يتسع ملكه ولو لم يكن له من الفضيلة الا انه لما رحل الكامل بن العادل عن ماردين كما ذكرناه سنة خمس وتسعين وخمسمائة عف عنها وأبقاها على صاحبها ولو قصدها وحصرها لم يكن فيها قوة الامتناع لان من كان بها كانوا قد ملكوا وضجروا ولم يبق لهم رمق فابقاها على صاحبها ولما ملك استغاث اليه انسان من التجار فسأل عن حاله فقيل انه قد أدخل قماشه الى البلد ليبيعه فلم يتم له البيع ويريد اخراجه وقد منع من ذلك فقال من منعه فقيل ضامن البز يريد منه ما جرت به العادة من المكس وكان القيم بتدبير مملكته مجاهد الدين قايماز وهو الى جانبه فسأله عن العادة كيف هي فقال ان اشترط صاحبه اخراج متاعه مكن من اخراجه وان لم يشترط ذلك لم يخرج حتى يؤخذ ما جرت العادة باخذه فقال والله ان هذه العادة مدبرة انسان لا يبيع متاعه لاي شيء يؤخذ منه ماله فقال مجاهد الدين لا شك في فساد هذه العادة وقال اذا قلت أنا وأنت انها عادة فاسدة فما المانع من تركها وتقدم باخراج مال الرجل وأن لا يؤخذ الا من باع وسمعت أخي مجد الدين أبا السعادات رحمه الله وكان من أكثر الناس اختصاصا به يقول ما قلت له يوما في فعل خير فامتنع منه بل بادر اليه بفرح واستبشار واستدعى في بعض الايام أخي المذكور فركب الى داره فلما كان بباب الدار لقيته امرأة وبيدها رقعة وهي تشكو وتطلب عرضها على نور الدين فأخذها فلما دخل اليه جاراه في مهم له فقال قبل كل شيء تقف على هذه الرقعة وتقضي شغل صاحبتها فقال لا حاجة الى الوقوف عليها عرفنا ايش فيها فقال والله لا أعلم الا انني رأيت امرأة بباب الدار وهي متظلمة شاكية فقال نعم عرفت حالها ثم انزعج وظهر منه القلق والغضب وعنده رجلان هما القيمان بأمور دولته فقال لاخي انظر الى أي شيء قد دفعت مع هذين هذه المرأة كان لها ابن وقد مات في الموصل وهو غريب وخلف قماشا ومملوكين فاحتاط نواب بيت المال على القماش وأحضر المملوكين الينا فبقيا عندنا ننتظر من يستحق التركة ليأخذها فحضرت هذه المرأة ومعها كتاب حكمي بان المال الذي مع ولدها لها فتقدمنا بتسليم مالها اليها وقالت لهذين اشتريا المملوكين منها وانصفاها في الثمن فعادا وقالا لم يتم بيننا بيع لانها طلبت ثمنا كثيرا فامرتهما باعادة المملوكين اليها من

بحر حتى يجري البحر كما هو متصل ايضا بالاسكندرية تسير فيها السفن بالغلال وغيرها ويبدؤها من مبدأ خليج الاشرفية عند الرحمانية فطلب لذلك خمسين الف فاس ومسحة يصنعها صناع الحديد وامر بجمع الرجال من القرى وهم مائة الف فلاح توزع على القرى والبلدان للعمل والحفر بالاجرة وبرزت الاوامر بذلك فارتبك امر الفلاحين ومشايخ البلاد لان الامر بحضور المشايخ والفلاحين بانفسهم شرعوا في التشهيل وما يتزودون به في البرية ولا يدرون مدة الاقامة فمنهم من يقدرها بالسنة ومنهم باقل او اكثر

(واستهل شهر رجب بيوم الاحد سنة ١٢٣٣)

(في ثانيه يوم الاثنين) الموافق لثاني عشر بشنس القبطي وسابع ايار الرومي قبيل الغروب بنحو ساعة تغير الجو بسحاب وقتام وحصل رعد متتابع واعقبه مطر بعد الغروب ثم انجلى ذلك والسبب في ذكر مثل هذه الجزئية شيئان الاول وقوعها في غير زمانها لما فيه من الاعتبار بخرق العوائد الثاني الاحتياج اليها في بعض الاحيان في العلامات السماوية وبالاكثر في الوقائع العامية فان العامة لا يؤرخون غالبا بالاعوام والشهور بل بحادثة ارضية او سماوية خصوصا اذا حصلت في غير وقتها او لعدم مقارنة امر كذا او نقص ل او مرض عام او موت كبير او امير فاذا سئل المتصدرين وقت مولده

الشافعي صاحب التصانيف المشهورة في الفقه والاصولين وغيرهما وكان امام الدنيا في عصره وبلغني ان مولده سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وفيها في سلخ ذي الحجة توفي اخي مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الكاتب مولده في احد الربيعين سنة اربع واربعين وكان عالما في عدة علوم منها الفقه والاصولان والنحو والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة في التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث وله رسائل مدونة وكان كاتبا مفلقا يضرب به المثل ذا دين متين ولزوم طريق مستقيم رحمه الله ورضي عنه فلقد كان من محاسن الزمان ولعل من يقف على ما ذكرته يتهمني في قولي ومن عرفه من اهل عصرنا يعلم اني مقصر وفيها توفي المجد المطرزي النحوي الخوارزمي وكان اماما في النحو له فيه تصانيف حسنة وفيها توفي المؤيد بن عبد الرحيم بن الاخوة باصفهان وهو من اهل الحديث رحمه الله

﴿ثم دخلت سنة سبع وستمائة﴾

﴿ذكر عصيان سنجر مملوك الخليفة بخوزستان ومسير العساكر اليه﴾

كان قطب الدين سنجر مملوك الخليفة الناصر لدين الله قد ولاه الخليفة خوزستان بعد طاشتكين امير الحاج كما ذكرناه فلما كان سنة ست وستمائة ظهر منه تغير عن الطاعة فروسل في القدوم الى بغداد فغالط ولم يحضر وكان يظهر الطاعة ويبطن التغلب على البلاد فبقي الامر كذلك الى ربيع الاول من هذه السنة فتقدم الخليفة الى مؤيد الدين نائب الوزارة والى عز الدين بن نجاح الشرابي خاص الخليفة بالمسير بالعساكر اليه بخوزستان وازاحة علته فساروا في عساكر كثيرة فلما تحقق سنجر قصدهم اليه فارق البلاد ولحق بصاحب شيراز وهو الاتابك عز الدين سعد بن دكلا ملتجئا اليه فاكرمه وقام دونه ووصل عسكر الخليفة الى خوزستان في ربيع الآخر بغير ممانعة فلما استقروا في البلاد راسلوا سنجر يدعونه الى الطاعة فلم يجب الى ذلك فساروا الى ارجان عازمين على قصد صاحب شيراز فادركهم الشتاء فاقاموا شهورا والرسل مترددة بينهم وبين صاحب شيراز فلم يجبهم الى ما ارادوا فلما دخل شوال رحلوا يريدون شيراز فحينئذ ارسل صاحبها الى الوزير والشرابي يشفع فيه ويطلب العهد له على ان لا يؤذى فاجيب الى ذلك وسلمه اليهم هو وماله واهله فعادوا الى بغداد وسنجر معهم تحت الاستظهار وولى الخليفة بلاد خوزستان مملوكه ياقوت امير الحاج ووصل الوزير الى بغداد في المحرم سنة ثمان وستمائة هو والشرابي والعساكر وخرج اهل بغداد الى تلقيهم فدخلوا وسنجر معهم راكبا على بغل باكاف وفي رجليه سلسلتان في يد كل جندي سلسلة وبقي محبوسا الى ان دخل صفر فجمع الخلق الكثير من الامراء والاعيان الى دار مؤيد الدين نائب الوزارة فاحضر سنجر وقرر بامور نسبت اليه منكرة فاقر بها فقال مؤيد الدين للناس قد عرفتم ما تقتضيه السياسة من عقوبة هذا الرجل وقد عفا امير المؤمنين عنه وامر بالخلع عليه فلبسها وعاد الى داره فعجب الناس من ذلك وقيل

طبيبهم التقليد والرغبة في الوارد الغريب فتكاثروا وتزاحموا عليه مجتمعين في الايام القليلة جملة من الدراهم واستلطف الناس طريقتهم هذه بخلاف ما يفعله الذين يدعون التطبيب من الافرنج واصطلاحهم اذا دعي الواحد منهم لمعالجة المريض فاول ما يبدأ به نقل قدمه بدراهم يأخذها اما ريال فرانسه او اكثر بحسب الحال والمقام ثم يذهب الى المريض فيجسه ويزعم انه عرف علته ومرضه ويجعل على المريض دائما وعلاجه ثم يتقاول على صحته في معالجته بمقدار من الفرانسه اما خمسين او مائة او اكثر بحسب مقام العليل ويطالب نصف الجعالة ابتداء ويجعل على كل مرة من الترددات عليه جعالة ايضا ثم يزاوله بالعلاجات التي تجددت عندهم وهي مياه مستقطرة من الاعشاب او ادهان كذلك يأتون بها للمرضى في قوارير الزجاج اللطيفة في المنظر يسمونها باسماء بلغاتهم ويعربونها بعض البادزهر واكسير الخاصة ونحو ذلك فان شفى الله العليل اخذ منه بقية ما قاوله عليه او امانه طالب الورثة بباقي الجعالة وثمن الادوية طبق ما يدعيه واذا قيل له انه قد مات قال في جوابه اني لم اضمن اجله وليس على الطبيب منع الموت ولا تطويل العمر رجيم من يجعل له في كل يوم عشرة من الفرانسه (وفيه) رأى رأيه حضرة الباشا حفر

ان

الاثير وتوفي ضياء الدين احمد عبد الوهاب بن علي بن عبد الله الامير البغدادي ببغداد وهو سبط صدر الدين اسمعيل شيخ الشيوخ وعمره سبع وثمانون سنة وشهور وكان صوفيا فقيها محدثا سمعنا معه الكثير رحمه الله وكان من عباد الله الصالحين كثير العبادة والصلاح وفيها توفي شيخنا ابو حفص عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد البغدادي وكان عالي الاسناد

●(ثم دخلت سنة ثمان وستمائة)●

●(ذكر استيلاء منكلي على بلاد الجبل واصفهان وغيرها وهرب ايتغمش)●

في هذه السنة في شعبان قدم ايتغمش صاحب همذان واصفهان والري وما بينهما من البلاد الى بغداد هاربا من منكلي وسبب ذلك ان ايتغمش كان قد عظم في البلاد وعظم شأنه واشتد شوكته وكثر عسكره حتى لم يحصر صاحبه ابا بكر بن البهلوان صاحب هذه البلاد اذربيجان واران كما ذكرناه فلما كان الآن خرج عليه مملوك اسمه منكلي ونازعه في البلاد وكثر اتباعه واطاعه المماليك البهلوانية فاستولى عليها وهرب منه شمس الدين ايتغمش الى بغداد فلما وصل اليها امر الخليفة بالاحتفال به في اللقاء فخرج الناس كافة وكان يوم وصوله مشهودا ثم قدمت زوجته في رمضان في محمل فاكرمت وانزلت عند زوجها واقام ببغداد الى سنة عشر وستمائة فسار عنها فكان من امره ما نذكره

●(ذكر نهب الحاج بمنى)●

وفي هذه السنة نهب الحاج بمنى وسبب ذلك ان باطنيا وثب على بعض اهل الامير قتادة صاحب مكة فقتله بمنى ظنا منه انه قتادة فلما سمع قتادة ذلك جمع الاشراف والعرب والعبيد واهل مكة وقصدوا الحاج ونزلوا عليهم من الجبل ورموهم بالحجارة والنبل وغير ذلك وكان امير الحاج ولد الامير ياقوت المقدم ذكره وهو صبي لا يعرف كيف يفعل فخاف وتحير وتمكن امير مكة من نهب الحاج فنهبوا منهم من كان في الاطراف واقام واهل حاله الى الليل فاضطرب الحاج وباتوا بأسوإ حال من شدة الخوف من القتل والنهب فقال بعض الناس لامير الحاج لينتقل بالحاج الى منزلة حجاج الشام فامر بالرحيل فرفعوا اثقالهم على الجمال واشتغل الناس بذلك فطمع العدو فيهم وتمكن من النهب والقتل من سلم بحجاج الشام فاجتمعوا بهم ثم رحلوا الى الزاهر ومنعوا من دخول مكة ثم اذن لهم في ذلك فدخلوها وتمموا حجهم وعادوا ثم ارسل قتادة ولده وجماعة من اصحابه الى بغداد فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة والاكفان فقبلوا العتبة واعتذروا مما جرى على الحاج

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة اظهر الاسماعيلية ومقدمهم جلال الدين بن فلان بن حسن بن الصباح

منهم اسرى وشبابا ومدافعين ففعروا بتلك الاخبار مدافع سرورا وابتداء الخبر (وفي يوم الاربعاء ثامن عشره) سافر الباشا الى اسكلة السويس وصحبته السيد محمد المحروقي ليتلقى سفائنه الواصلة بالبضائع الهندية

●(واستهل شهر شعبان بيوم الاثنين سنة ١٢٣٢)●

(فيه) رجع الباشا من السويس وأحضروا البضائع الواصلة ثلاث شحنات توضع في حواصلها ثم توزع على الباعة بالثمن الذي يفرضه (وفيه) وصل الخبر ايضا بوصول سفائن الى بندر جدة وفيها ثلاثة من الفيلة (وفيه) قوي اهتمام الباشا لحفر الترعة الموصلة الى الاسكندرية كما تقدم وان يكون عرضها عشرة اقصاب والعمق اربعة اقصاب بحسب علو الاراضي وانخفاضها وتعينت كشاف الاقاليم لجمع الرجال وفرضوا اعدادهم بحسب كثرة اهل القرية وقلتها وعلى كل عشرة اشخاص شخص كبير وجعلت العلفات ولكل ثاقي فاس وثلاثة رجال لخدمته واعطوا كل شخص خمسة عشر قرشا رحيله ولكل شخص ثلاثون نصفا في اجرته كل يوم وقت العمل وحصل الاهتمام لذلك في وقت اشتغال الفلاحين بالحصيدة والدراس وزراعة الذرة التي هي معظم قوتهم وشرعوا في تسهيل احتياجاتهم وشراء القرب للماء فان بتلك

بعد شهرين وا كثر والى الآن ما تحدث معها حديثا وظننت انها الحدث ما ولا شك انهما لم يسلما المملوكين اليه لو قد استغاثت اليه ما فلم يصغ اليهما ابن اليلدكز فلما رأى هذه المرأة تشكو وتستغيث بقال لى الأمة متى امن ماله باقيه منى ويلتجى الى الظلم وليس لى علم وكل هذا فعل هذين اشتهى ان تعلم انت المملوكين وتسلمهما اليها فحدثت المرأة معها وعادت شاكرة داعية وله من هذا الجنس كثير لا تطول بذكره

❁(ذكر ولاية ابنه الملك القاهر)❁

لما حضر نور الدين الموت أمر أن يرتب فى الملك بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود وأحلف له الجند واعيان الناس وكان قد عهد اليه قبل موته بمدة طويلة بعد ذلك عند وفاته واعطى ولده الاصغر عماد الدين زنكى قلعة عقر الحميدية وقلعة شوش وولايتها وسيره الى العقر وامر ان يتولى تدبير مملكتهما ويقوم بحفظها والنظر فى مصالحهما اتابكه الامير بدر الدين لؤلؤ لما رأى من عقله وسداده وحسن سياسته وتدبيره وكمال خلال السيادة فيه وكان عمر القاهر حينئذ عشر سنين ولما اشتد مرضه وايس من نفسه امره الاطباء بالانحدار الى الحامة المعروفة بعين القيارة وهى بالقرب من الموصل فانحدر اليها فلم يجد بها راحة وازداد ضعفا فاخذه بدر الدين واصعده فى الشبارة الى الموصل فتوفى فى الطريق ليلا ومعه الملاحون والاطباء بينهم وبينهم ستر وكان مع بدر الدين عند نور الدين مملوكان فلما توفى نور الدين قال لهما لا يسمع احد بموته وقال للاطباء والملاحين لا يتكلم احد فقد نام السلطان فسكتوا ووصلوا الى الموصل فى الليل فامر الاطباء والملاحين بمفارقة الشبارة لئلا يروه ميتا وابعدوا فحمله هو والمملوكان وادخله الدار وتركه فى الموضع الذى كان فيه ومعه المملوكان ونزل على بابه من يثق اليه لا يمكن احدا من الدخول والخروج وقعد مع الناس يمضى امورا كان يحتاج الى اتمامها فلما فرغ من جميع ما يريده اظهر موته وقت العصر ودفن ليلا بالمدرسة التى انشاها مقابل داره وضبط البلد تلك الليلة ضبطا جيدا بحيث ان الناس فى البلد لم يزالوا مترددين لم يعدم من احد منهم مقدار الحبة الفرد واستقر الملك لولده وقام بدر الدين بتدبير الدولة والنظر فى مصالحها

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة فى شهر ربيع الآخر درس القاضى ابو بكر بن ابى القاسم بن المفرج قاضى تكريت بالمدرسة النظامية ببغداد استدعى من تكريت اليها وفيها نقصت دجلة بالعراق نقصا كثيرا حتى كان يجرى الماء ببغداد فى نحو خمسة اذرع وامر الخليفة ان يكرى دجلة فجمع الخلق الكثير وكانوا كلما حفروا شيئا عاد الرمل فغطاه وكان الناس يخوضون دجلة فوق بغداد وهذا لم يعهد مثله وحج بالناس هذه السنة علاء الدين محمد ولد الامير مجاهد الدين ياقوت امير الحاج وكان قد ولاه الخليفة خوزستان وجعله هو امير الحاج وجعل معه من يدبر الحاج لانه كان صبيا وفيها فى العشرين من ربيع

لومنة بالوقت من الرشد يقول كان بعد الحادثة الفلانية بكذا من الايام ثم لا يدرى

او مرض ابنه او ابنته او موت ابيه فى اى شهر وعام وخصوصا اذا طال الزمان بعدها وقد تكرر الاحتياج الى تحرير الوقت فى مسائل شرعية فى مجالس الشرع فى مثل الحضانة والعدة والنفقة وسن اليأس ومدة غيبة المفقود بان يتفق قولهم على ان الصبى ولد يوم السيل الذى هدم القبور او يوم موت الامير فلان او الواقعة الفلانية ويختلفون فى تحقيق وقتها وعند ذلك يحتاجون الى السؤال عمن عساه يكون ادرى وقتها وفى غير وقت الاحتياج يحضرون بين يشغل بعض اوقاته بشئ من ذلك لاعتيادهم اهمال العلوم التى كان يعتنى بتدوينها الاوائل لا بقدر اقامة الناموس الذى يحصلون به الدنيا ولو لا تدوين العلوم وخصوصا علم الاخبار ما وصل الينا شئ منها ولا الشرائع الواجبة ولا يشك شاك فى فوائد التدوين وبذلك القصص بنص التنزيل قال تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (وفى عاشره) وصلت هجانة واخبار عن ابراهيم باشا من الحجاز بانه وصل الى نخل يدعى المويلح فوقع بينه وبين الوهابية وقتل منهم مقتلة عظيمة واخذ

ذكر قتل ايتغمش

في هذه السنة في المحرم قتل ايتغمش الذي كان صاحب همذان وقد ذكرنا سنة ثمان انه قدم الى بغداد وأقام بها فانعم عليه الخليفة وشرفه بالخلع واعطاه الكوسات وما يحتاج اليه وسيره الى همذان فسار في جمادى الآخرة عن بغداد قاصدا الى همذان فوصل الى بلاد ابن ترجم واجتمعا واقام ينتظر وصول عساكر بغداد اليه ليسير معه على قاعدة استقرت بينهم وكان الخليفة قد عزل سليمان بن ترجم عن الامارة على عشيرته من الترك كان لايوانيه وولى اخاه الاصغر فارسل سليمان الى منكلي يعرفه بحال ايتغمش ومضى هو على وجهه فاخذوه فقتلوه وحملوا رأسه الى منكلي وتفرق من معه من اصحابه في البلاد لا يلوي أخ على اخيه ووصل الخبر بقتله الى بغداد فعظم على الخليفة ذلك وارسل الى منكلي ينكر عليه ما فعل فاجاب جوابا شديدا وتمكن من البلاد وقوي أمره وكثرت جموعه وعساكره وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله

ذكر عدة حوادث

حج بالناس في هذه السنة أبو فراس بن جعفر بن فراس الحلي نيابة عن امير الحاج ابن ياقوت ومنع ابن ياقوت عن الحج لما جرى للحاج في ولايته وفيها في المحرم توفي الحكيم المهذب علي بن احمد بن مقبل الطبيب المشهور وكان أعلم أهل زمانه بالطب وروى الحديث وكان مقيما بالموصل وبها مات وكان كثير الصدقة حسن الاخلاق وله تصنيف حسن في الطب وفيها توفي اسمعيل بن علي البغدادي الفقيه الحنبلي صاحب ابن المني وفيها توفي ايضا احمد بن مسعود التركستاني الفقيه الحنفي ببغداد وهو مدرس مشهد أبي حنيفة وفيها في جمادى الاولى توفي معز الدين أبو المعالي سعد بن علي المعروف بابن حديدة الذي كان وزير الخليفة الناصر لدين الله وكان قد لزم بيته ولما توفي حمل تابوته الى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة وكان حسن السيرة في وزارته كثير الخير والنفع للناس

ثم دخلت سنة احدى عشرة وستمائة

ذكر ملك خوارزمشاه علاء الدين كرمان ومكران والسند

هذه الحادثة لا اعلم الحقيقة اي سنة كانت انما هي اما هذه السنة او قبلها بقليل او بعدها بقليل لان الذي أخبرني بها كان من اجناد الموصل وسافر الى تلك البلاد وأقام بها عدة سنين وسار مع الامير أبي بكر الذي فتح كرمان ثم عاد فاخبرني بها على شك من وقتها وقد حضرها فقال لخوارزمشاه محمد بن تكش كان من جملة أمرائه امير اسمه أبو بكر ولقبه تاج الدين وكان في ابتداء أمره جمالا يكري الجمال في الاسفار ثم جاءته السعادة فاتصل بخوارزمشاه وصار سيروان جماله فرأى منه جلدا وامانة فقدمه الى ان صار من أعيان امراء عسكره فولاه مدينة زوزن وكان عاقلا ذا رأي وحزم وشجاعة فتقدم عند خوارزمشاه تقدما كثيرا ووثق به اكثر من جميع امراء دولته فقال أبو بكر لخوارزمشاه

وتحقيقات المتقدمين أن كل صنف من الاصناف بعد البحث والتفتيش والتفحص على دقائق الاشياء (وفيه) وصل نحو المائتي شخص من بلاد الروم ارباب صنائع معمرين ونجارين وحدادين وبنائين وهسمجاريين ارمني وابرويجي ونحو ذلك (وفيه) ايضا اهتم الباشا ببناء حائطين بحري رشيد عند الطابية على عين البغاز وشماله ليحصر فيما بينهما الماء ولا تطمى الرمال وقت ضعف النيل ويقع بسبب ذلك العطب للمراكب وتلف أموال المسافرين وقد كمل ذلك في هذا الشهر وهذه الفعلة من أعظم الهمم الملوكية التي لم يسبق بمثلها (وفي عشرينه) شنق شخص بباب زويلة بسبب الزيادة في المعاملة وعلقوا بانفه غربال فرانبه مع ان الزيادة سارية في المبيعات والمشتروات من غير انكار (وفيه) ايضا خزم الحتسب آناف اشخاص من الجزارين في نواحي وجهات متفرقة وعلق في آنافهم قطعا من اللحم وذلك بسبب الزيادة في ثمن اللحم وبيعهم لما اخبروه من الثمن في بعض الاماكن خفية لان الجزارين اذا نزلوا باللحم من المذبح وأكثره زيل ونعاج ومعز والقليل من الضاني الجيد فيعلقون الردي بالحوانيت ويبيعونه جهارا بالثمن المسعر ويخفون الجيد ويبيعونه في بعض الاماكن عيانا يجهزون (وفي يوم الخميس خامس عشريه) وصلت الاقبال الثلاثة من السويس احدها

الانتقال عن فعل المحرمات واستحلالها وأمر باقامة الصلوات وشرائع الاسلام ببلادهم من خراسان والشام وأرسل مقدميهم رسلا الى الخليفة وغيره من ملوك الاسلام يخبرهم بذلك وأرسل والدته الى الحج فأكرمت ببغداد اكراما عظيما وكذلك بطريق مكة وفيها سلخ جمادى الآخرة توفى ابو حامد محمد بن يونس بن منعة الفقيه الشافعى بمدينة الموصل وكان اماما فاضلا اليه انتهت رياسة الشافعية لم يكن فى زمانه مثله وكان حسن الاخلاق كثير التجاوز من الفقهاء والاحسان اليهم رحمه الله وفيها فى شهر ربيع الاول توفى القاضى ابو الفضائل على بن يوسف بن احمد بن الآمدى الواسطى قاضيها وكان نعم الرجل وفيها فى شعبان توفى المؤتمن ابو الفتوح عبد الواحد بن ابى احمد بن على الامين شيخ الشيوخ ببغداد وكان مولده بجزيرة ابن عمر ومضى اليها رسولا من الخليفة وكان من اصدقائنا وبيننا وبينه مودة متأكدة وصحبة كثيرة وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله ورضى عنه وله كتابة حسنة وشعر جيد وكان عالما بالفقه وغيره ولما توفى رتب اخوه زين الدين عبد الرزاق بن ابى احمد وكان ناظرا على المارستان العضدى فترك ذلك واقتصر على الرباط وفيها فى ذى الحجة توفى محمد بن يوسف بن محمد بن عبيد الله النيسابورى الكاتب الحسن الخط وكان يؤدى طريقة ابن البواب وكان فقيها اصوليا متكلما وفيها توفى عمر بن مسعود ابى العز ابو القاسم البزاز البغدادى بها وكان من الصالحين يجتمع اليه الفقراء كثيرا ويحسن اليهم وتوفى أيضا ابو سعيد الحسن بن محمد بن الحسن بن حمدون التغلبى العذرى وهو ولد مصنف التذكرة وكان عالما

(ثم دخلت سنة تسع وستمائة)

(ذكر قدوم ابن منكلى بغداد)

فى هذه السنة فى المحرم قدم محمد بن منكلى المستولى على بلاد الجبل الى بغداد وسبب ذلك ان أباه منكلى لما استولى على بلاد الجبل وهرب ايتغمش صاحبها منها الى بغداد خاف أن يساعده الخليفة فيرسل معه العساكر فيعظم الامر عليه لانه لم يكن قد تمكن فى البلاد فارسل ولده محمدا ومعه جماعة من العسكر فخرج الناس ببغداد على طبقاتهم يلتقونه وانزلوا واكرم وبقى ببغداد الى ان قتل ايتغمش فخلع عليه وعلى من معه واكرموا وسيرهم الى أبيه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قبض الملك العادل أبو بكر بن ايوب صاحب مصر والشام على أمير اسمه اسامة كان له اقطاع كثيرة من جملتها حصن كوكب من اعمال الاردن بالشام واخذ منه حصن كوكب وخربه وعفى أثره ومن بعده بنى حصنا بالقرب منه على جبل يسمى الطور وهو معروف هنالك وشحنه بالرجال والذخائر والسلاح وفيها توفى الفقيه محمد بن اسمعيل بن ابى الصيف اليمنى فقيه الحرم الشريف بمكة

(ثم دخلت سنة عشر وستمائة)

(ذكر

البرية لا يوجد الماء الا ببعض الحفائر التى يحفرها طالب الماء وقد تخرج مالحة لانها أراض سبخة وتوجه جماعة من مهندسخانة ونزلوا مع كبيرهم لمساحتها وقياسها فقاسوا من فم ترعة الاشرفية حيث الرحمانية الى حد الحفر المراد بقرب عمود السوارى الذى بالاسكندرية فبلغ ذلك ستة وعشرين الف قصبة ثم قاسوا من اول الترعة القديمة المعروفة بالناصرية وابتداؤها من المكان المعروف بالعطف عند مدينة فوة فكان اقل من ذلك ينقص منه خمسة آلاف قصبة وكثر خوض الاخبار على ان يكون ابتداؤها هناك (وفى اثناء ذلك) زاد النيل قبل المناداة عليه بالزيادة وذلك فى منتصف بؤنه القبطى وغرق المقاثى من البطيخ والخيار والعبدلاوى واهمل امر الحفر فى الترعة المذكورة الى ما بعد النيل واسترددت الدراهم التى اعطيت للفلاحين لاجل الترحيلة وفرحوا بذلك الاهمال وقد كان أطلق الباشا لمصارفها اربعة آلاف كيس من تحت الحساب ورجع المهندسون الى مصر وقد صوروا صورتها فى أوراق ليطلع عليها الباشا عيانا وكان رجوعهم فى ثامن عشر شعبان (وفيه) تقلد ابراهيم اغا المعروف باغات الباب امر بتنظيم الاصناف والحدثات وعمل معدلاتها لبيان مرتبات

(ذكر قتل منكلى وولاية اغلمش ما كان بيده من الممالك)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى انهزم منكلى صاحب همذان واصفهان والرى وما بينهما من البلاد ومضى هاربا فقتل وسبب ذلك انه كان قد ملك البلاد كما ذكرناه وقتل ايتغمش فارسل اليه من الديوان الخليفتى رسول ينكر ذلك عليه وكان اوحش الامير اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان وهو صاحبه ومخدومه فارسل الخليفة اليه يعرضه على منكلى و يعده النصرة وارسل ايضا الى جلال الدين الاسماعيلى صاحب قلاع الاسماعيلية ببلاد العجم الموت وغيرها يامره بمساعدة اوزبك على قتال منكلى واستقرت القاعدة بينهم على ان يكون للخليفة بعض البلاد ولاوزبك بعضها و يعطى جلال الدين بعضها فلما استقرت القواعد على ذلك جهز الخليفة عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم مملوكه مظفر الدين سنقر الملقب بوجه السبع وارسل الى مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كوجك وهو اذ ذاك صاحب اربل وشهرزور واعمالها يامره ان يحضر بعساكره و يكون مقدم العساكر جميعها واليه المرجع فى الحرب فحضر وحضر معه عسكر الموصل وديار الجزيرة وعسكر حلب فاجتمعت عساكر كثيرة وساروا الى همذان فاجتمعت العساكر كلها فانزاح منكلى من بين ايديهم وتعلق بالجبال وتبعوه فنزلوا بسفح جبل هو فى اعلاه بالقرب من مدينة كرج وضاقت الميرة والاقوات على العسكر الخليفتى جميعه ومن معهم ولو اقام منكلى بموضعه لم يمكنهم المقام عليه اكثر من عشرة ايام لكنه طمع فنزل ببعض عسكره من الجبل مقابل الامير اوزبك فحملوا عليه فلم يثبت اوزبك ومضى منهزما فعاد اصحاب منكلى وصعدوا الجبل وعاد اوزبك الى خيامه فطمع منكلى حينئذ ونزل من الغد فى جميع عسكره واصطفت العساكر للحرب واقتتلوا اشد قتال يكون فانهزم منكلى وصعد الجبل فلو اقام بمكانه لم يقدر احد على الصعود اليه وكان قصاراهم العود عنه لكنه اتخذ الليل جملا وفارق موضعه ومضى منهزما فاتبعه نفر يسير من عسكره وفارقه الباقون وتفرقوا ايدى سبا واستولى عسكر الخليفة واوزبك على البلاد فاعطى جلال الدين ملك الاسماعيلية من البلاد ما كان استقر له واخذ الباقى اوزبك فسلمه الى اغلمش مملوك اخيه وكان قد توجه الى خوارزمشاه علاء الدين محمد وبقى عنده ثم عاد عنه وشهد الحرب وابلى فيها فولاه اوزبك البلاد وعاد كل طائفة من العسكر الى بلادهم واما منكلى فانه مضى منهزما الى مدينة ساوة وبها الشحنة وهو صديق له فارسل اليه يستاذنه فى الدخول الى البلد فاذن له ودخل اليه وخرج فلقيه وقبل الارض بين يديه وادخله البلد وانزله فى داره ثم اخذ سلاحه واراد ان يقيده ويرسله الى اغلمش فسأله ان يقتله هو ولا يرسله فقتله وارسل راسه الى اوزبك فارسله اوزبك الى بغداد وكان يوم دخوله يوما مشهودا الا انه لم تتم المسرة للخليفة بذلك فانه وصل ومات ولده فى تلك الحال فاعيد ودفن

(ذكر وفاة ابن الخليفة)

المنصب من المقدمين والخدم الذين يتقدمونه وكذلك الذى امامه بالميزان ومن بايديهم الكراجح لضرب المتحقق والمتنقص فى الوزن وبات يطوف على الباعة و يضرب بالدبوس هشما بادنى سبب و يعاقب بقطع شحمة الاذن فاغلقوا الحوانيت و منعوا وجود الاشياء حتى ما جرت به العادة فى رمضان من عمل الكعك والرقاق المعروف بالعجمى وغيره فلم يلتفت لامتناعهم وغلقهم الحوانيت وزاد فى العسف ولم يرجع عن سعيه واجتهاده ولازم على السعى والطواف ليلا ونهارا لا ينام الليل بل ينام لحظة وقت ما يدركه النوم فى اى مكان ولو على مصطبة حانوت واخذ يتفحص على السمن والجبن ونحوه المخزون فى الحواصل و يخرجه و يدفع ثمنه لاربابه بالسعر المفروض و يوقفه لارباب الحوانيت ليبيعوه على الناس بزيادة نصف اونصفين فى كل رطل وذهب الى بولاق ومصر القديمة فاستخرج منهما اشياء كثيرا ومعظم ذلك فى مخازن العسكر فان العسكر كانوا يرصدون الفلاحين وغيرهم فيأخذونه منهم بالسعر المفروض وهو مائتان واربعون فى العشرة منها ثم يبيعونه على المتسببين فيه بما احبوا من الزيادة الفاحشة فلم يراع جانبهم واستخرج مخبآتهم قهرا عنهم ومن خالف عليه منهم ضربوا اخذه لا محسوبية لكل به وذهب الى بعض الاوقات الى بولاق فاخرج من حاصل

ان بلاد كرمان مجاورة لبلادي فلو اضاف السلطان الى مملكته لملكتها في اسرع وقت فسيره معه عسكرا كثيرا فمضى الى كرمان وصاحبها اسمه حرب بن محمد بن ابى الفضل الذى كان صاحب سجستان ايام السلطان سنجر فقاتله فلم يكن له به قوة وضعف فملك ابو بكر بلاده في اسرع وقت وسار منها الى نواحي مكران فملكها كلها الى السند من حدود كابل وسار الى هرمز مدينة على ساحل بحر مكران فاطاعه صاحبها واسمه ملنك وخطب بها لخوارزم شاه وحمل عنها مالا وخطب له بقلهات وبعض عمان لان اصحابها كانوا يطيعون صاحب هرمز وسبب طاعتهم له مع بعد الشقة والبحر يقطع بينهم انهم يتقربون اليه بالطاعة ليامن اصحاب المراكب التى تسير اليهم عنده فان هرمز مرسى عظيم ومجمع للتجار من اقاصي الهند والصين واليمن وغيرها من البلاد وكان بين صاحب هرمز وبين صاحب كيش حروب وغارات وكل منهما ينهى اصحاب المراكب ان ترسى ببلاد خصمه وهم كذلك الى الآن وكان خوارزم شاه يصيف بنواحي سمرقند لاجل التتر اصحاب كشلى خان لئلا يقصد بلاده وكان سريع السير اذا قصد جهة سبق خبره

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قتل مؤيد الملك النصري وكان قد وزر لشهاب الدين الغوري ولتاج الدين الدز بعده وكان حسن السيرة جميل الاعتقاد محسنا الى العلماء واهل الخير يزورهم ويبرهم ويحضر الجمعة ماشيا وحده وكان سبب قتله ان بعض عسكر الدز كرهوه وكان كل سنة يتقدم الى البلاد الحارة بين يدى الدز اول الشتاء فسار هذه السنة كعادته فاتاه نفر اتراك وقالوا له السلطان يقول لك تحضر جريدة في عشرة نفر لامر تجدد فسار معهم جريدة في عشرة مماليك فلما وصلوا الى نهر قريبا من ماء السند قتلوه وهربوا فاتهم ظفر بهم خوارزم شاه محمد فقتلهم وفيها في رجب توفى الركن ابو منصور عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلى البغدادي ببغداد وكان قد ولى عدة ولايات وكان يتهم بمذهب الفلاسفة حتى انه راى ابوه يوما عليه قميصا بخاريا فقال ما هذا القميص فقال بخارى فقال ابوه هذا العجب ما زلنا نسمع مسلم والبخاري واما كافر والبخاري ما سمعنا واخذت كتبه قبل موته بعدة سنين واشهرت في ملأ من الناس ورؤى فيها من تخيير النجوم ومخاطبة زحل بالالهية وغير ذلك من الكفريات ثم احرقت بباب العامة وحبس ثم اخرج عنه بشفاعة ابيه واستعمل بعد ذلك وفيها ايضا توفى ابو العباس احمد بن هبة الله بن العلاء المعروف بابن الزاهد ببغداد وكان عالما بالنحو واللغة وفى شعبان منها توفى ابو المظفر محمد بن علي بن البل الدوري الواعظ ودفن برباط على نهر عيسى ومولده سنة عشر وخمسمائة وفى شوال منها توفى عبد العزيز بن محمود بن الاخضر وكان من فضلاء المحدثين وله سبع وثمانون سنة

(ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وستمائة)

كبير عن الاثنين ولكن متوسط في الكبر صغير واتيا بهما من باب النصر وشقوا من وسط المدينة وخرجوا بهما من باب زويلة على الدرب الاحمر وذهبوا بهما الى قراميدان وهرولت الناس والصبيان للفرجة عليها وذهبوا خلفهما وازدحموا في الاسواق لرؤيتهما وكذلك العسكر والدلاة ركبانا ومشاة وعلى ظهر الفيل الكبير مقعد من خشب

(واستهل شهر رمضان بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٣) وعملت الرؤية تلك الليلة وركب المحتسب وكذا مشايخ الحرف كعادتهم واثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة وكان عسر الرؤية جدا (وفى صبح ذلك اليوم) عزل عثمان اغا الوردانى من الحسبة وتقلدها مصطفى كاشف كرد وذلك لما تكرر على سمع الباشا افعال السوقة والعرابة وقلة طاعتهم وعدم مبالاتهم بالضرب والايذاء وخزم الانوف والتجريس قال فى مجلس خاصته لقد سرى حكمى فى الاقاليم البعيدة فضلا عن القريبة وخافنى العربان وقطاع الطريق وغيرهم خلاف سوقة مصر فانهم لا يرتدعون عما يفعله فيهم ولاة الحسبة من الاهانة والايذاء فلا بد لهم من شخص يقهرهم ولا يرحمهم ولا يهملهم فوقع اختياره على مصطفى كاشف كرد هذا لتقلده ذلك واما اولاد الاذن فعند ذلك ركب في كبكبة وخلفه عدة من الخيالة وترك شعار ذكر

أربعة أشهر الصيف وأنا الحاكم فيها والمرجع الحاكي في كل الأمور فقال له خوارزمشاه
اذا كنت لا ترعى لرفيقك ومن احسن اليك صحبته واحسانه فكيف يكون حالي انا
معك وما الذي تصنع مع ولدي اذا تركته عندك فقبض عليه وأخذ منه ماله والاجمة حمله
ثلاثون دابة من اصناف الاموال والامتعة واحضر اربعمائة مملوك فلما اخذ ماله
قتله وترك ولده جلال الدين بغزنة فجمع جماعة من عسكره وامرائه وقيل ان ملك
خوارزمشاه غزنة كان سنة ثلاث عشرة وستمائة

(ذكر استيلاء الدز على لهاوور وقتله)

لما هرب الدز من غزنة الى لهاوور وافقه صاحبها ناصر الدين قباجة وهو من مماليك
شهاب الدين الغوري ايضا وله من البلاد ملتان واوجه وديبل وغيرها الى
ساحل البحر ومعه نحو خمسة عشر الف فارس وكان قد بقي مع الدز نحو الف
وخمسمائة فارس فوقع بينهما مصاف واقتتلوا فانهزمت ميمنة الدز وميسرته واخذت
الفيلة التي معه ولم يبق له غير فيلين معه في القلب فقال الفيال انا اخاطر بسعادتك
وامر احد الفيلين ان يحمل على العلم الذي لقباجة حتى يأخذه وامر الفيل الآخر الذي له
ايضا ان يأخذ الجتر الذي له فاخذه ايضا والفيلة المعلمة تفهم ما يقال لها هكذا رأيناه
فعمل الفيلان وحمل معهما الدز فيمن بقي عنده من العسكر وكشف رأسه وقال بالعجمية
ما معناه اما ملك واما هلاك واختلط الناس بعضهم ببعض وفعل الفيلان ما امرهما
الفيال من اخذ العلم والجتر فانهزم قباجة وعسكره وملك الدز مدينة لهاوور ثم سار الى
بلاد الهند ليملك مدينة دهلة وغيرها مما بيد المسلمين وكان صاحب دهلة امير اسمه
الترمش ولقبه شمس الدين وهو من مماليك قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين
ايضا كان قد ملك الهند بعد شهاب الدين فلما سمع به الترمش سار اليه في عساكره كلها فلقيه
عند مدينة سمانا فاقتتلوا فانهزم الدز وعسكره واخذ وقتل وكان الدز محمود السيرة في
ولايته كثير العدل والاحسان الى الرعية لا سيما التجار والغرباء ومن محاسن اعماله انه
كان له اولاد ولهم معلم يعلمهم فضرب المعلم احدهم فمات فاحضره الدز وقال له يا مسكين
ما حملك على هذا فقال والله ما اردت الا تأديبه فاتفق ان مات فقال صدقت واعطاه نفقة
وقال له تغيب فان امه لا تقدر على الصبر فربما اهلكتك ولا اقدر امنع عنك فلما سمعت
ام الصبي بموته طلبت الاستاذ لتقتله فلم تجده فسلم وكان هذا من احسن ما يحكى عن احد
من الناس

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي الوجيه المبارك بن ابي الازهر سعيد بن الدهان الواسطي النحوي
الضرير وكان نحويا حافظا قرأ على الكمال بن الانباري وعلى غيره وكان حنبليا فصار
حنفيا ثم صار شافعيا فقال فيه ابو البركات بن زيد التكريتي

الا مبلغا عني الوجيه رسالة * وان كان لا تجدي لديه الرسائل

الرميلة فأخذ الى الجمالية وشنقه على السبيل المجاور لحارة المبيضة وذلك في سادس ساعة من الليل وقت السحور وتركوه معلقا مثلها من الليلة القابلة ثم اذن برفعه فأخذه اهله ودفنوه وحاجي هو الذي تقدم ذكره غير مرة في واقعة خورشيد باشا وغيرها وكان مشهورا بالاقدام والشجاعة طويل القامة عظيم الهمة وكان شيخا على طوائف الخضرية صاحب صولة وكلمة بتلك النواحي ومكارم اخلاق وهو الذي بنى البوابة آخر الرميلة عند عرصة الغلة ايام الفتنة واختفى برا ايام تلك الحوادث وانضم الى الالفي ثم حضر الى مصر بامان ولم يزل على حالته في هدو وسكون ولم يؤخذ في هذه بجرم فعله يوجب شنقه بل قتل مظلوما كمحمد سابق وزير الغيرة (وفي يوم الاثنين) ثامن عشرين شهر رمضان الموافق لسادس مسرى القبطي اوفى النيل اذرعه فنودي بالوفاء وكسر السد صبح يوم الثلاثاء بحضرة كتخدا بك والقاضي وغيره وجرى الماء في الخليج ولم يقع فيه مهرجان مثل العادة هذا والمحتسب مراقب على السروح ليلا ونهارا ويعاقب بجرح الآذان والضرب بالدبوس واقعد بعض صناع الكنافة على صوانيهم التي على النار وامر بكنس الاسواق ومواظبة رشها بالماء ووقود القناديل على ابواب الدور وعلى كل ثلاثة من الحوانيت قنديل وركب آخر الليل ثم ذهب الى بولاق

فى هذه السنة فى العشرين من ذى القعدة توفى ولد الخليفة وهو الاصغر وكان يلقب
الملك المعظم واسمه أبو الحسن على وكان أحب ولدى الخليفة اليه وقد رشحه لولاية
العهد بعده وعزل ولده الاكبر عن ولاية العهد واطرحه لاجل هذا الولد وكان رحمه الله
كريما كثير الصدقة والمعروف حسن السيرة محبوبا الى الخاص والعام وكان سبب
موته انه اصابه اسهال فتوفى وحزن عليه الخليفة حزنا لم يسمع بمثله حتى انه أرسل الى
اصحاب الاطراف ينهاهم عن انفاذ رسول اليه يعزيه بولده ولم يقرأ كتابا ولا سمع رسالة
وانقطع وخلا بهمومه واحزانه ورؤى عليه من الحزن والجزع ما لم يسمع بمثله ولما توفى
أخرج نهارا ومشى جميع الناس بين يدى تابوته الى ترب بجدته عند قبر معروف الكرخى
فدفن عندها ولما ادخل التابوت اغلقت الابواب وسمع الصراخ العظيم من داخل
التربة فقيل ان ذلك صوت الخليفة واما العامة ببغداد فانهم وجدوا عليه وجدا شديدا
ودامت المناحات عليه فى اقطار بغداد ليلا ونهارا ولم يبق ببغداد محلة الا وفيها النوح
ولم تبق امرأة الا واظهرت الحزن وما سمع ببغداد مثل ذلك فى قديم الزمان وحديثه
وكان موته وقت وصول رأس منكلى الى بغداد فان الموكب امر بالخروج الى لقاء
الرأس فخرج الناس كافة فلما دخلوا بالرأس الى رأس درب حبيب وقع الصوت بموت
ابن الخليفة فأعيد الرأس وهذه عادة الدنيا لا يصفو ابدا فرحها من ترح وقد خلص
مصائبها من شائبة الفرح

(ذكر ملك خوارزمشاه غزنة واعمالها)

فى هذه السنة فى شعبان ملك خوارزمشاه محمد بن تكش مدينة غزنة واعمالها وسبب
ذلك ان خوارزمشاه لما استولى على عامة خراسان وملك باميان وغيرها ارسل الى تاج
الدين صاحب غزنة وقد تقدمت اخباره حتى ملكها يطلب منه ان يخطب له ويضرب
السكة باسمه ويرسل اليه فيلا واحدا ليصالحه ويبقى غزنة عليه ولا يعارضه فيها فاحضر
الامراء وأعيان دولته واستشارهم وكان فيهم اكبر امير اسمه قتلغ تكين وهو من
مماليك شهاب الدين الغورى ايضا واليه الحكم فى دولة الدز وهو النائب عنه بغزنة فقال
الرأى ان تخطب له وتعطيه ما طلب وتستريح من الحرب والقتال وليس لنا بهذا السلطان
قوة فقال الجماعة مثل قوله فاجاب الى ما طلب منه وخطب لخوارزمشاه وضرب السكة
باسمه وارسل اليه فيلا واعاد رسوله اليه ومضى الى الصيد فارسل قتلغ تكين من
غزنة الى خوارزمشاه يطلبه ليسلم اليه غزنة فسار مجدا وسبق خبره فسلم اليه قتلغ تكين
غزنة وقلعتها فلما دخل اليها قتل من بها من عسكر الغورية لا سيما الاتراك فوصل
الخبر الى الدز بذلك فقال ما فعل قتلغ تكين وكيف ملك القلعة مع وجودى فيها فقيل
هو الذى احضره وسلم اليه فمضى هاربا هو ومن معه الى لهاوور واقام خوارزمشاه بغزنة
فلما تمكن منها احضر قتلغ تكين فقال له كيف حالك مع الدز وكان عالما به وانما اراد
ان تكون له الحجة عليه فقال لا انا ولا كان شهاب الدين ولم يكن الدز يقيم بغزنة الا

ببعض الوكائل ثلثمائة وخمسين ماعونا لكبير من العسكر فحضر اليه بطائفته ثم يلتفت اليهم ويخاطبهم قائلا
انتم عما ذكر لكم الرواتب
والعلائف والجوامك والاطيان
وخلافها ثم تحتكرون ايضا
اقوات الناس وتبيعونها
عليهم بالثمن الزائد واعطاه
الثمن المفروض وحمل المواعين
على الجمال الى الامكنة التى
اعدها لها عند باب الفتوح
وعندما رأى ارباب الحوانيت
الجد وعدم الاهمال
والتشديد عليهم فتح المغلق
منهم حانوته واظهروا
مخبآتهم امامهم وملؤا
السدريات والظروف من
السمن وانواع الجبن خوفا من
بطش المحتسب وعدم رحمته
بهم ويقف بنفسه على باعة
الطبيخ والقاوون (وفى
منتصف شهر رمضان) وصلوا
برمة ابراهيم بك الكبير من
دنقلة وذلك انه لما وصل
خبر موته استاذنت زوجته
أم ولده الباشا فى ارسالها
امرأة تدعى نفيسة لاحضار
رمته فاذن بذلك واعطى
المسفرة فيما بلغنا عشرة
اكياس وكتب لها مكاتبات
لكاشف الوجه القبلى
بالمساعدة وسافرت وحضرت
به فى تابوت وقد جف جلده
على عظمه اضافته وذلك بعد
موته بخمسة شهور وعملوا له
مشهدا واماموه كفارة ودفنوه
بالقرافة الصغرى عند ابيه
فوق بك (وفى ليلة الخميس سابع عشره) طلب المحتسب حاجا الخضرى الشهير بمواحى

على الى تستر وهما المؤيد والموفق وسار معه سامو يد الدين الذ سالب عن الوزارة ومعز الدين الشرابي فاقاما بها يسيرا ثم عاد الموفق مع الوزير والشرابي الى بغداد اوائل ربيع الآخر وفيها في صفر هبت ببغداد ريح سوداء شديدة كثيرة الغبار والقتام والقت رملا كثيرا وقلعت كثيرا من الشجر فخاف الناس وتضرعوا ودامت من العشاء الآخرة الى ثلث الليل وانكشفت وفيها توفي التاج زيد بن الحسن بن زيد الكندي ابو اليمن البغدادي المولد والمنشا انتقل بالشام فاقام بدمشق وكان اماما في النحو واللغة وله الاسناد العالي في الحديث وكان ذا فنون كثيرة من انواع العلوم رحمه الله

(ثم دخلت سنة اربع عشرة وستمائة)

●(ذكر ملك خوارزمشاه بلد الجبل)●

في هذه السنة سار خوارزمشاه علاء الدين محمد بن تكش الى بلاد الجبل فملكها وكان سبب حركته في هذا الوقت اشياء احدها انه كان قد استولى على ما وراء النهر وظفر بالخطا وعظم امره وعلا شانه واطاعه القريب والبعيد ومنها انه كان يهوى ان يخطب له ببغداد ويلقب بالسلطان وكان الامر بالضد لانه كان لا يجد من ديوان الخلافة قبولا وكان جده اذا ورد الى بغداد ان يقدم غيره عليه واهل في عسكر مما تقتل الذي يقدم جده عليه فكان اذا سمع ذلك يغضبه ومنها ان اغلمش لما ملك بلاد الجبل خطب له فيها جميعها كما ذكرنا فلما قتله الباطنية غضب له وخرج اشلا تخرج البلاد من طاعته فسار مجدا في عساكر تطبق الارض فوصل الى الري فملكها وكان اتابك سعد بن دكلا صاحب بلاد فارس لما بلغه مقتل اغلمش جمع عساكره وسار نحو بلاد الجبل طمعا في ملكها لخلوها عن حام وعن مانع فوصل الى اصفهان فاطاعه اهلها وسار منها يريد الري ولم يعلم بقدوم خوارزمشاه فلقيه مقدمة خوارزمشاه فظنهم اصحاب ملك تلك الديار قد اجتمعت لقتاله ومنعه عن البلاد فقاتلهم وجد في محاربتهم حتى كاد يهزمهم فبينما هو كذلك واذا قد ظهر له جتر خوارزمشاه فسال عنه فاخبر به فانهزم وانهزمت عساكره واخذ اسيرا وحمل الى بين يدي خوارزمشاه فاكرمه ووعده الاحسان والجميل وامنه على نفسه واصطلحا على طاعته واستقرت القاعدة بينهما على ان يسلم بعض البلاد اليه ويبقى بعضها واطلقه وسير معه جيشا الى بلاد فارس ليسلم اليهم ما استقرت القاعدة عليه فلما قدم وصل ولده الاكبر رآه قد تغلب على بلاد فارس فامتنع من التسليم الى ابيه ثم انه ملك البلاد كما ذكره وخطب فيها لخوارزمشاه وسار خوارزمشاه الى ساوة فملكها واقطعها العماد الملك عارض جيشه وهو من اهلها ثم سار الى قزوين وزنجان وابهر فملكها كلها بغير مانع ولا مدافع ثم سار الى همذان فملكها واقطع البلاد لاصحابه وملك اصفهان وكذلك قم وقاشان واستوعب ملك جميع البلاد واستقرت القاعدة بينه وبين اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان واران بان يخطب له اوزبك في بلاده ويدخل في طاعته ثم انه عزم على المسير الى بغداد

الارض على كثير من بعدان الاشياء وتعدت احكامه الى بضائع التجار والاقمشة الشفعية واهل ترجيح والحلاوية وخلافهم وطلب قوائم متجرواتهم والنظر في مكاييلهم فضاق خناق اكثر الناس من ذلك لكونهم لم يعتادوه من محتسب قبله وكانه وصله خبر ولاة الحسبة واحكامهم في الدول المصرية القديمة فان وظيفة امين الاحتساب وظيفة تضاهي وظيفة الحكم والعدالة والتكلم على جميع الاشياء وكانت لا يتولاها الا المتضلع من جميع المعارف والعلوم والقوانين ونظام العدالة حتى على من يتصدر لتقرير العلوم فيحضر مجلسه ويباحثه فان وجد فيه اهلية للالقاء اذن له بالتصدر او منعه حتى يستكمل وكذلك الاطباء والجراحية حتى البيطارية والمزين ويقومعلموا الاطفال في المكاتب ومعلموا السباحة في الماء والنظر في وسق المراكب في الاسفار واحمال الدواب في نقل الاشياء ومقادير روايا الماء مما يطول شرحه وفي ذلك مؤلف للشيخ ابن الرفعة وقد يسهل بعض ذلك شيوع العدالة وعدم الاحتكار وطمع الملوك وتطلعهما في ايدي الناس وارزاقهم (ويحكى) ان الرشيد سال الليث ابن سعد فقال له يا ابا الحرث

ما صلاح بلد كبير في مصر فقال له اما صلاح ارضها وزارعها فبالتبديل واما

تذهبت للنعمان بعد ابن حنبل • وفارقته اذ اعوزتك المآكل
وما اخترت رأى الشافعى تدينا • ولكنما تهوى الذى هو حاصل
وعما قليل انت لاشك صائر • الى مالك فافطن لما انا قائل

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة)

(ذكر وفاة الملك الظاهر)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن ايوب وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشام وكان مرضه اسهالا وكان شديد الهيبة ضابطا للامور كلها كثير الجمع للاموال من غير جهاتها المعتادة عظيم العقوبة على الذنب لا يرى الصفح وله مقصد يقصده كثير من اهل البيوتات من اطراف البلاد والشعراء واهل الدين وغيرهم فيكرمهم ويجرى عليهم الجارى الحسن ولما اشتدت علته عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمد ولقبه الملك العزيز غياث الدين عمره ثلاث سنين وعدل عن ولد كبير لان الصغير كانت امه ابنة عمه الملك العادل ابى بكر بن ايوب صاحب مصر ودمشق وغيرهما من البلاد فعهد بالملك له ليبقى عمه البلاد عليه ولا ينازعه فيها ومن اعجب ما يحكى ان الملك الظاهر قبل مرضه ارسل رسولا الى عمه العادل بمصر يطلب منه ان يحلف لولده الصغير فقال العادل سبحان الله اى حاجة الى هذه اليمين الملك الظاهر مثل بعض اولادى فقال الرسول قد طلب هذا واختاره ولابد من اجابته اليه فقال العادل كم من كبش فى المرعى وخروف عند القصاب وحلف فاتفق فى تلك الايام ان توفى الملك الظاهر والرسول فى الطريق ولما عهد الظاهر الى ولده بالملك جعل اتابكه ومربيه خادما روميا اسمه طغرل بك ولقبه شهاب الدين وهو من خيار عباد الله كثير الصدقة والمعروف ولما توفى الظاهر احسن هذا شهاب الدين السيرة فى الناس وعدل فيهم وازال كثيرا من السنن الجائرة واعاد املاكا كانت قد اخذت من اربابها وقام بتربية الطفل احسن قيام وحفظ بلاده واستقامت الامور بحسن سيرته وعدله وملك ما كان يتعذر على الظاهر ملكه فمن ذلك تل باشر كان الملك الظاهر لا يقدر ان يتعرض اليه فلما توفى ملكها كيكاوس ملك الروم كما نذكره ان شاء الله تعالى انتقلت الى شهاب الدين وما اقبح بالملوك وابناء الملوك ان يكون هذا الرجل الغريب المنفرد احسن سيرة واعف عن اموال الرعية واقرب الى الخير منهم ولا اعلم اليوم فى ولاة امور المسلمين احسن سيرة منه فالله يبقيه ويدفع عنه فلقد بلغنى عنه كل حسن وجميل

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى المحرم وقع بالبصرة برد كثير وهو مع كثرته عظيم القدر وقيل كان اصغره مثل النارنجة الكبيرة وقيل فى اكبره ما يستحيى الانسان ان يذكره فكسر كثيرا من رؤس النخيل وفى المحرم ايضا سير الخليفة الناصر لدين الله ولدى ابنه المعظم

على

ليلتق الوالدين بالجلبخ الاخضر والاصفر ويعرف عدة الشروات ويأمره بدفع مكوسها المفروضة ثم يأمرهم بالذهاب الى حرا كزبيبهم ولا يبيعون شيئا حتى يأتيهم بنفسه او يحضره من يرسله من طرفه ثم يعودوا ثانيا عليهم فيحصى ما فى فرش احدهم عددا ويميز الكبير بثمن والصغير بثمن ويقول عند البائع من يشترى او يقف هو بنفسه ويبيع على الناس بما فرضه ويعطى صاحبه الثمن والربح خيراه قدر ربع العشرة فروش وما كثر بعد مكسه ومصاريف فيه ولذا لا يكفى مثلا شرع هذا القدر حتى تطمع ايضا فى الزيادة عليه وهو مع ذلك يكره و يطوف على غيرهم ويصلق على عايرة من اللحم الوارد الذى تقرر على المزارعين فيرتمونهم بالسعر المفروض وهو اربعة وعشرون نصفا الرطل ويرد عليهم الفوارغ ويعطيه للبائع بالثمن المقرر وهو ستة وعشرون ويمنعهم بزيادة نصفين فى كل رطل وهو ثمانية وعشرون ويناله الناس باسهل وجدان ما سالما من الخلط والغش ويأمرهم باعادة ما يجدونه من المرتة والعكار الى مواعينه ليوزن مع فوارغه وهذا ايضا مما يرد للناس ولولا كابر الدولة من السمن فيطلق البعض ويأخذ الباقى بالثمن وكذلك ما يأتيهم من الجلبخ والدجاج ولو كان لصاحب الدولة حسب انفه له بذلك كل ذلك

من عسكر الملك كورار توردى بالدبوس حتى كاد يموت فاشتفى بها بدين بك الحنق وركب الى كتخدا بك ونزل على المحتسب
وتعددت الشكاوى وصادفت
فى زمن واحد فانهى الامر الى
الباشا فتقدم اليه بكف
المحتسب عن هذه الافعال
فاحضره الكتخدا وزجره وامره
ان لا يتعدى بحكمه الباعة
ومن كان يجرى عليهم احكام
من كان فى منصبه قبله وان
يكون امامه الميزان ويؤدب
المستحق بالكرابيج دون
الدبوس

(واستهل شهر شوال بيوم
الخميس سنة ١٢٣٣)

فترك السروح فى ايام العيد
واشيع بين السوقة عزله
فاظهروا الفرح ورفعوا ما كان
ظاهرا بين ايديهم من السمن
والجبن واخفوه عن الاعين
ورجعوا الى حالتهم الاولى فى
الغش والخيانة وغلاء الاسعار
واغلق بعضهم الحانوت
وخرجوا الى المتنزهات وعملوا
ولائم (وفى رابعه) شنقوا
عدة اشخاص فى اماكن
متفرقة قيل انهم سراق وزغلية
وكانوا مسجونين فى ايام
رمضان ولم يركب المحتسب
حسب الامر بل اركب
خازنداره وطاف بالميزان
عوضا عنه ثم ركب هو ايضا
وبيده الدبوس لكن دون
الحالة الاولى فى الجبروت ولم
يسر حكمه على النصارى فضلا
عن غيرهم (وفى عاشره يوم
السبت) نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة وشقوا بها من وسط الشارع الى المشهد الحسينى (وفى يوم السبت سابع عشره)

سعدوير كوا ابنه فى مخاصمته فحمل على ابيه فلما رآه ابوه ظن انه لم يعرفه فقال له انا
فلان فقال اياك اردت فحينئذ امتنع منه وولى الابن منهزما ووصل اتابك سعد الى
البلاد فملكها بمالكها واخذ ابنه اسيرا فحبسه الى الآن الا انني سمعت الآن وهو
سنة عشرين وستمائة انه قد خفف حبسه ووسع عليه ولما عاد خوارزمشاه الى خراسان
غدر سعد بالامير الذى عنده فقتله ورفع عن طاعة خوارزمشاه واشتغل خوارزمشاه
بالحادثة العظمى التى شغلته عن هذا وغيره لكن الله انتقم له بابنه غياث الدين كما
ذكرناه سنة عشرين وستمائة لان سعدا كفر احسان خوارزمشاه وكفر الاحسان
عظيم العقوبة

(ذكر ظهور الفرنج الى الشام ومسيرهم الى ديار مصر وملكهم مدينة دمياط وعودها الى المسلمين)

كان من اول هذه الحادثة الى آخرها اربع سنين غير شهر وانما ذكرناها ههنا لان
ظهورهم كان فيها ومتجاهاتها متتابعة لينلو بعضها بعضا فنقول فى هذه السنة
وصلت امداد الفرنج فى البحر من رومية الكبرى وغيرها من بلاد الفرنج فى الغرب
والشمال الا ان المتولى لها كان صاحب رومية لانه ينزل عند الفرنج بمنزلة عظيمة
لا يرون مخالفة امره ولا العدول عن حكمه فيما سرهم وساءهم فجهز العساكر من عنده
مع جماعة من مقدمى الفرنج وامر غيره من ملوك الفرنج ان يسير بنفسه او يرسل جيشا
ففعلوا ما امرهم فاجتمعوا بعكا من ساحل الشام وكان الملك العادل ابو بكر بن ايوب
بمصر فسار منها الى الشام فوصل الى الرملة ومنها الى لد وبرز الفرنج من عكا ليقصدوه
فسار العادل نحوهم فوصل الى نابلس عازما على ان يسبقهم الى اطراف البلاد مما
يلى عكا ليحميها منهم فساروا هم فسبقوه فنزل على بيسان من الاردن فتقدم الفرنج اليه
فى شعبان عازمين على محاربته لعلمهم انه فى قلة من العسكر لان العساكر كانت
متفرقة فى البلاد فلما رأى العادل قربهم منه لم ير ان يلقاهم فى الطائفة التى معه خوفا
من هزيمة تكون عليه وكان حازما كثير الحذر ففارق بيسان نحو دمشق ليقيم بالقرب
منها ويرسل الى البلاد ويجمع العساكر فوصل الى مرج الصفر فنزل فيه وكان اهل
بيسان وتلك الاعمال لما رأوا الملك العادل عندهم اطمأنوا فلم يفارقوا بلادهم ظنا
منهم ان الفرنج لا يقدمون عليه فلما اقدموا ساروا على غفلة من الناس فلم يقدر على
النجاة الا القليل فاخذ الفرنج كل ما فى بيسان من ذخائر قد جمعت وكانت كثيرة
وغنموا شيئا كثيرا ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس وبثوا السرايا فى القرى
فوصلت الى خسفين ونوى واطراف السواد ونازلوا بانياس واقاموا عليها ثلاثة ايام
ثم عادوا واعتنوا الى مرج عكا ومعهم من الغنائم والسبى والاسرى ما لا يحصى كثرة سوى
ما قتلوا واحرقوا واهلكوا فاقاموا اياما استراحوا ثم جاؤوا الى صور وقصدوا بلد
الشقيف ونزلوا بينهم وبين بانياس مقدار فرسخين فنهبوا البلاد صيدا والشقيف
وعادوا الى عكا وكان هذا من نصف رمضان الى العيد والذى سلم من تلك البلاد كان

فقدم بين يديه اميرا كبيرا في خمسة عشر الف فارس واتبعه هو فسار حتى وصل الى اسدآباد فاتاه امير آخر فسار من همذان يومين او ثلاثة فسقط عليهم من الثلج ما لم يسمع بمثله فهلكت دوابهم ومات كثير منهم وطمع فيمن بقى منهم بنو برجم الاتراك وبنو هكار الاكراد فتخطفوهم فلم يرجع منهم الى خوارزمشاه الا اليسير فتطير خوارزمشاه من ذلك الطريق وعزم على العود الى خراسان خوفا من التتر لانه ظن انه يقضي حاجته ويفرغ من ارادته في المدة اليسيرة فتطاول عليه ورأى البيكار بين يديه طويلا فعزم على العود وولى همذان اميرا من اقاربه من جهة والدته يقال له طائيسى وجعل في البلاد جميعها ابنه ركن الدين وجعل معه متوليا لامر دولته عماد الملك الساوى وكان عظيم القدر عنده وكان يحرضه على قصد العراق وعاد خوارزمشاه الى خراسان فوصل الى مرو في المحرم سنة خمس عشرة وستمائة وسار من وجهه الى ما وراء النهر ولما قدم الى نيسابور جلس يوم الجمعة عند المنبر وامر الخطيب بترك الخطبة للخليفة الناصر لدين الله وقال انه قد مات وكان ذلك في ذي القعدة سنة اربع عشرة وستمائة ولما قدم مرو قطع الخطبة بها وكذلك ببلخ وبخارا وسرخس وبقى خوارزم وسمرقند وهراة لم تقطع الخطبة فيها الا عن قصد لتركها لان البلاد كانت لا تعارض من اشباه هذا ان احبوا خطبوا وان ارادوا قطعوا فبقيت كذلك الى ان كان منه ما كان وهذه من جملة سعادات هذا البيت الشريف العباسي لم يقصده احد باذى الا لقيه فعله وخبث نيته لا جرم لم يمهل هذا خوارزمشاه حتى جرى له ما نذكره مما لم يسمع بمثله في الدنيا قديما ولا حديثا

﴿ذكر ما جرى لاتابك سعد مع اولاده﴾

لما قتل اغلمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان وما بينهما من البلاد جمع اتابك سعد بن دكلا صاحب فارس عساكره وسار من بلاده الى اصفهان فملكها واطاعه اهلها فطمع في تلك البلاد جميعها فسار من اصفهان الى الرى فلما وصل اليها لقى عساكر خوارزمشاه قد وصلت كما ذكرناه فعزم على محاربة مقدمة العسكر فقاتلها حتى كاد يهزمها فظهرت عساكر خوارزمشاه ورأى الجتر فسقط في يديه والقى نفسه وضعفت قوته وقوة عسكره فولوا الادبار واخذ اتابك سعد اسيرا واحضر بين يدى خوارزمشاه فاكرمه وطيب نفسه ووعده الاحسان واستصحبه معه الى ان وصل الى اصفهان فسيره منها الى بلاده وهي تجاورها وسير معه عسكرا مع امير كبير ليتسلم منه ما كان استقر بينهما فانهما اتفقا على ان يكون لخوارزمشاه بعض البلاد ولاتابك سعد بعضها وتكون الخطبة لخوارزمشاه في البلاد جميعها وكان اتابك سعد قد استخلف ابنه على البلاد فلما سمع الابن بامر ابيه خطب لنفسه بالمملكة وقطع خطبة ابيه فلما وصل ابوه ومعه عسكر خوارزمشاه امتنع الابن من تسليم البلاد الى ابيه وجمع العساكر وخرج يقاتله فلما تراءى الجمعان انحازت عساكر فارس الى صاحبهم اتابك

احكامها فن رأس العين باقى الكدر (وفى اواخر رمضان) زاد المحتسب في تعمات العنبر وهو انه ارسل مناديه في مصر القديمة ينادى على نصارى الارمن والاروام والشوام باخلاء البيوت التي عمروها وزخرفوها وسكنوها بالاتاه والملك والمزاحمة المطلة على النيل وان يعودوا الى زيهم الاول من لبس العمائم الزرق وعدم ركوبهم الخيول والبغال والرهوانات الفارهة واستخدامهم المسلمين فتقدم اغاظ منهم الى الباشا بالشكوى وحورا في جانبهم لانهم صاروا اخصاء الدولة وجلساء الحضرة وندماء الصحبة (وايضا) نادى مناديه على المردان وحلق اللحى بانهم يتركونها ولا يحلقونها وجميع العسكر وغالب الاتراك سنتهم حلق اللحى ولو طعن في السن فاشيع فيهم ان يامرهم بترك عاداتهم وذلك خرم لقواعدهم بل يرونه من الكبائر وكذلك السيد محمد المحروقي بسبب تعرضه الى بضائع التجار واهل القدورية فان ذلك منوط به (وفى اثناء ذلك) ورد الى عابدين بك مواعين سمن فارسل الجمال الى حملها من ساحل بولاق فبلغ خبرها المحتسب فاخذها وادخلها مخزنه وعادت الجمال فارغة واخبروا المخدوم بحجز المحتسب لها فارسل عدة من العسكر فاتوه وامن المخزن واخذوها ولم يكن المحتسب حاضرا واتفق انه ضرب شخصا

عوض السلاحل جسرا عظيما امتنعوا به من سلوك النيل ثم انهم قاتلوا عليه أيضا قتالا
شديدا كثيرا متتابعا حتى قطعوه فلما قطع أخذ الملك الكامل عدة مراكب كبارا وملأها
بحجارة وغرقها في النيل فمنعت المراكب من سلوكه فلما رأى الفرنج ذلك قصدوا خليجا
هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري عليه قديما فحفروا ذلك الخليج وعمقوه فوق
المراكب التي جعلت في النيل وأجروا الماء فيه الى البحر المالح واصعدوا مراكبهم
فيه الى موضع يقال له بورة على أرض الجيزة أيضا مقابل المنزلة التي فيها الملك الكامل
ليقاتلوه من هناك فانهم لم يكن لهم اليه طريق يقاتلونه فيها كانت دمياط تحجز بينهم
وبينه فلما صاروا في بورة حاذوه فقاتلوه في الماء وزحفوا اليه غير مرة فلم يظفروا بطائل
ولم يتغير على اهل دمياط شئ لان الميرة والامداد متصلة بهم والنيل يحجز بينهم وبين
الفرنج فهم ممتنعون لا يصل اليهم اذى وابوابها مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق
ولا ضرر فاتفق لما يريد الله عز وجل ان الملك العادل توفي في جمادى الآخرة من سنة
خمس عشرة وستمائة على ما نذكره ان شاء الله فضعفت نفوس الناس لانه السلطان
حقيقة واولاده وان كانوا ملوكا الا انهم بحكمه والامر اليه وهو ملكهم البلاد فاتفق
موته والحال هكذا من مقاتلة العدو وكان من جملة الامراء بمصر امير يقال له عماد الدين
احمد بن علي ويعرف بابن المشطوب وهو من الاكراد الهكارية وهو اكبر امير بمصر وله
لفيف كثير وجميع الامراء ينقادون اليه ويطيعونه لاسيما الاكراد فاتفق هذا الامير
مع غيره من الامراء وارادوا ان يخلعوا الملك الكامل من الملك ويملكوا اخاه الملك
الفائز بن العادل ليصير الحكم اليهم عليه وعلى البلاد فبلغ الخبر الى الكامل ففارق
المنزلة ليلا جريدة وسار الى قرية يقال لها اشموم طناح فنزل عندها واصبح العسكر وقد
فقدوا سلطانهم فركب كل انسان منهم هواه ولم يقف الاخ على اخيه ولم يقدروا على اخذ
شئ من خيامهم وذخائرهم واموالهم واسلحتهم الا اليسير الذي يخف حمله وتركوا الباقي
بحاله من ميرة وسلاح ودواب وخيام وغير ذلك ولحقوا بالكامل واما الفرنج فانهم
اصبحوا من الغد فلم يروا من المسلمين احدا على شاطئ النيل كجاري عادتهم فبقوا
لا يدرون ما الخبر واذا قد اتاهم من اخبرهم الخبر على حقيقته فعبروا حينئذ النيل الى بر
دمياط آمنين بغير منازع ولا ممانع وكان عبورهم في العشرين من ذي القعدة سنة
خمس عشرة وستمائة فغنموا ما في عسكر المسلمين فكان عظيما يعجز العادين وكان
الملك الكامل قد فارق الديار المصرية لانه لم يثق باحد من عسكره وكان الفرنج ملكوا
الجميع بغير تعب ولا مشقة فاتفق من لطف الله تعالى بالمسلمين ان الملك المعظم عيسى
ابن الملك العادل وصل الى اخيه الكامل بعد هذه الحركة بيومين والناس في امر مريج
فقوي به قلبه واشتد ظهره وثبت جنانه واقام بمنزلته واخرجوا ابن المشطوب الى الشام
فاتصل بالملك الاشرف وصار من جنده فلما عبر الفرنج الى ارض دمياط اجتمعت العرب
على اختلاف قبائلها ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وافسدوا وبالغوا
في الافساد فكانوا اشد على المسلمين من الفرنج وكان اضر شئ على اهل دمياط انها

وكانت الخوج في هذه السنة كثيرة من سائر الاجناس اتراك وططر وبشناق وجركس
وفلاحين ومن سائر الاجناس
ورجع الكثير من المسافرين
على بحر القلزم الى الحجاز من
السويس لقلة المراكب
التي تحملهم وغصت المدينة
من كثرة الزحام زيادة على ما
بها من ازدحام العساكر واخلاط
العالم من فلاحي القرى
المشيعين والمسافرين ومن
يرد من الآفاق والبلاد
الشامية ونصارى الروم
والارمن والدلالة والواردين
والذين استدعاهم الباشا
من الدروز والمتاولة والنصيرية
وغيرهم لعمل الصنائع
والمزارع وشغل الحرير
وما اتخذه بوادي الشرق حتى
ان الانسان يقاسي الشدة
والهول اذا مر بالشارع من
كثرة الازدحام ومرور الخيالة
وجر الاوسق والجمال التي
تحمل الاتربة والانقاض
والاحجار لعمائر الدولة
سوى ما عداها من حمول
الاحطاب والبضائع والتراسين
حتى الزحمة في داخل العطف
الضيقة وزيادة على ذلك كثرة
الكلاب بحيث يكون في
القطعة من الطريق نحو
الخمسين ثم صياحها ونباحها
المستمر وخصوصا في الليل
على المارين وتشاجرها مع
بعضها مما يزعج النفوس
ويمنع الهجوع وقد احسن
الفرنساوية بقتلهم الكلاب فانهم لما استقروا وتمكنوا ورءوهم ونظروا الى كثرة الكلاب من غير حاجة ولا

فحملته حتى قدر على النجاة ولقد بلغني ان العادل لما سار الى مرج الصفر رأى في طريقه رجلا يحمل شيئا وهو يمشي تارة ويقف تارة فعدل اليه وحده فقال له يا شيخ لا تعجل وارفق بنفسك فعرفه الرجل فقال يا سلطان المسلمين انت لا تعجل فانا اذا رأيناك قد سرت الى بلادك وتركتنا مع الاعداء كيف لا نعجل وبالجملة فالذي فعله العادل هو الحزم والمصلحة لئلا يخاطر بالقتال على حال تفرق من العساكر ولما نزل العادل على مرج الصفر سير ولده الملك المعظم عيسى وهو صاحب دمشق في قطعة صالحة من الجيش الى نابلس ليمنع الفرنج عن البيت المقدس

(ذكر حصر الفرنج قلعة الطور وتخريبها)

لما نزل الفرنج عن عكا تجهزوا واخذوا معهم آلة الحصار من مجانيق وغيرها وقصدوا قلعة الطور وهي قلعة منيعة على رأس جبل بالقرب من عكا كان العادل قد بناها عن قريب فتقدموا اليها وحصروها وزحفوا اليها وصعدوا في جبلها حتى وصلوا الى سورها وكادوا يملكونه فاتفق ان بعض المسلمين ممن فيها قتل بعض ملوكهم فعادوا عن القلعة فتركوها وقصدوا عكا وكان مدة مقامهم على الطور سبعة عشر يوما ولما فارقوا الطور اقاموا قريبا ثم ساروا في البحر الى ديار مصر على ما نذكره ان شاء الله تعالى فتوجه الملك المعظم الى قلعة الطور فخربها الى ان الحقها بالارض لانها بالقرب من عكا ويتعذر حفظها

(ذكر حصر الفرنج دمياط الى ان ملكوها)

لما عاد الفرنج من حصار الطور اقاموا بعكا الى ان دخلت سنة خمس عشرة وستمائة فساروا في البحر الى دمياط فوصلوا في صفر فارسوا على بر الجيزة بينهم وبين دمياط النيل فان بعض النيل يصب في البحر المالح عند دمياط وقد بني في النيل برج كبير منيع وجعلوا فيه سلاسل من حديد غلاظ ومدوها في النيل الى سور دمياط لتمنع المراكب الواصلة من البحر المالح ان تصعد في النيل الى ديار مصر ولولا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدو لا يقدر احد على منعها عن اقاصي ديار مصر وادانيها فلما نزل الفرنج على بر الجيزة وبينهم وبين دمياط النيل بنوا عليهم سورا وجعلوا خندقا يمنعهم ممن يريدهم وشرعوا في قتال من بدمياط وعملوا آلات ومرمات وابراجا يزحفون بها في المراكب الى هذا البرج ليقاتلوه ويملكوه وكان البرج مشحونا بالرجال وقد نزل الملك الكامل ابن الملك العادل وهو صاحب دمياط وجميع ديار مصر بمنزلة تعرف بالعادلية بالقرب من دمياط والعساكر متصلة من عنده الى دمياط ليمنع العدو من العبور الى ارضها وادام الفرنج قتال البرج وتابعوه فلم يظفروا منه بشيء وكسرت مرماتهم وآلاتهم ومع هذا فهم ملازمون لقتاله فبقوا كذلك اربعة اشهر ولم يقدروا على اخذه ثم بعد ذلك ملكوا البرج فلما ملكوه قطعوا السلاسل لتدخل مراكبهم من البحر المالح في النيل ويتحكموا في البر فنصب الملك الكامل

اداروا المحمل وخرج امير الركب ١٤٨ الى خارج باب النصر وصار حجاج كثير من ناحية المغرب الى بر انبابة وبولاق وطفقوا يشترون الاغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها ببولاق ويطرقها على الناس جزافا من غير وزن ويذهب الكثير من الناس الى الشراء منهم فيقعون في الغبن الفاحش والزيادة على السعر بالضعف واكثر وضرورتهم في الشراء منهم رداءة ما يحمله القصابون من المذبح من اغنام الباشا المحضرة من البلاد والقرى وقد هزلت من السفر والاقامة بالجوع والعطش ويموت الكثير منها قبل لمونه ويرمونه على الجزارين بالبيع للناس وفيه المتغير الرائحة وما تعافه النفوس فبسبب ذلك اضطر الناس الى الشراء من هؤلاء الاجناس بالغبن وتحمل سوء اخلاقهم وحصل بينهم وبين بعض العسكر شرور وقتل بينهم قتلى ومجاريح والباشا وحكام الوقت يتغافلون عنهم خوفا من وقوع الفتن ثم ارتحلوا لانهم كثروا وملؤا الازقة والنواحي وحضر ايضا الركب الفاسي وفيه ولدا السلطان سليمان ومن بصحبتهما فاحسن الباشا نزلهم وتقيد السيد محمد المحروقي بلاقاتهم ولوازمهم وانزلوهم في منزل بجوار المشهد الحسيني واجريت عليهم نفقات تليق بهم واهدى لهم الباشا هدية وفيها عدة بغال وبراذين وغير ذلك (وفي ثامن عشرينه) ارتحل الحج المصري من البركة عوض

واستقامت له الامور الى سنة ثمان عشرة وستمائة والملك الكامل مقابل الفرنج فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة تقاعد الملك الاشرف عن انجاده فارسل يستنجده واخاه صاحب دمشق فسار صاحب دمشق يحثه على المسير فغفل وسار الى دمشق فيمن معه من العساكر وامر الباقين باللحاق به الى دمشق واقام بها ينتظرهم فاشار عليه بعض امرائه وخواصه بانفاذ العساكر والعود الى بلاده خوفا من اختلاف يحدث فلم يقبل قولهم وقال قد خرجت للجهاد ولا بد من اتمام ذلك العزم فسار الى مصر وكان الفرنج قد ساروا من دمياط الفارس والراجل وقصدوا الملك الكامل ونزلوا مقابله بينهما خليج من النيل يسمى بحر اشمون وهم يرمون بالمنجنيق والجرخ الى عسكر المسلمين وقد تيقنوا هم وكل الناس انهم يملكون الديار المصرية واما الاشرف فانه سار حتى وصل مصر فلما سمع اخوه الكامل بقربه منهم توجه اليه فلقيه واستبشر هو وكافة المسلمين باجتماعهما لعل الله يحدث بذلك نصرا وظفرا واما الملك المعظم صاحب دمشق فانه سار ايضا الى ديار مصر وقصد دمياط ظنا منه ان اخويه وعسكريهما قد نازلوها وقيل بل اخبر في الطريق ان الفرنج قد توجهوا الى دمياط فسابقهم اليها ليلقاهم من بين ايديهم واخواه من خلفهم والله اعلم ولما اجتمع الاشرف بالكامل استقر الامر بينهما على التقدم الى خليج من النيل يعرف ببحر المحلة فتقدموا اليه فقاتلوا الفرنج وازدادوا قربا وتقدمت شواني المسلمين من النيل وقاتلوا شواني الفرنج فاخذوا منها ثلاث قطع بمن فيها من الرجال وما فيها من الاموال والسلاح ففرح المسلمون بذلك واستبشروا وتفاءلوا وقويت نفوسهم واستطالوا على عدوهم هذا يجري والرسل مترددة بينهم في تقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم البيت المقدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين ما عدا الكرك ليسلموا دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلثمائة الف دينار عوضا عن تخريب القدس ليعمروه بها فلم يتم بينهم امر وقالوا لا بد من الكرك فبينما الامر في هذا وهم يمتنعون فاضطر المسلمون الى قتالهم وكان الفرنج لاقتدارهم في نفوسهم لم يستصحبوا معهم ما يقوتهم عدة ايام ظنا منهم ان العساكر الاسلامية لا تقوم لهم وان القرى والسواد جميعه يبقى بايديهم ياخذون منه ما ارادوا من الميرة لامر يريده الله تعالى بهم فعبر طائفة من المسلمين الى الارض التي عليها الفرنج ففجروا النيل فركب الماء اكثر تلك الارض ولم يبق للفرنج جهة يسلكون منها غير جهة واحدة فيها ضيق فنصب الكامل حينئذ الجسور على النيل عند اشمون وعبرت العساكر عليها فملكت الطريق الذي يسلكه الفرنج ان ارادوا العود الى دمياط فلم يبق لهم خلاص واتفق في تلك الحال انه وصل اليهم مركب كبير للفرنج من اعظم المراكب يسمى مرمة وحوله عدة حراقات تحميه والجميع مملوء من الميرة والسلاح وما يحتاجون اليه فوقع عليها شواني المسلمين وقاتلوهم فظفروا بالمرمة وبما معها من الحراقات واخذوها فلما راى الفرنج ذلك سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا الصواب بمفارقة دمياط في ارض يجهلونها هذا وعساكر المسلمين محيطة

ذهب وفيها مرجان وجوهر وشيلان وكباش ونقود واقمشة هندية وعساكر وارز ١٥١ (وفيه) وصل فيل آخر كبير وروا به من وسط المدينة وذهبوا به الى رحبة بيت السيد محمد المحروقي فوقفوا به في اواخر النهار والناس تجتمع للفرجة عليه الى اواخر النهار ثم ذهبوا به الى القلعة واوقفوه بالطبخانه وهي محل عمل المدافع وحضر بصحبته شخص يدعي العلم والمعرفة بالطب والحكمة ومعه مجلد كبير في حجم الوسادة يحتوي على الكتب الستة المحمدية وخطه دقيق قال انه استنسخه ونزل ببيت السيد محمد المحروقي وركب له معجون الجواهر انفق فيه جملة من المال وكذلك ورك ركب ايضا تراكيب اخرى وشرط عليهم في الاستعمال بعد مضي ستة اشهر ومضى منها بعد شهرين وثلاثة واقام اياما ثم سافر راجعا الى صنعاء (وفي يوم الثلاثاء عاشره) كان عيد النحر ولم يرد فيه مواشي كثيرة كالاعياد السابقة من الاغنام والجواميس التي تاتي من الارياف فكانت تزدحم منها الاسواق لكثرتها والوكائل والرميلة فلم يرد الا النزر القليل قبل النحر بيومين وبيع بالثمن الغالي ولم يذبح الجزارون في ايام النحر للبيع كعادتهم الا القليل منهم مع التصبير على الجلود وعلى من يشتريها وتباع لطرف الدولة بالثمن الرخيص جدا • وانقضت السنة مع استمرار ما تجدد فيها من الحوادث التي منها ما حدث في آخر السنة من

لم يكن بها من العسكر احد لان السلطان ومن معه من العساكر كانوا عندها يمنعون العدو عنها فاتتهم هذه الحركة بغتة فلم يدخلها احد من العسكر وكان ذلك من فعل ابن المشطوب لا جرم لم يمهله الله واخذه اخذة رابية على ما نذكره ان شاء الله تعالى واحاط الفرنج بدمياط وقاتلوها برا وبحرا وعملوا عليهم خندقا يمنعهم ممن يريدهم من المسلمين وهذه كانت عادتهم وادامو القتال واشتد الامر على اهلها وتعذرت عليهم الاقوات وغيرها وسئموا القتال وملازمته لان الفرنج كانوا يتناوبون القتال عليهم لكثرتهم وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال بينهم مناوبة ومع هذا فصبروا صبرا لم يسمع بمثله وكثر القتل فيهم والجراح والموت والامراض ودام الحصار عليهم الى السابع والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة فعجز من بقي من اهلها عن الحفظ لقلتهم وتعذر القوت عندهم فسلموا البلد الى الفرنج في هذا التاريخ بالامان فخرج منهم قوم واقام آخرون لعجزهم عن الحركة فتفرقوا ايدي سبا

(ذكر ملك المسلمين دمياط من الفرنج)

لما ملك الفرنج دمياط اقاموا بها وبثوا سراياهم في كل ما جاورهم من البلاد ينهبون ويقتلون فجلى اهلها عنها وشرعوا في عمارتها وتحصينها وبالغوا في ذلك حتى انها بقيت لا ترام واما الملك الكامل فانه اقام بالقرب منهم في اطراف بلاده يحميها ولما سمع الفرنج في بلادهم بفتح دمياط على اصحابهم اقبلوا يهرعون من كل فج عميق واصبحت دار هجرتهم وعاد الملك المعظم صاحب دمشق الى الشام فخرب البيت المقدس في ذي القعدة من السنة وانما فعل ذلك لان الناس كافة خافوا الفرنج واشرف الاسلام وكافة اهله وبلاده على خطة خسف في شرق الارض وغربها اقبل التتر من المشرق حتى وصلوا الى نواحي العراق واذربيجان واران وغيرها على ما نذكره ان شاء الله تعالى واقبل الفرنج من المغرب فملكوا مثل دمياط في الديار المصرية مع عدم الحصون المانعة بها من الاعداء واشرف سائر البلاد بمصر والشام على ان تملك وخافهم الناس كافة وصاروا يتوقعون البلاء صباحا ومساء واراد اهل مصر الجلاء عن بلادهم خوفا من العدو ولات حين مناص والعدو قد احاط بهم من كل جانب ولو مكنهم الكامل من ذلك لتركوا البلاد خاوية على عروشها وانما منعهم فامتنعوا وثبتوا وتابع الملك الكامل كتبه الى اخويه المعظم صاحب دمشق والملك الاشرف موسى بن العادل صاحب ديار الجزيرة وارمينية وغيرهما يستنجدهما ويحثهما على الحضور بانفسهما فان لم يمكن فيرسلان العساكر اليه فسار صاحب دمشق الى الاشرف بنفسه فرآه مشغولا عن انجاده بما دهمه من اختلاف الكلمة عليه وزوال الطاعة عن كثير ممن كان يطيعه ونحن نذكر ذلك سنة خمس عشرة وستمائة ان شاء الله عند وفاة الملك القاهر صاحب الموصل فليطلب من هناك فعذره وعاد عنه وبقي الامر كذلك مع الفرنج فاما الملك الاشرف فزال الخلف من بلاده ورجع الملوك الخارجون عن طاعته اليه

منقعة سرى الجبهة والهواء وخصوصا عليهم لغرابة اشكالهم فطاف عليها طائفة منهم بالعجم المنجوم فيما اصبح النهار الا وجميعها موتى مطروحة بجميع الشوارع فكان الناس والصغار يعبثون بها كذا باعجبا الى الخلاء واستغاثت الارض ومن فيها منها فالله يكشف عنا مطالق الكرب في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

(واستهل شهر ذي القعدة سنة ١٢٣٢)

في خامسه يوم الاربعاء وليلة الخميس ارتحل ركب الحجاج المغاربة من الحصوة (وفي اواخره) حصل الامر للفقهاء بالازهر بقراءة صحيح البخاري فاجتمع الكثير من الفقهاء والمجاورين وفرقوا بينهم اجزاء وكراريس من البخاري يقرؤون فيها مقدار ساعتين من النهار بعد الشروق فاستمروا على ذلك خمسة ايام وذلك بقصد حصول النصر لابراهيم باشا على الوهابية وقد طالت مدة انقطاع الاخبار عنه وحصل لابيه قلق زائد ولما انقضت ايام قراءة البخاري نزل للفقهاء عشرون كيسا فرقت عليهم وكذلك على اطفال المكاتب

(واستهل شهر ذي الحجة بيوم الاحد سنة ١٢٣٢)

في رابعه شنقوا اشخاصا قيل انهم خمسة وقيل انهم حرامية (وفيه) ارسلت الافيال الثلاثة الى دار السلطنة صحبة الهدايا المرسلة ثلاثة تقصر درج

واستقامت

العظيم من العامة وغيرهم لعمل القورج حول البلد وقلق الناس لذلك وانزعجوا وعاينوا الهلاك واعدوا السفن ليحملوا فيها وظهر الخليفة للناس وحثهم على العمل وكان مما قال لهم لو كان يفدى ما ارى بمال او غيره لفعلت ولو دفع بحرب لفعلت ولكن امر الله لا يرد ونبع الماء من البلاليع والآبار من الجانب الشرقي وغرق كثير منه وغرق مشهد ابي حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدي وقرية الملكية والكشك وانقطعت الصلاة بجامع السلطان واما الجانب الغربي فتهدم اكثر القرية ونهر عيسى والشطيات وخربت البساتين ومشهد باب التبن ومقبرة احمد بن حنبل والحريم الطاهري وبعض باب البصرة والدور التي على نهر عيسى واكثر محلة قطفتا وفيها توفي احمد بن ابي الفضائل عبد المنعم بن ابي البركات محمد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله ابن سعيد بن ابي الخير الميهني الصوفي ابو الفضل شيخ رباط الخليفة ببغداد وكان صالحا من بيت التصوف والصلاح

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة)

(ذكر وفاة الملك القاهر وولاية ابنه نور الدين وما كان من الفتن بسبب موته الى ان استقرت الامور)

في هذه السنة توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود ابن زنكي بن آق سنقر صاحب الموصل ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الاول وكانت ولايته سبع سنين وتسعة اشهر وكان مرضه انه اخذته حمى ثم فارقته الغد وبقي يومين موعوكا ثم عاودته الحمى مع قيء كثير وكرب شديد وقلق متتابع ثم بردت بدنه وعرق وبقي كذلك الى وسط الليل ثم توفي وكان كريما حليما قليل الطمع في اموال الرعية كافا عن اذى يوصله اليهم مقبلا على لذاته كانه ينهبها ويبادر بها الموت وكان عنده رقة شديدة ويكثر ذكر الموت * حكى لي بعض من كان يلازمه قال كنا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده فقال لي قد وجدت ضجرا من القعود فقم بنا نمشي الى الباب العمادي قال فقمنا نخرج من داره نحو الباب العمادي فوصل التربة التي عملها لنفسه عند داره فوقف عندها مفكرا لا يتكلم ثم قال لي والله ما نحن في شيء اليس مصيرنا الى ههنا وندفن تحت الارض واطال الحديث في هذا ونحوه ثم عاد الى الدار فقلت له الا نمشي الى الباب العمادي فقال ما بقي عندي نشاط الى هذا ولا الى غيره ودخل داره وتوفي بعد ايام واصيب اهل بلاده بموته وعظم عليهم فقده وكان محبوبا اليهم قريبا من قلوبهم ففي كل دار لاجله رنة وعويل ولما حضرته الوفاة اوصى بالملك لولده الاكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره نحو عشر سنين وجعل الوصي عليه والمدبر لدولته بدر الدين لؤلؤا وهو الذي كان يتولى دولة القاهر ودولة ابيه نور الدين قبله وقد تقدم من اخباره ما يعرف به محله وسيرد منها ايضا ما يزيد الناظر بصيرة فيه فلما قضى نحبه قام بدر الدين بامر نور الدين واجلسه في مملكة ابيه وارسل الى الخليفة يطلب له التقليد

نادياعلى اختلاسه وتغرير الغير وهذا شأن الموجود الحاصل بضلع النساجين واستئناف العمل المجدد فان الموكل بالناحية ومباشريها يستدعون من كل قرية شخصا معروفا من مشايخها فيقيمونه وكيلا ويعطونه مبلغا من الدراهم ويأمرونه باحصاء الانوال والشغالين والبطالين منهم في قريته فيأمرون البطالين بالعمل في الانوال التي ليس لاصحابها ... كغيرهم على طرف الميرى ويدفع المتوكل لشخصين او ثلاثة دراهم يطوفون بها على النساء اللاتي يغزلن الكتان بالنواحي ويجعلونه ادرعا فيشترون ذلك منهن بالثمن المفروض ويأتون به الى القباجين ثم تجمع اصناف الاقمشة في اماكن للبيع بالثمن الزائد وجعلوا لبيعها اماكن مثل خان ابو طاقية وخان الجلاد وبمجلس المعلم كرمان ومن معه وغير ذلك وبلغ ثمن الثوب القطان الذي يقال له البطانة الى ثلثمائة نصف فضة بعدما كان يشترى بمائة نصف واقل واكثر بحسب الرداءة والجودة وادركناه يباع في الزمن السابق بعشرين نصفا وبلغ ثمن القطع القماش الغليظ الى ستمائة نصف فضة وكان يباع باقل من ثلث ذلك وقس على ذلك باقي الاصناف وهذه البقية أشنع البدع المحدثة فان ضررها عم الغني والفقير والجليل والحقير والحكم لله

بهم يرمونهم بالنشاب ويحملون على اطرافهم فلما اشتد الامر على الفرنج امر قوا خيامهم ومجانيقهم وا ثقالهم وارادوا الزحف الى المسلمين ومقاتلتهم لعلهم يقدرون على العود الى دمياط قرا وأما المسلمون بعيدا وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكثرة الوحل والمياه حولهم والوجه الذى يقدرون على سلوكه قد ملكه المسلمون فلما تيقنوا انهم قد احيط بهم من سائر جهاتهم وان الميرة قد تعذر عليهم وصولها وان المنايا قد كشرت لهم عن انيابها ذلت نفوسهم وتنكست صلبانهم وضل عنهم شيطانهم فراسلوا الملك الكامل والاشرف يطلبون الامان ليسلموا دمياط بغير عوض فبينما المراسلات مترددة اذ اقبل جيش كبير لهم رهج شديد وجلبة عظيمة من جهة دمياط فظنه المسلمون نجدة اتت للفرنج فاستشعروا واذا هو الملك المعظم صاحب دمشق قد وصل اليهم وكان قد جعل طريقه على دمياط لما ذكرناه فاشتدت ظهور المسلمين وازداد الفرنج خذلانا ووهنا وتمموا الصلح على تسليم دمياط واستقرت القاعدة والايمان سابع رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة وانتقل ملوك الفرنج وكنودهم وقمامصتهم الى الملك الكامل والاشرف رهائن على تسليم دمياط ملك عكا ونائب البابا وصاحب رومية وكندريش وغيرهم وعدتهم عشرون ملكا وراسلوا قسوسهم ورهبانهم الى دمياط فى تسليمها فلم يمتنع من بها وسلموها الى المسلمين تاسع رجب المذكور وكان يوما مشهودا ومن العجب ان المسلمين لما تسلموها وصلت للفرنج نجدة فى البحر فلو سبقوا المسلمين اليها لامتنعوا من تسليمها ولكن سبقهم المسلمون ليقضى الله امرا كان مفعولا ولم يبق بها من اهلها الا آحاد وتفرقوا ايدى سبا بعضهم سار عنها باختياره وبعضهم مات وبعضهم اخذه الفرنج ولما دخلها المسلمون راوها حصينة قد حصنها الفرنج تحصينا عظيما بحيث بقيت لا ترام ولا يوصل اليها واعاد الله سبحانه وتعالى الحق الى نصابه ورده الى اربابه واعطى المسلمين ظفرا لم يكن فى حسابهم فانهم كانت غاية امانيهم ان يسلموا البلاد التى اخذت منهم بالشام ليعيدوا دمياط فرزقهم الله اعادة دمياط وبقيت البلاد بايديهم على حالها فالله المحمود المشكور على ما انعم به على الاسلام والمسلمين من كف عادية هذا العدو وكفاهم شر التتر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى المحرم كانت ببغداد فتنة بين اهل المامونية وبين اهل باب الازج بسبب قتل سبع وزاد الشر بينهم واقتتلوا فجرح بينهم كثير فحضر نائب الباب وكفهم عن ذلك فلم يقبلوا فشتموه واسمعوه ما يكره فارسل من الديوان امير من مماليك الخليفة ورد اهل كل محلة الى محلتهم وسكنت الفتنة وفيها كثر الفار ببلد دجيل من اعمال بغداد وكان الانسان لا يقدر ان يجلس الا ومعه عصا يرد الفار عنه وكان يرى الكثير منه ظاهرا يتبع بعضه بعضا وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة لم يشاهد فى قديم الزمان مثلها واشرفت بغداد على الغرق فركب الوزير وكافة الامراء والاعيان وجمعوا الخلق

المحجر وضبط اموال الحيا كة وكل ما يصنع بالمكوك وما ينسج على نول او نحوه من جميع الاصناف من ابريسم او حرير او كتان الى الحيش والقل والحصير فى سائر الاقليم المصرى طولا وعرضا قبلى وبحرى من الاسكندرية ودمياط الى اقصى بلاد الصعيد والفيوم وكل ناحية تحت حكم هذا المتولى وانتظمت لهذا الباب دواوين بيت محمد دبلك الخازندار وايام بيت السيد محمد المحروقى وبحضرة من ذكر والمعلم غالى ومتولى كبر ذلك والمفتح لابوابه المعلم يوسف كتعان الشامى والمعلم منصور ابو سرعون القبطى ورتبوا الضبط ذلك كتابا ومباشرين يتفرقون بالنواحى والبلدان والقرى وما يلزم لهم من المصاريف والمعاليم والمشاهرات ما يكفيهم فى تشهيلهم وخدمتهم فمضى المتعينون لذلك فيحصون ما يكون موجودا على الانوال بالناحية من القماش والبز والاكسية الصوف المعروفة بالزعابيط والعقاقى ويكتبون عدده على ذمة الصانع ويكون ملزوما به حتى اذا تم نسجه دفعوا لصاحبه ثمنه بالفرض الذى يفرضونه وان اراده صاحبه اخذه من الوكلاء بالثمن الذى يقدرونه بعد الختم عليها من طرفيها بعلامة المبرى فان ظهر وعند شخص شيء من غير علامة المبرى أخذت منه بل وعوقب وغرم

هذا الحديث من الموصل واتصل الآن العسكر البدري محاصر للعمادية وبها زنكي ثم ان بعض الامراء من عسكر الموصل ممن لا علم له بالحرب وكان شجاعا وهو حديث الامارة أراد ان يظهر شجاعته ليزداد بها تقدما واشار على من هناك من العسكر بالتقدم الى العمادية ومباشرتها بالقتال وكانوا قد تأخروا عنها شتاء لشدة البرد والثلج فلم يوافقوه وتبعوا رأيه فتركهم ورحل متقدما اليهم ليلا فاضطروا الى اتباعه خوفا عليه من اذى يصيبه ومن معه فساروا اليه على غير تعبية في اضيق المسالك ولانه أعجلهم عن ذلك وحكم الثلج عليهم ايضا فسمع زنكي ومن معه فنزلوا ولقوا اوائل الناس وأهل مكة أخبر بشعابها فلم يثبتوا لهم وانهزموا وعادوا الى منزلتهم ولم يقف العسكر عليهم فاضطروا الى العود فلما عادوا راسل زنكي باقي قلاع الهكارية والزوزان واستدعاهم الى طاعته فأجابوه وسلموا اليه فجعل فيها الولاة وتسلمها وحكم فيها

‌(ذكر اتفاق بدر الدين مع الملك الاشرف)

لما رأى بدر الدين خروج القلاع عن يده واتفاق مظفر الدين وعماد الدين عليه ولم يبق معهم الا ترك الشدة وانهما لا يزالان يسعيان في اخذ بلاده ويتعرضان الى اطرافها بالنهب والأذى أرسل الى الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل وهو صاحب ديار الجزيرة كلها الا القليل وصاحب خلاط وبلادها يطلب منه الموافقة والمعاضدة وانتمى اليه وصار في طاعته منخرطا في سلك موافقته فأجابه الاشرف بالقبول والفرح به والاستبشار وبذل له المساعدة والمعاضدة والمحاربة دونه واستعادة ما اخذ من القلاع التي كانت له وكان الملك الاشرف حينئذ بحلب نازلا بظاهرها لما ذكرناه من تعرض كيكاوس ملك بلاد الروم التي بيد المسلمين قونية وغيرها الى اعمالها وملكوا بعض قلاعها فارسل الى مظفر الدين يقبح هذه الحالة ويقول له ان هذه القاعدة تقررت بين جميعنا بحضور رسلك واننا نكون على الناكث الى ان يرجع الى الحق ولا بد من اعادة ما اخذ من بلاد الموصل لندوم على اليمين التي استقرت بيننا فان امتنعت واصررت على معاضدة زنكي ونصره فأنا أجيء بنفسي وعساكري واقصد بلادك وغيرها واسترد ما اخذتموه واعيده الى اصحابه والمصلحة ان توافق وتعود الى الحق لنصرف شغلنا جميع العساكر وقصد الديار المصرية واجلاء الفرنج عنها قبل ان يعظم خطبهم ويستطير شرهم فلم يحصل الاجابة منه الى شيء من ذلك وكان ناصر الدين محمود صاحب الحصن وآمد قد امتنع من موافقة الاشرف وقصد بعض بلاده ونهبها وكذلك صاحب ماردين واتفقا مع مظفر الدين فلما رأى الاشرف ذلك جهز عسكرا وسيره الى نصيبين نجدة لبدر الدين ان احتاج اليهم

‌(ذكر انهزام عماد الدين زنكي من العسكر البدري)

لما عاد العسكر البدري من حصار العمادية وبها زنكي كما ذكرناه قويت نفسه وفارقها وعاد الى قلعة العقر التي له ليتسلط على اعمال الموصل بالصحراء فان بلد الجبل

البلاء ووجه المقبور مصور على تمثال صورته التي كان عليها في حال حياته وتماثيل آدمية من الحجر الصوان الاسود المنقط الذي لا يعمل فيه الحديد جالسين على كراسي واضعين ايديهم على الركب وبيد كل واحد شبه مفتاح وبين اصابعه اليسرى والشخص مع كرسيه قطعة واحدة مفرغ معه اطول من قامة الرجل الطويل وعلو رأسه نصف دائرة مشبه في علو الشبر وهم شبه العبيد المشوهين الصورة وهم ستة على مثال واحد كأنما افرغوا في قالب واحد يحمل الواحد منهم الجملة من العتالين وفيهم السابع من رخام أبيض جميل الصورة واحضروا ايضا رأس صنم كبير دفعوا في اجرة السفينة التي احضروه فيها ستة عشر كيسا منها ثلثمائة وعشرون ألف نصف فضة وارسلوها الى بلادهم لتباع هناك باضعاف ما صرفوه عليها وذلك عندهم من جملة المتاجر في الاشياء الغريبة ولما سمعت بالصور المذكورة ذهبت بصحبة ولدنا الشيخ مصطفى باكير المعروف بالساعاتي وسيدي ابراهيم المهدي الانكليزي الى بيت قنصل بدرب البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة جهة الازبكية وشاهدت ذلك كما ذكرته وتعجبنا من صناعتهم وتشابيه موصلة الى ابدانهم الباقية على عمر السنين والقرون التي لا يعلم قدرها الا علام الغيوب وارادوا الاطلاع

والتشريف وأرسل الى الملوك وأصحاب الاطراف المجاورين لهم يطلب تجديد العهود لنور الدين على القاعدة التي كانت بينهم وبين أبيه فلم يصبح الا وقد فرغ من كل ما يحتاج اليه وجلس للعزاء وحلف الجند والرعايا وضبط المملكة من التزلزل والتغير مع صغر السلطان وكثرة الطامعين في الملك فانه كان معه في البلد اعمام ابيه وكان عمه عماد الدين زنكي بن ارسلان شاه بولايته وهي قلعة عقر الحميدية يحدث نفسه بالملك لا يشك في ان الملك يصير اليه بعد أخيه فرقع بدر الدين ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق وتابع الاحسان والخلع على كافة الناس وغير ثياب الحداد عنهم فلم يخص بذلك شريفا دون مشروف ولا كبيرا دون صغير واحسن السيرة وجلس لكشف ظلامات الناس وانصاف بعضهم من بعض وبعد ايام وصل التقليد من الخليفة لنور الدين بالولاية ولبدر الدين بالنظر في أمر دولته والتشريف لهما ايضا واتتهم رسل الملوك بالتعزية وبذل ما طلب منهم من العهود واستقرت القواعد لهما

(ذكر ملك عماد الدين زنكي قلاع الهكارية والزوزان)

قد ذكرنا عند وفاة نور الدين سنة سبع وستمائة انه اعطى ولده الاصغر زنكي قلعتي العقر وشوش وهما بالقرب من الموصل فكان تارة يكون بالموصل وتارة بولايته متجنيا لكثرة تلونه وكان بقلعة العمادية مستحفظ من مماليك جده عز الدين مسعود بن مودود فقيل انه جرى له مع زنكي مراسلات في معنى تسليم العمادية اليه فنمى الخبر بذلك الى بدر الدين فبادره بالعزل مع أمير كبير وجماعة من الجند فلم يمكنه الامتناع وسلم القلعة الى نائب بدر الدين كذلك وجعل بدر الدين في غير العمادية من القلاع نوابا وكان نور الدين بن القاهر لا يزال مريضا من جروح كانت به وغيرها من الامراض وكان يحتجب المدة الطويلة لا يركب ولا يظهر للناس فارسل زنكي الى من بالعمادية من الجند يقول ان ابن أخي توفي ويريد بدر الدين يملك البلاد وانا أحق بملك آبائي واجدادي فلم يزل حتى استدعاه الجند بها ووصلوا اليه ثامن عشر رمضان سنة خمس عشرة وستمائة وقبضوا على النائب البدري وعلى من معه فوصل الخبر الى بدر الدين ليلا فنفذ في الامر ونادى في العسكر ليلته بالرحيل فساروا مجدين الى العمادية وبها زنكي ليحصروه فيها فلم يطلع الصبح الا وقد فرغ من تسيير العساكر فساروا الى العمادية وحصروها وكان الزمان شتاء والبرد شديد والثلج هناك كثير فلم يتمكنوا من قتال من بها لكنهم اقاموا يحصرونها وقام مظفر الدين كوكبري بن زين الدين صاحب اربل في نصر عماد الدين وتحزب له لما اتفقا فراسله بدر الدين يذكره الايمان والعهود التي من جملتها انه لا يتعرض الى شيء من اعمال الموصل ومن جملتها قلاع الهكارية والزوزان باسمائها ومتى تعرض اليها احد من الناس منعه بنفسه وعساكره وأعان نور الدين وبدر الدين على منعه وبما ابتدأه بالزوفة منها ثم نزل عن هذا ورضي منه بالسكوت لا لهم ولا عليهم فلم يفعل واظهر معاضدة عماد الدين زنكي فحينئذ تمكن من مكاثرة زنكي بالرجال والعساكر لقرب

العمل الكبير (ومنها) أن المنار الذي بجوار القصر الذي بالآثار أنشأه على الهيئة الرومية التي ابتدعوها في عمارتهم بقصر وهدموه وعمروه وبيضوه في ايام قليلة وذلك انه بات هناك ليلتين فأعجبه هواؤه فاختار بناءه على هواه وقيد تمامه وتنظيمه بالفرش والزخارف وجعل يتردد الى المبيت به بعض الاحيان مع السراري والغلمان كما ينتقل من قصر الجيزة ومصر والازبكية والقلعة وغيرها من سراياته واولاده واصحابه والملك لله الواحد القهار (ومنها) ان طائفة من الافرنج الانكليز قصدوا الاطلاع على الاهرام المشهورة الكائنة ببر الجيزة غربي الفسطاط لان طبيعتهم ورغبتهم الاطلاع على الاشياء المتغربات والفحص عن الجزئيات وخصوصا الآثار القديمة وعجائب البلدان والتصاوير والتماثيل التي في المغارات والبرابي بالناحية القبلية وغيرها ويطوف منهم اشخاص في مطاق الاقاليم بقصد هذا الغرض ويصرفون لذلك جملا من المال في نفقاتهم ولوازمهم وحوائجهم حتى انهم ذهبوا الى اقصى الصعيد واحضروا قطع احجار عليها نقوش واقلام وتصاوير وتواويس من رخام ابيض كان بداخلها موتى بأكفانهم واجسامها باقية بسبب الاطلية والادهان الحافظة للعالمين

والخصم بالقرب منهم فمنعه بدر الدين وقال متى انتقلت انت ومن معك في هذا الليل ربما ظنه الناس هزيمة فلا يقف احد فاقام بمكانه وهو في جمع كبير من العسكر فلما انتصف الليل سار ايبك فامره بدر الدين بالمقام الى الصبح لقرب العدو منهم فلم يقبل لجهله بالحرب فاضطر الناس لاتباعه فتقطعوا في الليل والظلمة والتقوا هم والخصم في العشرين من رجب على ثلاثة فراسخ من الموصل فاما عز الدين فانه تيامن والتحق بالميمنة وحمل في اطلابه هو والميمنة على ميسرة مظفر الدين فهزمها وبها زنكي وكان الامير الذي انتقل الى الميمنة قد ابعد عنها فلم يقاتل فلما رأى ايبك قد هزم الميسرة تبعه وتقدم اليه مظفر الدين فيمن معه في القلب لم يتفرقوا فلم يمكنه الوقوف فعاد الى الموصل وعبر دجلة الى القلعة ونزل منها الى البلد فلما رآه الناس فرحوا به وساروا معه وقصد باب الجسر والعدو بازائه بينهم دجلة فنزل مظفر الدين فيمن سلم معه من عسكره وزايل حصن نينوى فاقام ثلاثة ايام فلما رأى اجتماع العسكر البدري بالموصل وانهم لم يفقد منهم الا اليسير وبلغه الخبر ان بدر الدين يريد العبور اليه ليلا بالفارس والراجل على الجسور وفي السفن ويكبسه فرحل ليلا من غير ان يضرب كاسا او بوقا وعاد والعسكر اربل المساهير والزاب نزلوا ثم جاءت الرسل وسعوا في الصلح فاصطلحوا على ان كل من بيده شيء هو له وتقررت العهود والايمان على ذلك

ذكر ملك عماد الدين قلعة كواشى وملك بدر الدين تل يعفر وملك الملك الاشرف سنجار

كواشى هذه من احصن قلاع الموصل واعلاها وامنعها وكان الجند الذين بها لما راوا ما فعل اهل العمادية وغيرها من التسليم الى زنكي وانهم قد تحكموا في القلاع لا يقدر احد على الحكم عليهم احبوا ان يكونوا كذلك فاخرجوا نواب بدر الدين عنهم وامتنعوا بها وكانت رهائنهم بالموصل وهم يظهرون طاعة بدر الدين ويبطنون المخالفة فترددت الرسل في ردهم الى الطاعة فلم يفعلوا وراسلوا زنكي في الحضور اليهم وتسليم القلعة وقام عندهم فحضر وراسل مظفر الدين يذكره بالايمان القريبة العهد ويطلب منه اعادة كواشى فلم تقع الاجابة الى ذلك فارسل حينئذ بدر الدين الى الملك الاشرف وهو بحلب يستنجده فسار وعبر الفرات الى حران واختلفت عليه الامور من عدة جهات منعته من سرعة السير وسبب هذا الاختلاف ان مظفر الدين كان يراسل الملوك اصحاب الاطراف ليستميلهم ويحسن لهم الخروج على الاشرف ويخوفهم منه ان خلا وجهه فاجابه الى ذلك عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم وصاحب آمد وحصن كيفا وصاحب ماردين واتفقوا كلهم على طاعة كيكاوس وخطبوا له في بلادهم ونحن نذكر ما كان بينه وبين الاشرف عند منبج لما قصد بلاد حلب فهو موغر الصدر عليه فاتفق ان كيكاوس مات في ذلك الوقت وكفي الاشرف وبدر الدين شره ولا جد الا ما اقعص عنك الرجال وكان مظفر الدين قد واصل جماعة من الامراء

صدور اهل الفهم المتفننين في العلوم كلها نقليها وعقليها وادبيها اليه انتهت الرياسة في العلوم بالديار المصرية وباهت مصر ما سواها بتحقيقاته البهية استنبط الفروع من الاصول واستخرج نفائس الدرر من بحور المعقول والمنقول واودع الطروس فوائد وقلدها غرر الخرائد الاستاذ الشيخ محمد بن محمد بن احمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن محمد السنباوي المالكي الازهري الشهير بالامير وهو لقب جده الادنى احمد وسببه ان احمد واباه عبد القادر كان لهما امرة بالصعيد واخبر في المترجم من لفظه ان اصلهم من المغرب نزلوا بمصر عند سيدي عبد الوهاب ابي التخصيص كما اخبر عن ذلك بوثائق لهم ثم التزموا بحصة بناحية سنبو وارتحلوا اليها وقطنوا بها وبها ولد المترجم وكان مولده في شهر ذي الحجة سنة اربع وخمسين ومائة والف باخبار والده وارتحل معهما الى مصر وهو ابن تسع سنين وكان قد ختم القرآن وجوده على الشيخ المنير على طريقة الشاطبية والدرة وحبب اليه طلب العلم فاول ما حفظ متن الآجرومية وسمع سائر الصحيح والشفاء على سيدي علي بن العربي السقاط وحضر دروس اعيان عصره واجتهد في التحصيل ولازم دروس الشيخ الصعيدي في الفقه وغيره من كتب المعقول وحضر على السيد البليدي شرح السعد على

صاحب المدارك فذهب والبهلوانيه واخبروا واحضر والقفلة والمباحي والقلقشان

كان الفرنج منهم مع مظفر الدين بطائفة كثيرة من العسكر فلما اتصل الخبر ببدر الدين
سير طائفة من عسكره الى اطراف بلد الموصل يحمونها فاقاموا على اربعة فراسخ من
الموصل ثم انهم اتفقوا بينهم على المسير الى زنكي وهو عند العقر في عسكره ومحاربته فقعلوا
ذلك ولم يأخذوا امر بدر الدين بل اعلموه وتبسيرهم جريدة ليس معهم الا سلاحهم ودواب
يقاتلون عليها فساروا اليلتهم وصبحوا زنكي بكرة الاحد لاربع بقين من المحرم من سنة
ست عشر وستمائة فالتقوا واقتتلوا تحت العقر وعظم الخطب فانزل الله نصره على
العسكر البدرى فانهزم عماد الدين وعسكره وساروا الى اربل منهزما وعاد العسكر البدرى
الى منزلته التى كان بها وحضرت الرسل من الخليفة الناصر لدين الله ومن الملك
الاشرف فى تجديد الصلح فاصطلحوا وتحالفوا بحضرة الرسل

(ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل وملك اخيه)

ولما تقرر الصلح توفى نور الدين ارسلان شاه ابن الملك القاهر صاحب الموصل وكان
لا يزال مريضا بعدة امراض فرتب بدر الدين فى الملك بعده اخاه ناصر الدين وله من
العمر نحو ثلاث سنين ولم يكن للقاهر ولد غيره وحلف له الجند وركبه فطابت نفوس
الناس لان نور الدين كان لا يقدر على الركوب لمرضه فلما ركب هذا علموا ان لهم
سلطانا من البيت الاتابكى فاستقروا واطمأنوا وسكن كثير من الشغب بسببه

(ذكر انهزام بدر الدين من مظفر الدين)

لما توفى نور الدين وملك اخوه ناصر الدين تجدد لمظفر الدين ولعماد الدين طمع لصغر
سن ناصر الدين فجمعا الرجال وتجهزا للحركة فظهر ذلك وقصد بعض اصحابهم طرف
ولاية الموصل بالنهب والفساد وكان بدر الدين قد سير ولده الاكبر فى جمع صالح من
العسكر الى الملك الاشرف يطلب نجدة له بسبب اجتماع الفرنج بمصر وهو يريد ان
يدخل بلاد الفرنج التى بساحل الشام بينهما ليخرج اليهود بعض من بدمياط الى
بلادهم فيخف الامر على الملك الكامل صاحب مصر فلما راى بدر الدين تحرك مظفر
الدين وعماد الدين وان بعض عسكره بالشام ارسل الى عسكر الملك الاشرف الذى
بنصيبين يستدعيهم ليعتضد بهم وكان المقدم عليهم مملوك الاشرف اسمه ايبك فسار الى
الموصل رابع رجب سنة ست عشرة فلما رآهم بدر الدين استقلهم لانهم كانوا اقل من
العسكر الذى له بالشام ومثلهم فخرج ايبك على عبور دجلة وقصد بلاد اربل فنعه بدر
الدين من ذلك وامره بالاستراحة فنزل بظاهر الموصل اياما واصر على عبور دجلة فعبرها
بدر الدين موافقة له ونزلوا على فرسخين من الموصل شرقى دجلة فلما سمع مظفر الدين
ذلك جمع عسكره وسار اليهم ومعه زنكى فعبر الزاب وسبق خبره فسمع به بدر الدين فجمع
اصحابه وجعل ايبك فى الساقة ومعه شجعان اصحابه واكثرهم منه بحيث انه لم يبق
معه الا اليسير وجعل فى ميسرته اميرا كبيرا وطلب الانتقال عنها الى الميمنة فنقله فلما
كان وقت العشاء الآخرة اعاد ذلك الامير الطلب بالانتقال من الميمنة الى الميسرة

عن ابي الاهرام واذن لهم
وعبروا الى داخلها واخرجوا
منها اتربة كثيرة من زبل
الوطاويط وغيره ونزلوا الى
الزلاقة ونقلوا منها ترابا كثيرا
وزبلا فانتهوا الى بيت مربع
من الحجر الصوان غير مبلط
هذا ما بلغنا عنهم وحفروا
حوالى الرأس العظيمة التى
بالقرب من الاهرام التى
تسميها الناس رأس ابى الهول
فظهر انه جسم كامل عظيم من
حجر واحد ممتد كانه راقد على
بطنه رافع رأسه وهى التى
رآها الناس وبا فى جسمه
تخريب بما انهال عليه من
الرمال وساعد اه من رقبته
عمدان امامه وبين يديه
صندوق مربع الى استطالة
من صحاق احمر عليه نقوش
شبيه قلم الطير فى ذاته صورة
سبع مجسم من حجر دهون
بمكان احمر بابيض بارسط
ذراعيه فى هذا والتكلب وجدوه
ايضا الى بيت القنصل ورأيته
يوم ذاك وقيس المرتفع من
جسم ابى الهول من عند صدره
الى اعلى رأسه فكان اثنين
وثلاثين ذراعا وهى نحو
الربع من باقى جسمه واقاموا
فى هذا العمل نحوا من اربعة
اشهر (واما من مات فى هذه
السنة من المشاهير) ومات
العالم العلامة الفاضل الفهامة
صاحب التحقيقات الرائقة والتأليفات الفائقة شيخ شيوخ اهل العلم وصدر

والخصم

بفضله واستجازوه وأجازهم به وبما يجوز له من اشياخه وصنف عدة مؤلفات اشتهرت بايدى الطلبة وهى فى غاية

فسبحان الحى الدائم الذى ليس لملكه آخر وكان مدة ملكهم لها اربعا وتسعين سنة وهذا دأب الدنيا بابنائها فتعسا لها من دار ما اغدرها بابنائها

٭(ذكر وصول الاشرف الى الموصل والصلح مع مظفر الدين)٭

لما ملك الاشرف سنجار سار يريد الموصل ليجتاز منها الى اربل لمساعدة بدر الدين فكان يصل كل يوم منهم جمع كثير ثم وصل هو فى آخرهم يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان يوم وصوله مشهودا واتاه رسل الخليفة ومظفر الدين فى الصلح وبذل تسليم القلاع المأخوذة جميعها الى بدر الدين ما عدا قلعة العمادية فانها تبقى بيد زنكى وان المصلحة قبول هذا القول لئلا يقع الاشتغال بجهاد الفرنج وطال الحديث فى ذلك نحو شهرين ثم رحل الاشرف يريد مظفر الدين صاحب اربل فوصل الى قرية السلامية بالقرب من نهر الزاب وكان مظفر الدين نازلا عليه من جانب اربل فاعاد الرسل وكان العسكر قد طال بيكاره والناس قد ضجروا وناصر الدين صاحب آمد يميل بهواه الى مظفر الدين فاشار بالاجابة الى ما بذل واعانه عليه غيره فوقعت الاجابة اليه واصطلحوا على ذلك وجعل لتسليمها اجل وسلم زنكى الى الملك الاشرف يكون عنده رهينة الى حين تسليم القلاع وسلمت قلعة العقر وقلعة شوش ايضا وهما لزنكى الى نواب الاشرف رهنا على تسليم ما استقر من القلاع فاذا سلمت اطلق زنكى واعيد عليه قلعة العقر وقلعة شوش وحلفوا على هذا وسلم الاشرف الى زنكى القلعتين وعاد الى سنجار وكان رحيله عن الموصل ثانى شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستمائة فارسلوا الى القلاع لتسلم الى نواب بدر الدين فلم يسلم اليه غير قلعة جل صورا من اعمال الهكارية واما باقى القلاع فان جندها اظهروا الامتناع من ذلك ومضى الاجل ولم يسلم الا جل صورا ولزم عماد الدين زنكى لشهاب الدين غازى ابن الملك العادل وخدمه وتقرب اليه فاستعطف له اخاه الملك الاشرف فمال اليه واطلقه وازال نوابه من قلعة العقر وشوش وسلمهما اليه وبلغ بدر الدين عن الملك الاشرف ميل الى قلعة تل يعفر وانها كانت لسنجار من قديم الزمان وحديثه وطال الحديث فى ذلك فسلمها اليه بدر الدين

٭(ذكر عود قلاع الهكارية والزوزان الى بدر الدين)٭

لما ملك زنكى قلاع الهكارية والزوزان لم يفعل مع اهلها ما ظنوه من الاحسان والانعام بل فعل ضده وضيق عليهم وكان يبلغهم افعال بدر الدين مع جنده ورعاياه واحسانه اليهم وبقاء الاموال عليهم فكانوا يريدون العود اليه ويمنعهم الخوف منه لما اسلفوه من ذلك فلما كان الآن اطاعوا واتفقوا معهم فارسلوا الى بدر الدين فى المحرم سنة ثمان عشرة وستمائة فى التسليم اليه وطلبوا منه اليمين والعفو عنهم وذكروا شيئا من اقطاع يكون لهم فاجابهم الى ذلك وارسل الى الملك الاشرف يستأذنه فى ذلك فاذن له وعاد زنكى من عند الاشرف فجمع وعاود حصر قلعة العمادية فلم يبلغ منهم

التحرير منها مصنف فى فقه مذهبه سماه المجموع حاذى به مختصر خليل جمع فيه الراجح فى المذهب وشرحه شرحا نفيسا وقد صار كل منهما مقبولا فى ايام شيخه العدوى حتى كان اذا توقف شيخه فى موضع يقول هاتوا مختصر الامير وهى منقبة شريفة وشرح مختصر خليل وحاشية على المغنى لابن هشام وحاشية على الشيخ عبد الباقى على المختصر وحاشية على الشيخ عبد السلام على الجوهرة وحاشية على شرح الشذور لابن هشام وحاشية على الازهرية وحاشية على الشنشورى على الرحبية فى الفرائض وحواش على المعراج وحاشية على شرح الملوى على السمرقندية ومؤلف سماه مطلع النيرين فيما يتعلق بالقدرتين واتحاف الانس فى الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس ورفع التلبيس عما يسئل به ابن خميس وثمر التمام فى شرح آداب الفهم والافهام وحاشية على المجموع وتفسير سورة القدر ومن نظمه قوله متغزلا

ايها السيد المدل ضاعت ٭ فى الهوى حيلتى وامسيت نسكى
بالك الله اعل لى وافى ٭ وتحكم ولو عليه بعشقى

والنار الحق فى طول عناء ٭ كل شئ يحمده غير النار ٭ (وله فى التشبيه) ٭ يا حسن لون الشمس عند غروبها ٭

عقائد النسفي والاربعين النووية ومقدمة الموطا على هلال المغرب وعالمها الشيخ محمد التاودي بن سودة بالجامع الازهر سنة وروده بقصد الحج ولازم المرحوم الوالد حسنا الجبرتي سنين وتلقى عنه الفقه الحنفي وغير ذلك من الفنون كالهيئة والهندسة والفلكيات والاوفاق والحكمة عنه وبواسطة تلميذه الشيخ محمد بن اسمعيل النفراوي المالكي وكتب له اجازة مثبتة في برنامج شيوخه وحضر الشيخ يوسف الحفني في آداب البحث وبانت سعاد وعلى الشيخ محمد الحفني اخيه مجالس من الجامع الصغير والشمايل والهمم القيطي في المولد وعلى الشيخ احمد الجوهري في شرح الجوهرة للشيخ عبد السلام وسمع منه المسلسل بالاولية وتلقى عنه طريق الشاذلية من سلسلة مولاي عبد الله الشريف وشملته اجازة الشيخ الملوي وتلقى عنه مسائل في اواخر ايام انقطاعه بالمنزل ومرض العجب وتصدر لالقاء الدروس في حياة شيوخه ونما امره واشتهر فضله خصوصا بعد موت اشياخه وشاع ذكره في الآفاق وخصوصا بلاد المغرب وتاتيه الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحي في كل عام ووفد عليه الطالبون للاخذ عنه والتلقي منه وتوجه في بعض المقتضيات الى دار السلطنة والتي هنالك دروسا حضرها بها علماؤهم وشهدوا

الدين مع الاشرف واستحلفهم فاجابوه منهم احمد بن علي بن المشطوب الذي تقدم ذكر انه فعل على دمياط ما فعل وبدوا كبرا من معه ووافقه غيره منهم عز الدين محمد بن بدر الحميدي وغيرهما وفارقوا الاشرف ونزلوا بدنيسر تحت ماردين ليجتمعوا مع صاحب آمد ويمنعوا الاشرف من العبور الى الموصل لمساعدة بدر الدين فلما اجتمعوا هنالك عاد صاحب آمد الى موافقة الاشرف وفارقهم واستقر الصلح بينهما وسلم اليه الاشرف مدينة حاني وجبل جور وضمن له اخذ دارا وسلمها اليه فلما فارقهم صاحب آمد انحل امرهم فاضطر بعض اولئك الامراء الى العود الى طاعة الاشرف وبقي ابن المشطوب وحده فسار الى نصيبين ليسير الى اربل فخرج اليه شحنة نصيبين فيمن عنده من الجند فاقتتلوا فانهزم ابن المشطوب وتفرق من معه من الجمع ومضى منهزما فاجتاز بطرف بلد سنجار فسير اليه صاحبها فروخشاه بن زنكي بن مودود بن زنكي عسكرا فهزموه واخذوه اسيرا وحملوه الى سنجار وكان صاحبها موافقا للاشرف وبدر الدين فلما صار عنده ابن المشطوب حسن له مخالفة الاشرف فاجابه الى ذلك واطلقه فاجتمع معه من يريد الفساد فقصدوا البقعا من اعمال الموصل ونهبوا فيها عدة قرى وعادوا الى سنجار ثم ساروا وهو معهم الى تل يعفر وهي لصاحب سنجار ليقصدوا بلد الموصل وينهبوا في تلك الناحية فلما سمع بدر الدين بذلك سير اليه عسكرا فقاتلوه فمضى منهزما وصعد الى تل يعفر واحتمى بها منهم ونازلوه وحصروه فيها فسار بدر الدين من الموصل اليه يوم الثلاثاء لتسع بقين من ربيع الاول سنة سبع عشرة وستمائة وجد في حصره وزحف اليها مرة بعد اخرى فملكها سابع عشر ربيع الآخر من هذه السنة واخذ ابن المشطوب معه الى الموصل فحبسها ثم اخذه منه الاشرف فحبسه بحران الى ان توفي في ربيع الآخر سنة تسع عشرة وستمائة ولقاه الله عقوبة ما صنع بالمسلمين بدمياط واما الملك الاشرف فانه لما اطاعه صاحب الحصن وآمد وتفرق الامراء كما ذكرناه رحل من حران الى دنيسر فنزل عليها واستولى على بلد ماردين وشحن عليه واقطعه ومنع الميرة عن ماردين وحضر معه صاحب آمد وترددت الرسل بينه وبين صاحب ماردين في الصلح فاصطلحوا على ان يأخذ الاشرف راس العين وكان هو قد اقطعها لصاحب ماردين ويأخذ منه ايضا ثلاثين الف دينار ويأخذ منه صاحب آمد الموزر من بلد شبختان فلما تم الصلح سار الاشرف من دنيسر الى نصيبين يريد الموصل فبينما هو في الطريق لقيه رسل صاحب سنجار يبذل تسليمها اليه ويطلب العوض عنها مدينة الرقة وكان السبب في ذلك اخذ تل يعفر منه فانخلع قلبه واضاف الى ذلك ان ثقاته واهله خانوه وزادوه رعبا وقالوا انهم يريدون فتعجلوا به قبل ان يتعدى بهم ولانه قطع رحمه وقتل اخاه الذي ملك سنجار بعد ابيه فقتله كما ذكرنا فان شاء الله وملكها فلقاه الله سوء فعله ولم يمتعه بها فلما تيقن رحيل الاشرف تحير في امره فارسل في التسليم اليه فاجابه الاشرف الى العوض وسلم اليه الرقة وتسلم سنجار مستهل جمادى الاولى سنة سبع عشرة وستمائة وفارقها هو واخوته باهليهم واموالهم وكان هذا آخر ملوك البيت الاتابكي بسنجار

فيمان

الافضل بملكها فيسهل عليهم الامر فلما راوا ضد ذلك وقفوا له شهاب الدين اتابك
ولد الظاهر صاحب حلب فانه ملازم قلعة حلب لا ينزل منها ولا يفارقها البتة وهذه
كانت عادته مدة ملك الظاهر خوفا من ثائر يثور به فلما حدث هذا الامر خاف ان
يحصر ويسلم اهل البلد والجند المدينة الى الافضل لميلهم اليه فارسل الى الملك
الاشرف ابن الملك العادل صاحب الديار الجزرية وخلاط وغيرها يستدعيه ليكونوا
ما اعتبطه ويخطبوا له ويجعل السكة باسمه وياخذ من اعمال حلب ما اختار ولان ولد
الظاهر هو ابن اخته فاجاب الى ذلك وسار اليهم في عساكره التي عنده وارسل الى الباقين
يطلبهم اليه وصبر ذلك للمصلحة العامة بجمعهم واحضر اليه العرب من طيئ وغيرهم
ونزل بظاهر حلب ولما اخذ كيكاوس تل باشر كان الافضل يشير بمعاجلة حلب قبل
اجتماع العساكر بها وقبل ان يحتاطوا ويتجهزوا فعاد عن ذلك وصار يقول الرأى
اننا نقصد منبج وغيرها لئلا يبقى لهم وراء ظهورنا شئ قصد التمادى ومرور الزمان فى
لا شئ فتوجهوا من تل باشر الى جهة منبج وتقدم الاشرف نحوهم وسارت العرب فى
مقدمته وكان طائفة من عسكر كيكاوس نحو الف فارس قد سبقت مقدمة له فالتقوا
هم والعرب ومن معهم من العسكر الاشرفى فاقتتلوا فانهزم عسكر كيكاوس وعادوا
اليه منهزمين واكثر العرب الاسر منهم والنهب لجودة خيلهم ورديء خيل الروم فلما وصل
اليه اصحابه منهزمين لم يثبت بل ولى على اعقابه يطوى المراحل الى بلاده خائفا يترقب
فلما وصل الى اطراف بلاده اقام وانما فعل هذا لانه صبى وغر لا معرفة له بالحرب والا
فالعساكر ما برحت تقع مقدماتها بعضها على بعض فسار حينئذ الاشرف فملك رعبان
وحصر تل باشر وبها جمع من عسكر كيكاوس فقاتلوه حتى غلبوا فاخذت القلعة منهم
واطلقهم الاشرف فلما وصلوا الى كيكاوس جعلهم فى دار واحرقها عليهم فهلكوا
فعظم ذلك على الناس كافة واستقبحوه واستعظموه ولا جرم لم يمهله الله تعالى وعجل
عقوبته للؤم قدرته وشدة عقوبته وعدم الرحمة فى قلبه ومات عقيب هذه الحادثة
وسلم الاشرف تل باشر وغيرها من بلد حلب الى شهاب الدين اتابك صاحب حلب
وكان عازما على اتباع كيكاوس ويدخل بلاده فاتاه الخبر بوفاة ابيه الملك
العادل فاقتضت المصلحة العود الى حلب لان الفرنج بديار مصر ومثل ذلك السلطان
العظيم اذا توفى ربما جرى خلل فى البلاد لا تعرف العاقبة فيه فعاد اليها وكفى كل منهما
اذى صاحبه

* (ذكر وفاة الملك العادل وملك اولاده بعده) *

توفى الملك العادل ابو بكر بن ايوب سابع جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة
وقد ذكرنا ابتداء دولتهم عند ملك عمه اسد الدين شيركوه ديار مصر سنة اربع وستين
وخمسمائة ولما ملك اخوه صلاح الدين يوسف بن ايوب ديار مصر بعد عمه وسار الى
الشام استخلفه بمصر ثقة به واعتمادا عليه وعلما بما هو عليه من توفر العقل وحسن

وكان رحمه الله رقيق القلب لطيف المزاج ينزعج طبعه من غير انزعاج يكاد الوهم يؤلمه وسماع المنافر يوحشه ويسقمه ولما ضعفت قواه وتراخت اعضاؤه وزادت كراه ولم يزل يتعلل ويزداد انتقاصه ويتسلسل والامراض به تسلسل وداعى المنون عنه لا يتحول الى ان توفى يوم الاثنين عاشر ذى القعدة الحرام وكان له مشهد حافل جدا ودفن بالصحراء بجوار مدفن الشيخ عبد الوهاب العفيفى بالقرب من عمارة السلطان قايتباى وكثر عليه الاسف والحزن وخلف ولده العلامة النحرير الشيخ محمد الامير وهو الآن احد الصدور كوالده يقرأ الدروس ويفيد الطلبة ويحضر الدواوين والمجالس العالية بارك الله فيه * (ومات الشيخ الفقيه العلامة الشيخ خليل المدابغى) لكونه يسكن بحارة المدابغ حضر دروس الاشياخ من الطبقة الاولى وحصل الفقه والمعقول واشتهر فضله مع فقره وانجماعه عن الناس مشتغلا متواضعا ويكتسب من الكتابة بالاجرة ولم يتجمل بالملابس ولا بزى الفقهاء بل الخامل يظنه من جملة العوام توفى يوم الاثنين ثامن عشر ذى القعدة من السنة * (ومات الشيخ الفقيه الورع الشيخ عطيه المعروف بابى ذقن البولاقى) لسكنه ببولاق وكان ملازما لاقراء الدروس ببولاق

عن ضلالهم وعادوا وراسلوا بدر الدين في التسليم اليه فكتب الى الملك الاشرف في المعنى
وبذل له قلعة جديدة ونصيبين وبلا بين النهرين ليأذن له في اخذها فاذن له فارسل
اليها النواب وتسلموها واحسن الى اهلها ووصل زنكي منها ووفي له بدر الدين بما بذله له
فلما سمع جند باقي القلاع بما فعلوا وما وصلهم من الاحسان والزيادة رغبوا كلهم
في التسليم فسير اليهم النواب واتفقت كلمة اهلها على ما عصموا الانقياد اليه والعصيان
العساكر اجتمعت من الشام والجزيرة وديار بكر وخلاط وغيرها في استعادة هذه
القلاع فلم يقدروا على ذلك فلما تفرقوا حصروا اهلها ومالوا ان تؤخذ منهم فعادت صفرا
صفر اليدين منها فتبارك الله احسن من قال

لا سهل الا ما جعلت سهلا ■ وان تشا تجعل الحزن سهلا

فتبارك الله الفعال لما يريد لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع وهو على كل شيء قدير

● (ذكر قصد كيكاوس ولاية حلب وطاعة صاحبها للاشرف وانهزام كيكاوس) ●

في هذه السنة سار عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ملك الروم الى ولاية حلب قاصدا
للتغلب عليها ومعه الافضل بن صلاح الدين يوسف وسبب ذلك انه كان بحلب رجلان
فيهما شر كثير وسعاية بالناس فكانا ينهيان الى صاحبها الملك الظاهر بن صلاح الدين
عن رعيته فاوغرا صدره فلقي الناس منهما شدة فلما توفي الظاهر وولي الامر شهاب
الدين طغرل ابعدهما وغيرهما عن يفعل فعلهما وسد هذا الباب على فاعله ولم يطرق
اليه احد من اهل الشر فلما رأى الرجلان كساد سوقهما لزما بيوتهما وثار بهما الناس
وآذوهما وتهددوهما فخافا لما كانا اسلفاه من الشر ففارقا حلب وقصدا كيكاوس
فاطمعاه فيها وقررا في نفسه انه متى قصدها لا يثبت بين يديه وانه يملكها ويهون عليه
ملك ما بعدها فلما عزم على ذلك اشار عليه ذوو الراي من اصحابه وقالوا له لا يتم لك هذا
الا بان يكون معك احد من بيت ايوب ليسهل على اهل البلاد وجندها الانقياد اليه
وهذا الافضل بن صلاح الدين هو في طاعتك والمصلحة انك تستصحبه معك وتقرر
بينكما قاعدة فيما تفتحانه من البلاد فمتى كان معك اطاعك الناس وسهل عليك
ما تريد فاحضر الافضل من سميساط اليه واكرمه وحمل اليه شيئا كثيرا من الخيل
والخيام والسلاح وغير ذلك واستقرت القواعد بينهما ان يكون ما يفتحه من حلب
واعمالها للافضل وهو في طاعة كيكاوس والخطبة له في ذلك اجمع ثم يقصدون ديار
الجزيرة فما يفتحونه مما بيد الملك الاشرف مثل حران والرها من البلاد الجزرية
تكون لكيكاوس وجرت الايمان على ذلك وجمعوا العساكر وساروا فملكوا قلعة
رعبان فتسلمها الافضل فمال الناس حينئذ اليهما ثم سارا الى قلعة تل باشر وفيها
صاحبها ابن بدر الدين دلدرم الياروقي فحصروه وضيقوا عليه وملكوها منه فاخذها
كيكاوس لنفسه ولم يسلمها الى الافضل فاستشعر الافضل من ذلك وقال هذا اول الغدر
وخاف انه ان ملك حلب يفعل به هكذا فلا يحصل الا ان يكون قد قلع بيته بغيره
فتغيرت نيته واعرض عما كان يفعله وكذلك ايضا اهل البلاد فكانوا يظنون ان

الافضل

وروض انس نزهة الانفس دبجه وكانه في ناظري ● ● ذهب يجول على بساط سندس ● (وله ايضا) ●

خيلت ان الشمس والبحر تحتها
وقد بسطت منها عليه بوارق
مليح اتى المرآة ينظر وجهه
ففي وجهها من وجهه الضوء دافق

● (وله ايضا) ●

يا مالك القلب من بين الملاح وان
توهم الغير ان القلب مشترك
اني اغار على حبي له بك فغر
ايضا على قلب صب فيك مرتبك
وقل لهم يتهم والحسا نوله
نفوس سوءهم طرق الردى سلكوا
توهموا انهم حلوا وقد ملكوا
وبعض الفقهاء حلوا وما ملكوا
يا سيد الملك يا قطب الجمال ومن
في دولة الحسن يروى انه الملك
ما كان قلبي يهوى الغير يا املي
فابعث رسيسي اذا اهل الهوى هلكوا
واستقصا اليمين واروم حب شامل لي
ليشتفي خاطر بالفكر يعترك
بلطف ذاتك لا تقطع رجاء فتى
على محبته بالعهد يمتسك

● (وله ايضا) ●

دع الدنيا فليس بها سرور
يتم ولا من الاخوان تسلم
وتعرض الله تقدم نحرضا
فهم زواله امر محتم
فكن فيها اغر بها ثم تبني
الى دار البقاء فيه تنعم
وان لابد من لوم ولوم
يشق ناقع والله اعلم

وله غير ذلك من النظم المليح والذوق الفصيح والبيان الصحيح

ابن مهاجر الفقيه الشافعي وكان مدرسا في عدة مدارس بالموصل وكان صالحا كثير الخير والدين سليم القلب رحمه الله وفيها توفي عز الدين نجاح الشرابي خاص الخليفة واقرب الناس اليه وكان الحاكم في دولته كثير العدل والاحسان والمعروف والعصبية للناس واما عقله وتدبيره فاليه كانت النهاية وبه يضرب المثل وفيها توفي علي بن نصر ابن هرون ابو الحسن الحلي النحوي الملقب بالحجة قرا على ابن الخشاب وغيره

(ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة)

(ذكر وفاة كيكاوس وملك كيقباذ اخيه)

في هذه السنة توفي الملك الغالب عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وملطية وما بينهما من بلاد الروم وكان قد جمع عساكره وحشده وسار الى ملطية على قصد بلاد الملك الاشرف لقاعدة استقرت بينه وبين ناصر الدين صاحب آمد ومظفر الدين صاحب اربل وكانوا قد خطبوا له وضربوا اسمه على السكة في بلادهم واتفقوا على الملك الاشرف وبدر الدين بالموصل فسار كيكاوس الى ملطية ليمنع الملك الاشرف من المسير الى الموصل نجدة لصاحبها بدر الدين لعل مظفر الدين يبلغ من الموصل غرضا وكان قد علق به السل فلما اشتد مرضه عاد عنها فتوفي وملك بعده اخوه كيقباذ وكان محبوسا قد حبسه اخوه كيكاوس لما اخذ البلاد منه واشار عليه بعض اصحابه بقتله فلم يفعل فلما توفي لم يخلف ولدا يصلح للملك لصغرهم فاخرج الجند كيقباذ وملكوه ومن بغى عليه لينصرنه الله وقيل بل ارسل كيكاوس لما اشتد مرضه فاحضره عنده من السجن ووصى له بالملك وحلف الناس له فلما ملك خاف منه صاحب ارزن الروم وخاف ايضا من الروم المجاورين لبلاده فارسل الى الملك الاشرف وصالحه وتعاهدا على المصافاة والتعاضد وتصاهرا وكفى الاشرف شر تلك الجهة وتفرغ باله لاصلاح ما بين يديه ولتصديق القائل وجدك طعان بغير سنان وهذا ثمرة حسن النية فانه حسن النية لرعيته واصحابه كافا عن اذى يتطرق اليهم منه غير قاصد الى البلاد المجاورة لبلاده باذى وملك مع ضعف اصحابها وقوته لاجرم تاتيه البلاد صفوا عفوا

(ذكر موت صاحب سنجار وملك ابنه ثم قتل ابنه وملك اخيه)

في هذه السنة ثامن صفر توفي قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار وكان كريما حسن السيرة في رعيته حسن المعاملة مع التجار كثير الاحسان اليهم واما اصحابه فكانوا معه في ارغد عيش يعمهم باحسانه ولا يخافون اذاه وكان عاجزا عن حفظ بلده مسلما الامور الى نوابه ولما توفي ملك بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه وركب الناس معه وبقي مالكا لسنجار عدة شهور وسار الى تل يعفر وهي له فدخل عليه اخوه عمر بن محمد بن زنكي ومعه جماعة فقتلوه وملك اخوه عمر بعده فبقي كذلك الى ان سلم سنجار الى الملك الاشرف على ما نذكره ان شاء الله تعالى ولم يمتع بملكه الذي قطع

محمد علي باشا وهو المتصرف في اقليم مصر وسواحل والاقطار الحجازية وضواحيها وبيده ازمة الثغور الاسلامية ووزيره محمد بك لاظ المعروف بكتخدا بك وهو قائم مقامه في حال غيابه وحضوره والمتصدر في ديوان الاحكام الكلية والجزئية وفصل الخصومات ومباشرة الاحوال نافذ الكلمة وافر الحرمة واغات الباب ابراهيم اغا ومتولي ايضا امر تعديل الاصناف ليوفر على الخزينة ما ياكله المتولي على كل صنف ويحقق امر تشديد الفحص في المكاييل والموزون والمذروع حتى يستخرج الخبايا ولو قليلا فيجتمع من القليل الكثير من الاموال فيحاسب المتولي مدة ولايته فيجتمع له مال لا قدرة له على وفاء بعضه لان ذلك شيء قد استهلك في عدة ايدي اشخاص واتباع ويلزم الكبير باداه ويقاسي ما يقاسيه من الحبس والضرب وسلب النعمة ومكابدة الاهوال وسلحدار الباشا سليمان اغا عوضا عن صالح بك السلحدار لاستعفائه عنه في العام السابق وهو الساعي على اخذ الاماكن وهدمها وبنائها خانات وربائط وحوانيت فياتي الى الجهة التي يختار البناء فيها او يشرع في هدمها وياتيه اربابها فيعطيهم اثمانها كما هي في حجج املاكهم وهو شيء نادر بالنسبة لغلو اثمان العقارات في هذا الوقت لعموم الخراب وكثرة العالم وغلاء المؤن وضيق المساكن باهلها حتى ان المكان الذي كان يؤجر بالقليل صار

ويأتي الى الجامع الازهر في كل يوم يقرأ الدروس ويفيد الطلبة ويرجع الى بولاق بعد الظهر ومات جاره الذي كان يأتي عليه الى الجامع الازهر فلم يتخلف عن عادته ويأتي ماشيا ثم يعود مثله حتى اشفق عليه بعض المتقيدين من اهالي بولاق واشترى له حمارا ولم يزل على حالته وانكساره حتى توفي يوم الخميس ثامن شهر ذي القعدة من السنة رحمه الله وايانا وجمعنا في مستقر رحمته آمين ٥(ومات من أكابر الدولة المنفي ولي اغا ندي)٥ ويقال له ولي خوجا وهو كاتب خزينة الباشا وانشا الدار العظيمة التي بناحية باب اللوق وأدخل فيها عدة بيوت ودورا جليلة تجاهها وملاصقة لها من الجهتين وبعضها مطل على البركة المعروفة ببركة ابي الشوارب وتقدم في اخبار العام الماضي ان الباشا صاهره وزوج ابنته لبعض اقارب الباشا مختص به مثل الذي يقال له شريف اغا وآخر جعل له مهما عظيما احتفل فيه الى الغاية وزفة وشنك كل ذلك وهو متمرض الى ان مات في ثاني عشر ربيع الثاني وضبطت تركته فوجد له كثير من النقود والجواهر والامتعة وغير ذلك فسبحان الحي الذي لا يموت ٥(واستهلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين والف)٥ (واستهل المحرم بيوم الاثنين) ووالي مصر وحاكمها الوزير

السيرة فلما توفي أخوه صلاح الدين ملك دمشق كما ذكرناه وبقي مالكا للبلاد الى الآن فلما ظهر الفرنج كما ذكرنا سنة أربع عشرة وستمائة قصد هو مرج الصفر فلما سار الفرنج الى ديار مصر انتقل هو الى عالقين فأقام به ومرض وتوفي وحمل الى دمشق فدفن بالتربة التي له وكان عاقلا ذا رأي سديد ومكر شديد وخديعة صبورا حليما ذا أناة يسمع ما يكره ويغضي عليه حتى كأنه لم يسمعه كثير الخرج وقت الحاجة لا يقف في شيء واذا لم تكن حاجة فلا وكان عمره خمسا وسبعين سنة وشهورا لان مولده كان في المحرم من سنة أربعين وخمسمائة وملك دمشق في شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة من الافضل ابن اخيه وملك مصر في ربيع الآخر من سنة ست وتسعين وخمسمائة ايضا ومن أعجب ما رأيت من منافاة الطوالع انه لم يملك الافضل مملكة قط الا وأخذها منه عمه العادل فأول ذلك ان صلاح الدين أعطى ابنه الافضل حران والرها وميافارقين سنة ست وثمانين بعد وفاة تقي الدين فسار اليها فلما وصل الى حلب أرسل أبوه الملك العادل بعده فرده من حلب وأخذ هذه البلاد منه ثم ملك الافضل بعد وفاة ابيه مدينة دمشق فأخذها منه ثم ملك مصر بعد وفاة اخيه الملك العزيز فأخذها ايضا منه ثم ملك صرخد فأخذها منه والعجب من هذا اني رأيت بالبيت المقدس سارية من الرخام ملقاة في بيعة صهيون لم يوجد مثلها فقال القس الذي بالبيعة هذه كان قد اخذها الملك الافضل لينقلها الى دمشق ثم ان العادل أخذها بعد ذلك من الافضل ظلما او منعه فأخذها وهذا غاية وهو من أعجب ما يحكى وكان العادل قد قسم البلاد في حياته بين أولاده فجعل بمصر الملك الكامل محمدا وبدمشق والقدس وطبرية والاردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لها ابنه المعظم عيسى وجعل بعض ديار الجزيرة وميافارقين وخلاط واعمالها لابنه الملك الاشرف موسى واعطى الرها لولده شهاب الدين غازي واعطى قلعة جعبر لولده الحافظ ارسلان شاه فلما توفي ثبت كل منهم في المملكة التي اعطاه اياها ابوه واتفقوا اتفاقا حسنا لم يجر بينهم من الاختلاف ما جرت العادة ان يجري بين اولاد الملوك بعد آبائهم بل كانوا كالنفس الواحدة كل منهم يثق الى الآخر بحيث يحضر عنده منفردا من عسكره ولا يخافه فلا جرم زاد ملكهم وراوا من نفاذ الامر والحكم ما لم يره ابوهم ولعمري انهم نعم الملوك فيهم الحلم والجهاد والذب عن الاسلام وفي نوبة دمياط كفاية واما الملك الاشرف فليس للمال عنده محل بل يمطره مطرا كثيرا كفقته من اموال الرعية دائم الاحسان لا يسمع سعاية ساع

٥(ذكر عدة حوادث)٥

في هذه السنة في ذي القعدة رحل الملك الكامل بن العادل عن ارض دمياط لانه بلغه ان جماعة من الامراء قد اجتمعوا على تمليك اخيه الفائز عوضه فخافهم ففارق منزلته فانتقل الفرنج اليها وحصروا حينئذ دمياط برا وبحرا وتمكنوا من ذلك وقد تقدم مستقصى سنة اربع عشرة وستمائة وفيها في المحرم توفي شرف الدين محمد بن علوان

ابن

التي عقمت الايام والليالي عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل ان العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم الى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ومن اعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببني اسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة الى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها اضعاف البيت المقدس وما بنو اسرائيل بالنسبة الى من قتلوا فان اهل مدينة واحدة ممن قتلوا اكثر من بني اسرائيل ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى ان ينقرض العالم وتفنى الدنيا الا يأجوج ومأجوج واما الدجال فانه يبقي على من اتبعه ويهلك من خالفه وهؤلاء لم يبقوا على احد بل قتلوا النساء والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح فان قوما خرجوا من اطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ثم منها الى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارا وغيرهما فيملكونها ويفعلون باهلها ما نذكره ثم تعبر طائفة منهم الى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخريبا وقتلا ونهبا ثم يتجاوزونها الى الري وهمذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد الى حد العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان وارانية ويخربونها ويقتلون اكثر اهلها ولم ينج الا الشريد النادر في اقل من سنة هذا ما لم يسمع بمثله ثم لما فرغوا من اذربيجان وارانية ساروا الى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم وعبروا عندها الى بلد اللان واللكز ومن في ذلك الصقع من الامم المختلفة فاوسعوهم قتلا ونهبا وتخريبا ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من اكثر الترك عددا فقتلوا كل من وقف لهم فهرب الباقون الى الغياض ورؤوس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هؤلاء التتر عليها فعلوا هذا في اسرع زمان لم يلبثوا الا بمقدار مسيرهم لا غير ومضى طائفة اخرى غير هذه الطائفة الى غزنة واعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيه مثل فعل هؤلاء واشد هذا ما لم يطرق الاسماع مثله فان الاسكندر الذي اتفق المؤرخون على انه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة انما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل احدا انما رضي من الناس بالطاعة وهؤلاء قد ملكوا اكثر المعمور من الارض واحسنه واكثره عمارة واهلا واعدل اهل الارض اخلاقا وسيرة في نحو سنة ولم يبت احد من البلاد التي لم يطرقوها الا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم اليه ثم انهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد يأتيهم فانهم معهم الاغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير واما دوابهم التي يركبونها فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير فهم اذا نزلوا منزلا لا يحتاجون الى شيء من خارج واما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئا فانهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال فاذا جاء الولد لا يعرف

سافر الباشا الى جهة الاسكندرية لمحاسبة الترك كما والنظر في بيع الغلال والمتاجر والمراسلات (وفي تاسع عشره) ارتحلت عساكر الترك وعساكر المغاربة مجردة الى الحجاز

●(واستهل شهر صفر بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٣)● في ثالث عشره وصل الكثير من حجاج المغاربة (وفي يوم الجمعة) سابع عشره وصل جاويش الحاج وفي ذلك اليوم وقت العصر ضربوا عدة مدافع من القلعة لبشارة وصلت من ابراهيم باشا بانه حصلت له نصرة وملك بلدة من بلاد الوهابية وقبض على اميرها ويسمى عتيبة وهو طاعن في السن (وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه) وصل ركب الحاج المصري والمحمل وامير الحاج من الدلاة

●(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الجمعة سنة ١٢٣٣)● فيه وصل قابجي من دار السلطنة فعملوا له موكبا وطلع الى القلعة وضربوا له شنكا سبعة ايام وهي مدافع تضرب في كل وقت من الاوقات الخمسة (وفي هذا الشهر) انعدم وجود القناديل الزجاج وبيع القنديل الواحد الذي كان ثمنه خمسة انصاف بستين نصفا اذا وجد

●(واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنة ١٢٣٣)● واتفقه ايضا ان امير القبطي (وفي منتصفه) سافر اولاد فصالهم الغرب والكثير من حجاج المغاربة وكانوا في غاية الكثرة بحيث ازدحمت منهم

رجعوا أوراق الدم الحرام لاجله ولما لم يظفر أخذه مرضها الرئة ثم أخذت منه عن قريب وتوفي بعد أخذها منه بقليل وعدم روحه وشبابه وهذه عاقبة قطيعة الرحم فان صلة الرحم تزيد في العمر وقطيعتها تهدم العمر

(ذكر اجلاء بني معروف عن البطائح وقتلهم)

في هذه السنة في ذي القعدة أمر الخليفة الناصر لدين الله الشريف معدا المتولي بلاد واسط ان يسير الى قتال بني معروف فتجهز وجمع معه من الرجالة من تكريت والحديثة والانبار والحلة والكوفة وواسط والبصرة وغيرها خلقا كثيرا وسار اليهم ومقدمهم حينئذ معلى بن معروف وهم قوم من ربيعة وكانت بيوتهم غربي الفرات تحت سوراء وما يتصل بذلك من البطائح وكثر فسادهم وأذاهم لما يقاربهم من القرى وقطعوا الطريق وافسدوا في النواحي المقاربة لبطيحة العراق فشكا أهل تلك البلاد الى الديوان منهم فأمر معدا ان يسير اليهم في الجموع فسار اليهم فاستعد بنو معروف لقتاله فاقتتلوا بموضع يعرف بالمقير وهو تل كبير بالبطيحة بقرب العراق وكثر القتل بينهم ثم انهزم بنو معروف وكثر القتل فيهم والاسر والغرق وأخذت اموالهم وحملت رؤس كثيرة من القتلى الى بغداد في ذي الحجة من السنة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم انهزم عماد الدين زنكي من عسكر بدر الدين وفيها في العشرين من رجب انهزم بدر الدين من مظفر الدين صاحب اربل وعاد مظفر الدين الى بلده وقد تقدم ذلك مفصلا في سنة خمس عشرة وستمائة وفيها في السابع والعشرين من شعبان ملك الفرنج مدينة دمياط وقد ذكرته اول سنة اربع عشرة مشروحا وفيها توفي افتخار الدين عبد المطلب بن الفضل الهاشمي العباسي الفقيه الحنفي رئيس الحنفية بحلب روى الحديث عن عمر البسطامي نزيل بلخ وعن أبي سعد السمعاني وغيرهما وفيها توفي ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري الضرير النحوي وفيها توفي ابو الحسن علي بن أبي محمد القاسم بن علي بن الحسن بن عبد الله الدمشقي الحافظ ابن الحافظ المعروف بابن عساكر وكان قد قصد خراسان وسمع بها الحديث فأكثر وعاد الى بغداد فوقع على القفل حرامية فجرح وبقي ببغداد وتوفي في جمادى الاولى رحمه الله

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة)

(ذكر خروج التتر الى بلاد الاسلام)

لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها فانا أقدم اليه رجلا وأؤخر أخرى فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك فياليت أمي لم تلدني وياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا الا انى حثني جماعة من الاصدقاء على تسطيرها وانا متوقف ثم رأيت ان ترك ذلك لا يجدي نفعا فنقول هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى

يؤجر بعشرة أمثال الاجرة القديمة ونحو ذلك وجود بلك الخازندار وخدمته بعض أموال البلاد والاطيان والرزق وما يتعلق بذلك من الدعاوي والشكاوي ودواوينه بخط سر يقة الالاي والمعلم غالي كاتب سر الباشا ورئيس الاقباط وكذلك الدفتردار محمد بك صهر الباشا وحاكم الجهة القبلية والروزنامجي مصطفى افندي واغا مستحفظان حسن اغا ابهلوان والزعيم على اغا الشعراوي ومصطفى اغا كرد المحتسب وقد برد همته عما كان عليه ورجع الحال في قلة الادهان كالاول وازدحم الناس على معدل الشمع فلا يحصل الطالب منه شيئا الا بشق الانفس وكذلك انعدم وجود بيض الدجاج لعدم المجلوب ووقوف العسكر ورصدهم من يكون معه شئ منه من الفلاحين الداخلين الى المدينة من القرى فياخذونه منهم بدون القيمة حتى بيعت البيضة الواحدة بنصفين واما المعاملة فلم يزل امرها في اضطراب بالزيادة والنقص وتكرار المناداة كل قليل وصرف الريال الفرانسه الى اربعمائة نصف فضة والمحبوب الى اربعمائة وثمانين والبندقي الى تسعمائة نصف والمجر الى ثمانمائة نصف واما حقيقة الانصاف العددية التي تذكر فهي اسماء لا وجود لها وبيانها في الايدي (وفي ثاني عشره)

لا يعرفون هزيمة وانهم يحملون ما يحتاجون اليه من السلاح بايديهم فندم خوارزم شاه على قتل اصحابهم واخذ اموالهم وحصل عنده فكر زائد فاحضر الشهاب الخيوقي وهو فقيه فاضل كبير المحل عنده لا يخالف ما يشير به فحضر عنده فقال له قد حدث امر عظيم لا بد من الفكر فيه فاخذ رأيك في الذي نفعل وذلك انه قد تحرك الينا خصم من ناحية الترك في كثرة لا تحصى فقال له في عساكرك كثرة و نكاتب الاطراف ونجمع العساكر ويكون النفير عاما فانه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالمال والنفس ثم نذهب بجميع العساكر الى جانب سيحون وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك و بلاد الاسلام فنكون هناك فاذا جاء العدو وقد سار مسافة بعيدة لقينا ونحن مستريحون وهو وعساكره قد مسهم النصب والتعب فجمع خوارزم شاه امراءه ومن عنده من ارباب المشورة فاستشارهم فلم يوافقوه على رأيه بل قالوا الرأي ان نتركهم يعبرون سيحون اليه و يسلكون هذه الجبال والمضايق فانهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنقوى حينئذ عليهم ونهلكهم فلا ينجو منهم احد فبينما الامر كذلك اذ ورد رسول من هذا اللعين جنكزخان معه جماعة يتهدد خوارزم شاه و يقول تقتلون اصحابي وتاخذون اموالهم استعدوا للحرب فاني واصل اليكم بجمع لا قبل لكم به وكان جنكزخان قد سار الى تركستان فملك كاشغار و بلاساغون وجميع البلاد وازال عنها التتر الاولى فلم يظهر لهم خبر ولا بقي لهم اثر بل بادوا كما اصاب الخطا وارسل الرسالة المذكورة الى خوارزم شاه فلما سمعها خوارزم شاه امر بقتل رسوله فقتل وأمر بحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه واعادهم الى صاحبهم جنكزخان يخبرونه بما فعل بالرسول و يقولون له ان خوارزم شاه يقول لك انا سائر اليك ولو انك في آخر الدنيا حتى انتقم واعمل بك كما عملت باصحابي وتجهز خوارزم شاه وسار بعد الرسول مبادرا ليسبق خبره و يكبسهم فادمن السير ومضى وقطع مسيرة اربعة اشهر فوصل الى بيوتهم فلم ير فيها الا النساء والصبيان والاطفال فاوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية وكان سبب غيبة الكفار عن بيوتهم انهم ساروا الى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان فقاتلوه وهزموه وغنموا امواله وعادوا فلقيهم في الطريق الخبر بما فعل خوارزم شاه بمخلفيهم فجدوا السير فادركوه قبل ان يخرج عن بيوتهم وتصافوا للحرب واقتتلوا قتالا لم يسمع بمثله فبقوا في الحرب ثلاثة ايام بلياليها فقتل من الطائفتين ما لا يعد ولم ينهزم احد منهم اما المسلمون فانهم صبروا حمية للدين وعلموا انهم ان انهزموا لم يبق للمسلمين باقية وانهم يؤخذون لبعدهم عن بلادهم واما الكفار فصبروا لاستنقاذ اهليهم واموالهم واشتد بهم الامر حتى ان احدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلا و يتضاربون بالسكاكين وجرى الدم على الارض حتى صارت الخيل تزلق من كثرته واستنفذ الطائفتان وسعهم في الصبر والقتال هذا القتال جميعه مع ابن جنكزخان ولم يحضر ابوه الوقعة ولم يشعر بها فاحصى من قتل من المسلمين في هذه الوقعة فكانوا عشرين الفا واما من الكفار فلا يحصى من قتل منهم فلما كان الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم

ويعملون لهم قنابا يضربون عليها بالبنادق الرصاص وغير ذلك في الحين هذا النهي لو دام (وفي يوم السبت حادي عشرينه) حضر الباشا من غيبته بالاسكندرية اواخر النهار وضربوا لقدومه مدافع قبالة بقصر شبرا وطالع في صعودها الى القلعة ضربوا بها مدافع ايضا فكان مدة غيبته بالاسكندرية مقدار بضعة اشهر وتسعة ايام (وفي اواخره) وصل هجان من شرق الحجاز ببشارة بان ابراهيم باشا استولى على بلد كبيرة من بلاد الوهابية ولم يبق بينه وبين الدرعية الا ثمان عشرة ساعة فضربوا شنكا ومدافع (وفيه) وصل هجان من حسن باشا الذي بجدة بمراسلة يخبر فيها بعصيان اشراف حورية بناحية بين الحجاز وانه حاصر من بتلك النواحي من العساكر وقتلهم ولم ينج منهم الا القليل وهو من فرعل جوالق الخيل (ووقع فيه ايضا) الاهتمام في تجريد عساكر للسفر وارسل الباشا يطلب خليل باشا المحضور من ناحية بحري هو وخلافه وحصل الامر بقراءة صحيح البخاري بالازهر تقرئ وسمين وفرق على مجاوري الازهر عشرة اكياس وكذلك فرقت دراهم على اولاد المكاتب

●(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٣)●

في منتصف ليلة الثلاثاء حصل خسوف القمر في سادس ساعة من الليل وكان المنخسف .... اراذ ... وحصل الامر ايضا بقراءة صحيح البخاري

لسواق المدينة وبولاق وما بينهما من جميع الطرق فتمكنوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها
و يبيعونها على الناس جزافا
من غير وزن بعد أن يتركوا
لأنفسهم مقدار حاجتهم
فذهب الكثير لشرائهم
بسبب رداءة اللحم الموجود
بحوانيت الجزارين ولو وقف
عليهم بالثمن الزائد (وفي
أواخره) حضر مبشر من ناحية
الديار الحجازية بخبر بنصرة
حصلت لإبراهيم باشا وأنه
استولى على بلدة تسمى
الشعراء وأن عبد الله بن
مسعود كان بها فانفرج منها
هاربا إلى الدرعية ليلا وأن
بين عسكر الأتراك والدرعيين
مسافة يومين فلما وصل هذا
المبشر ضربوا المدافع
من أبراج القلعة وذلك وقت
الغروب من يوم الأربعاء
سادس عشرينه

(واستهل شهر جمادى الأولى
بيوم الأحد سنة ١٢٣٣)

فيه نودي على طائفة المخالفين
للملة من الأقباط والأروام
بأن يلزموا زيهم من الأزرق
والأسود ولا يلبسوا العمائم
البيض لأنهم خرجوا عن الحد
في كل شيء ويتعممون بالشيلان
الكشميري الملونة والغالية
في الثمن ويركبون الرهوانات
والبغال والخيول وأمامهم
وخلفهم الخدم بأيديهم
العصي يطردون الناس عن
طريقهم ولا يظن الرائي لهم
إلا أنهم من أعيان الدولة ويلبسون الأسلحة وتخرج الطائفة منهم إلى الخلاء

إليها ولقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم منها هؤلاء التتر قبحهم الله أقبلوا من المشرق ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها وستراها مشروحة متصلة إن شاء الله تعالى ومنها خروج الفرنج لعنهم الله من المغرب إلى الشام وقصدهم ديار مصر وملكهم ثغر دمياط منها وأشرفت ديار مصر والشام وغيرها على أن يملكوها لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم وقد ذكرناه سنة أربع عشرة وستمائة ومنها أن الذي سلم من هاتين الطائفتين فالسيف بينهم مسلول والفتنة قائمة على ساق وقد ذكرناه أيضا فإنا لله وإنا إليه راجعون نسأل الله أن ييسر للإسلام والمسلمين نصرا من عنده فإن الناصر والمعين والذاب عن الإسلام معدوم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال فإن هؤلاء التتر إنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع وسبب عدمه أن خوارزم شاه محمدا كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وأفناهم وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها ليقضي الله أمرا كان مفعولا وهذا حين نذكر ابتداء خروجهم إلى البلاد

(ذكر خروج التتر إلى تركستان وما وراء النهر وما فعلوه)

في هذه السنة ظهر التتر إلى بلاد الإسلام وهم نوع كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين وبينها وبين بلاد الإسلام ما يزيد على ستة أشهر وكان السبب في ظهورهم أن ملكهم ويسمى جنكزخان المعروف بتموجين كان قد فارق بلاده وسار إلى نواحي تركستان وسير جماعة من التجار والأتراك ومعهم شيء كثير من النقرة والقندز وغيرهما إلى بلاد ما وراء النهر سمرقند وبخارا ليشتروا له ثيابا للكسوة فوصلوا إلى مدينة من بلاد الترك تسمى أوترار وهي آخر ولاية خوارزم شاه وكان له نائب هناك فلما وردت عليه هذه الطائفة من التتر أرسل إلى خوارزم شاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الأموال فبعث إليه خوارزم شاه يأمره بقتلهم وأخذ ما معهم من الأموال وإنفاذه إليه فقتلهم وسير ما معهم وكان شيئا كثيرا فلما وصل إلى خوارزم شاه فرقه على تجار بخارا وسمرقند وأخذ ثمنه منهم وكان بعد أن ملك ما وراء النهر من الخطا قد سد الطرق عن بلاد تركستان وما بعدها من البلاد وأن طائفة من التتر أيضا كانوا قد خرجوا قديما والبلاد للخطا فلما ملك خوارزم شاه البلاد بما وراء النهر من الخطا وقتلهم واستولى هؤلاء التتر على تركستان كاشغار وبلاساغون وغيرها وصاروا يحاربون عساكر خوارزم شاه فلذلك منع الميرة عنهم من الكسوات وغيرها وقيل في سبب خروجهم إلى بلاد الإسلام غير ذلك مما لا يذكر في بطون الدفاتر

فكان ما كان مما لست أذكره • فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

فلما قتل نائب خوارزم شاه أصحاب جنكزخان أرسل جواسيس إلى جنكزخان لينظر ما هو وكم مقدار ما معه من الترك وما يريد أن يعمل فمضى الجواسيس وسلكوا المفازة والجبال التي على طريقهم حتى وصلوا إليه فعادوا بعد مدة طويلة وأخبروه بكثرة عددهم وأنهم يخرجون عن الإحصاء وأنهم من أصبر خلق الله على القتال

الرجال والنساء والولدان وتفرقوا ايدى سبا وتمزقوا كل ممزق واقتسموا النساء ايضا واصبحت بخارا خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس وارتكبوا من النساء العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون ان يدفعوا عن انفسهم شيئا مما نزل بهم فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتى قتل وممن فعل ذلك واختار ان يقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين الفقيه الامام ركن الدين امام زاده وولده فانهما لما رأيا ما يفعل بالحرم قاتلا حتى قتلا وكذلك فعل القاضى صدر الدين خان ومن استسلم اخذ اسيرا والقوا النار فى البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بانواع العذاب فى طلب المال ثم رحلوا نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزمشاه عنهم وهو بمكانه بين ترمذ وبلخ واستصحبوا معهم من سلم من اهل بخارا اسارى فساروا بهم مشاة على اقبح صورة فكل من اعيا وعجز عن المشى قتل فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والاسارى والاثقال وراءهم حتى تقدموا شيئا فشيئا ليكون ارعب لقلوب المسلمين فلما رأى اهل البلد سوادهم استعظموه فلما كان اليوم الثانى وصل الاسارى والرجالة والاثقال ومع كل عشرة من الاسارى علم فظن اهل البلد ان الجميع عساكر مقاتلة واحاطوا بالبلد وفيه خمسون الف مقاتل من الخوارزمية واما عامة البلد فلا يحصون كثرة فخرج اليهم شجعان اهله واهل الجلد والقوة رجالة ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمى احد لما فى قلوبهم من خوف هؤلاء الملاعين فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتأخرون واهل البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم وكان الكفار قد كمنوا لهم كمينا فلما جاوزوا الكمين خرج عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ورجع الباقون الذين انشبوا القتال اولا فبقوا فى الوسط واخذهم السيف من كل جانب فلم يسلم منهم احد قتلوا عن آخرهم شهداء رضى الله عنهم وكانوا سبعين الفا على ما قيل فلما رأى الباقون من الجند والعامة ذلك ضعفت نفوسهم وايقنوا بالهلاك فقال الجند وكانوا اتراكا نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلوننا فطلبوا الامان فاجابوهم الى ذلك ففتحوا ابواب البلد ولم يقدر العامة على منعهم وخرجوا الى الكفار باهلهم واموالهم فقال لهم الكفار ادفعوا الينا سلاحكم واموالكم ودوابكم ونحن نسيركم الى مأمنكم ففعلوا ذلك فلما اخذوا اسلحتهم ودوابهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم واخذوا اموالهم ودوابهم ونساءهم فلما كان اليوم الرابع نادوا فى البلد ان يخرج اهله جميعهم ومن تأخر قتلوه فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع اهل سمرقند مثل فعلهم مع اهل بخارا من النهب والقتل والسبى والفساد ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه واحرقوا الجامع وتركوا باقى البلد على حاله وافتضوا الابكار وعذبوا الناس بانواع العذاب فى طلب المال وقتلوا من لم يصلح للسبى وكان ذلك فى المحرم سنة سبع عشرة وستمائة وكان خوارزمشاه بمنزلته كلما اجتمع اليه عسكر سيره الى سمرقند فيرجعون ولا يقدمون على الوصول اليها نعوذ بالله من الخذلان سير مرة عشرة آلاف فارس فعادوا وسير عشرين الفا فعادوا ايضا

ولا احترام لشهر الصوم وفى اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار الفاسقين لدين الاسلام وانقضى شهر الصوم والباشا متشكك الخاطر ومتقلق ومتطير ورود خبر بقدوم ساعيه

•(واستهل شهر شوال بيوم الاثنين سنة ١٢٣٣)•

وكان هلاله عسر الرؤية جدا فحضر جماعة من الاتراك الى المحكمة وشهدوا برؤيته (وفى ذلك اليوم) الموافق لثامن عشرى شهر ابيب القبطى اوفى النيل اذرعه فاخروا فتح سد الخليج ثالث ايام العيد ونودى بالوفاء يوم الاربعاء وحصل الجمع يوم الخميس رابعه وحضر فتح الخليج كتخدا بك والقاضى ومن له عادة بالحضور فكان جمعا وازدحاما عظيما من اخلاط العالم فى جهة السد والروضة تلك الليلة واشتعلت النار فى الحراقة واحترق فيها اشخاص ومات بعضهم (وفى سادسه يوم السبت) خرج خليل باشا المعين الى السفر فى موكب وشق من وسط المدينة وخرج من باب النصر وعطف على باب الفتوح ورجع الى داره فى قلة من اتباعه فى طريقه التى خرج منها (وفيه) انتدب مصطفى اغا المحتسب ونادى فى المدينة وبامر الناس بقطع اراضى الطرقات والازقة حتى العطف والحارات القديمة فاخذ ارباب الحوانيت والبيوت يعملون بانفسهم فى قطع الارض والحفر ونقل

بالازهر (وفيه) وورد الخبر بموت الشريف حمود وانه أصيب بجراحة مات بها (وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرينه) حصل كسوف للشمس في ثالث ساعة من النهار وكان المنكسف منها مقدار الثلث (وفي ذلك اليوم) ضربت مدافع لوصول بشارة من ابراهيم باشا بانه ملك بلادا قريبا من الدرعية وان الوهابية محصورون وهو ومن معه من العربان محيطون

٣٣

• (واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٣) •

فيه حضر خليل باشا وحسين بك فدالي باشا من الجهة البحرية ونزلوا ببيوتهم

• (واستهل شهر رمضان بيوم الاحد سنة ١٢٣٣) •

في منتصفه وصل نجاب واخبر بان ابراهيم باشا ركب الى جهة من نواحي الدرعية لامر يقتضيه وترك عرضيه فاغتنم الوهابية غيابه وكبسوا على العرضي على حين غفلة وقتلوا من العساكر عدة وافرة واحرقوا الجبخانة فعند ذلك قوي الاهتمام وارتحل جملة من العساكر في دفعات ثلاث برا وبحرا وتلاحق بعضهم بعضا في شعبان ورمضان وبرز عرضي خليل باشا الى خارج باب النصر وترددوا في الخروج والدخول واستمر اكثرهم مفطرين في رمضان بصحبة العسكر فتجاهر الكثير منهم بالاسواق يأكلون ويشربون ويبرزون بالشوارع وبايديهم اقصاب الدخان والتتن من غير احتشام

فقاتل بعض فلما اظلم الليل اوقد الكفار نيرانهم وتركوها بحالها وساروا وكذلك فعل
المسلمون ايضا كل منهم سئم القتال فاما الكفار فعادوا الى ملكهم جنكزخان واما
المسلمون فرجعوا الى بخارا فاستعد للحصار لعلمه بعجزه لان طائفة من عسكرهم لم يقدر
خوارزمشاه على ان يظفر بهم فكيف اذا جاؤا جميعهم مع ملكهم فامر اهل بخارا وسمرقند
بالاستعداد للحصار وجمع الذخائر للامتناع وجعل في بخارا عشرين الف فارس من
العسكر يحمونها وفي سمرقند خمسين الفا وقال لهم احفظوا البلد حتى اعود الى خوارزم
وخراسان واجمع العساكر واستنجد بالمسلمين واعود اليكم فلما فرغ من ذلك رحل
عائدا الى خراسان فعبر جيحون ونزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك واما الكفار فانهم
رحلوا بعد ان استعدوا يطلبون ما وراء النهر فوصلوا الى بخارا بعد خمسة اشهر من وصول
خوارزمشاه وحصروها وقاتلوها ثلاثة ايام قتالا شديدا متتابعا فلم يكن للعسكر
الخوارزمي بهم قوة ففارقوا البلد عائدين الى خراسان فلما اصبح اهل البلد وليس عندهم
من العسكر احد ضعفت نفوسهم فارسلوا القاضي وهو بدر الدين قاضيخان ليطلب
الامان للناس فاعطوهم الامان وكان قد بقي من العسكر طائفة لم يمكنهم الهرب مع
اصحابهم فاعتصموا بالقلعة فلما اجابهم جنكزخان الى الامان ففتحت ابواب المدينة يوم
الثلاثاء رابع ذي الحجة من سنة ست عشرة وستمائة فدخل الكفار بخارا ولم
يتعرضوا الى احد بل قالوا لهم كل ما هو للسلطان عندكم من ذخيرة وغيره اخرجوه الينا
وساعدونا على قتال من بالقلعة واظهروا عندهم العدل وحسن السيرة ودخل
جنكزخان بنفسه واحاط بالقلعة ونادى في البلد بان لا يتخلف احد ومن تخلف قتل
فحضروا جميعهم فامرهم بطم الخندق فطموه بالاخشاب والتراب وغير ذلك حتى ان
الكفار كانوا ياخذون المنابر وربعات القرآن فيلقونها في الخندق فانا لله وانا اليه
راجعون وبحق سمى الله نفسه صبورا حليما والا كان خسف بهم الارض عند فعل مثل
هذا ثم تابعوا الزحف الى القلعة وبها نحو اربعمائة فارس من المسلمين فبذلوا جهدهم
ومنعوا القلعة اثني عشر يوما يقاتلون جمع الكفار واهل البلد فقتل بعضهم ولم يزالوا
كذلك حتى زحفوا اليهم ووصل النقابون الى سور القلعة فنقبوه واشتد حينئذ القتال
ومن بها من المسلمين يرمون بكل ما يجدون من حجارة ونار وسهام فغضب اللعين ورد
اصحابه ذلك اليوم وباكرهم من الغد فجد في القتال وقد تعب من بالقلعة ونصبوا
وجاءهم ما لا قبل لهم به فقهرهم الكفار ودخلوا القلعة وقاتلهم المسلمون الذين فيها حتى
قتلوا عن آخرهم فلما فرغ من القلعة امر ان يكتب له رؤس البلد ورؤساؤهم ففعلوا
ذلك فلما عرضوا عليه امر باحضارهم فحضروا فقال اريد منكم النقرة التي باعكم
خوارزمشاه فانها لي ومن اصحابي اخذت وهي عندكم فاحضر كل من كان عنده شيء
منها بين يديه ثم امرهم بالخروج من البلد فخرجوا من البلد مجردين من اموالهم ليس مع
احد منهم غير ثيابه التي عليه ودخل الكفار البلد فنهبوه وقتلوا من وجدوا فيه واحاط
بالمسلمين فامر اصحابه ان يقتسموهم فاقتسموهم وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من

الرجال

أحد مثل ملكه فإنه ملك من حد العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند
وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس
وفعل بالخطا الأفاعيل العظيمة وملك بلادهم وكان فاضلا عالما بالفقه والأصول
وغيرهما وكان مكرما للعلماء محبا لهم محسنا اليهم يكثر مجالستهم ومناظراتهم بين يديه
وكان صبورا على التعب وإدمان السير غير متنعم ولا مقبل على اللذات انما همه في الملك
وتدبيره وحفظه وحفظ رعاياه وكان معظما لأهل الدين مقبلا عليهم متبركا بهم
(حكى) لي بعض خدم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقد عاد من خراسان قال وصلت
الى خوارزم فنزلت ودخلت الحمام ثم قصدت باب السلطان علاء الدين فلما حضرت
لقيني انسان فقال ما حاجتك فقلت له انا من خدم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فأمرني
بالجلوس وانصرف عني ثم عاد الي وأخذني وأدخلني الى دار السلطان فتلقاني منه
حاجب من حجاب السلطان وقال لي قد أعلمت السلطان خبرك فأمر باحضارك عنده
فدخلت اليه وهو جالس في صدر ايوان كبير فلما توسطت صحن الدار قام قائما ومشى
الى بين يدي قام من تحت السرير فلقيته في وسط الايوان فأردت ان أقبل يده فمنعني
واعتنقني وجلس وأجلسني الى جانبه وقال لي أنت تخدم حجرة النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت نعم فأخذ يدي وأمرها على وجهه وسألني عن حالنا وعيشنا وصفة المدينة
ومقدارها وأطال الحديث معي فلما خرجت من عنده قال لولا أننا على عزم السفر هذه
الساعة لما ودعتك انا نريد أن نعبر جيحون الى الخطا وهذا طريق مبارك حيث
رأينا من خدم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم ودعني وأرسل الى جملة كثيرة من
النفقة ومضى وكان منه ومن الخطا ما ذكرناه وبالجملة فاجتمع فيه ما تفرق في غيره من
ملوك العالم رحمه الله ولو أردنا ذكر مناقبه لطال

(ذكر استيلاء التتر المغربة على مازندران)

لما أيس التتر المغربة من ادراك خوارزمشاه عادوا فقصدوا بلاد مازندران
فملكوها في أسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول اليها وامتناع قلاعها فانها
لم تزل ممتنعة قديم الزمان وحديثه حتى ان المسلمين لما ملكوا بلاد الأكاسرة جميعها
من العراق الى أقصى خراسان بقيت أعمال مازندران يؤخذ منهم الخراج ولا يقدرون
على دخول البلاد الى ان ملكت أيام سليمان بن عبد الملك سنة تسعين وهؤلاء الملاعين
ملكوها صفوا عفوا لأمر يريده الله تعالى ولما ملكوا بلد مازندران قتلوا وسبوا ونهبوا
وأحرقوا البلاد ولما فرغوا من مازندران سلكوا نحو الري فرأوا في الطريق والدة
خوارزمشاه ونساءه وأموالهم وذخائرهم التي لم يسمع بمثلها من الاعلاق النفيسة
وكان سبب ذلك ان والدة خوارزمشاه لما سمعت بما جرى على ولدها خافت ففارقت
خوارزم وقصدت نحو الري لتصل الى أصفهان وهمذان وبلد الجبل تمتنع فيها
فصادفوها في الطريق فأخذوها وما معها قبل وصولها الى الري فكان فيه ما ملأ

وصل قبلها قابجي بصحبته فرمان بشارة بمولود ولد لحضرة السلطان فعمل له شنك ومدافع ثلاثة أيام في الأوقات الخمسة وذلك في منتصفه

(واستهل شهر ذي القعدة بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٣)

وانقضى والباشا منفعل الخاطر لتأخر الأخبار وطول الانتظار وعمل قليل بأمر بقراءة صحيح البخاري بالأزهر وتفرق على صغار الحكاتيب والفقراء دراهم واضيق صدره واشتغال فكره لا يستقر بمكان فيقيم بالقلعة قليلا ثم ينتقل الى قصر شبرا ثم الى قصر الآثار ثم الأزبكية ثم الجيزة وهكذا

(واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الجمعة سنة ١٢٣٣)

(في سابعه) وردت بشائر من شرق الحجاز بمراسلة من عثمان أغا الوارد الى أمير الينبع بأن ابراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية فأنعم الباشا لهذا الخبر سرورا عظيما وانجلى عنه الضجر والقلق وأنعم على المبشر وعند ذلك ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش (وفي ثاني عشره) وصل المرسوم كاتبات من السويس والينبع وذلك قبل العصر فأكثروا من ضرب المدافع من كل جهة واستمر الضرب من العصر الى المغرب بحيث ضرب بالقلعة خاصة ألف مدفع وصادف ذلك ليلة أيام العيد وعند ذلك أمر بعمل مهرجان

(ذكر مسير التتر الى خوارزم شاه وانهزامه وموته)

لما ملك التتار سمرقند وعزم جنكزخان لعنه الله وسير عشرين ألف فارس وقال لهم اطلبوا خوارزم شاه اين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه وهذه الطائفة تسميها التتر المغربة لانها سارت نحو غرب خراسان ليقع الفرق بينهم وبين غيرهم منهم لانهم هم الذين اوغلوا في البلاد فلما امرهم جنكزخان بالمسير ساروا وقصدوا موضعا يسمى فنج اب ومعناه خمس مياه فوصلوا اليه فلم يجدوا هناك سفينة فعملوا من الخشب مثل الاحواض الكبار والبسوها جلود البقر لئلا يدخلها الماء ووضعوا فيها سلاحهم وامتعتهم والقوا الخيل في الماء وامسكوا اذنابها وتلك الحياض التي من الخشب مشدودة اليهم فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض المملوء من السلاح وغيره فعبروا كلهم دفعة واحدة فلم يشعر خوارزم شاه الا وقد صاروا معه على ارض واحدة وكان المسلمون قد ملئوا منهم رعبا وخوفا وقد اختلفوا فيما بينهم الا انهم كانوا متماسكين بسبب ان نهر جيحون بينهم فلما عبروه اليهم لم يقدروا على الثبات ولا على المسير مجتمعين بل تفرقوا أيدي سبا وطلب كل طائفة منهم جهة ورحل خوارزم شاه لا يلوي على شيء في نفر من خاصته وقصد نيسابور فلما دخلها اجتمع عليه بعض العسكر فلم يستقر حتى وصل اولئك التتر اليها وكانوا لم يتعرضوا في مسيرهم لشيء لا بنهب ولا قتل بل يجدون السير في طلبه لا يمهلونه حتى يجمع لهم فلما سمع بقربهم منه رحل الى مازندران وهي له أيضا فرحل التتر المغربون في اثره ولم يعرجوا على نيسابور بل تبعوه فكان كلما رحل عن منزلة نزلوها فوصل الى مرسى من بحر طبرستان تعرف بابسكون وله هناك قلعة في البحر فلما نزل هو واصحابه في السفن وصلت التتر فلما رأوا خوارزم شاه وقد دخل البحر وقفوا على ساحل البحر فلما ايسوا من لحاق خوارزم شاه رجعوا فهم الذين قصدوا الري وما بعدها على ما نذكره ان شاء الله هكذا ذكر لي بعض الفقهاء ممن كان ببخارا واسروه معهم الى سمرقند ثم نجا منهم ووصل الينا وذكر غيره من التجار ان خوارزم شاه سار من مازندران حتى وصل الى الري ثم منها الى همذان والتتر في اثره ففارق همذان في نفر يسير ليستر نفسه ويكتم خبره وعاد الى مازندران وركب في البحر الى هذه القلعة وكان هذا هو الصحيح فان الفقيه كان حينئذ مأسورا وهؤلاء التجار اخبروا انهم كانوا بهمذان ووصل خوارزم شاه ثم وصل بعده من اخبره بوصول التتر ففارق همذان وكذلك ايضا هؤلاء التجار فارقوها ووصل التتر اليها بعدهم بعد فراقهم يخبرون عن مشاهدة ولما وصل خوارزم شاه الى هذه القلعة المذكورة توفي فيها

(ذكر صفة خوارزم شاه وشيء من سيرته)

وهو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وشهورا تقريبا واتسع ملكه وعظم محله واطاعه العالم باسره ولم يملك بعد السلجوقية

الاتربة وعملوا من خوفهم من اذيته ولعدم الفعلة والاجراء واشتغال حمير الترابين باستعمالهم في عمائر اهل الدولة فلو كان هذا الاهتمام في قطع ارض الخليج الذي يجري به الماء فانه لم تقطع ارضه وينقطع جريانه في ايام قليلة لعلوا ارضه من الطمي وما ينهدم عليه من الدور القديمة وما يلقيه السكان فيه من الاتربة وزاد على ذلك بهذه الفعلة الغاء ما يحفرونه وينقلونه من اتربة الازقة والبيوت القديمة القريبة منه فيه ليلا ونهارا (وفي ثامنه) ارتحل خليل باشا مسافرا الى الحجاز من القلزم وصحبته كرد الحبالة على طريق البر (وفي يوم الخميس ثالث عشره) نزلوا بكسوة الكعبة الى المشهد الحسيني على العادة (وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه) عمل الموكب لامير الحاج وهو حسين بك دالي باشا وخرج بالمحمل خارج باب النصر فجاء الحمائل ثم انتقل في يوم الاربعاء الى البركة وارتحل منها يوم الاثنين تاسع عشرينه وسافر الكثير من الحجاج واكثر فلاحي القرى والصعايدة ومن باقي الاجناس مثل المغاربة والقرمان والاتراك انفار قليلة (وفي ذلك اليوم) وصل قابجي وعلى يده تقرير بحضرة الباشا على السنة الجديدة وطلع الى القلعة في موكب وقرئ التقرير بحضرة الجمع وضربت مدافع كثيرة وكذلك

احد

اسمه اقوش وجمع اهل تلك الجبال والصحراء من التركمان والاكراد وغيرهم فاجتمع معه خلق كثير وراسل التتر في الانضمام اليهم فاجابوه الى ذلك ومالوا اليه للجنسية فاجتمعوا وساروا في مقدمة التتر الى الكرج فملكوا حصنا من حصونهم وخربوه ونهبوا البلاد وخربوها وقتلوا اهلها ونهبوا اموالهم حتى وصلوا الى قريب تفليس فاجتمعت الكرج وخرجت بحدها وحديدها اليهم فلقيهم اقوش اولا فيمن اجتمع اليه فاقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه كلهم فقتل من اصحاب اقوش خلق كثير وادركهم التتر وقد تعب الكرج من القتال وقتل منهم ايضا كثير فلم يثبتوا للتتر وانهزموا اقبح هزيمة وركبهم السيف من كل جانب فقتل منهم ما لا يحصى كثرة وكانت الوقعة في ذي القعدة من هذه السنة ونهبوا من البلاد ما سلم منهم ولقد جرى لهؤلاء التتر ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم الى بلاد ارمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همذان وتالله لا اشك ان من يجيء بعدنا اذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها والحق بيده فمتى استبعد ذلك فلينظر انا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في ازماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها يسر الله للمسلمين والاسلام من يحفظهم ويحوطهم فلقد دفعوا من العدو الى عظيم ومن الملوك المسلمين الى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه ولم ينل المسلمين اذى وشدة مذ جاء النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت مثل ما دفعوا اليه الآن هذا العدو الكافر التتر قد وطئوا بلاد ما وراء النهر وملكوها وخربوها وناهيك به سعة بلاد وتعدت طائفة منهم النهر الى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك ثم الى الري وبلد الجبل واذربيجان وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم والعدو الآخر الفرنج قد ظهروا من بلادهم في اقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا الى مصر فملكوا مثل دمياط واقاموا فيها ولم يقدر المسلمون على ازعاجهم عنها ولا اخراجهم منها وباقي ديار مصر على خطر فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن اعظم الامور على المسلمين ان سلطانهم خوارزم شاه محمدا قد عدم لا يعرف حقيقة خبره فتارة يقال مات عند همذان واخفي موته وتارة يقال دخل اطراف بلاد فارس ومات هناك واخفي موته لئلا يقصدها التتر في اثره وتارة يقال عاد الى طبرستان وركب البحر فتوفي في جزيرة هناك وبالجملة فقد عدم ثم صح موته بجزيرة طبرستان وهذا عظيم مثل خراسان وعراق العجم اصبح سائبا لا مانع له ولا سلطان يدفع عنه والعدو يجوس البلاد يأخذ ما اراد ويترك ما اراد على انهم لم يبقوا على مدينة الا خربوها كل ما مروا عليه نهبوه وما لا يصلح لهم احرقوه فكانوا يجمعون الابريسم تلالا ويلقون فيه النار وكذلك غيره من الامتعة

﴿ذكر ملك التتر مراغة﴾

قز باتين مقدارا من الشيرج في كل يوم يباع في الناس لوقود الزينة وفي كل يوم يطوف المنادي ويكرر المناداة بالشوارع على الناس بالسهر والوقود والزينة وعدم غلق الحوانيت ليلا ونهارا وانقضى العام بحوادثه ومعظمها استمر ([illegible]) وهو اعظمها شدة الاذية والضيق وخصوصا بذوي البيوت والمساتير من الناس بسبب قطع ايراداتهم وارزاقهم من الفائظ والجامكية السائرة والرزق الاحباسية وضبط الاقوال التي تقدم ذكرها وكان يتعيش منها الوف من العالم ولما اشتد الضنك بالملتزمين وتكرروا عرضحالهم فارلهم بصرف الثلث وتحول المصرفي على بعض الجهات فكان كلما اجتمع لديه قدر بلغه الطالب بحوالة من لوازم عساكر السفر الجرادين وانقضى العام واكثر الناس لم يحصل على شيء وذلك لكثرة المصاريف والاحتياجات من الذخائر والغلال والمؤن وخزائن المال من اصناف خصوص الريال الفرانسه والذهب البندقي والمحبوب الاسلامي بالاحمال وهي الاصناف الرائجة بتلك النواحي واما القروش فلا رواج لها الا بمصر وضواحيها فقط اخبرني احد اعيان كتاب الخزينة عن اجرة حمل الذخيرة على جمال العرب خاصة في مرة من المرات خمسة واربعين الف فرانسه وذلك من الينبع الى المدينة حسابا عن اجرة كل يوم بريستة فرانسه يدفع نصفها امير الينبع والنصف

ونظار جهاتها بولاق ومصر القديمة والجيزة وشنك على بحر النيل تجاه القرية [illegible]

وزينة داخل المدينة ببولاق من النجارين والخراطين والحدادين وتقيد لذلك امين افندى المعمار وشرعوا فى العمل وحضر كشاف النواحى والاقاليم بعساكرهم واخرجوا الخيام والصواوين والوطاقات خارج باب النصر وباب الفتوح وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه نودى بالزينة واولها الاربعاء فشرع الناس فى زينة الحوانيت والخانات وابواب الدور وعلقوا القناديل والسهر والفرح والملاعيب كل ذلك مع ما الناس فيه من ضيق الحال والكد فى تحصيل اسباب المعاش وعدم ما يسرجون به من الزيت والشيرج والزيت الحار وكذا الشمع فانه شح وجوده ولا يوجد منه الا القليل عند بعض الزياتين ولا يبيع الزيات زيادة عن الاوقية وكذلك اللحم لا يوجد منه الا ما كان فى غاية الرداءة من لحم النعاج الهزيل وامتنع ايضا وجود القمح بالساحل وعرصات الغلة حتى الخبز امتنع وجوده بالاسواق ولما انهى الامر الى من لهم ولاية الامر فاخرجوا من شون الباشا مقدارا ليباع فى الرقع وقد اكلها السوس ولا يباع منها ازيد من الكيلة الا [illegible] وكذلك لما اشتكى الناس من عدم ما يسرج به فى القناديل اطلقوا

عيونهم وقلوبهم ومالم يشاهد الناس مثله من كل غريب من المتاع ونفيس من الجوهر وغيره ثم سيروا الجميع الى جنكزخان بسمرقند

(ذكر وصول التتر الى الرى وهمذان)

فى سنة سبع عشرة وستمائة وصل التتر لعنهم الله الى الرى فى طلب خوارزم شاه محمد لانهم بلغهم انه مضى منهزما منهم نحو الرى فجدوا السير فى اثره وقد انضاف اليهم كثير من عساكر المسلمين والكفار وكذلك ايضا من المفسدين من يريد النهب والشر فوصلوا الى الرى على حين غفلة من اهلها فلم يشعروا الا وقد وصلوا اليها وملكوها ونهبوها وسبوا الحريم واسترقوا الاطفال وفعلوا الافعال التى لم يسمع بمثلها ولم يقيموا ومضوا مسرعين فى طلب خوارزم شاه فنهبوا فى طريقهم كل مدينة وقرية مروا عليها وفعلوا فى الجميع اضعاف ما فعلوا فى الرى واحرقوا وخربوا ووضعوا السيف فى الرجال والنساء والاطفال فلم يبقوا على شئ وجدوا فى طلبهم الى همذان وكان خوارزم شاه قد وصل اليها فى نفر من اصحابه ففارقها وكان آخر العهد به فلا يدرى ما كان منه فيما حكاه بعضهم عنه وقيل غير ذلك على ما ذكرناه فلما قاربوا همذان خرج رئيسها ومعه الحمل من الاموال والثياب والدواب وغير ذلك يطلب الامان لاهل البلد فامنوهم ثم فارقوها وساروا الى زنجان ففعلوا اضعاف ذلك ثم وصلوا الى قزوين فاعتصم اهلها منهم بمدينتهم فقاتلوهم وجدوا فى قتالهم ودخلوها عنوة بالسيف فاقتتلوا هم واهل البلد فى باطنه حتى صاروا يقتتلون بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصى ثم فارقوا قزوين فعد القتلى من اهل قزوين فزادوا على اربعين الف قتيل

(ذكر وصول التتر الى اذربيجان)

لما هجم الشتاء على التتر فى همذان وبلد الجبل راوا بردا شديدا وثلجا متراكما فساروا الى اذربيجان ففعلوا فى طريقهم بالقرى والمدن الصغار من القتل والنهب مثل ما تقدم منهم وخربوا واحرقوا ووصلوا الى تبريز وبها صاحب اذربيجان اوزبك بن البهلوان فلم يخرج اليهم ولا حدث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما هو بصدده من ادمان الشرب ليلا ونهارا لا يفيق وانما ارسل اليهم وصالحهم على مال وثياب ودواب وحمل الجميع اليهم فساروا من عنده يريدون ساحل البحر لانه يكون قليل البرد ليشتوا عليه والمراعى به كثيرة لاجل دوابهم فوصلوا الى موقان وتطرقوا فى طريقهم الى بلاد الكرج فجاء اليهم من الكرج جمع كثير من العسكر نحو عشرة آلاف مقاتل فقاتلوهم فانهزمت الكرج وقتل اكثرهم وارسل الكرج الى اوزبك صاحب اذربيجان يطلبون منه الصلح والاتفاق معه على دفع التتر فاصطلحوا واجتمعوا اذا انحسر الشتاء وكذلك ارسلوا الى الملك الاشرف ابن الملك العادل صاحب خلاط وديار الجزيرة يطلبون منه الموافقة عليهم وظنوا جميعهم ان التتر يصبرون فى الشتاء الى الربيع فلم يفعلوا كذلك بل تحركوا وساروا نحو بلاد الكرج وانضاف اليهم مملوك تركى من مماليك اوزبك

القدر المذكور وهي كرخانة عظيمة صرف عليها مقادير عظيمة من الاموال (ومنها) انه ظهر باراضي الارز بالبحر

خرجت هي وغيرها وشرع بتجهيز المسير الى الشام ليدخل مصر وكان ما ذكرناه من استنقاذ دمياط فلما اجتمع مظفر الدين والعساكر بدقوقا سير الخليفة اليهم مملوكه قشتمر وهو اكبر امير بالعراق ومعه غيره من الامراء في نحو ثمانمائة فارس فاجتمعوا هناك ليتصل بهم باقي عسكر الخليفة وكان المقدم على الجميع مظفر الدين فلما رأى قلة العسكر لم يقدم على قصد التتر (وحكى مظفر الدين) قال لما ارسل الى الخليفة في معنى قصد التتر قلت له ان العدو قوي وليس لي من العسكر ما القاه به فان اجتمع معي عشرة آلاف فارس استنقذت ما اخذ من البلاد فامرني بالمسير ووعدني بوصول العسكر فلما سرت لم يحضر عندي غير عدد لم يبلغوا ثمانمائة فاقمت وما رأيت المخاطرة بنفسي وبالمسلمين ولما سمع التتر باجتماع العساكر لهم رجعوا القهقرى ظنا منهم ان العسكر يتبعهم فلما لم يروا احدا يطلبهم اقاموا واقام العسكر الاسلامي عند دقوقا فلما لم يروا ان العدو يقصدهم ولا المدد يأتيهم تفرقوا وعادوا الى بلادهم

﴿ذكر ملك التتر همذان وقتل اهلها﴾

لما تفرق العسكر الاسلامي عاد التتر الى همذان فنزلوا بالقرب منها وكان لهم بها شحنة يحكم فيها فارسلوا اليه يأمرونه ان يطلب من اهلها مالا وثيابا وكانوا قد استنفدوا اموالهم في طول المدة وكان رئيس همذان شريفا علويا وهو من بيت رياسة قديمة له بالمدينة وهو الذي يسعى في امور اهل البلاد مع التتر ويوصل اليهم ما يجمعه من الاموال فلما طلبوا الآن منهم المال لم يجد اهل همذان ما يحملونه اليهم فحضروا عند الرئيس ومعه انسان فقيه قد قام في اجتماع الكلمة على الكفار قياما مرضيا فقالوا له هؤلاء الكفار قد افنوا اموالنا ولم يبق لنا ما نعطيهم وقد هلكنا من اخذهم اموالنا وما يفعله النائب عنهم بنا من الهوان وكانوا قد جعلوا بهمذان شحنة لهم يحكم في اهلها بما يختار فقال الشريف اذا كنا نعجز عنهم فكيف الحيلة فليس لنا الا مصانعتهم بالاموال فقالوا له انت اشد علينا من الكفار واغلظوا له في القول فقال انا واحد منكم فاصنعوا ما شئتم فاشار الفقيه باخراج شحنة التتر من البلد والامتناع فيه ومقاتلة التتر فوثب العامة على الشحنة فقتلوه وامتنعوا في البلد فتقدم التتر اليهم وحصروهم وكانت الاقوات متعذرة في تلك البلاد جميعها لخرابها وقتل اهلها وجلاء من سلم منهم فلا يقدر احد على الطعام الا قليلا واما التتر فلا يبالون لعدم الاقوات لانهم لا يأكلون الا اللحم ولانها كل دوابهم الا نبات الارض حتى انها تحفر بحوافرها الارض عن عروق النبات فتأكلها فلما حصروا همذان قاتلهم اهلها والرئيس والفقيه في اوائلهم فقتل من التتر خلق كثير وجرح الفقيه عدة جراحات وافترقوا ثم خرجوا من الغد فاقتتلوا اشد من القتال الاول وقتل ايضا من التتر اكثر من اليوم الاول وجرح الفقيه ايضا عدة جراحات وهو صابر وارادوا ايضا الخروج في اليوم الثالث فلم يطق الفقيه الركوب وطلب الناس الرئيس

الشرقي ناحية ومنها ان حيوانا يخرج من البحر الشرقي في قدر الجاموس العظيم ولونه فيروزي العيدان من الزرع ثم ينقلبا كثيره وكان ظهوره من العام الماضي فيجتمع عليه الكثير من اهل الناحية ويرجمونه بالحجارة ويضربون عليه بنادق الرصاص فلا تؤثر في جلده ويهرب الى البحر واتفق انه ابتلع رجلا الى ان اصيب في عينه وسقط وتكاثروا عليه وقتلوه وسلخوا جلده وحشوه تبنا واتوا به الى بولاق وتفرج عليه الباشا والناس واخبرني غير واحد ممن رآه انه اعظم من الجاموس الكبير طوله ثلاثة عشر قدما ولونه لون وجلده املس وراسه عظيم يشبه راس ابن عرس وعيناه في اعلى دماغه واسع الفم وذنبه مثل ذنب العجل وارجله غلاظ مثل ارجل الفيل في اواخرها اربع ظلوف طوال واسفلها كخف الجمل وادخلوه الى بيت الافرنج واتى به الباشا على بنوص الترجمان الارمني وهو يبيعه على الافرنج بثمن كبير (ومنها) ان امرأة يقال لها الشيخة رقية تزوج بغير ابيض ويسدها خنزير راتبة ويجعله تطوف على بيوت الاعيان وتقرأ له الوتنه كرتلى السبحة ونساء الاكابر يعتقدن فيها الصلاح ويسألن منها الدعاء وكذلك

في صفر سنة ثمان عشرة وستمائة ملك التتر مدينة مراغة من اذربيجان وسبب ذلك
انا قد ذكرنا سنة سبع عشرة وستمائة ما فعله التتر بالكرج وانقضت تلك السنة وهم
في بلاد الكرج فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة ساروا من ناحية الكرج لانهم
رأوا ان بين ايديهم شوكة قوية ومضايق تحتاج الى قتال وصداع فعدلوا عنهم وهذه
كانت عادتهم اذا قصدوا مدينة ورأوا عندها امتناعا عدلوا عنها فوصلوا الى تبريز
وصانعهم صاحبها بمال وثياب ودواب فساروا عنه الى مدينة مراغة فحصروها وليس
بها صاحب يمنعها لان صاحبها كانت امرأة وهي مقيمة بقلعة روئين دز وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة فلما حصروها قاتلهم أهلها فنصبوا عليها
المجانيق وزحفوا اليها وكانت عادتهم اذا قاتلوا مدينة قدموا من معهم من اسارى
المسلمين بين ايديهم يزحفون ويقاتلون فان عادوا قتلوا فكانوا يقاتلون كرها وهم
المساكين كما قيل كالأشقر ان تقدم ينحر وان تأخر يعقر وكانوا هم يقاتلون وراء المسلمين
فيكون القتل في المسلمين الاسارى وهم بنجوة منه فأقاموا عليها عدة ايام ثم ملكوا
المدينة عنوة وقهرا رابع صفر ووضعوا السيف في أهلها فقتل منهم ما يخرج عن
الحد والاحصاء ونهبوا كل ما يصلح لهم وما لا يصلح لهم احرقوه واختفى بعض الناس منهم
فكانوا يأخذون الاسارى ويقولون لهم نادوا في الدروب ان التتر قد رحلوا فاذا نادى
اولئك خرج من اختفى فيؤخذ ويقتل (وبلغني) ان امرأة من التتر دخلت دارا وقتلت
جماعة من أهلها وهم يظنونها رجلا فوضعت السلاح واذا هي امرأة فقتلها رجل
اخذته اسيرا (وسمعت) من بعض اهلها ان رجلا من التتر دخل دربا فيه مائة رجل
فما زال يقتلهم واحدا واحدا حتى افناهم ولم يمد احد يده اليه بسوء ووضعت الذلة على
الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلا ولا كثيرا نعوذ بالله من الخذلان ثم رحلوا عنها
نحو مدينة اربل ووصل الخبر الينا بذلك بالموصل فخفنا حتى ان بعض الناس هم
بالجلاء خوفا من السيف وجاءت كتب مظفر الدين صاحب اربل الى بدر الدين
صاحب الموصل يطلب منه نجدة من العساكر فسير جماعة صالحة من عسكره واراد ان
يمضي الى طرف بلاده من جهة التتر ويحفظ المضايق التي لا يجوزها احد فانها جبال
وعرة ومضايق لا يقدر ان يجوزها الا الفارس بعد الفارس ويمنعهم من الجواز اليه
ووصلت كتب الخليفة ورسله الى الموصل والى مظفر الدين يأمر الجميع بالاجتماع
مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر فانهم ربما عدلوا عن جبال اربل لصعوبتها
الى هذه الناحية ويطرقون العراق فسار مظفر الدين من اربل في صفر وسار اليهم
جمع من عسكر الموصل وتبعهم من المتطوعة كثير وارسل الخليفة ايضا الى الملك
الاشرف يأمره بالحضور بنفسه في عساكره ليجتمع الجميع على قصد التتر وقتالهم فاتفق
ان الملك المعظم ابن الملك العادل وصل من دمشق الى اخيه الاشرف وهو بحران
يستنجده على الفرنج الذين بمصر وطلب منه ان يحضر بنفسه ليسيروا كلهم الى مصر
ليستنقذوا دمياط من الفرنج فاعتذر الى الخليفة باخيه وقوة الفرنج وان لم يتداركها

خرجت

الاخيرة فمعامير المدينة عند وصول ذلك ثم من المدينة الى الدرجة ما يبلغ المائة والالف بعين الفقر السنة
وهو شيء مستمر التكرار
والحروف ويحتاج الى آنوز
ذوور وغلمان واكثرهم من
حيان (ومنها) العمارة التي
امر بانشائها الباشا المشار اليه
بين السورين وحارة النصارى
المعروفة بخميس العدس
المتوصل منها الى جهة
الخرنفش وذلك باشارة
اكابر نصارى الافرنج ليجتمع
بها ارباب الصنائع الواصلون
من بلاد الافرنج وغيرهم وهي
عمارة عظيمة ابتدأوا فيها من
العام الماضي واستمروا مدة
في صناعة الآلات الاصولية
التي يصطنع بها اللوازم مثل
السندالات والمخارط الحديد
والقواديم والمناشير والتزجيجات
ونحو ذلك وافردوا لكل حرفة
وصناعة مكانا وصناعا يحتوي
المكان على الانوال والدواليب
والآلات الغريبة الوضع
والتركيب لصناعة
القطن وانواع الحرير
والاقمشة والقصبات (وفي
اواخر هذا العام) جمعوا مشايخ
الحارات والزموهم بجمع
اربعة آلاف غلام من اولاد
البلاد ليشتغلوا تحت ايدي
الصناع ويتعلموا ويأخذوا اجرة
يومية ويرجعوا لاهاليهم
اواخر النهار فمنهم من يكون له
القرش والقرشان والثلاثة
بحسب الصناعة وما يشابهها
وربما احتيج الى نحو العشرة آلاف غلام بعد اتمامها والاحتياج اليه في هذا الوقت

البلاد فزحف التتر اليهم وقاتلوهم ثم انهم ملكوا البلد عنوة في شهر رمضان سنة ثمان عشرة ووضعوا السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امرأة حتى انهم يشقون بطون الحبالى ويقتلون الاجنة وكانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها وكان الانسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحدا بعد واحد حتى يفرغ من الجميع لا يمد احد منهم اليه يدا فلما فرغوا منها استقصوا ما حولها من النهب والتخريب وساروا الى مدينة كنجة وهي ام بلاد اران فعلموا بكثرة اهلها وشجاعتهم لكثرة دربتهم بقتال الكرج وحصانتها فلم يقدموا عليها فارسلوا الى اهلها يطلبون منهم المال والثياب فحملوا اليهم ما طلبوا فساروا عنهم

ذكر وصول التتر الى بلاد الكرج

لما فرغ التتر من بلاد المسلمين باذربيجان واران بعضها بالملك وبعضها بالصلح ساروا الى بلاد الكرج من هذه الاعمال ايضا وكان الكرج قد اعدوا لهم واستعدوا وسيروا جيشا كثيرا الى طرف بلادهم ليمنعوا التتر عنها فوصل اليهم التتر فالتقوا فلم يثبت الكرج بل ولوا منهزمين فاخذهم السيف فلم يسلم منهم الا الشريد ولقد بلغني انهم قتل منهم نحو ثلاثين الفا ونهبوا ما وصلوا اليه من بلادهم وخربوها وفعلوا بها ما هو عادتهم فلما وصل المنهزمون الى تفليس وبها ملكهم جمع جموعا اخرى وسيرهم الى التتر ليمنعوهم من توسط بلادهم فرأوا التتر وقد دخلوا البلاد لم يمنعهم جبل ولا مضيق ولا غير ذلك فلما رأوا فعلهم عادوا الى تفليس فاخلوا البلاد ففعل التتر فيها ما ارادوا من النهب والقتل والتخريب ورأوا بلادا كثيرة المضايق والدربندات فلم يتجاسروا على الوغول فيها فعادوا عنها وحصل للكرج منهم خوف عظيم حتى سمعت عن بعض اكابر الكرج وكان قد قدم رسولا انه قال من حدثكم ان التتر انهزموا او اسروا فلا تصدقوه واذا حدثتم انهم قتلوا فصدقوا فان القوم لا يفرون ابدا ولقد اخذنا اسيرا منهم فالقى نفسه من الدابة وضرب رأسه بالحجر الى ان مات ولم يسلم نفسه للاسر

ذكر وصولهم الى دربند شروان وما فعلوه

لما عاد التتر من بلاد الكرج قصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخي وقاتلوا اهلها فصبروا على الحصر ثم ان التتر صعدوا سورها بالسلاليم وقيل بل جمعوا كثيرا من الجمال والبقر والغنم وغير ذلك ومن قتلى الناس منهم وممن قتل من غيرهم والقوا بعضه فوق بعض فصار مثل التل وصعدوا عليه فاشرفوا على المدينة وقاتلوا اهلها فصبروا واشتد القتال ثلاثة ايام فاشرفوا على ان يؤخذوا فقالوا السيف لا بد منه فالصبر اولى بنا ونموت كراما فصبروا تلك الليلة فانتنت تلك الجيف وانهضمت فلم يبق للتتر على السور استعلاء ولا تسلط على الحرب فعاودوا الزحف وملازمة القتال فضجر اهلها ومسهم التعب والكلال والاعياء فضعفوا فملك التتر البلد وقتلوا فيه فاكثروا ونهبوا الاموال واستباحوها فلما فرغوا منه ارادوا عبور الدربند فلم يقدروا على ذلك فارسلوا رسولا

من وسط الدور واختلط بحر الجيزة ببحر مصر العتيقة حتى كانت المراكب تمشي فوق جزيرة الروضة وكثر عويل الفلاحين وصراخهم على ما غرق لهم من المزارع وخصوصا الذرة التي هو معظم قوتهم وكثير من اهل البلاد ندبوا بالدفوف (ومنها) ان الباشا زاد في هذه السنة الخراج وجعل على كل فدان ستة قروش وسبعة بقشانية وذكر انه اعانة على حروب الحجاز والخوارج فدهى الفلاحون بهاتين الداهيتين وهي زيادة النيل وزيادة الخراج في غير وقت واوان فان من عادة الفلاحين واهل القرى اذا انقضت ايام الحصاد والدراوى وشطبوا ما عليهم من مال الخراج للملتزمين ويكون ذلك في مبادى زيادة النيل وارتفع عنهم الطلب وارتحلت كشاف النواحي وقائمقام الملتزمين والصيارف والمعينون وخلت النواحي منهم فعند ذلك ترتاح نفوسهم وتجتمع حواسهم ويعملون افراحهم ويجددون ملبوسهم ويزوجون بناتهم ويختنون صبيانهم ويشيدون بنيانهم ويصلحون جسورهم وحبوسهم فاذا اخذ النيل في الزيادة شرعوا في زراعة الصيفي الذي هو معظم قوتهم وكسبهم حتى اذا انحسر الماء وانكشفت الاراضي وآن اوان التخضير وزراعة الشتوي من البرسيم والغلة ويجدوا ما يسدون به مال القبهية وما يرتفقون به احوالهم

العلوى فلم يجدوه وكان قد هرب فى سرب صنعه الى ظاهر البلد هو واهله الى قلعة هناك على جبل عال فامتنع فيها فلما فقده الناس بقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون الا انهم اجتمعت كلمتهم على القتال الى ان يموتوا فاقاموا فى البلد ولم يخرجوا منه وكان التتر قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم فلما لم يروا احدا خرج اليهم من البلد طمعوا واستدلوا على ضعف اهله فقصدوهم وقاتلوهم فى رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقاتلهم الناس فى الدروب فبطل السلاح للزحمة واقتتلوا بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصيه الا الله تعالى وقوى التتر على المسلمين فافنوهم قتلا ولم يسلم الا من كان عمل له نفقا يختفى فيه وبقى القتل فى المسلمين عدة ايام ثم القوا النار فى البلد فاحرقوه ورحلوا عنها الى مدينة اردويل وقيل كان السبب فى ملكها ان اهل البلد اشتكوا الى الرئيس الشريف ما يفعل بهم الكفار واشار عليهم بمكاتبة الخليفة لينفذ اليهم عسكرا مع امير يجمع كلمتهم فاتفقوا على ذلك فكتب الى الخليفة ينهى اليه ما هم عليه من الخوف والذل وما يركبهم العدو من الصغار والخزى ويطلب نجدة ولو الف فارس مع امير يقاتلون معه ويجتمعون عليه فلما سار القاصد بالكتب ارسل بعض من علم بالحال الى التتر يعلمهم ذلك فارسلوا الى الطريق فاخذوهم واخذوا الكتب منهم وارسلوا الى الرئيس ينكرون عليه الحال فجحد فارسلوا اليه كتبه وكتب الجماعة فسقط فى ايديهم وتقدم اليهم التتر حينئذ وقاتلوهم وجرى فى القتال كما ذكرنا

﴿ذكر مسير التتر الى اذربيجان وملكهم اردويل وغيرها﴾

لما فرغ التتر من همذان ساروا الى اذربيجان فوصلوا الى اردويل فملكوها وقتلوا فيها واكثروا وخربوا اكثرها وساروا منها الى تبريز وكان قد قام بامرها شمس الدين الطغرائى وجمع كلمة اهلها وقد فارقها صاحبها اوزبك بن البهلوان وكان لا يزال منهمكا فى الخمر ليلا ونهارا يبقى الشهر والشهرين لا يظهر واذا سمع هيعة طار بجفلا وله جميع اذربيجان واران وهو اعجز خلق الله عن البلاد من عدو يريدها او يقصدها فلما سمع بمسير التتر من همذان فارق هو تبريز وقصد نقجوان وسير اهله وثقله الى خوى ليبعد عنهم فقام هذا الطغرائى بامر البلد وجمع الكلمة وقوى نفوس الناس على الامتناع وحذرهم عاقبة التخاذل والتوانى وحصن البلد بجهده وطاقته فلما قارب به التتر وسمعوا باجتماع اهل البلد عليه من اجتماع الكلمة على قتالهم وانهم قد حصنوا المدينة واصلحوا اسوارها وخنادقها ارسلوا يطلبون منهم مالا وثيابا فاستقر الامر بينهم على قدر معلوم من ذلك فسيروه اليهم فاخذوه ورحلوا الى مدينة سراو فنهبوها وقتلوا كل من فيها ورحلوا منها الى بيلقان من بلاد اران فنهبوا كل ما مروا به من البلاد والقرى وخربوا وقتلوا من ظفروا به من اهلها فلما وصلوا الى بيلقان حصروها فاستدعى اهلها منهم رسولا يقررون معه الصلح فارسلوا اليهم رسولا من اكابرهم ومقدميهم فقتله اهل

البلد

الرجال حتى بعض الفقهاء ويجتمع على الشيخ العالم الا معتقد الشيخ ثعيلب الضرير ويكثر من مدحه الناس فيزدادون فيها اعتقادا ولما تزوج عمنا الخليل بك طوغان النابلسى كان معه حرد فاوى اليه على حدتها واذا دخلت بيتا من البيوت قام اليها الخدم واستقبلوها بخوفهم ثم انها صعيد ومبارك ونحو ذلك واذا دخلت على البنات قمن اليها وقبلن يدها وبنوت معهن ومع الجوارى فذهبت يوما الى دار الشيخ عبد العليم الفيومى وذلك فى شهر شوال فتمرضت اياما وماتت فتحيروا وشغلوا عليها واحبوا تغيير ما عليها من الثياب فراوا شيئا بهر مابين افخاذها فكشفوه ونظروه فراوه واذا هو آلة الرجال الخصيتان والذى فوقهما فبهت النساء وتعجبن واخبروا الشيخ ثعيلب بذلك فقال اكتموا هذا الامر وغسلوه وكفنوه وواروه فى التراب ووجدوا فى جيبه مرآة وموسى وملقاطا وشاع امره واشتهر وتناقل الناس بالحدث والتعجب (ومنها) زيادة النيل فى هذا العام الزيادة المفرطة التى لم نسمع ولم نر مثلها حتى غرق الزروع الصيفية مثل الذرة والنيلة والسمسم والقصب والارز واكثر الجناين بحيث صار البحر وسواحله والملق لجة ماء وانهدم بسببه قرى كثيرة وغرق الكثير من الناس والحيوان حتى كان الماء يقيم بين الناس

الاطراف وبقيت دورا بركة خالية من السكن وكان بها اعظم من الديار الجليلة منها دار حسن كتخدا الشعراوي
وتابعه عمر جاويش ودار على
سمته ايضا ودار علي كتخدا
الخربطلي ودار قاضي البهار
ودار سليمان اغا ودار الحموي
وخلاف ذلك دور كانت
جارية في وقف عثمان
كتخدا القازدغلي وغير هو هذه
الدور هي التي ادركنا اهل
سكانها عدة سنين وكانت
في الزمن الاول عدة دور
مختصرة يسكنها اهل الرفاهية
من اهالي البلد وكان بها بيت
البكرية القديم بالناحية
الجنوبية تجاه زاوية جدهم
الشيخ جلال الدين البكري
وكان الناس يرغبون في
سكناها لطيب هوائها
وانكشاف الريح البحري
بها وليس في تجاهها من البر
الا خضرى الاشجار والمزارع
ويعبرها المراكب والمغاني
والفسح في ايام النيل بالمتفرجين
والمتنزهين واهل الخلاعة
بمزاميرهم ومغانيهم واصداء
اصواتهم المطربة تطرب الآذان
فلما انقشع عنها السكان
تداعت الدور الى الخراب
وبقيت مسكنا للبوم والغراب
مدة اقامة الفرنساوية فلما
حضر يوسف باشا الوزير في
المرة الاولى وذلك سنة اربع
عشرة ومائتين والف وانتقض
الصلح بينه وبين الفرنساوية
وحصلت المنافقة ووقعت
الحروب داخل البلدة واحاطت الفرنساوية بجهات البلد وجرى ما تقدم ذكره في الحوادث اليا بقية وكان طائفة من

الى بلادهم ليمنعوهم عنها فبلغ مسيرهم التتر فعادوا على اعقابهم راجعين فطمع الروس
وقفجاق فيهم وظنوا انهم عادوا خوفا منهم وعجزا عن قتالهم فجدوا في اتباعهم ولم يزل
التتر راجعين واولئك يقفون اثرهم اثني عشر يوما ثم ان التتر عطفوا على الروس وقفجاق
فلم يشعروا بهم الا وقد لقوهم على غرة منهم لانهم كانوا قد امنوا التتر واستشعروا القدرة
عليهم فلم يجتمعوا للقتال الا وقد بلغ التتر منهم مبلغا عظيما فصبر الطائفتان صبرا لم يسمع
بمثله ودام القتال بينهم عدة ايام ثم ان التتر ظفروا واستظهروا فانهزم قفجاق والروس
هزيمة عظيمة بعد ان اثخن فيهم التتر وكثر القتل في المنهزمين فلم يسلم منهم الا القليل
ونهب جميع ما معهم ومن سلم وصل الى البلاد على اقبح صورة لبعد الطريق والهزيمة
وتبعهم كثير يقتلون وينهبون ويخربون البلاد حتى خلا اكثرها فاجتمع كثير من
اعيان تجار الروس واغنيائهم وحملوا ما يعز عليهم وساروا يقطعون البحر الى بلاد
الاسلام في عدة مراكب فلما قاربوا المرسى الذي يريدونه انكسر مركب من مراكبهم
فغرق الا ان الناس نجوا وكانت العادة جارية ان السلطان له المركب الذي ينكسر
فاخذ من ذلك شيئا كثيرا وسلم باقي المراكب واخبر من بها بهذه الحال

(ذكر عود التتر من بلاد الروس وقفجاق الى ملكهم)

لما فعل التتر بالروس ما ذكرناه ونهبوا بلادهم عادوا عنها وقصدوا بلغار اواخر سنة
عشرين وستمائة فلما سمع اهل بلغار بقربهم منهم كمنوا لهم في عدة مواضع وخرجوا
اليهم فلقوهم واستجروهم الى ان جاوزوا موضع الكمناء فخرجوا عليهم من وراء
ظهورهم فبقوا في الوسط واخذهم السيف من كل ناحية فقتل اكثرهم ولم ينج منهم
الا القليل قيل كانوا نحو اربعة آلاف رجل فساروا الى سقسين عائدين الى ملكهم
جنكزخان وخلت ارض قفجاق منهم فعاد من سلم منهم الى بلادهم وكان الطريق
منقطعا مذ دخلها التتر فلم يصل منهم شيء من البرطاسي والسنجاب والقندز وغيرها مما
يحمل من تلك البلاد فلما فارقوها عادوا الى بلادهم واتصلت الطريق وحملت الامتعة
كما كانت هذا اخبار التتر المغربة قد ذكرناها سياقة واحدة لئلا تنقطع

(ذكر ما فعله التتر بما وراء النهر بعد بخارا وسمرقند)

قد ذكرنا ما فعله التتر المغربة التي سيرها ملكهم جنكزخان لعنه الله الى خوارزم شاه
واما جنكزخان فانه بعد ان سير هذه الطائفة الى خوارزم شاه وبعد انهزام خوارزم شاه
من خراسان قسم اصحابه عدة اقسام فسير قسما منها الى بلاد فرغانة ليملكوها وسير قسما
آخر منها الى ترمذ وسير قسما منها الى كلانة وهي قلعة حصينة على جانب جيحون من
احصن القلاع وامنع الحصون فسارت كل طائفة الى الجهة التي امرت بقصدها
ونازلتها واستولت عليها وفعلت من القتل والاسر والسبي والنهب والتخريب
وانواع الفساد مثل ما فعل اصحابهم فلما فرغوا من ذلك عادوا الى ملكهم جنكزخان
وهو بسمرقند فجهز جيشا عظيما مع احد اولاده وسيره الى خوارزم وسير جيشا آخر

الى شروان شاه ملك دربند شروان يقولون له ارسل الينا رسولا يسعى بيننا في الصلح فارسل عشرة رجال من اعيان اصحابه فاخذوا احدهم فقتلوه ثم قالوا للباقين ان انتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلكم الامان وان لم تفعلوا قتلناكم كما قتلنا هذا فقالوا لهم ان هذا الدربند ليس فيه طريق البتة ولكن فيه موضع هو اسهل ما فيه من الطرق فساروا معهم الى ذلك الطريق فعبروا فيه وخلفوه وراء ظهورهم

(ذكر ما فعلوا باللان وقفجاق)

لما عبر التتر دربند شروان ساروا في تلك الاعمال وفيها امم كثيرة منهم اللان واللكز وطوائف من الترك فنهبوا وقتلوا من اللكز كثيرا وهم مسلمون وكفار واوقعوا بمن عداهم من اهل تلك البلاد ووصلوا الى اللان وهم امم كثيرة وقد بلغهم خبرهم فجدوا وجمعوا عندهم جمعا من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر احدى الطائفتين بالاخرى فارسل التتر الى قفجاق يقولون نحن وانتم جنس واحد وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم ولا دينكم مثل دينهم ونحن نعاهدكم اننا لا نتعرض اليكم ونحمل اليكم من الاموال والثياب ما شئتم وتتركون بيننا وبينهم فاستقر الامر بينهم على مال حملوه وثياب وغير ذلك فحملوا اليهم ما استقر وفارقهم قفجاق فاوقع التتر باللان فقتلوا منهم واكثروا ونهبوا وسبوا وساروا الى قفجاق وهم آمنون متفرقون لما استقر بينهم من الصلح فلم يشعروا بهم الا وقد طرقوهم ودخلوا بلادهم فاوقعوا بهم الاول فالاول واخذوا منهم اضعاف ما حملوا اليهم وسمع من كان بعيد الدار من قفجاق الخبر ففروا من غير قتال وابعدوا فبعضهم اعتصم بالغياض وبعضهم بالجبال وبعضهم لحق ببلاد الروس واقام التتر في بلاد قفجاق وهي ارض كثيرة المراعي في الشتاء والصيف وفيها اماكن باردة في الصيف كثيرة المرعى واماكن حارة في الشتاء كثيرة المرعى وهي غياض على ساحل البحر ووصلوا الى مدينة سوداق وهي مدينة قفجاق التي منها مادتهم فانها على بحر الخزر والمراكب تصل اليها وفيها الثياب فتشترى منهم ويبيعون عليهم الجواري والمماليك والبرطاسي والقندز والسنجاب وغير ذلك مما هو في بلادهم وبحر الخزر هذا بحر متصل بخليج القسطنطينية ولما وصل التتر الى سوداق ملكوها وتفرق اهلها منها فبعضهم صعد الجبال باهله وماله وبعضهم ركب البحر وسار الى بلاد الروم التي بيد المسلمين من اولاد قلج ارسلان

(ذكر ما فعله التتر بقفجاق والروس)

لما استولى التتر على ارض قفجاق وتفرق اهل قفجاق كما ذكرنا سار طائفة كثيرة منهم الى بلاد الروس وهي بلاد كثيرة طويلة عريضة تجاورهم واهلها يدينون بالنصرانية فلما وصلوا اليهم اجتمعوا كلهم واتفقت كلمتهم على قتال التتر ان قصدوهم واقام التتر بارض قفجاق مدة ثم انهم ساروا سنة عشرين وستمائة الى بلاد الروس فسمع الروس وقفجاق خبرهم وكانوا مستعدين لقتالهم فساروا الى طريق التتر ليلقوهم قبل ان يصلوا

من بهائم الحرث ومغارم ث ١٧٨ وتداوى وابرم الاوضي ذلك قدمه واخذه السنجق ابن الا خير الارضية والعلوية

ورحل الكثير عن اهله ووطنه وكان ابتداء طلب هذه الزيادة قبل زيادة النيل ومجيء خبر النصرة فلما ورد خبر النصرة لم ترتفع تلك (ومنها) الاضطراب في المعاملة بالزيادة والنقص والمناداة عليها كل قليل والتشكيل والتحريك وبلغ صرف البندقي ثمانمائة وثمانين نصف فضة والفرانسه اربعمائة نصف وعشرة والمحبوب اربعمائة واربعين وهو المصري واما الاسلامبولي فيزيد اربعين والمجر ثمانمائة نصف واما هذه الانصاف وهي الفضة العددية فهي اسماء من غير مسميات لمنعها واحتكارها فلا يوجد منها في المعاملة بايدي الناس الا النادر جدا ولا يوجد بالايدي في مشتروات الاشياء وغيرها الا القروش بالخمسة والعشرة والعشرين ويصرف من اليهود والصيارف بالقرط والنقص ومن حصل بيده شيء من الانصاف شح عليه بالتواجد ولا يسمح باخراج شيء منه الا عند شدة الاضطرار اللازم (ومنها) ان السيد محمد المحروقي اشار بكتابة الرطل دار وبستان او على الاماكن التي تخربت في الحوادث وذلك انه لما طرقت الفرنساوية الديار المصرية واختل النظام وجلا كثير من الناس عن اوطانهم وخصوصا سكان

الى

واقام حد واتلمذوا واخذوا عنه ومشوا بعده واقام الخطبة آخر جمعة في شهر المحرم

حضر واعتقه وتمكن منهم قبض عليهم وعلى اميرهم وكتفوهم فلما فرغ منهم قال لهم اكتبوا الى تجار البلد ورؤساء ارباب الاموال في جريدة واكتبوا الى ارباب الصناعات والحرف في نسخة اخرى واعرضوا ذلك علينا ففعلوا ما امرهم فلما وقف على النسخ امر ان يخرج اهل البلد منه باهليهم فخرجوا كلهم ولم يبق فيه احد فجلس على كرسي من ذهب وامر ان يحضر اولئك الاجناد الذين قبض عليهم فاحضروا وضربت رقابهم صبرا والناس ينظرون اليهم ويبكون واما العامة فانهم قسموا الرجال والنساء والاطفال والاموال فكان يوما مشهودا من كثرة الصراخ والبكاء والعويل واخذوا ارباب الاموال فضربوهم وعذبوهم بانواع العقوبات في طلب الاموال فربما مات احدهم من شدة الضرب ولم يكن بقي له ما يفتدي به نفسه ثم انهم احرقوا البلد واحرقوا تربة السلطان سنجر ونبشوا القبر طلبا للمال فبقوا كذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع امر بقتل اهل البلد كافة وقال هؤلاء عصوا علينا فقتلوهم اجمعين وامر باحصاء القتلى فكانوا نحو سبعمائة الف قتيل فانا لله وانا اليه راجعون مما جرى على المسلمين ذلك اليوم ثم ساروا الى نيسابور فحصروها خمسة ايام وبها جمع صالح من العسكر الاسلامي فلم يكن لهم بالتتر قوة فملكوا المدينة واخرجوا اهلها الى الصحراء فقتلوهم وسبوا حريمهم وعاقبوا من اتهموه بمال كما فعلوا بمرو واقاموا خمسة عشر يوما يخربون ويفتشون المنازل عن الاموال وكانوا لما قتلوا اهل مرو قيل لهم ان قتلاهم سلم منهم كثير ونجوا الى بلاد الاسلام فامروا باهل نيسابور ان تقطع رؤوسهم لئلا يسلم من القتل احد فلما فرغوا من ذلك سيروا طائفة منهم الى طوس ففعلوا بها كذلك ايضا وخربوها وخربوا المشهد الذي فيه علي بن موسى الرضا والرشيد حتى جعلوا الجميع خرابا ثم ساروا الى هراة وهي من احصن البلاد فحصروها عشرة ايام فملكوها وامنوا اهلها وقتلوا منهم البعض وجعلوا عندهم مسلم منهم شحنة وساروا الى غزنة فلقيهم جلال الدين بن خوارزمشاه فقاتلهم وهزمهم على ما نذكره ان شاء الله فوثب اهل هراة على الشحنة فقتلوه فلما عاد المنهزمون اليهم دخلوا البلد قهرا وعنوة وقتلوا كل من فيه ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ونهبوا السواد وخربوا المدينة جميعها واحرقوها وعادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بالطالقان يرسل السرايا الى جميع بلاد خراسان ففعلوا بها كذلك ولم يسلم من شرهم وفسادهم شيء من البلاد وكان جميع ما فعلوه بخراسان سنة سبع عشرة

(ذكر ملكهم خوارزم وتخريبها)

واما الطائفة من الجيش التي سيرها جنكزخان الى خوارزم فانها كانت اكثر السرايا جميعها لعظم البلد فساروا حتى وصلوا الى خوارزم وفيها عسكر كبير واهل البلد معروفون بالشجاعة والكثرة فقاتلوهم اشد قتال سمع به الناس ودام الحصر لهم خمسة اشهر فقتل من الفريقين خلق كثير الا ان القتلى من التتر كانوا اكثر لان المسلمين

(واما من مات في هذه السنة) ممن له ذكر (فمات) شيخ الاسلام وعمدة الانام الفقيه العلامة والنحرير الفهامة الشيخ محمد الشنواني نسبة الى شنوان الغرف الشافعي الازهري شيخ الجامع الازهر من اهل الطبقة الثانية الفقيه النحوي المعقولي حضر الاشياخ اجلهم الشيخ فارس وكالصعيدي والدردير والفرماوي وتفقه على الشيخ عيسى البراوي ولازم دروسه وبه تخرج واقرا الدروس وافاد الطلبة بالجامع المعروف بالفاكهاني بالقرب من دار سكنه بخشقدم مهذب النفس مع التواضع والانكسار والبشاشة لكل احد من الناس ويشمر ثيابه ويخدم بنفسه ويكنس الجامع ويسرج القناديل ولما توفي الشيخ عبد الله الشرقاوي اختاروه للمشيخة فامتنع وهرب الى مصر العتيقة بعدما جرى ما تقدم ذكره من تصدر الشيخ محمد المهدي فاحضروه قهرا عنه وتلبس بالمشيخة مع ملازمته لجامع الفاكهاني كعادته واقبلت عليه الدنيا فلم يتهنا بها واعترته الامراض وتعلل بالزحير اشهرا ثم عوفي ثم باشر قيا بالبرودة وانقطع بالدار كذلك اشهرا ولم يزل منقطعا حتى توفي يوم الاربعاء رابع عشري المحرم وصلي عليه بالازهر في مشهد عظيم ودفن بتربة المجاورين وله تآليف منها حاشية جليلة على شرح الشيخ عبد السلام

الفرنساوية لما تولوا الى ناحية هذه البركة وملكوا التل المعروف بتل ابو الريش واخذوا يرمون بالمدافع
والقنابر على اهل باب الشعرية
وتلك النواحى فما انجلت
الحروب حتى خربت بيوت
البركة وما كان بتلك النواحى
من الدور التى بظاهرها
وبقيت كيمانا فحسن ببال
السيد المذكور ان يجعل له
مكانا هناك فاحتكر اراضى
تلك الاماكن من اربابها من
مدة سابقة ثم تكاسل عن
ذلك واشتغل بتوسعة
دار سكنه التى بخطة الفحامين
على دكة الحسبة القديمة
حتى انهاها على الوضع الذى
قصده ثم شرع فى السنة
الماضية فى انشاء مكن
مخصوص نزاهته ثم شرع فى
تنظيف الاتربة واصلاح
الارض وانشاء دار متسعة
وقيعانا وفسقيات وهى مفروشة
بالرخام وحولها بستان وغرس
به انواع الاشجار ودوالى
الكروم وهى بمكان حسن
كثيرا وما كان على متمن
الدور نحو الثلاثين وانشا
كاتبه السيد عمر الحسينى دارا
عظيمة مخصوصة اخذ فيها
باقى اراضى الاماكن وزخرفها
وانتقل اليها باهله وعياله
وجعلها دار السكناه صيفا
وشتاء وبنى اخاخير بظاهرها
حائطا يكون لدورها سورا
وجعل بها بوابة تفتح وتقفل
وكان بجوار ذلك جامع متخرب يسمى جامع الحسن بنى قصره ايضا السيد محمد المحروقى

فعبروا جيحون الى خراسان

(ذكر ملك التتر خراسان)

لما سار الجيش المنفذ الى خراسان عبروا جيحون وقصدوا مدينة بلخ فطلب اهلها الامان
فامنوهم فسلم البلد سنة سبع عشرة وستمائة ولم يتعرضوا اليه بنهب ولا قتل بل جعلوا
فيه شحنة وساروا وقصدوا الزوزان وميمند واندخوى وفاريات فملكوا الجميع
وجعلوا فيه ولاة ولم يتعرضوا الى اهلها بسوء ولا أذى سوى انهم كانوا ياخذون الرجال
ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم حتى وصلوا الى الطالقان وهى ولاية تشتمل على عدة بلاد
وفيها قلعة حصينة يقال لها منصور كوه لا ترام علوا وارتفاعا وبها رجال يقاتلون شجعان
فحصروها مدة ستة اشهر يقاتلون اهلها ليلا ونهارا ولا يظفرون منها بشئ فارسلوا الى
جنكزخان يعرفونه عجزهم عن ملك هذه القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة ولامتناعها
بحصانتها فسار بنفسه وبمن عنده من جموعه اليها وحصرها ومعه خلق كثير من
المسلمين اسرى فامرهم بمباشرة القتال والا قتلهم فقاتلوا معه واقام عليها اربعة اشهر
اخرى فقتل من التتر عليها خلق كثير فلما رأى ملكهم ذلك أمر ان يجمع له من الحطب
والاخشاب ما امكن جمعه ففعلوا ذلك وصاروا يعملون صفا من خشب وفوقه صفا من
تراب فلم يزالوا كذلك حتى صار تلا عاليا يوازى القلعة فاجتمع من بها وفتحوا بابها
وخرجوا منها وحملوا حملة رجل واحد فسلم الخيالة منهم ونجوا وسلكوا تلك الجبال
والشعاب واما الرجالة فقتلوا ودخل التتر القلعة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا
الاموال والامتعة ثم ان جنكزخان جمع اهل البلاد التى اعطاهم الامان ببلخ وغيرها
وسيرهم مع بعض اولاده الى مدينة مرو فوصلوا اليها وقد اجتمع بها من الاعراب
والاتراك وغيرهم ممن نجا من المسلمين ما يزيد على مائتى الف رجل وهم معسكرون
بظاهر مرو وهم عازمون على لقاء التتر ويحدثون نفوسهم بالغلبة لهم والاستيلاء عليهم
فلما وصل التتر اليهم التقوا واقتتلوا فصبر المسلمون واما التتر فلا يعرفون الهزيمة
حتى ان بعضهم أسر فقال وهو عند المسلمين ان قيل ان التتر يقتلون فصدقوا وان قيل
انهم ينهزمون فلا تصدقوا فلما رأى المسلمون صبر التتر واقدامهم ولوا منهزمين فقتل
التتر منهم واسروا الكثير ولم يسلم الا القليل ونهبت اموالهم وسلاحهم ودوابهم وارسل
التتر الى ما حولهم من البلاد يجمعون الرجال لحصار مرو فلما اجتمع لهم ما ارادوا تقدموا
الى مرو وحصروها وجدوا فى حصرها ولازموا القتال وكان اهل البلد قد ضعفوا
بانهزام ذلك العسكر وكثرة القتل والاسر فيهم فلما كان اليوم الخامس من نزولهم ارسل
التتر الى الامير الذى بها متقدما على من فيها يقولون له لا تهلك نفسك واهل البلد واخرج
الينا فنحن نجعلك امير هذه البلدة ونرحل عنك فارسل يطلب الامان لنفسه ولاهل
البلد فامنهم فخرج اليهم فخلع عليه ابن جنكزخان واحترمه وقال له اريد ان تعرض على
اصحابك حتى ننظر من يصلح لخدمتنا استخدمناه واعطيناه اقطاعا ويكون معنا فلما

حصروا

ذنب وهو صاحب هراة فاختلف هذان الاميران في الغنيمة فاقتتلوا فقتل بينهم اخ لبغراق فقال بغراق انا اهزم الكفار و يقتل اخي لاجل هذا السحت فغضب وفارق العسكر وسار الى الهند فتبعه من العسكر ثلاثون الفا كلهم يريدونه فاستعطفه جلال الدين بكل طريق وسار بنفسه اليه وذكره الجهاد وخوفه من الله تعالى وبكى بين يديه فلم يرجع وسار مفارقا فانكسر لذلك المسلمون وضعفوا فبينما هم كذلك اذ ورد الخبر ان جنكزخان قد وصل في جموعه وجيوشه فلما رأى جلال الدين ضعف المسلمين لاجل من فارقهم من العسكر ولم يقدر على المقام فسار نحو بلاد الهند فوصل الى ماء السند وهو نهر كبير فلم يجد من السفن ما يعبر فيه وكان جنكزخان يقص اثره مسرعا فلم يتمكن جلال الدين من العبور حتى ادركه جنكزخان في التتر فاضطر المسلمون حينئذ الى القتال والصبر لتعذر العبور عليهم وكونوا ذلك كالاشقر ان تأخر نحر وان تقدم عقر فتصافوا واقتتلوا اشد قتال اعترفوا كلهم ان كل ما مضى من الحروب كان لعبا بالنسبة الى هذا القتال فبقوا كذلك ثلاثة ايام فقتل الامير ملك خان المقدم ذكره وخلق كثير وكان القتل في الكفار اكثر والجراح اعظم فرجع الكفار عنهم فابعدوا ونزلوا فلما رأى المسلمون انهم لا مدد لهم وقد ازدادوا ضعفا بمن قتل منهم وجرح ولم يعلموا بما اصاب الكفار من ذلك فارسلوا يطلبون السفن فوصلت وعبر المسلمون ليقضي الله امرا كان مفعولا فلما كان الغد عاد الكفار الى غزنة وقد قويت نفوسهم بعبور المسلمين الماء الى جهة الهند و بعدهم فلما وصلوا اليها ملكوها لوقتها لخلوها من العساكر والحامي فقتلوا اهلها ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ولم يبق احد وخربوها واحرقوها وفعلوا بسوادها كذلك ونهبوا وقتلوا واحرقوا فاصبحت تلك الاعمال جميعها خالية من الانيس خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس

(ذكر تسليم الاشرف خلاط الى اخيه شهاب الدين غازي)

أواخر هذه السنة اقطع الملك الاشرف موسى بن العادل مدينة خلاط وجميع الاعمال ارمينية ومدينة ميافارقين من ديار بكر ومدينة حاني اخاه شهاب الدين غازي بن العادل واخذ منه مدينة الرها ومدينة سروج من بلاد الجزيرة وسيره الى خلاط اول سنة ثمان عشرة وستمائة وسبب ذلك ان الكرج لما قصد التتر بلادهم وهزموهم ونهبوها وقتلوا كثيرا من اهلها ارسلوا الى اوزبك صاحب اذربيجان واران يطلبون منه المهادنة والمرافقة على دفع التتر وارسلوا الى الملك الاشرف في هذا المعنى وقالوا للجميع ان لم توافقونا وتعاضدونا على قتال هؤلاء القوم ودفعهم عن بلادنا وتحضروا بنفوسكم وعساكركم لهذا المهم والا صالحناهم عليكم فوصلت رسلهم الى الاشرف وهو يتجهز الى الديار المصرية لاجل الفرنج وكانوا عندهم اهم الوجوه لاسباب اولها ان الفرنج كانوا قد ملكوا دمياط وقد اشرفت الديار المصرية على ان تملك فلو ملكوها لم يبق بالشام ولا غيره معهم ملك لاحد وثانيها ان الفرنج اشد شكيمة وطالبو ملك فاذا ملكوا قرية لا يفارقونها الا بعد ان يعجز اهل حقلها يوما واحدا وثالثها ان الفرنج

والتفع في ايامهم انتفاعا عظيما من تصديه لقضايا انشاء الامراء المصرية وغيرهم ومات والده فاستمر وميراثه وكذلك لما قتل عبد الله الحاج مصطفى البشقيلي في محرابه ببولاق لاعن وارث فاستولى على تعلقاته واطيانه وبستانه التي ببشتيل واتسع حاله واشترى العبيد والجواري والخدم ولما ارتحل الفرنساوية ودخلها العثمانيون انطوى الى السيد احمد المحروقي لانه كان يراسله سرا بالاخبار وحين خرج مع العثمانيين في الكسرة الى الشام فلما رجع فتراءى وراج شأنه وتوسط ذكره عند اهل الدولة وفي ايام الامراء المصريين حين رجعوا الى مصر بعد قتل طاهر باشا في سنة ثمان عشرة واحتوى على رزق واطيان وحصص التزام ولبس الفراوي بالاقبية وركب البغال واحدق به الاشياخ والاتباع وعنده ميل عظيم للتقدم والرياسة ولا يقنع بالكثير ولما وقع ما وقع في ولاية محمد علي باشا وانفرد السيد عمر افندي في الرياسة وصار بيده مقاليد الامور زاد به الحسد فكان هو من اكبر الساعين عليه مع امثاله المهدي وباقي الاشياخ حتى اخرجوه واخرجه الباشا من مصر كما تقدم فعند ذلك صفا لهم الوقت وتقلد الترجمة النقابة بعد موت الشيخ محمد بن وفا وركب الخيول ولبس التاج الكبير ومشت امامه الجاويشية والمقدمون وارباب الخدم وازدحم بيته

الطلبة وكان يجيد حفظ القرآن ويسرد مع فقهاء الجوقة في الليالي (وتقلد) على الجوهرة مشهورة ورتبا بذى المشيخة بعد الشيخ العلامة السيد محمد ابن شيخنا الشيخ احمد العروسي من غير منازع وباجماع اهل الوقت ولبس خلعا من بيوت الاعيان مثل البكري والسادات وباقي اصحاب المظاهر ومن يحب المظاهرة (ومات) العمدة الشيخ محمد بن احمد بن محمد المعروف بالدواخلي الشافعي ويقال له السيد محمد لان اباه تزوج بفاطمة بنت السيد عبد الوهاب البرديني فولدت المترجم ومنها جاءه الشرف وهم من محلة الداخل بالغربية وولد المترجم بمصر وتربى في حجر ابيه وحفظ القرآن واجتهد في طلب العلم وحضر الاشياخ من اهل وقته كالشيخ محمد عرفة الدسوقي والشيخ مصطفى الصاوي وغيرهم من اشياخ هذا العصر ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي في فقه مذهبه وغيره من المعقولات ملازمة كلية واختص به وصار من اخص تلامذته ولما مات السيد مصطفى الدمنهوري الذي كان بمنزلة كتخدا اقام مقامه واشتهر به واقرا الدروس الفقهية والمعقولية وحضره الطلبة وتداخل في قضايا الدعاوي والمصالح بين الناس واشتهر ذكره وخصوصا ايام الفرنساوية حين تقلد مشيخة رآسة ديوانهم

كان يحميهم السور وقوم لـ التتر الى ملكهم جنكزخان يطلبون المدد فامدهم بخلق كثير فلما وصلوا الى البلد زحفوا زحفا متتابعا فملكوا طرفا منه فاجتمع اهل البلد وقاتلوهم في طرف الموضع الذي ملكوه فلم يقدروا على اخراجهم ولم يزالوا يقاتلونهم والتتر يملكون منهم محلة بعد محلة وكلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون في المحلة التي تليها فكان الرجال والنساء والصبيان يقاتلون فلم يزالوا كذلك حتى ملكوا البلد جميعه وقتلوا كل من فيه ونهبوا كل ما فيه ثم انهم فتحوا السكر الذي يمنع ماء جيحون عن البلد فدخله الماء فغرق البلد جميعه وتهدمت الابنية وبقي موضعه ماء ولم يسلم من اهله احد البتة فان غيره من البلاد قد كان يسلم بعض اهله منهم من يختفي ومنهم من يهرب ومنهم من يخرج ثم يسلم ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فينجو واما اهل خوارزم فمن اختفى من التتر غرقه الماء او قتله الهدم فاصبحت خرابا يبابا

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ■ أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وهذا لم يسمع بمثله في قديم الزمان وحديثه نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الخذلان بعد النصر فلقد عمت هذه المصيبة الاسلام واهله فكم من قتيل من اهل خراسان وغيرها الا من القاصدين من التجار وغيرهم كانوا كثيرا مضى الجميع تحت السيف ولما فرغوا من خراسان وخوارزم عادوا الى ملكهم بالطالقان

■ (ذكر ملك التتر غزنة وبلاد الغور) ■

لما فرغ التتر من خراسان وعادوا الى ملكهم جهز جيشا كثيفا وسيره الى غزنة وبها جلال الدين بن خوارزم شاه مالكا لها وقد اجتمع اليه من سلم من عسكر ابيه قيل كانوا ستين ألفا فلما وصلوا الى اعمال غزنة خرج اليهم المسلمون مع ابن خوارزم شاه الى موضع يقال له بلق فالتقوا هناك واقتتلوا قتالا شديدا وبقوا كذلك ثلاثة ايام ثم انزل الله نصره على المسلمين فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاؤا ومن سلم منهم عاد الى ملكهم بالطالقان فلما سمع اهل هراة بذلك ثاروا بالوالي الذي عندهم للتتر فقتلوه فسير اليهم جنكزخان عسكرا فملكوا البلد وخربوه كما ذكرناه فلما انهزم التتر ارسل جلال الدين رسولا الى جنكزخان يقول له في اي موضع تريد يكون الحرب حتى ناتي اليه فجهز جنكزخان عسكرا كثيرا اكثر من الاول مع بعض اولاده وسيره اليه فوصل الى كابل فتوجه العسكر الاسلامي اليهم وتصافوا هناك وجرى بينهم قتال عظيم فانهزم الكفار ثانيا فقتل كثير منهم وغنم المسلمون ما معهم وكان عظيما وكان معهم من اسارى المسلمين خلق كثير فاستنقذوهم وخلصوهم ثم ان المسلمين جرى بينهم فتنة لاجل الغنيمة وسببها ان اميرا منهم يقال له سيف الدين بغراق اصله من الاتراك الخلج كان شجاعا مقداما ذا رأي في الحرب ومكيدة وهو اصطلى الحرب مع التتر بنفسه وقال لعسكر جلال الدين تأخروا انتم فقد ملئتم منهم رعبا وهو الذي كسر التتر على الحقيقة وكان من المسلمين ايضا امير كبير يقال له ملك خان بينه وبين خوارزم شاه

نسب

وكان حسن السيرة مع الحاج فى الطريق كثير الحماية فقصده راجح بن قتادة وبذل له وللخليفة مالا ليساعده على ملك مكة فاجابه الى ذلك ووصلوا الى مكة ونزلوا بالزاهر وتقدم الى مكة مقاتلا لصاحبها حسن وكان حسن قد جمع جموعا كثيرة من العرب وغيرهم فخرج اليه من مكة وقاتله وتقدم امير الحاج من بين يدى عسكره منفردا وصعد الجبل ادلالا بنفسه وانه لا يقدم احد عليه فاحاط به اصحاب حسن وقتلوه وعلقوا رأسه فانهزم عسكر امير الحاج واحاط اصحاب حسن بالحاج لينهبوهم فارسل اليهم حسن عمامته امانا للحجاج فعاد اصحابه ولم ينهبوا منهم شيئا وسكن الناس واذن لهم حسن فى دخول مكة وفعل ما يريدونه من الحج والبيع وغير ذلك واقاموا بمكة عشرة ايام وعادوا فوصلوا الى العراق سالمين وعظم الامر على الخليفة فوصلت رسل حسن يعتذرون ويطلبون العفو عنه فاجيب الى ذلك وقيل فى موت قتادة ان ابنه حسنا خنقه فمات وسبب ذلك ان قتادة جمع جموعا كثيرة وسار عن مكة يريد المدينة فنزل بوادى الفرع وهو مريض وسير اخاه على الجيش ومعه ابنه الحسن بن قتادة فلما ابعدوا بلغ الحسن ان عمه قال لبعض الجند ان اخى مريض وهو ميت لا محالة وطلب منهم ان يحلفوا له ليكون هو الامير بعد اخيه قتادة فحضر الحسن عند عمه واجتمع اليه كثير من الاجناد والمماليك الذين لابيه فقال الحسن لعمه قد فعلت كذا وكذا فقال لم افعل فامر حسن الحاضرين بقتله فلم يفعلوا وقالوا انت امير وهذا امير ولا نمد ايدينا الى احدكما وقال له غلامان لقتادة نحن عبيدك فمرنا بما شئت فامرهما ان يجعلا عمامة عمه فى عنقه ففعلا ثم قتلاه فسمع قتادة الخبر فبلغ منه الغيظ كل مبلغ وحلف ليقتلن ابنه وكان على ما ذكرناه من المرض فكتب بعض اصحابه الى الحسن يعرفه الحال ويقول له ابدأ به قبل ان يقتلك فعاد الحسن الى مكة فلما وصلها قصد دار ابيه فى نفر يسير فوجد على باب الدار جمعا كثيرا فامرهم بالانصراف الى منازلهم ففارقوا الدار وعادوا الى مساكنهم ودخل الحسن الى ابيه فلما رآه ابوه شتمه وبالغ فى ذمه وتهدده فوثب اليه الحسن فخنقه لوقته وخرج الى الحرم الشريف واحضر الاشراف وقال ان ابى قد اشتد مرضه وقد امركم ان تحلفوا لى ان اكون انا الامير فحلفوا له ثم انه اظهر تابوتا ودفنه ليظن الناس انه مات وكان قد دفنه سرا فلما استقرت الامارة بمكة له ارسل الى اخيه الذى بقلعة الينبع على لسان ابيه يستدعيه وكتم موت ابيه عنه فلما حضر اخوه قتله ايضا واستقر امره وثبت قدمه وفعل بامير الحاج ما تقدم ذكره فارتكب عظيما اقتل اباه وعمه واخاه فى ايام يسيرة لا جرم لم يمهله الله سبحانه وتعالى نزع ملكه وجعله طريدا شريدا خائفا يترقب وقيل ان قتادة كان يقول شعرا فمن ذلك انه طلب ليحضر عند امير الحاج كما جرت عادة امراء مكة فامتنع فعوتب من بغداد فاجاب بابيات شعر منها

ولى كف ضرغام اذل ببطشها • واشرى بها بين الورى وابيع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها • وفى وسطها للمجدبين ربيع
أأجعلها تحت الرحا ثم ابتغى • خلاصا لها انى اذا لرقيع

الحواس عن طرف المزاج متشكلا من الطبيعى وكل قليل يرسل السيد طاهر ويلح فى ان يشفع فيه عند الباشا ليأذن له فى الحج ومرة يحتج بالمرض ليموت فى داره فلم يؤذن له فى شئ من ذلك ولم يزل بالحالة حتى توفى منتصف شهر ربيع الاول من السنة ودفن هناك وكان وجد التحيل الى الرياسة طبعا وفيه حدة مزاج وهى التى كانت سببا لموته باجله رحمه الله تعالى وايانا

(ومات) الصدر المعظم والدستور المكرم الوزير طاهر باشا ويقال انه ابن اخت محمد على باشا وكان ناظرا على ديوان الكمرك ببولاق وعلى الخمامير ومصادرته من ذلك وشرع فى عمارة داره التى بالازبكية بجوار بيت الشرايبى تجاه جامع ازبك على طرف المرى وهى فى الاصل بيت المدفى ومحمود حسن واحترق منه جانب ثم هدم اكثرها وخرج بالجدار الى الرحبة واخذ منها جانبا وادخل فيه بيت رضوان كتخدا الذى يقال له ثلاثة ولية سعة له باب العامودين الرخام الملتفين على مكسلتى الباب الخارج وشيد البناء بخرجات فى العلو متعددة وجعل بابه مثل باب القلعة ووضع فى جهتيه العامودين المذكورين وصارت الدار كأنها قلعة مشيدة فى غاية من الفخامة فها هو الان قارب الاتمام وقد اعتراه المرض فسافر الى الاسكندرية بقصد تبديل الهواء فاقام

بها وبيد الاهوى والدكاكين وعمر دار سكنهم القديمة بكفر الطماعين وادخل فيها ادورا وانشأ بها مسجدا لطيفا

قد طمعوا في كرسي مملكة البيت العادلي وهي مصر والشام وصلوا اليها واخذوا ارزا شيئا من بلادهم ولبسوا ايضا من يريد المنازعة في الملك وما غرضهم الا النهب والقتل وتخريب البلاد والانتقال من بلد الى آخر فلما تم ما وصل المعظم عيسى كما ذكرناه اجابهم يعتذر بالمسير الى مصر لدفع الفرنج ويقول لهم انني قد اقطعت ولاية خلاط لاخي وسيرته اليها ليكون بالقرب منكم ولو كنت عنده العساكر في احتجتم الى نصرته حضر لدفع التتر وسار هو الى مصر كما ذكرناه

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة في ربيع الآخر خرب الشهيد بدر الدين قلعة تل اعفر وفيها في جمادى الاولى ملك الاشرف مدينة سنجار وفيها ايضا وصل الموصل واقام بظاهرها ثم سار يريد اربل لقصد صاحبها فترددت الرسل بينهم في الصلح فاصطلحوا في شعبان وقد تقدم ذكر جميعه مفصلا سنة خمس عشرة وستمائة وفيها وصل التتر الى الري فملكوها وقتلوا كل من فيها ونهبوها وساروا منها فوصلوا الى همذان فلقيهم رئيسها بالطاعة والحمل فابقوا على اهلها وساروا الى اذربيجان فخربوا واحرقوا البلاد وقتلوا وسبوا وعملوا ما لم يسمع بمثله وقد تقدم ايضا مفصلا وفيها توفي نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الذي كان وزير الخليفة وصلى عليه بجامع القصر وحضر دار باب الدولة ودفن بالمشهد وفيها توفي صدر الدين ابو الحسن محمد بن عمر بن حمويه الجويني شيخ الشيوخ بمصر والشام وكان موته بالموصل وردها رسولا وكان فقيها فاضلا وهو من بيت كبير من خراسان رحمه الله كان نعم الرجل وفيها اغار جمع من بني معروف الى ما اضعوم من البطيحة وكانوا قد ساروا الى الاحساء والقطيف فلم يمكنهم المقام لكثرة اعدائهم فقصدوا ناحية البصرة وطلبوا منه ان يكاتب الديوان ببغداد بالرضا عنهم فكاتب معهم بذلك وسيرهم مع اصحابه الى بغداد فلما قاربوا واسط لقيهم قاصد من الديوان فقتلهم فقتلوا

❁(ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة)❁

❁(ذكر وفاة قتادة امير مكة وملك ابنه الحسن وقتل امير الحاج)❁

في هذه السنة في جمادى الآخرة توفي قتادة بن ادريس العلوي ثم الحسيني امير مكة حرسها الله وكان عمره نحو تسعين سنة وكانت ولايته قد اتسعت من حدود اليمن الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وله قلعة ينبع بنواحي المدينة وكثر عسكره واستكثر من المماليك وخافه العرب في تلك البلاد خوفا عظيما وكان في اول ملكه لما ملك مكة حرسها الله حسن السيرة ازال عنها العبيد المفسدين وحمى البلاد واحسن الى الحجاج واكرمهم وبقي كذلك مدة ثم انه بعد ذلك اساء السيرة وجدد المكوس بمكة وفعل افعالا شنيعة ونهب الحاج في بعض السنين كما ذكرناه ولما مات ملك بعده ابنه الحسن وكان له ابن آخر اسمه راجح مقيم في العرب بظاهر مكة يفسد وينازع اخاه في ملكه فلما سار حاج العراق كان الامير عليهم مملوكا من مماليك الخليفة الناصر لدين الله اسمه اقباش

وجعل فيه منبرا وخطبة وعمر دارا ببركة جناق واسكنها احدى زوجاته وداخله الغرور وظن ان الوقت قد صفا له فاول ما ابتدأ به الدهر من نكباته ان مات ولده احمد وكان قد ناهز البلوغ ولم يكن له من الاولاد الذكور غيره فوجد عليه وجدا شديدا حتى كان يتكلم بكلام تقدمه الناس عليه وعمل له مشهدا ودفنه بمشهده تجاه بيته وعمل عليه مقاما ومقصورة مثل المقامات التي تقصد للزيارة وكان موته في منتصف سنة اربع وعشرين ووقعت حادثة قومة العسكر على الباشا في اواخر شهر شعبان من السنة المذكورة والمترجم اذ ذاك من اعيان الرؤساء يطلع وينزل في كل ليلة الى القلعة ويشار اليه ويحل ويعقد في قضايا الناس ويترسل عنه الباشا كما تقدم ذكر ذلك وداخله الغرور الزائد وتطاول على كبار الكتبة الاقباط وغيرهم ويراجع الباشا في مطالبه بعد انقضاء الفتنة الى ان ضاق صدر الباشا منه وامر باخراجه ونفيه الى دمياط وذلك في سنة احدى وثلاثين فاقام بها اشهرا ثم توجه بشفاعة السيد المحروقي الى المحلة الكبرى فاقام بها متقلقا

وكان

العجم في بلادك ونحن مماليك لك ونفتح البلاد لك وانت سلطاننا فتخدعهم من ذلك وخافهم فاعادوا الرسالة اليه اننا نحن نرهن عندك اولادنا ونساءنا على الطاعة والخدمة لك والانقياد لحكمك فلم يجبهم الى ما طلبوا فسألوه ان يمكنهم ليترددوا من بلاده فتدخل عشرة عشرة فاذا اشتروا ما يحتاجون اليه فارقوا البلاد فاجابهم الى ذلك فصاروا يدخلون متفرقين ويشترون ما يريدون ويخرجون ثم ان بعض كبرائهم والمقدمين منهم جاء الى رشيد وقال انني كنت في خدمة السلطان خوارزمشاه وانا مسلم والذين يصحبني على مثل ذلك اهلي ان قفجاق اعداؤك ويريدون الغدر بك فلا تمكنهم من المقام ببلادك فاعطني عسكرا حتى اقاتلهم واخرجهم من البلاد ففعل ذلك وسلم اليه طائفة من عسكره واعطاهم ما يحتاجون اليه من سلاح وغيره فسار واسعه فاوقعوا بطائفة من قفجاق فقتل منهم جماعة ونهب منهم فلم يتحرك قفجاق لقتال بل قالوا نحن مماليك ملك شروان شاه رشيد ولولا ذلك لقاتلنا عسكره فلما عاد ذلك المقدم القفجاقي ومعه عسكر رشيد سالمين فرح بهم ثم ان قفجاق فارقوا موضعهم فساروا ثلاثة ايام فقال ذلك القفجاقي لرشيد اريد عسكرا اتبعهم فارسل من العسكر ما اراد فسار يقفو اثر القفجاق فاوقع باواخرهم وغنم منهم وقصده جمع كثير من قفجاق من الرجال والنساء يبكون وقد جزوا شعورهم ومعهم تابوت وهم يحيطون به يبكون حوله وقالوا له ان صديقك فلانا قد مات وقد اوصى ان نحمله اليك فتدفنه في اي موضع شئت وتكون نحن عندك نخدمه والذين يبكون عليه ايضا وعاد الى شروان شاه رشيد واعلمه ان الميت صديق له وقد جاء معه وقد طلب اهله ان يكونوا عنده في خدمته فامر ان يدخلوا البلد وانزلهم فيه فكان اولئك الجماعة يبكون مع ذلك المقدم ويركبون بركوبه ويصعدون معه الى القلعة التي لرشيد ويقعدون عنده ويشربون معهم ونساؤهم فاحب رشيد ذلك الرجل الذي قيل له انه ميت ولم يكن مات وانما فعلوا هكذا مكيدة حتى دخلوا البلد والذي اظهروا موته معهم في التابوت ولا يعرفه رشيد هو من اكبر مقدمي قفجاق ففعلوا كذلك عدة ايام فكل يوم يجيء جماعة من قفجاق متفرقين فاجتمع بالقلعة منهم جماعة وارادوا قبض رشيد وملك بلاده ففطن لذلك فخرج عن القلعة من باب السر وهرب ومضى الى شروان وملك قفجاق القلعة وقالوا لاهل البلد نحن خير لكم من رشيد واعادوا باقي اصحابهم اليهم واخذوا السلاح الذي في البلد جميعه واستولوا على الاموال التي كانت لرشيد في القلعة ورحلوا عن القلعة وقصدوا قبلة وهي للكرج فنزلوا عليها وحصروها فلما سمع رشيد بفراقهم القلعة رجع اليها وملكها وقتل من بها من قفجاق ولم يشعر القفجاق الذين عند قبلة بذلك فارسلوا طائفة منهم الى القلعة فقتلهم رشيد ايضا فبلغ الخبر الى القفجاق فعادوا الى دربند فلم يكن لهم في القلعة طمع وكان صاحب قبلة لما كانوا يحصرونه قد ارسل اليهم وقال لهم انا ارسل الى ملك الكرج حتى يرسل اليكم الخلع والاموال ونجتمع نحن وانتم ونملك البلاد فتركه واعن نهب ولا ينشبه ايامانم انهم مدوا ايديهم

وكذلك صيوان الباشا وباقي الامراء والاعيان خرجوا بامرهم لعمل الشنك والحراقات والمرجوا من المدافع مدة مدفع وعشرة وغنائيل وقلاعا وسواقي وسواريخ وصورا من بارود وبعد ذلك في عمل الشنك من يوم الاربعاء فيضربون بالمدافع مع رماحة الخيالة من اول النهار مقدار ساعة زمانية ودربع قريبا من عشرين درجة ضربا متتابعا لا يتخلله سكون على طريقة الافرنج في الحروب بحيث انهم يضربون المدفع الواحد اثنتي عشرة مرة وقيل اربع عشرة مرة في دقيقة واحدة فعلى هذا الحساب يزيد ضرب المدافع في تلك المدة على ثمانين الف مدفع بحيث يتخيل الانسان اصواتها مع اصوات بنادق الخيالة المتراكضين رعودا هائلة ورتبوا المدافع اربعة صفوف ورسم الباشا ان الخيالة ينقسمون كذلك طوابير ويكمنون في الاعالي ثم ينزلون متراكضين وهم يضربون بالبنادق ويهجمون على المدافع في حال اندفاعها بالرمي فمن خطف شيئا من ادوات الطبجية الرماة ياتي به الى الباشا ويعطيه البقشيش والانعام فمات بسبب ذلك اشخاص وسواس ويكون مبادي نهايته وقوف الخيالة ثم انضبط جملة المدافع فانهم عند طلوع الفجر يضربون مدافع مع ... وبكل ال... بعدد الطوابير ... تقسم ... وبعد كل ما ... عند رمي جملته وياخذون احتياجهم من

جمادى الثانية واحضروا رمته فى اواخر الشهر ودفنوه بمدفنه الذى بناه بمصلى رمث

وما أنا الا المسك فى كل بلدة ❊ يضوع واما عندكم فيضيع

❊(ذكر عدة حوادث)❊

فى هذه السنة استعاد المسلمون مدينة دمياط بالديار المصرية من الفرنج وقد تقدم ذكرها مستوفى مفصلا وفيها فى صفر ملك التتر مراغة وخربوها واحرقوها وقتلوا اكثر اهلها ونهبوا اموالهم وسبوا حريمهم وسار التتر منها الى همذان وحصروها فقاتلهم اهلها وظفر بهم التتر وقتلوا منهم ما لا يحصى ونهبوا البلد وساروا الى اذربيجان فعادوا النهب ونهبوا ما بقى من البلاد ولم ينهبوه اولا ووصلوا الى بيلقان من بلاد اران فحصروها وملكوا وقتلوا اهلها حتى كادوا يفنونهم وقتل منهم كثير ونهبت اموالهم واكثر بلادهم وقصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخى وملكوها وقتلوا كثيرا من اهلها وساروا الى بلد اللان واللكز ومن عندهم من الامم فاوقعوا بهم وجلوا عن قفجاق واجلوهم عنها واستولوا عليها وساحوا فى تلك الارض حتى وصلوا الى بلاد الروس وقد تقدم ذكر جميعه مستقصى وانما اوردناه ههنا جملة ليعلم الذى كان فى هذه السنة من حوادثهم وفيها توفى صديقنا امين الدين ياقوت الكاتب الموصلى ولم يكن فى زمانه من يكتب ما يقاربه ولا من يؤدى طريقة ابن البواب مثله وكان ذا فضائل جمة من علم الادب وغيره وكان كثير الخير نعم الرجل مشهورا فى الدنيا والناس متفقون على الثناء الجميل عليه والمدح له ولهم فيه اقوال كثيرة نظما ونثرا فمن ذلك ما قاله نجيب الدين الحسين بن على الواسطى من قصيدة يمدحه بها

جامع شارد العلوم ولولا ❊ ه لكانت ام الفضائل ثكلى

ذو يراع تخاف سطوته الاسد ❊ وتعنو له الكتائب ذلا

واذا افتر ثغره عن سواد ❊ فى بياض فالبيض والسمر خجلى

أنت بدر والكاتب ابن هلال ❊ كابيه لا فخر فيمن تولى

ومنها

ان يكن اولا فانت بالتفضيل ❊ اولى لفضله ان تصلى

وهى طويلة والكاتب بن هلال هو ابن البواب الذى هو اشهر من ان يعرف وفيها توفى جلال الدين الحسن وهو من اولاد الحسن بن الصباح الذى تقدم ذكره صاحب الموت وكرد كوه وهو مقدم الاسماعيلية وقد ذكرنا انه كان قد اظهر شريعة الاسلام من الاذان والصلاة وولى بعده ابنه علاء الدين محمد

❊(ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة)❊

❊(ذكر خروج طائفة من قفجاق الى اذربيجان وما فعلوه بالكرج وما كان منهم)❊

لما استولى التتر على ارض قفجاق تفرق قفجاق فطائفة قصدت بلاد الروس وطائفة تفرقت فى جبال هم واجتمع طائفة كثيرة منهم وساروا الى دربند شروان وارسلوا الى صاحبه واسمه رشيد وقالوا له ان التتر قد ملكوا بلادنا ونهبوا اموالنا وقد قصدناك

هناك اياما وتوفى فى شهر الزعفران بجوار السيدة بقدر لطرابلس وترك ابنا مراهقا فابقاه الباشا على منصب ابيه ونظامه وداره (ومات الامير) ايوب كتخدا الفلاح وهو مملوك الامير مصطفى جاويش تابع صالح الفلاح وكان آخر الاعيان المعلومين من جماعة الفلاح المشهورين وله عزوة واتباع وبيته مفتوح للواردين ويحب العلماء والصلحاء ويتأدب معهم وكان الباشا يجله ويقبل شفاعته وكذلك أكابر الدولة فى كل عصر وعلى كل حال كان لا بأس به توفى يوم الاربعاء العشرين من شهر شعبان وقد جاوز الستين رحمه الله تعالى

❊(واستهلت سنة اربع وثلاثين ومائتين والف)❊

(واستهل المحرم بيوم السبت) وسلطان الاسلام السلطان محمود شاه ابن عبد الحميد بدار سلطنته اسلامبول ووالى مصر وحاكمها محمد على باشا القوالى وكتخداه وباقى ارباب المناصب على حالهم وما هم عليه فى العام الماضى (ووردت) الاخبار من شرق الحجاز والبشائر بنصرة حضرة ابراهيم باشا على الوهابية قبل استهلال السنة بار بعة ايام وعند ذلك نودى بزينة المدينة بسبعة ايام اولها الاربعاء سابع عشرى الحجة وقد بقت الصواوين خارج باب النصر عند المهابل

لتقيم

ودخلوا البلد وملكوه وكان المسلمون في تلك البلاد اقوى من الكرج لانهم اذا نفروا بلد صالحوهم بشيء من المال فيعودون عنهم فكانوا احسن الاعداء مقدرة فلما كان هذه الدفعة ظن المسلمون انهم يفعلون مثل ما تقدم فلم يبالغوا في الامتناع منهم ولا هربوا من بين ايديهم فلما ملك الكرج المدينة وضعوا السيف في اهلها وفعلوا من القتل والنهب ما فعله بهم التتر هذا جميعه يجري وصاحب بلاد اذربيجان اوزبك بن البهلوان بمدينة تبريز ولا يتحرك في صلاح ولا يتجه لخير بل قد قنع بالاكل وادمان الشرب والفساد قبحه الله ويسر للمسلمين من يقوم بنصرهم وحفظ بلادهم بمحمد وآله

(ذكر ملك بدر الدين قلعة شوش)

في هذه السنة ملك بدر الدين صاحب الموصل قلعة شوش من اعمال الحميدية وبينها وبين الموصل اثنا عشر فرسخا وسبب ذلك انها كانت هي وقلعة العقر متجاورتين لعماد الدين زنكي بن ارسلان شاه وكان بينهما من الخلف ما تقدم ذكره فلما كان هذه السنة سار زنكي الى اذربيجان ليخدم صاحبها اوزبك بن البهلوان فاتصل به وصار معه واقطعه اقطاعات واقام عنده فسار بدر الدين الى قلعة شوش فحصرها وضيق عليها وهي على رأس جبل عال فطال مقامه عليها لحصانتها فعاد الى الموصل وترك عسكره يحاصرها فلما طال الامر على من بها ولم يروا من يرحله عنهم ولا من ينجدهم سلموها على قاعدة استقرت بينهم من اقطاع وخلع وغير ذلك فتسلمها نوابه في التاريخ ورتبوا امورها وعادوا الى الموصل .

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في العشرين من شعبان ظهر كوكب في السماء في الشرق كبير له ذؤابة طويلة غليظة وكان طلوعه وقت السحر فبقي كذلك عشرة ايام ثم انه ظهر اول الليل في الغرب مما يلي الشمال فكان كل ليلة يتقدم الى جهة الجنوب نحو عشرة اذرع في رأي العين فلم يزل يقرب من الجنوب حتى صار غربا محضا ثم صار غربا مائلا الى الجنوب بعد ان كان غربا مما يلي الشمال فبقي كذلك الى آخر شهر رمضان من السنة ثم غاب وفيها توفي ناصر الدين محمود بن محمد قرا ارسلان صاحب حصن كيفا وآمد وكان ظالما قبيح السيرة في رعيته قيل انه كان يتظاهر بمذهب الفلاسفة في ان الاجساد لا تحشر كذبوا لعنهم الله ولما مات ملك ابنه الملك المسعود

(ثم دخلت سنة عشرين وستمائة)

(ذكر ملك صاحب اليمن مكة حرسها الله تعالى)

في هذه السنة سار الملك المسعود اتسز ابن الملك الكامل محمد صاحب مصر الى مكة وصاحبها حينئذ حسن بن قتادة بن ادريس العلوي الحسني قد ملكها بعد ابيه كما ذكرناه وكان حسن قد اساء الى الاشراف والمماليك الذين كانوا لابيه وقد تفرقوا عنه

وكان معظمها حيث ما كن الافرنج والارمن فانهم تفننوا في عمل التصاوير والتماثيل واشكال البرج والقنيارات الزجاج والبلور واشكال التحف ونظمها في جهات المسلمين تجاه الخليلي والغورية والجمالية وبعض الاماكن والخانات ملاهي واغاني وسماعات وقيان وجنك ورقاصات هذا والتهويل والاشغال والاستعداد لعمل الدونانمة على بحر النيل ببولاق فصنعوا صورة قلعة بابراج وقباب وزوايا واصناف دوائر وخورنقات وطيقان للمدافع وطلوها وبيضوها ونقشوها بالالوان والاصباغ وصورة باب ماللطه وكذلك صورة بستان على سفائن وفيه الطين ومغروس به الاشجار ومحيط به دار بزين مصبوغ وبه دوالي العنب واشجار الموز والفاكهة والنخيل والرياحين في قصاري لطيفة على حافاته وصورة عربية يجرها اربع راس وبها تماثيل وصور جالسين وواقفين وتمثال مجلس وبه جنك ورقاصات من تماثيل مصورة تحركها بآلات ابتكار بعض المبتكرين لان كل من تخيل بفكره شيئا عمله باليد تصور واذهب الى التوسعة حيث الاخشاب والصناع تبعه على طرف الميري حتى يبرزه في الخارج ويأخذ على ابتكاره البقشيش واكثرها الخصوص الحراقات والنقوط والبارود والسواريخ وغير ذلك وبعد انقضاء السبعة ايام المذكورة حصل

بالنهب والفساد ونهبوا بلاد قبلة جميعها وساروا الى قريب كنجة من بلاد اران وهي
للمسلمين فنزلوا عندها فارسل اليهم الامير بكنجة وهو مملوك لاوزبك صاحب اذربيجان
اسمه كوشخرة عسكرا فمنعهم من الوصول الى بلاده وسير رسولا اليهم يقول لهم غدرتم
بصاحب شروان واخذتم قلعته وغدرتم بصاحب قبلة ونهبتم بلاده فما يثق بكم احد
فاجابوا انا ما جئنا الا قصد الخدمة لسلطانك فمنعنا شروان شاه عنكم فلهذا قصدنا بلاده
واخذنا قلعته ثم تركناها من غير خوف واما صاحب قبلة فهو عدو لكم ولو اردنا ان
نكون عند الكرج لما كنا نجعل طريقنا على دربند شروان فانه اصعب واشق وابعد
وكنا جئنا الى بلادهم على عادتنا ونحن نوجه الرهائن اليكم فلما سمع هذا سار اليهم فسمع به
قفجاق فركب اميران منهم معهما ... فلقاهم في نفر يسير ووطؤا اليه وقبلوا يده وخدموه وقالوا له
قد اتيناك بين يديك في قلة من العدد ليعلم انا ما قصدنا الا الوفاء والخدمة لسلطانكم فامرهم
كوشخرة بالرحيل والنزول عند كنجة وتزوج ابنة احدهم وارسل الى صاحبه اوزبك
يعرفه حالهم فامرهم بالخلع والنزول بجبل كيلكون ففعلوا ذلك وخافهم الكرج فجمعوا
لهم ليكبسوهم فوصل الخبر بذلك الى كوشخرة امير كنجة فاخبر قفجاق وامرهم بالعود
والنزول عند كنجة فعادوا ونزلوا عندها وسار امير من امراء قفجاق في جمع منهم الى الكرج
فكبسهم وقتل كثيرا منهم وهزمهم وغنم ما معهم واكثر القتل فيهم والاسر منهم وغنمت
الكرج عليهم ورجع قفجاق الى جبل كيلكون فنزلوا فيه كما كانوا فلما نزلوا اراد الامير
الاكبر من امراء قفجاق ان يدخل الى الكرج مثل ما فعل صاحبه فمنعه كوشخرة فارسل اليه
ينهاه عن الحركة الى ان يكشف له خبر الكرج فلم يقف وسار الى بلادهم في ما تقدم وتب
ونهب واخذ الغنائم فسار الكرج من طريق يعرفونها وسبقوه فلما وصل اليهم قاتلوه
وحملوا عليه وعلى من معه على غرة وغفلة فوضعوا السيف فيهم واكثروا القتل فيهم
واستنقذوا الغنائم منه فعاد هو ومن معه على اقبح حالة وقصدوا برذعة وارسلوا
الى كوشخرة يطلبون ان يحضر عندهم هو بنفسه وعسكره ليقصدوا الكرج فياخذوا
بثارهم منهم فلم يفعل واخافهم وقال انتم خالفتم امري وعملتم برايكم فلا اتجدد لكم بفارس
واحد فارسلوا يطلبون الرهائن الذين لهم فلم يرد عليهم فاجتمعوا واخذوا كثيرا من المسلمين
عوضا من الرهائن فسار جمع من المسلمين من اهل البلاد وقاتلوهم فقتلوا منهم جماعة
كثيرة فعادوا وساروا نحو شروان وجازوا الى بلاد اللكز فطمع الناس فيهم المسلمون
والكرج واللكز وغيرهم فافنوهم قتلا ونهبا واسرا وسبيا بحيث ان المملوك منهم
كان يباع في دربند شروان بالثمن البخس

(ذكر نهب الكرج بيلقان)

في هذه السنة في شهر رمضان سار الكرج من بلادهم الى بلاد اران وقصدوا مدينة بيلقان
وكان التتر قد خربوها ونهبوها كما ذكرناه قبل فلما سار التتر الى بلاد قفجاق عاد من سلم
من اهلها اليها وعمروا ما امكنهم عمارته من سورها فبينما هم كذلك اذ اتاهم الكرج

ودخلوا

ذلك الوقت الى بعد شروق الشمس ويندفون في الرمي والرماحة الجمعة المذكور وبعد العشاء منه لا يبطل
كذلك الشد فلشتد رمي المدافع
المتتالية المختلفة اصواتها
بدون الرماحة ومع المدافع
الحراقة والنفوط والصواريخ
التي تصعد في الهواء وغيرها من
خشب الزان بدل القصب وكرتجة
بارودها اعظم من تلك
بحيث انها تصعد من الاسفل
الى العلو مثل عامود النار
واشياء اخر يسبق تذاكرها
تفنن في عملها الافرنج وغيرهم
وحول عمل الحراقة حلقة
دائر قد عملوا من
المناصل المؤقدة وطلبوا
لعمل اكياس بارود المدافع
مائتي الف ذراع من القماش
البز وكان رتب الارز الذي
يطبخ في القراقات ويفرق
في عراضي العساكر في كل
يوم اربعمائة اردب وما يتبعها
من السمن وهذا خلاف
مطابخ الاعيان وما ياتيهم
من بيوتهم من الوان الاطعمة
وغيرها واستمر هذا الضرب
والتسلك الى يوم الثلاثاء
رابع المحرم واهل البلد
ملازمون السهر والزينة على
الحوانيت والدور ليلا ونهارا
وتكرار المناداة عليهم في
كل يوم وركب حضرة الباشا
وتوجه الى داره بالازبكية
وهدمت الصواوين والخيام
وبطل الرمي ودخلت العساكر
والبنيات عنا فحينئذ حازتهم ابوابها الى المدينة وذهبوا الى دورهم ورفع الناس الزينة

المملكة فلما عظم شأنه حدثته نفسه بالاستيلاء على الملك وحسن له ذلك نفير واطمعه
فيه قيل ان الخليفة الناصر لدين الله اقطعه البلاد سرا واخرج بطلك فقويت نفسه على
الخلاف فاستفسد جماعة من العسكر واستمالهم فلما تم له امره اظهر الخلاف على غياث
الدين وخرج عن طاعته وتاوز بلده وسار فى البلاد يفسد ويقطع الطريق وينهب
ما امكنه من القرى وغيرها وانضاف اليه جمع كثير من اهل العيث والفساد ومعه مملوك
آخر اسمه ايبك الشامى كانا متفقين على العصيان فقوى بهما وساروا جميعهم الى غياث
الدين ليقاتلوه ويملكوا البلاد ويخرجوه منها فجمع غياث الدين عسكره والتقوا بنواحى
(٣) واقتتلوا فانهزم خال غياث الدين ومن معه وقتل من عسكره عالم
كثير وعاد المنهزمون الى اذربيجان على اقبح حال واقام غياث الدين فى بلاده
وثبتت قدمه

(حادثة غريبة لم يوجد مثلها)

كان اهل مملكة الكرج لم يبق منهم غير امرأة وقد انتهى الملك اليها فوليته وقامت
بالامر فيهم وحكمت فطلبوا لها رجلا يتزوجها ويقوم بالملك نيابة عنها او يكون من
اهل بيت المملكة فلم يكن فيهم من يصلح لهذا الامر وكان صاحب ارزن الروم هذا الوقت
هو مغيث الدين طغرل شاه بن قلج ارسلان بن مسعود قلج ارسلان وبيته مشهور من
اكابر ملوك الاسلام وهم من الملوك السلجوقية وله ولد كبير فارسل الى الكرج
يطلب الملكة لولده ليتزوجها فامتنعوا من اجابته وقالوا لا نفعل هذا لانا لا يمكننا ان
يملكنا مسلم فقال لهم ان ابنى يتنصر ويتزوجها فاجابوه الى ذلك فامر ابنه فتنصر
ودان بالنصرانية وتزوج الملكة وانتقل اليها واقام عندهم حاكما فى بلادهم
واستمر على النصرانية نعوذ بالله من الخذلان ونسأله ان يجعل خير اعمالنا آخرها
وخير ايامنا يوم نلقاه ثم كانت هذه الملكة الكرجية تهوى مملوكا
لها فكان زوجها يسمع عنها القبائح ولا يمكنه الكلام لعجزه ثم انه يوما دخل عليها
فرآها نائمة مع مملوكها فى فراش فانكر ذلك وواجهها بالمنع منه فقالت ان رضيت بهذا
والا فانت اخبر فقال انى لا ارضى بهذا فنقلته الى بلد آخر ووكلت به من يمنعه من
الحركة وحجرت عليه وارسلت الى بلد اللان واحضرت رجلين كانا قد وصفا بحسن
الصورة فتزوجت احدهما فبقى معها يسيرا ثم انها فارقته واحضرت انسانا آخر من
كنجة وهو مسلم فطلبت منه ان يتنصر ليتزوجها فلم يفعل فارادت ان تتزوجه وهو
مسلم فقام عليها جماعة الامراء ومعهم ايوانى وهو مقدم العساكر الكرجية فقالوا لها قد
افتضحنا بين الملوك بما تفعلين ثم تريدين ان يتزوجك مسلم وهذا لا نمكن منه ابدا
والامر بينهم متردد والرجل الكنجى عندهم لم يجبهم الى الدخول فى النصرانية
وهى تهواه

(ذكر عدة حوادث)

(هكذا بياض بالاصل)

المناخ ورسموا من المدافع على هيئة المتاريس وفيها فوانيس وقناديل وهيئة باب ما الطبوا بقبحه مقنوصرة
لما بدات ويرى بداخلها سرج
وشعل ويخرج منها حراقات
وسواريخ وغالب هذه الاعمال
من صناعة الافرنج واحضروا
سفائن رومية صغيرة تسمى
الشلنبات يرمى منها مدافع
وشنابر وشيطيات وقلاين
عمايير فى البحر المالح وفى
جميعها وقدات وسرج
وقناديل وكلها مزينة بالبيارق
الحرير والاشكال المختلفة
الالوان ودبوس اوغلى ببولاق
السكر ووعنده ايضا الحراقات
الكثيرة والشعل والمدافع
والسواريخ وبالجيزة عباس بك
ابن طوسون باشا والنصارى
الارمن بمصر القديمة وبولاق
والافرنج وابرز الجميع
زينتهم وغاية تحيلهم وحراقاتهم
وعند الاعيان حتى المشايخ
فى القنج والسفائن المعدة
للسروح والتفرج والنزاهة
والخروج عن الاوضاع
الشرعية والادبية واستمروا
على ماذكر الى يوم الاثنين
سابع عشره (وفى ذلك اليوم)
وصل عبد الله بن مسعود
الوهابى ودخل من باب النصر
وصحبته عبد الله بكتاشى
قبطان السويس وهو راكب
على هجين وبجانبه الذى كدرد
وامامه طائفة من الدلاة
فضربوا عند دخوله مدافع
كثيرة من القلعة وبولاق

ولم يبق عنده شيء احواله من غيره فوصل صاحب اليمن الى مكة ونهبها عسكره الى العصر
فحدثني بعض المجاورين المتعاهلين انهم نهبوها حتى اخذوا الثياب عن الناس وافقروهم
وامر صاحب اليمن ان ينبش قبر قتادة ويحرق فنبشوه فظهر التابوت الذي دفنه ابنه
الحسن والناس ينظرون اليه فلم يروا فيه شيئا فعلموا حينئذ ان الحسن دفن اباه سرا
وانه لم يجعل في التابوت شيئا وذاق الحسن عاقبة قطيعة الرحم وعجل الله مقابلته وازال
عنه ما قتل اباه واخاه وعمه لاجله خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

(ذكر حرب بين المسلمين والكرج بارمينية)

في هذه السنة في شعبان سار صاحب قلعة سرماري وهي من اعمال ارمينية الى خلاط
لانه كان في طاعة صاحب خلاط وهو حينئذ شهاب الدين غازي بن العادل ابي بكر بن
أيوب فحضر عنده وامر بمخالف بلاده اميرا من امرائه فجمع هذا الامير جمعا وسار الى بلاد
الكرج فنهب منها عدة قرى وعاد فسمعت الكرج بذلك فجمع صاحب دوين واسمه
شلوة وهو من اكابر امراء الكرج عسكره وسار الى سرماري فحصرها اياما ونهب بلدها
وسوادها ورجع فسمع صاحب سرماري الخبر فعاد الى سرماري فوصل اليها في اليوم
الذي رحل الكرج عنها فاخذ عسكره وتبعهم فاوقع بساقتهم فقتل منهم وغنم واستنقذ
ما اخذوا من غنائم بلاده ثم ان صاحب دوين جمع عسكره وسار الى سرماري
ليحصرها فوصل الخبر الى صاحبها فاستعد لها وجمع الذخائر وما يحتاج اليه فاتاه
من اخبره ان الكرج نزلوا بواد بين دوين وسرماري وهو واد ضيق فسار بجميع
عسكره بينه فوجدا السير ليكبس الكرج فوصل الى الوادي الذي هم فيه وقت السحر
ففرق عسكره فرقتين فرقة من اعلى الوادي وفرقة من اسفله وحملوا عليهم وهم غافلون
ووضعوا السيف فيهم فقتلوا واسروا وكان في جملة الاسرى شلوة امير دوين في جماعة
كثيرة من مقدميهم ومن سلم من الكرج عادوا الى بلدهم على حال سيئة ثم ان ملك
الكرج ارسل الى الملك الاشرف موسى بن العادل صاحب ديار الجزيرة وهو الذي
اعطى خلاط لاخيه الامير شهاب الدين يقول له كنا نظن اننا على صلح والآن فقد
عمل صاحب سرماري هذا العمل فان كنا على الصلح فنريد اطلاق اصحابنا من
الاسر وان كان الصلح قد انفسخ بيننا فتعرفنا حتى ندبر امرنا فارسل الاشرف الى
صاحب سرماري يأمره باطلاق الاسرى وتجديد الصلح مع الكرج ففعل ذلك
واستقرت قاعدة الصلح واطلق الاسرى

(ذكر الحرب بين غياث الدين وبين خاله)

في هذه السنة في جمادى الآخرة انهزم ايغان طائيسي وهو خال غياث الدين بن
خوارزم شاه محمد بن تكش وهذا غياث الدين هو صاحب بلاد الجبل والري واصبهان
وغير ذلك وله ايضا بلاد كرمان وكان سبب ذلك ان خاله ايغان طائيسي كان معه وفي
خدمته وهو اكبر امير معه لا يصدر غياث الدين الا عن رأيه والحكم اليه في جميع

المذكور من يوم الثلاثاء المذكور الى يوم الاحد التالي له من الجمعة الاخرى مدة خمسة أيام في اثنائها اجتهد
الناس من الاعيان وكل من
له اسم من اكابر الناس واهل
الدائرة والافندية الكتبة
حتى القهوجية ارباب المناصب
والمقاهي ومشايخ الاخطاط
والنواب والمتفرجين في نصب
الخيام بحافتي النيل واستأجروا
الاماكن المطلة على البحر
ولو من البعد وتنافسوا واشتطوا
او بالغوا في الاجرة حتى بلغ
اجرة المقعد طبقة بمثل وكالة
القمح الى خمسمائة قرش
وزيادة وكان الباشا امر بانشاء
قصر مخصوص لجلوسه
بالجزيرة تجاه بولاق قبلي
قصر ابنه اسمعيل باشا وعمروا
بياضه ونظامه في هذه المدة
القليلة فلما كان ليلة الاثنين
وهو يوم عاشوراء خرج الباشا
في ليلته وعدى الى القصر
المذكور وخرج اهل الدائرة
والاعيان الى الاماكن التي
استأجروها وكذلك العامة
انواعا واصبح يوم الاثنين
المذكور فضربت المدافع
الكثيرة التي صففوها بالبرين
وزين اهالي بولاق اسواقهم
وحوانيتهم وابواب دورهم
ودقت الطبول والمزامير
والنقرزانات في السفائن
وغيرها وطبلخانة الباشا
تضرب في كل وقت والمدافع
الكثيرة في ضحوة كل يوم
وعصره وبعد العشاء كذلك
وتوقد المشاعل وتعمل اصناف الحراقات والسواريخ والنفوط والشعل وتتقابل القلاع المصنوعة على وجه

وما بينهما من البلاد وله أيضا بلاد كرمان فلما دخلت ابره كما ذكرناه وصل التتر الى بلاده وامتنع باصفهان وحصره التتر فيها الى أن قدروا عليها فلما فارق التتر بلاده وساروا الى بلاد قفجاق عاد وملك البلاد وعمرها وملكه منها واقام بها الى أواخر سنة عشرين وستمائة وجرى له ما ذكرناه فى آخر سنة عشرين وسار الى بلاد فارس فلم يشعر صاحبها وهو اتابك سعد بن دكلا الا وقد وصل غياث الدين الى اطراف بلاده فلم يتمكن من الامتناع فقصد قلعة اصطخر فاحتمى بها وسار غياث الدين الى مدينة شيراز وهى كرسى مملكة فارس واكبرها واعظمها فملكها بغير تعب اول سنة احدى وعشرين وستمائة وبقى غياث الدين بها واستولى على اكثر البلاد ولم يبق بيد سعد الدين الا الحصون المنيعة فلما طال الامر على سعد الدين صالح غياث الدين على ان يكون لسعد الدين من البلاد قسم اتفقوا عليه ولغياث الدين الباقى واقام غياث الدين بشيراز وازداد اقامة وعزما على ذلك فلما سمع ان التتر قد عادوا الى الرى والبلاد التى لهم وخربوها

●(ذكر عصيان شهاب الدين غازى على اخيه الملك الاشرف واخذ خلاط منه)●

كان الملك الاشرف موسى بن العادل ابى بكر بن ايوب قد اقطع اخاه شهاب الدين غازى مدينة خلاط وجميع اعمال ارمينية واضاف اليها ميافارقين وحانى وجبل جور ولم يقنع بذلك حتى جعله ولى عهده فى البلاد التى له جميعها وحلف له جميع النواب والعساكر فى البلاد فلما سلم اليه ارمينية سار اليها كما ذكرناه واقام بها الى آخر سنة عشرين وستمائة فاظهر مغاضبة اخيه الملك الاشرف والتجنى عليه والعصيان والخروج عن طاعته فراسله الاشرف يستميله ويعاتبه على ما فعل فلم يرجع ولا ترك ما هو عليه بل اصر على ذلك واتفق هو واخوه المعظم عيسى صاحب دمشق ومظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل على الخلاف للاشرف والاجتماع على محاربته واظهروا ذلك وعلم الاشرف فارسل الى اخيه الكامل بمصر يعرفه ذلك وكانا متفقين وطلب منه نجدة فتجهز العساكر وارسل الى اخيه صاحب دمشق يقول له ان تحركت من بلدك سرت اليه واخذته وكان قد سار نحو ديار الجزيرة للميعاد الذى بينهم فلما وصلت اليه رسالة اخيه وسمع بتجهيز العساكر عاد الى دمشق واما صاحب اربل فانه جمع العساكر وسار الى الموصل فكان منه ما نذكره ان شاء الله واما الاشرف فانه لما اتفق عصيان اخيه جمع العساكر من الشام والجزيرة والموصل وسار الى خلاط فلما قرب منها فاته اخوه غازى ولم يكن له قوة على ان يلقاه محاربا ففرق عسكره فى البلاد ليحفظها وانتظر أن يسير صاحب اربل الى ما يجاوره من الموصل وسنجار وان يسير اخوه صاحب دمشق الى بلاد الاشرف عند الفرات الرقة وحران وغيرهما فيضطر الاشرف حينئذ الى العود عن خلاط فسار الاشرف اليه وقصد خلاط وكان اهلها يريدونه ويختارون دولته لحسن سيرته كانت فيهم وسوء سيرة غازى فلما حصرها سلمها اهلها اليه يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الآخرة وبقى غازى فى القلعة ممتنعا فلما جنه الليل نزل الى اخيه معتذرا ومتنصلا فعاتبه الاشرف وابقى عليه ولم يعاقبه على فعله لكن اخذ البلاد منه

والمحجمات ويدفع ثمنه على موجب التسعيرة ثم يوزع ما يوزنه ويردوا الشيء القليل على المتسببين وهم يبيعونه على هذه الحالة ومثل ذلك الشيرج وخلافه حتى الجبن القريش (وفيه) وصل عبد الله الوهابى فذهبوا به الى بيت اسمعيل باشا ابن الباشا فاقام يومه وذهبوا به فى صبحها عند الباشا بشبرا فلما دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة واجلسه بجانبه وحادثه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت ابراهيم باشا قال ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما كان قدره المولى فقال انا ان شاء الله تعالى اترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم البسه خلعة وانصرف عنه الى بيت اسمعيل باشا ببولاق ونزل الباشا فى ذلك اليوم السفينة وسافر الى جهة دمياط وكان بصحبة الوهابى صندوق صغير من صفيح فقال له الباشا ما هذا فقال هذا ما اخذه ابى من الحجرة اصحبه معى الى السلطان وفتحه فوجد به ثلاثة مصاحف قرآن مكللة وثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب فقال له الباشا الذى اخذه من الحجرة اشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذى وجدته عند ابى فانه لم يستاصل كل ما كان فى الحجرة لنفسه بل اخذ كذلك كبار العرب واهل المدينة واغوات الحرم وشرف بمكة فقال الباشا

في هذه السنة كان الجراد في اكثر البلاد واهلك كثيرا من الغلات والخضر بالعراق والجزيرة وديار بكر وكثير من الشام وغيرها وفيها في رمضان توفي عبد الرحمن بن هبة الله بن عساكر الفقيه الشافعي الدمشقي بها وكان غزير العلم عالما بالمذهب كثير الصلاح والزهد والخير رحمه الله وفيها تجمع العرب في خلق كثير على حاج الشام وارادوا قطع الطريق عليهم واخذهم وكان الامير على الحجاج شرف الدين يعقوب بن محمد وهو من اهل الموصل اقام بالشام وتقدم فيه فمنعهم بالرغبة والرهبة ثم صالحهم على مال وثياب وغير ذلك فاعطى الجميع من ماله ولم يأخذ من الحجاج الدرهم الفرد وكان فاضلا جميلا وكان عنده كثير من العلوم ويرجع الى دين متين

(ثم دخلت سنة احدى وعشرين وستمائة)

(ذكر وصول طائفة من التتر الى الرى وهمذان وغيرهما)

اول هذه السنة وصل طائفة من التتر من عند ملكهم جنكزخان وهؤلاء غير الطائفة الغربية التي ذكرنا اخبارها قبل وصول هؤلاء الرى وكان من سلم من اهلها قد عادوا اليها وعمروها فلم يشعروا بالتتر الا وقد وصلوا اليهم فلم يمتنعوا عنهم فوضعوا في اهلها السيف وقتلوهم كيف شاؤا ونهبوا البلد وخربوه وساروا الى ساوة ففعلوا بها كذلك ثم الى قم وقاشان وكانتا قد سلمتا من التتر اولا فانهم لم يقربوهما ولا اصاب اهلهما اذى فاتاهما هؤلاء وملكوهما وقتلوا اهلهما وخربوهما والحقوهما بغيرهما من البلاد الخراب ثم ساروا في البلاد يخربون ويقتلون وينهبون ثم قصدوا همذان وكان قد اجتمع بها كثير ممن سلم من اهلها فاباد وهم قتلا واسرا ونهبا وخربوا البلد وكانوا لما وصلوا الى الرى رأوا بها عسكرا كثيرا من الخوارزمية فكبسوهم وقتلوا منهم وانهزم الباقون الى اذربيجان فنزلوا باطرافها فلم يشعروا الا والتتر ايضا قد كبسوهم ووضعوا السيف فيهم فولوا منهزمين فوصل طائفة منهم الى تبريز وارسلوا الى صاحبها اوزبك ابن البهلوان يقولون ان كنت موافقنا فسلم الينا من عندك من الخوارزمية والا فعرفنا انك غير موافق لنا ولا في طاعتنا فعمد الى من عنده من الخوارزمية فقتل بعضهم واسر بعضهم وحمل الاسرى والرؤس الى التتر وانفذ معها من الاموال والثياب والدواب شيئا كثيرا فعادوا عن بلاده نحو خراسان فعلوا هذا ولم يكونوا في كثرة كانوا نحو ثلاثة آلاف فارس وكان الخوارزمية الذين انهزموا منهم نحو ستة آلاف فارس وعسكر اوزبك اكثر من الجميع ومع هذا فلم يحدث نفسه ولا الخوارزمية بالامتناع منهم فنسأل الله ان ييسر للاسلام والمسلمين من يقوم بنصرتهم فقد دفعوا الى امر عظيم من قتل النفوس ونهب الاموال واسترقاق الاولاد وسبي الحريم وقتلهن وتخريب البلاد

(ذكر ملك غياث الدين بلاد فارس)

قد ذكرنا ان غياث الدين بن خوارزمشاه محمد كان بالرى وله معها اصفهان وهمذان

وخلافهما وانقضى امر السلك وخلا القصر من ساحل النيل وبولاق ورفعوا الزينة وركب الباشا الى مصر القديمة في تلك السفينة وانفض الجمع وذهبوا الى دورهم وكان ذلك من اغرب الاعمال التي لم يقع نظيرها بارض مصر ولا ما يقرب من ذلك ومطبخ الميرى يطبخ به الارز على النسق المتقدم والاطعمة ويرتب لارباب الملاهى منها في وجبتى الغداء والعشاء خلاف المطابخ الخاصة بهم وما يأتيهم من بيوتهم واما العامة والمتفرجون من الرجال والنساء فخرجوا افواجا وكثر زحامهم في جميع الطرق الموصلة الى بولاق ليلا ونهارا باولادهم وامتلأت الحمير ركبانا ومشاة وقد ذهب في هذا بين الملعبين من الاموال ما لا يدخل تحت الحصر واهل الاستحقاق يتلفون من القلة والتفليس مع ما هم فيه من غلاء الاسعار في كل شيء وانعدام الادهان وخصوصا السمن والشيرج والشحم فلا يوجد من ذلك الشيء اليسير الا بغاية المشقة ويكون على حانوت الدهان الذي يحصل عنده بعض السمن شدة الزحام والصياح ولا يبيع بازيد من خمسة انصاف وهي اوقية اثنا عشر درهما واعوانه من الكتخدا واعوان المحتسب يرصدون لمن يرد من الفلاحين والمسافرين بالسمن فيحجزونه لطالب الدولة ومطابخهم ودورهم في هذه الولائم

وما

خارجا عن الحد فعمت الاسعار في العراق والموصل وسائر ديار الجزيرة وديار بكر وغيرها وقلت الاقوات الا ان اكثر الغلاء كان بالموصل وديار الجزيرة

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة)

(ذكر حصر الكرج مدينة كنجة)

في هذه السنة سارت الكرج في جموعها الى مدينة كنجة من بلاد اران قصد الحصر لها واعتدوا لها بما امكنهم من القوة لان اهل كنجة كثير عددهم قوية شوكتهم وعندهم شجاعة كثيرة من طول ممارستهم الحرب مع الكرج فلما وصلوا اليها وقاربوها قاتلوا اهلها عدة ايام من وراء السور ولم يظهر من اهلها احد ثم في بعض الايام خرج اهل كنجة ومن عندهم من العسكر من البلد وقاتلوا الكرج بظاهر البلد اشد قتال واعظمه فلما رأى الكرج ذلك علموا انهم لا طاقة لهم بالبلد فرحلوا بعد ان اثخن اهل كنجة فيهم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا

(ذكر وصول جلال الدين بن خوارزمشاه الى خوزستان والعراق)

في اول هذه السنة وصل جلال الدين بن خوارزمشاه محمد بن تكش الى بلاد خوزستان والعراق وكان مجيئه من بلاد الهند لانه كان وصل اليها لما قصد التتر غزنة وقد ذكرنا ذلك جميعه فلما تعذر عليه المقام ببلاد الهند سار عنها الى كرمان ووصل الى اصفهان وهي بيد اخيه غياث الدين وقد تقدمت اخباره فملكها وسار عنها الى بلاد فارس وكان اخوه قد استولى على بعضها كما ذكرناه فاعادها كان اخوه اخذه منها الى اتابك سعد صاحبها وصالحه وسار من عنده الى خوزستان فحصر مدينة تستر في المحرم وبها الامير مظفر الدين المعروف بوجه السبع مملوك الخليفة الناصر لدين الله حافظا لها واميرا عليها فحصره جلال الدين وضيق عليه فحفظها وجه السبع وبالغ في الحفظ والاحتياط وتفرق الخوارزمية ينهبون حتى وصلوا الى بادرايا وباكسايا وغيرهما وانحدر بعضهم الى ناحية البصرة فنهبوا هناك فسار اليهم شحنة البصرة وهو الامير ملتكين فاوقع بهم وقتل منهم جماعة فدام الحصار نحو شهرين ثم رحل عنها بغتة وكانت عساكر الخليفة مع مملوكه جمال الدين قشتمر بالقرب منه فلما رحل جلال الدين لم يقدر العسكر على منعه فسار الى ان وصل الى يعقوبا وهي قرية تقارب شهرزور بطريق خراسان بينها وبين بغداد نحو سبعة فراسخ فلما وصل الخبر الى بغداد تجهزوا للحصار واخرجوا السلاح من الجروخ والقسي والنشاب والنفط وغير ذلك وعاد عسكر الخليفة الى بغداد واما عسكر جلال الدين فنهب البلاد واهلها وكان قد وصل هو وعسكره الى خوزستان في ضر شديد وجهد جهيد وقلة من الدواب والذي معهم فهو من الضعف الى حد لا ينتفع به فغنموا من البلاد جميعها واستغنوا واكثروا من اخذ الخيل والبغال فانهم كانوا في غاية الحاجة اليها وسار من يعقوبا الى دقوقا فحصرها فصعد اهلها الى السور وقاتلوه وسبوه واكثروا من التكبير فعظم ذلك عنده وشق عليه وجد في قتالهم ففتحها عنوة وقهرا ونهبها

(في صحبه) دخلوا بالمحمل المدينة ولم يشعر اكثر الناس بدخوله وهذا لم يتفق فيما نعلم تأخر الحاج الى شهر ربيع الاول (وفي ليلة الثلاثاء ثامنه) احترق سوق الثرم والجملون الكائن اسفل جامع القورية بما فيه من الحوانيت وبضائع التجار والاقمشة المتنوعة وخلافها فظهرت به النار من بعد العشاء الاخيرة فحضر الوالي واغات التبديل فوجدوا الباب الذي من جهة القورية مغلقا من داخل وكذلك الباب الذي من الجهة الاخرى وهما في غاية المتانة فلم يزالوا يعالجون فتح الباب بالعتالات والكسر الى بعد نصف الليل والنار تعمل من داخل وهرب الخفير واحترق ليوان الجامع البراني والدهليز واخذوا في الهدم وصب المياه كانت النصارى من صعوبة العمل بسبب علو الحيطان الشاهقة والاخشاب الضخمة والاحجار الهائلة والعقود فلم تخمد لهب النار الا بعد صعصعة من النهار وسرحت النار في اخشاب الجامع التي بداخل البناء ولم يزل الدخان صاعدا منها وسقطت الشبابيك النحاس العظام وبقيت مفتتة ومكسرة واستمر العلاج في اطفاء الدخان ثلاثة ايام ولولا لطف

المنزلي وتأخير فتح الباب ... لم تصل فيه النار فلو لم يكن كذلك لاحترق وسرحت

وابقى عليهم اقارقين

ه(ذكر حصار صاحب اربل الموصل)ه

قد ذكرنا اتفاق مظفر الدين كوكبري بن زين الدين على صاحب اربل وشهاب الدين غازى صاحب خلاط والمعظم عيسى صاحب دمشق على قصد بلاد الملك الاشرف فاما صاحب دمشق فانه سار ونزل الى حمص وحماة وعاد الى دمشق الان اخاه صاحب مصر ارسل اليه يتهدده ان سار عن دمشق انه يقصدها ويحصرها فعاد واما غازى فانه استعصى في خلاط واختلف منه كما ذكرناه واما صاحب اربل فانه جمع عسكره وسار الى بلد الموصل وحصرها ونازلها يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة فلما منعه ابن الملك الاشرف اذا سمع بنزوله عليها وصل عن خلاط وخرج غازى في طلبه فتخبط احواله وتقوى نفس صاحب دمشق على الجميع اليهم فلما نازل الموصل كان صاحبها بدر الدين لؤلؤ قد احكم امورها من استخدام الجند على الاسوار واظهار آلة الحصار واخراج الذخائر وفيها قوى طمع صاحب اربل على حصر الموصل لان اكثر عسكرها كان قد سار الى الملك الاشرف الى خلاط وقد قل العسكر فيها وكان الغلاء شديدا في البلاد جميعها والسعر في الموصل كل ثلاثة مكاكي بدينار فلهذا السبب اقدم على حصرها فلما نزل عليها اقام عشرة ايام ثم رحل عنها يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة وكان سبب رحيله انه رأى امتناع البلد عليه وكثرة من فيه وعندهم من الذخائر ما يكفيهم الزمان الكثير ووصل اليه خبر الملك الاشرف انه ملك خلاط فانفسخ عليه كل ما كان يؤمله من صاحبها ومن دمشق وبقي وحده متلبسا بالامر فلما وصلت الاخبار اليه بذلك سقط في يده ورأى انه قد اخطأ الصواب فرحل عائدا الى بلده واقام على الزاب ومدة مقامه على الموصل لم يقاتلها انما كان في بعض الاوقات يجيء بعض الترك الذين له يقاتلون البلد فيخرج اليهم بعض الفرسان وبعض الرجالة فيجري بينهم قتال ليس بالكثير ثم يتفرقون ويرجع كل طائفة الى صاحبها

ه(ذكر عدة حوادث)ه

في هذه السنة اول آب جاء ببغداد مطر ورعد وبرق وجرت المياه بباب البصرة والحربية وكذلك بالحول بحيث ان الناس كانوا يخوضون في الماء والوحل بالحول وفيها سار صاحب الخزن الى يعقوبا في ذي القعدة فصعف اهلها فنقل اليه عن انسان منهم انه يسبه فاحضره وامر بعمارة بيته وقال له لم تسبني فقال له انتم تسبون ابا بكر وعمر لاجل اخذهما فدك وهي عشر نخلات لفاطمة عليها السلام وانتم تاخذون مني الف نخلة ولا اتكلم فعفا عنه وفيها وقعت فتنة بواسط بين السنية والشيعة على جاري عادتهم وفيها قلت الامطار في البلاد فلم يجئ منها شيء الى شباط ثم انها كانت تجيء في الاوقات المتفرقة مجيئا قريبا لا يحصل منه ري للزرع فجاءت الغلات قليلة ثم خرج عليها الجراد ولم يكن في الارض من النبات ما يشتغل به عنها فاكلها الا القليل وكان كثيرا

اشياء من ذلك (وفي يوم الاربعاء خامس عشره) سافر عبد الله بن مسعود الى جهة

صحيح وجدناه عند الشريف الاسكندرية وصحبته جماعة من الططر الى دار السلطنة ومعه خدم لزومه

ه(واستهل شهر صفر بيوم الاثنين سنة ١٢٣٤)ه

(في ثالثه) وصل طائفة من الحجاج المغاربة يوم الاربعاء وصحبتهم حجاج كثير من الصعائدة واهل القرى فدخلوا على حين غفلة وكان الرئيس فيهم شخص من كبار عرب اولاد على يدعى الجبالي وهذا المرشح تقليده فيها وعينا موسيه امن الطريق وانكماش العربان وقطاع الطريق (وفيه) اخبر المخبرون بان الباشا اقام بدمياط اياما قليلة ثم توجه الى البرلس ونزل في تقبيرة وذهب الى الاسكندرية على ظهر البحر المالح وقد استعد اهلها لقدومه وزينوا البلد والذى تولى الاعتناء بذلك طائفة الفرنج فانهم نصبوا طريقا من باب البلد الى القصر الذى هو سكن الباشا وجعلوا بناحيتيه بني وسرى انواع الزينة والتماثيل والتصاوير والبلور والزجاج والمرايات وغير ذلك من البدع البديعة الغريبة (وفي غايته) وصل الحاج المصري ودخلوا ارسالا اشتاتا ومنهم من دخل ليلا وخصوصا ليلة

الاثنين وفي صبحه دخل حسن باشا ارنؤد الذى كان مقيما بجدة وفي ذلك اليوم دخل

غاربا

ثم مات ملك الانجية اذن في فتركت السؤال عنهم وهذه غاية الجودة في الاعتذار عن ترك
السؤال عنهم فلما مات اختلف اولاده وحصرهم قطب الدين موسى ولم يقو احد منهم على
الباقين ليستبد بالامر ومات في هذه السنة صاحب ارزن الروم وهو مغيث الدين طغرل
ابن قلج ارسلان وهو الذي سير ولده الى الكرج حتى تنصر وتزوج ملكة الكرج ولما مات
ملك بعده ابنه ومات فيها ملك ارزنكان وتوفي فيها عز الدين الخضر بن ابراهيم بن
ابي بكر بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب خرتبرت وملك بعده ابنه نور الدين
ارتق شاه وكان المدبر لدولته ودولة والده معين الدين عبد الرحمن

❁(ذكر خلع شروان شاه وظفر المسلمين بالكرج)❁

في هذه السنة ثار على شروان شاه ولده فنزعه من الملك واخرجه من البلاد وملك بعده
وسبب ذلك ان شروان شاه كان سيئ السيرة كثير الفساد والظلم يتعرض الى اموال
الرعايا واملاكهم وقيل ايضا انه كان يتعرض الى النساء والولدان فاشتدت وطأته على
الناس فاتفق بعض العسكر مع ولده واخرجوا اباه من البلاد وملك الابن واحسن
السيرة فاحبه العساكر والرعية وارسل الولد الى ابيه يقول له اني اردت ان اتركك
في بعض القلاع واجري لك الجرايات الكثيرة ولكل من تحب ان يكون عندك والذي
حملني على ما فعلت معك سوء سيرتك وظلمك لاهل البلاد وكراهيتهم لك ولدولتك فلما
رأى الاب ذلك سار الى الكرج واستنصرهم وقرر معهم ان يرسلوا معه عسكرا يعيدونه
الى ملكه ويعطيهم نصف البلاد فسيروا معه عسكرا كثيرا فسار حتى قارب مدينة
شروان فجمع ولده العسكر واعلمهم الحال وقال ان الكرج متى حصرونا وظفروا
بنا وحينئذ لا يبقى ابي على احد منا ويأخذ الكرج نصف البلاد وربما اخذوا الجميع
وهذا امر عظيم والرأي اننا نسير اليهم جريدة ونلقاهم فان ظفرنا بهم فالحمد لله وان ظفروا بنا
فالحصر بين ايدينا فاجابوه الى ذلك فخرج في عسكره وهم قليل نحو الف فارس ولقوا
الكرج وهم في ثلاثة آلاف مقاتل فالتقوا واقتتلوا وصبر اهل شروان فانهزم الكرج
وقتل كثير منهم واسر كثير ومن سلم عاد بأسوأ حال وشروان شاه المخلوع معهم فقال له
مقدم الكرج اننا لم نر بقدومك خيرا ولا نرى ذلك مما كان منك فلا تقم ببلادنا
ففارقهم وبقي مترددا لا يأوي الى احد واستقر ولده في الملك واحسن الى الجند والرعية
واعاد الى الناس املاكهم ومصادراتهم فاغتبطوا بولايته

❁(ذكر ظفر المسلمين بالكرج ايضا)❁

وفي هذه السنة ايضا سار جمع من الكرج من تفليس يقصدون اذربيجان والبلاد
التي بيد اوزبك فنزلوا وراء مضيق في الجبال لا يسلكه الا الفارس بعد الفارس فنزلوا
آمنين من المسلمين استضعافا لهم واغترارا بحصانة موضعهم وانه لا طريق اليهم فركب
طائفة من العساكر الاسلامية وقصدوا الكرج فوصلوا الى ذلك المضيق فجازوه
مخاطرين فلم يشعر الكرج الا وقد غشيهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم

له بالذهاب الى مصر وان يقيم بداره الى اوان الحج ان شاء ابراوان شاء بمصر وقال انا
لا نتركه في القرية هذه المدة
الا خوفا من الفتنة والآن
لم يبق شيء من ذلك فانه في
و بيني و بينه ما لا انساه من
المحبة والمعروف وكتب له
جوابا بالاجابة وصورته
بحروفه مظهر الشمائل
سنيها حميد الشؤون وسميها
سلالة بيت المجيد الاكرم
والدنا السيد عمر مكرم دام
شانه اما بعد فقد ورد الكتاب
اللطيف من الجناب الشريف
تهنئة بما انعم الله علينا وخولنا
من مواهب ما يسعده لدينا
فكان ذلك مزيدا في السرور
ومستدعيا لحمد الله وشكره
وعلينا ثناكم واعلاما بقبول
منا لكم بجزيل حسن الثنا
مع كمال الوفا ونيل المنى
هذا وقد بلغنا التماسكم عن
ما لكم الاذن في الحج الى البيت
الحرام وزيارة روضته عليه
الصلاة والسلام والرغبة في
ذلك والترجي لما هنالك
وقد اذنا لكم في هذا المرام
تقربا للذي الجلال والاكرام
ورجاء الدعوات لكم بتلك المشاعر
العظام فلا تدعوا الابتهال
ولا الدعاء لنا بالتذلل والحال
كما هو الظن في الظاهر من
والمأمول من الاصفياء
المقبولين والواصل لكم
جوابنا خطابا الى كتخدائنا
ولكم الاجلال والاحترام
مع جزيل الثناء والسلام
وارسل اليه المكاتبة بين محبيه ومنهم السيد صالح وارسل الى كتخدائه كتابا وصل اليه قبل قدومه فارسل

عنا كرهم وقتلوا كثيرا من اهلها فهرب من سلم منهم من القتل وتفرقوا في البلاد
ولما كان الخوارزميون على دقوقا سارت سرية منهم الى البت والراذان فهرب اهلها
الى تكريت فتبعهم الخوارزمية فجرى بينهم وبين عسكر تكريت حروب شديدة
وعادوا الى العسكر ولقد رأيت بعض اعيان اهل دقوقا وهم بنو يعلى وهم اغنيا منهم بدا
وسلم احدهم ومعه ولد له وشيء يسير من المال فسير ما سلم معه الى الشام مع الولدين
ليتجر بما ينتفعون به ويتقوتونه على نفوسهم فمات احد الولدين بدمشق واحتاط
الحاكم على ما معهم فلقد رأيت اباهم على حالة شديدة لا يعلمها الا الله يقول اخذت
الاملاك وقتل بعض الاهل وفارقنا من سلم منهم والوطن بهذا القدر الحقير اردنا ان نكف
به وجوهنا من السؤال ونصون انفسنا فقد ذهب الولد والمال ثم سار الى دمشق ليأخذ
ما سلم مع ابنه الآخر فاخذه وعاد الى الموصل فلم يبق غير شهر حتى توفي
• ان الشقي بكل حبل يخنق • واما جلال الدين فانه لما فعل باهل دقوقا ما فعل
خافه اهل البوازيج وهي لصاحب الموصل فارسلوا اليه يطلبون منه ارسال شحنة
اليهم يحميهم وبذلوا له شيئا من المال فاجابهم الى ذلك وسير اليهم من يحميهم قيل كان
بعض اولاد جنكزخان ملك التتر اسره جلال الدين في بعض حروبه مع التتر فاكرمه
فحماهم واقام بمكانه الى اواخر ربيع الآخر والرسل مترددة بينه وبين مظفر الدين
صاحب اربل فاصطلحوا فسار جلال الدين الى اذربيجان وفي مدة مقام جلال الدين
بخوزستان والعراق ثارت العرب في البلاد يقطعون الطريق وينهبون القرى
ويخيفون السبيل فنال الخلق منهم اذى شديد واخذوا في طريق العراق قفلين
عظيمين كانوا سائرين الى الموصل فلم يسلم منهم شيء البتة

•(ذكر وفاة الملك الافضل وغيره من الملوك)•

في هذه السنة في صفر توفي الملك الافضل علي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب فجأة بقلعة
سميساط وكان عمره نحو سبع وخمسين سنة وقد ذكرنا سنة تسع وثمانين وخمسمائة
عند وفاة والده رحمه الله ملكه مدينة دمشق والبيت المقدس وغيرهما من الشام وذكرنا
سنة اثنتين وتسعين اخذ الجميع منه ثم ذكرنا سنة خمس وتسعين ملكه ديار مصر
وذكرنا سنة ست وتسعين اخذها منه وانتقل الى سميساط واقام بها ولم يزل بها الى الآن
فتوفي بها وكان رحمه الله من محاسن الزمان لم يكن في الملوك مثله كان خيرا عادلا فاضلا
حليما كريما قل ان عاقب على ذنب ولم يمنع طالبا وكان يكتب خطا حسنا وكتابة
جيدة وبالجملة فاجتمع فيه من الفضائل والمناقب ما تفرق في كثير من الملوك لا جرم
حرم الملك والدنيا وعاداه الدهر ومات بموته كل فعل جميل وفعل حميد فرحمه الله ورضي
عنه ورأيت من كتابته اشياء حسنة فمما بقي على خاطري منها انه كتب الى اصدقائه لما
اخذت دمشق منه كتابا من فصوله واما اصحابنا بدمشق فلا علم لي باحد منهم وسبب ذلك
في اي صديق سألت عنه في الذل وتحت الخمول والوطن واي عدو ما سألت عن حاله

النار الى الحوانيت الملاصقة بها وهي كلها اخشاب ويعلوها ايضا اخشاب كذلك ومن فوق الجميع السقيفة
العظيمة الممتدة على السوق
من أوله الى آخره وهي في
غاية العلو والارتفاع وكلها
أخشاب وجنة وسهوم وبراطيم
من أعلى ومن أسفل تحتها
من الجهتين ومن ناحيتها
الرباع والوكائل والدور
وحيطان الجميع من الجنة
والاخشاب العتيقة التي
تشتعل بادنى حرارة فلو
وصلت النار والعياذ بالله
تعالى الى هذه السقيفة لما
أمكن اطفاؤها بوجه وكان
حريقا دوميا ولكن الله سلم
(وفي يوم السبت ثاني عشره)
حضر السيد عمر افندي نقيب
الاشراف سابقا وذلك انه لما
حصلت النصرة والمسرة للباشا
فكتب اليه مكتوبا بالتهنئة
وأرسله مع حفيده السيد
صالح الى الاسكندرية فتلقاه
بالبشاشة وطفق يسأله عن
جده فيقول له بخير ويدعو
لكم فقال له هل في نفسه شيء
او حاجة نقضيها له فقال
لا يطلب غير طول البقاء
لحضرتكم ثم انصرف الى
المكان الذي نزل به فارسل
اليه في ثاني يوم عثمان
السلانكلي ليسأله ويستخبره
عما عسى ان يستحي من
مشافهة الباشا به فلم يزل
يلاطفه حتى قال لم يكن في
نفسه الا الحج الى بيت الله ان أذن له افندينا بذلك فلما عاد بالجواب انعم عليه بذلك واذن

يكافئها اكثر من طاقتها فامر جلال الدين انه لا يعطى الا ما يقيم به لا غير ففعلوا ذلك وسار
جلال الدين الى تبريز وحصرها خمسة ايام وقاتل اهلها قتالا شديدا وزحف اليها فوصل
العسكر الى السور فاذعن اهلها بالطاعة وارسلوا يطلبون الامان منه لانه كان يذمهم
ويقول قتلوا اصحابنا المسلمين وارسلوا رؤسهم الى التتر الكفار وقد تقدمت الحادثة
سنة احدى وعشرين وستمائة كذا وامتعض لذلك فلما طلبوا الامان ذكرهم فعلهم
باصحاب ابيه وقتلهم فاعتذروا بانهم لم يفعلوا شيئا من ذلك وانما فعله صاحبهم ولم
يكن لهم من القدرة ما يمنعونه فعذرهم وامنهم وطلبوا منه ان يؤمن زوجة اوزبك ولا
يعارضها في الذي لها باذربيجان ومدينة خوى وغيرها من املاك ومال وغيره فاجابهم
الى ذلك وملك البلد فاسابع عشر رجب من هذه السنة وسير زوجة اوزبك الى خوى
ومعها طائفة من العسكر مع رجل كبير القدر عظيم المنزلة وامرهم بخدمتها فاذا وصلت
الى خوى عادوا عنها ولما دخل جلال الدين الى تبريز امر ان لا يمنعوا عنه احدا من
اهلها فاتاه الناس مسلمين عليه فلم يحجبوا عنه واحسن اليهم وبث فيهم العدل ووعدهم
الاحسان والزيادة منه وقال لهم قد رايتم ما فعلت بمراغة من الاحسان والعمارة بعد
ان كانت خرابا وسترون كيف اصنع معكم من العدل فيكم وعمارة بلادكم واقام الى يوم
الجمعة فحضر الجامع فلما خطب الخطيب ودعا للخليفة قام قائما ولم يزل كذلك حتى
فرغ من الدعاء وجلس ودخل الى كشك كان اوزبك قد عمره وانفق عليه من
الاموال كثيرا فهو في غاية الحسن مشرف على البساتين فلما طاف فيه خرج منه وقال
هذا مسكن الكسالى لا يصلح لنا واقام اياما واستولى فيها على غيرها من البلاد وسير
الجيوش الى بلاد الكرج

ذكر انهزام الكرج من جلال الدين

قد ذكرنا فيما تقدم من السنين ما كان الكرج يفعلونه في بلاد الاسلام خلاط واعمالها
واذربيجان واران وارزن الروم ودربند شروان وهذه ولايات تجاور بلادهم وما كانوا
يسفكون من دماء المسلمين وينهبون من اموالهم ويملكون من بلادهم والمسلمون
معهم في هذه البلاد تحت الذل والخزي كل يوم قد اغاروا وفتكوا فيهم وقاطعوهم على
ما شاؤوا من الاموال فكنا كلما سمعنا بشيء من ذلك سألنا الله تعالى نحن والمسلمون في
ان ييسر للاسلام والمسلمين من يحميهم وينصرهم ويأخذ بثارهم فان اوزبك صاحب
اذربيجان منعكف على شهوة بطنه وفرجه لا يفيق من سكره وان افاق فهو مشغول
بالقمار بالبيض وهذا ما لم يسمع ان احدا من الملوك فعله لا يهتدي لمصلحة ولا يغضب
لنفسه بحيث ان بلاده ماخوذة وعساكره طماعة ورعيته قد قهرها وقد كان كل
من اراد ان يجمع جمعا يتغلب على بعض البلاد فعل كما ذكرناه من حال بغدى وايبك
الشامي وايغان طائسي فنظر الله تعالى الى اهل هذه البلاد المساكين بعين الرحمة
فرحمهم ويسر لهم جلال الدين ففعل بالكرج ما تراه وانتقم للاسلام والمسلمين منهم

صحبت بل واقرب مسافة ونزل الامر للكشاف الاقاليم بجمع الفلاحين والرجال على حساب زراع الفدادين فيحصون رجال القرية المزارعين ويدفعون عن الشخص الواحد عشرة ريالات ويجعل له مثلها من المال واذا كان له شريك واحب المقام لاجل الزرع الصيفي اعطاه حصته وزاده عليها حتى يرضى خاطره ويزوده بما يحتاج اليه ايضا وعند العمل يدفع لكل شخص قرش في كل يوم ويخرج اهل القرية افواجا ومعهم انفار من مشايخ البلاد ويجتمعون في المكان المامورين باجتماعهم فيه ثم يسيرون مع الكاشف الذي بالناحية ومعهم طبول وزمور وبيارق ويغادرون ويناوبون ويعددون وفرضوا على البلاد التي فيها النخيل غلقانا ومقاطف وعراجين وسلبا وعلى البنادر فؤسا ومساحي شيئا كثيرا بالثمن وطلبوا ايضا طائفة الغواصين لانهم كانوا اذا اشتغلوا في قطع الارض في بعض المواضع منها ينبع الماء قبل الوصول الى الحد المطلوب (وفي يوم الخميس عشرينه) ورد مرسوم من الباشا بعزل كتخدا بك عن منصب الكتخدائية وتولية محمود بك فيها عوضا عنه وحضر محمود بك في ذلك اليوم قادما من الاسكندرية وطلع الى القلعة وحضر ايضا حسن باشا وكان قد ذهب الى الاسكندرية ليسلم على الباشا لكونه كان بالديار الحجازية

كيف شاؤا وولى الباقون منهزمين لا يلوى والد على ولده ولا اخ على اخيه واسر منهم جمع كثير صالح فعظم الامر عليهم وعزه وا على الاخذ بثارهم والجد في قصد اذربيجان ولاستئصال المسلمين منه واخذوا يتجهزون على قدر عزمهم فبينما هم في ذلك اذ وصل اليهم الخبر بوصول جلال الدين بن خوارزمشاه الى مراغة على ما نذكره ان شاء الله فتركوا ذلك وارسلوا الى اوزبك صاحب اذربيجان يدعونه الى الموافقة على رد جلال الدين ويخوفونه منه ان لم تتفق نحن وانت والا اخذك ثم اخذنا فعاجلهم جلال الدين قبل اتفاقهم واجتماعهم فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ملك جلال الدين اذربيجان﴾

في هذه السنة استولى جلال الدين على اذربيجان وسبب ذلك انه لما سار من دقوقا كما ذكرناه قصد مراغة فملكها واقام بها وشرع في عمارة البلد فاستحسنه فلما وصل اليها اتاه الخبر ان الامير ايغان طائيسي وهو خال اخيه غياث الدين قد قصد همذان قبل وصول جلال الدين بيومين وكان ايغان طائيسي هذا قد جمع عسكرا يبلغ اوخمسين الف فارس ونهب كثيرا من اذربيجان وسار الى البحر من بلد اران فشتى هناك لقلة البرد ولما عاد الى همذان نهب اذربيجان ايضا مرة ثانية وكان مسيره الى همذان ان الخليفة الناصر لدين الله راسله وامره بقصد همذان واقطعه اياها وغيرها ان استولى عليها كالامر فلما سمع جلال الدين بذلك سار جريدة اليه فوصل الى ايغان طائيسي ليلا وكان اذا نزل جعل حول عسكره جميع ما غنموا من اذربيجان واران من خيل وبغال وحمير وبقر وغنم فلما وصل جلال الدين احاط بالجميع فلما اصبح عسكر ايغان طائيسي ورأى العسكر والجتر الذي يكون على رأس السلطان علموا انه جلال الدين فسقط في ايديهم لانهم كانوا يظنونه عند دقوقا فارسل ايغان طائيسي زوجته وهي اخت جلال الدين تطلب له الامان فامنه واحضره عنده وانضاف عسكره الى جلال الدين وبقي ايغان طائيسي وحده الى ان اضاف اليه جلال الدين عسكرا غير عسكره وعاد الى مراغة واعجبه المقام بها وكان اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان واران قد سار من تبريز الى كنجة خوفا من جلال الدين وارسل جلال الدين الى من في تبريز من وال وامير ورئيس يطلب منهم ان يتردد عسكره اليهم يمتارون فاجابوه الى ذلك واطاعوه فتردد العسكر اليها وباعوا واشتروا الاقوات والكسوات وغيرها ومدوا ايديهم الى اموال الناس فكان احدهم ياخذ الشيء ويعطي الثمن ما يريد فشكا بعض اهل تبريز الى جلال الدين منهم فارسل اليهم شحنة يكون عندهم وامره ان يقيم بتبريز ويكف ايدي الجند عن اهلها ومن تعدى على احد صلبه فاقام الشحنة ومنع الجند من التعدي على احد من الناس وكانت زوجة اوزبك وهي ابنة السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه مقيمة بتبريز وهي كانت الحاكمة في بلاد زوجها وهو مشغول بلذاته من اكل وشرب ولعب ثم ان اهل تبريز شكوا من الشحنة وقالوا انه

المكتب اذا ترجمانه الى منزله وليشهر هيبة ذلك والشيخ شيره مقدمه فكان الناس بين مصدق ومكذب حتى وصل في اليوم المذكور الى بولاق فركب من هناك وتوجه الى زيارة الامام الشافعي وطلع الى القلعة وقابل المكتبة ما وسلم عليه وهنته الشعراء بقصائدهم واعطاهم الجوائز واستمر ازدحام الناس اياما ثم امتنع عن الجلوس في المجلس العام نهارا واعتكف بحجرته الخاصة فلا يجتمع به الا بعض من يريده من الافراد فانكف الكثير عن التردد وذلك من حسن الرأي

●(واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنة ١٢٣٤)●

(فيه) حصل الاهتمام بحفر الترعة المعروفة بالاشرفية الموصلة الى الاسكندرية وقد تقدم في العام الماضي بل والذي قبله اهتمام الباشا ونزل اليها المهندسون ووزنوا ارضها وقاسوا طولها وعرضها وعمقها المطلوب ثم اهمل امرها لقرب مجيء النيل وتركوا الشغل في مبدئها ولم يتركوا الشغل في منتهاها عند الاسكندرية بالقرب من عامود السواري فحفروا هناك منتهاها وهي بركة متسعة وحوطوها بالبناء المحكم المتين وهي مرسى المراكب التي تعبر منها الى الاسكندرية بدلا عن البغاز وهو ملتقى البحرين وما يقع فيه من تلف المراكب فتكون هذه اسلم واقرب واقل كلفة ان

البصرة وبعد واق العمل بعدما احددوا الكل اهل اقليم اقصا بالتوزع على اهل كل بلد

واستقام له امر البلاد تزوج زوجة اوزبك ابنة السلطان طغرل واعانه على نكاحها لانه ثبت عنده ان اوزبك له حلف بطلاقها انه لا يقتل غلاما كان له ... ثم قتله فلما وقع الطلاق بهذا اليمين نكحها جلال الدين واقام بتبريز مدة ثم سار منها جيشا الى مدينة كنجة فملكها وفارقها اوزبك الى قلعة كنجة وتحصن فيها فبلغني ان عساكر جلال الدين تعرضوا الى اعمال هذه القلعة بالنهب والاخذ فارسل اوزبك الى جلال الدين يشكو ويقول كنت لا ارضى بهذه الحال لبعض اصحابي فانا اسال ان تكف الايدى المتطرقة الى هذه الاعمال عنها فارسل جلال الدين اليها من يحميها من التعرض لها من اصحابه وغيرهم

﴿ذكر وفاة الخليفة الناصر لدين الله﴾

في هذه السنة آخر ليلة من شهر رمضان توفى الخليفة الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن المستضئ بامر الله ابى محمد الحسن بن المستنجد بالله ابى المظفر يوسف بن المقتفى لامر الله ابى العباس محمد بن المستظهر بالله ابى العباس احمد بن المقتدى بامر الله ابى القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بامر الله ابى جعفر عبد الله بن القادر بالله ابى العباس احمد بن اسحق بن المقتدر بالله ابى الفضل جعفر بن المعتضد بالله ابى العباس احمد بن الموفق ابى احمد محمد بن جعفر المتوكل على الله ولم يكن الموفق خليفة وانما كان ولى عهد اخيه المعتمد على الله فمات قبل المعتمد فصار ولده المعتضد بالله ولى عهد المعتمد على الله وكان المتوكل على الله ابن المعتصم بالله ابى اسحق محمد بن هرون الرشيد بن محمد المهدى بن ابى جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهم

نسب كأن عليه من شمس الضحى ٭ نورا ومن فلق الصباح عمودا

فكان فى آبائه اربعة عشر خليفة وهم كل من له لقب والباقون غير خلفاء وكان فيهم من ولى العهد محمد بن القائم والموفق بن المتوكل واما باقى الخلفاء من بنى العباس فلم يكونوا من آبائه فكان السفاح ابو العباس عبد الله اخا المنصور ولى قبله وكان موسى اخا الرشيد ولى قبله وكان محمد الامين وعبد الله المامون ابنا الرشيد اخوى المعتصم وليا قبله وكان محمد المنتصر بن المتوكل ولى بعده ثم ولى بعد المنتصر بالله المستعين بالله ابو العباس احمد بن محمد بن المعتصم وولى بعد المستعين المعتز بالله محمد وقيل طلحة وهو ابن المتوكل وولى بعد المعتز المهتدى بالله محمد بن الواثق ثم ولى بعده المعتمد على الله احمد ابن المتوكل فالمنتصر والمعتز والمعتمد اخوة الموفق والمهتدى ابن عمه والموفق من اجداد الناصر لدين الله ثم ولى المعتضد بعد المعتمد وولى بعد المعتضد ابنه ابو محمد على المكتفى بالله وهو اخو المقتدر بالله وولى بعد المقتدر اخوه القاهر بالله ابو منصور محمد ابن المعتضد وولى بعد القاهر الراضى بالله ابو العباس محمد بن المقتدر ثم ولى بعده المتقى لله ابو اسحق ابراهيم بن المقتدر ثم ولى بعده المكتفى بالله ابو القاسم عبد الله بن المكتفى بالله على بن المعتضد ثم ولى بعده المطيع لله ابو بكر عبد الكريم فالقاهر اخو المقتدر والراضى والمتقى والمطيع بنوه والمستكفى ابن اخيه المكتفى ثم ولى الطائع لله بن

من ذلك الاقليم فان اثرها له فمدوا التنقل الى مساعدة الآخرين وظهر فى حفر بعض الاماكن منها صورة اماكن ومساكن وقيعان وحمام بعقوده واحواضه ومغاطسه ووجدوا ظروف بداخلها فلوس نحاس كفرية قديمة واحجار تفتح لا يعلم ما فيها رفعوه الى الباشا مع ذلك (وفى يوم الاحد بعاشر سابع عشر بنه) حضر الباشا الى شبرا ووصل فى اثره طوسون باشا وعملوا له موكبا فى صبيحة يوم الخميس وطلعوا الى القلعة ومع الاغا المذكور ما حضر به برسم الباشا وولده ابراهيم باشا الذى بالحجاز وهو خلعتان سمور لكل واحد خلعة وخنجر بجوهر لكل واحد وشلنجان بجوهران وساعة بجوهر وغير ذلك وقرئ الفرمان بحضرة الجمع وفيه الثناء الكثير على الباشا والعفو عمن بقى من الوهابية وبعد القراءة ضربت مدافع كثيرة وكذلك عند ورودهم واستمر ضرب المدافع ثلاثة ايام فى جميع الاوقات الخمس ونزل القابجى المذكور ببيت طاهر باشا بالازبكية وحضر ايضا صحبته اطواخ لكل من عباس بك ابن طوسون باشا ابن الباشا ولاحمد بك ابن طاهر باشا وفى ضمن الفرمان الاذن

٢٦ مح مل ١٢ للباشا بتوليته امريات وقصبات ابن بختار (وفى صبحه يوم الجمعة) خلع الباشا على اربعة

(بهكذا بياض بالاصل)

في هذه السنة كان المصاف بين جلال الدين وبين الكرج في شهر شعبان وكان جلال الدين من حين قصد الى هذه النواحي لا يزال يقول انني اريد أقصد بلاد الكرج وأقاتلهم وأملك بلادهم فلما ملك اذربيجان ارسل اليهم يؤذنهم فاجابوه بانا قد قصدنا التتر الذين فعلوا بابيك وهو اعظم منك ملكا واكثر عسكرا وأقوى نفسا ما تعلمه وأخذوا بلادكم فلم نبال بهم وكان قصاراهم السلامة منا وشرعوا يجمعون العساكر فجمعوا ما يزيد على سبعين الف مقاتل فسار اليهم فملك مدينة دوين وهي للكرج كانوا قد اخذوها من المسلمين كما ذكرناه وسار منها اليهم فلقوه وقاتلوه أشد قتال واعظمه وصبر كل منهم لصاحبه فانهزم الكرج وامر ان يقتلوا بكل طريق ولا يبقوا على احد منهم فالذي تحققناه انه قتل منهم عشرون الفا وقيل اكثر من ذلك وقيل الكرج جميعهم قتلوا وافترقوا واسر كثير من اعيانهم من جملتهم شلوة فتمت الهزيمة عليهم ومضى ايواني منهزما وهو المقدم على الكرج جميعهم ومرجعهم اليه ومعولهم عليه وليس لهم ملك انما الملك امرأة ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة فلما انهزم ايواني ادركه الطلب فصعد قلعة لهم على طريقهم فاحتمى بها وجعل جلال الدين عليها من يحصرها ويمنعه من النزول وفرق عساكره في بلاد الكرج ينهبون ويقتلون ويسبون ويخربون البلاد فلولا ما اتاه من تبريز مما اوجب عوده لملك البلاد بغير تعب ولا مشقة لان اهلها كانوا قد هلكوا فهم بين قتيل واسير وطريد

(ذكر عود جلال الدين الى تبريز وملكه مدينة كنجة ونكاحه زوجة اوزبك)

لما فرغ جلال الدين من هزيمة الكرج ودخل البلاد وبث العساكر فيها اراد المقام بواقع أخيه غياث الدين وعاد الى تبريز وسبب عوده انه كان قد خلف وزيره شرف الملك في تبريز لحفظ البلد والنظر في مصالح الرعية فبلغه عن رئيس تبريز وشمس الدين الطغرائي وهو المقدم على كل من في البلد وعن غيرهما من المقدمين انهم قد اجتمعوا وتحالفوا على الامتناع على جلال الدين واعادة البلد الى اوزبك وقالوا ان جلال الدين قد قصد بلاد الكرج فلا يقدر على المقام ويجتمع اوزبك والكرج ويقصدونه فيختل نظام امره وتتم عليه الهزيمة [illegible] على ان جلال الدين يسير الموبخي الى بلاد الكرج ويترك في الطريق احتياطا لهم فلما اتفقوا على ذلك اتى الخبر الى الوزير فارسل الى جلال الدين يعرفه الحال فاتاه الخبر وقد قارب بلاد الكرج فلم يظهر من ذلك شيئا وسار نحو الكرج وقاتلهم وهزمهم فلما فرغ منهم قال لامراء عسكره انني قد بلغني من الخبر كذا وكذا فتقيمون انتم في البلاد على ما انتم عليه من قتل من ظفرتم به ونهب ما امكنكم من بلادهم فانني تحققت ان الامر قبل هزيمة الكرج لا يلحقكم وهن وخوف فاقيموا على حالكم وعاد الى تبريز وقبض على الرئيس والطغرائي وغيرهما فاما الرئيس فامر ان يطاف به على اهل البلد وكل من له عليه مظلمة يطالبه بأخذها منه وكان ظالما ففرح الناس بذلك ثم قتله واما الباقون فحبسوا فلما فرغ منهم

واستقام

المدة المديدة وحضر الى مصر والباشا بالاسكندرية فتوجه اليه واقام معه اياما وعاد الى مصر صحبة محمد بك وحضر ايضا ابراهيم افندي من اسلامبول ومحمد ديوان افندي الباشا فتقلد في نظر الاعيان والرزق والالتزام عوضا عن محمد بك

(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٤)

(في سابعه يوم الخميس) ضربت مدافع كثيرة وقت الشروق بسبب ورود نجابة من الديار الحجازية بانتقال خليل باشا على بندر الحجاز وصلها (وفيه) وصلت الاخبار ايضا عن عبد الله بن مسعود انه لما وصل الى اسلامبول طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون وقتلوا اتباعه ايضا في نواح متفرقة فذهبوا مع الشهداء (وفيه) اشيع وصول قابجي كبير من طرف الدولة يقال له قهوجي باشا الى الاسكندرية وورد الامر بالاستعداد لحضوره مع الباشا فطلعوا بالمطابخ الى ناحية شبرا وطلبت الخيول من الربيع واستمر خروج العساكر ودخولهم وكذلك طبخ الاطعمة وفي كل يوم يشيعون الورود فلما بانت احوالهم ذكروا ان ذلك القابجي حين قرب من الاسكندرية ردته الريح الى رودس واستمر هذا الريح الى آخر الشهر (وفيه) قوى الاهتمام بامر حفر الترعة المتقدم ذكرها وعوقت الرجال والفلاحون من الاقاليم

بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقا فانه اعاد من الاموال المغصوبة فى ايام ابيه وقبله شيئا كثيرا واطلق المكوس فى البلاد جميعها وامر باعادة الخراج القديم فى جميع العراق وان يسقط جميع ما جدده ابوه وكان كثيرا لا يحصى فمن ذلك ان قرية بعقوبا كان يحصل منها قديما نحو عشرة آلاف دينار فلما تولى الناصر لدين الله كان يؤخذ منها كل سنة ثمانون الف دينار فحضر اهلها واستغاثوا وذكروا ان املاكهم اخذت حتى صار يحصل منها هذا المبلغ فامر ان يؤخذ الخراج الاول وهو عشرة آلاف دينار فقيل له ان هذا المبلغ يصل الى المخزن فمن اين يكون العوض فاقام لهم العوض من جهات اخرى فاذا كان المطلق من جهة واحدة سبعين الف دينار فما الظن بباقى البلاد ومن افعاله الجميلة انه امر باخذ الخراج الاول من باقى البلاد جميعها فحضر كثير من اهل العراق وذكروا ان الاملاك التى كان يؤخذ منها الخراج قديما قد يبس اكثر اشجارها وخربت ومتى طولبوا بالخراج الاول لا يفى دخل الباقى بالخراج فامر ان لا يؤخذ الخراج الا من كل شجرة سليمة واما الذاهب فلا يؤخذ منه شئ وهذا عظيم جدا ومن ذلك ايضا ان المخزن كان له صنجة الذهب تزيد على صنجة البلد نصف قيراط يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التى للبلد يتعامل بها الناس فسمع بذلك فخرج خطه الى الوزير واوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم قد بلغنا ان الامر كذا وكذا فتعاد صنجة المخزن الى الصنجة التى يتعامل بها المسلمون واليهود والنصارى فكتب بعض النواب اليه يقول ان هذا مبلغ كثير وقد حسبناه فكان فى السنة الماضية خمسة وثلاثين الف دينار فاعاد الجواب ينكر على القائل ويقول لو انه ثلثمائة الف وخمسون الف دينار يطلق وكذلك ايضا فعل فى اطلاق زيادة الصنجة التى للديوان وهى فى كل دينار حبة وتقدم الى القاضى ان كل من عرض عليه كتابا صحيحا بملك يعيده اليه من غير اذن واقام رجلا صالحا فى ولاية الحشرى وبيت المال وكان الرجل حنبليا فقال اننى من مذهبى ان اورث ذوى الارحام فان اذن امير المؤمنين ان افعل ذلك وليت والا فلا فقال له اعط كل ذى حق حقه واتق الله ولا تتق سواه ومنها ان العادة كانت ببغداد ان الحارس بكل درب يبكر ويكتب مطالعة الى الخليفة بما تجدد فى دربه من اجتماع بعض الاصدقاء ببعض على نزهة او سماع او غير ذلك ويكتب ما سوى ذلك من صغير وكبير فكان الناس من هذا فى حجر عظيم فلما ولى هذا الخليفة جزاه الله خيرا اتته المطالعات على العادة فامر بقطعها وقال اى غرض لنا فى معرفة احوال الناس فى بيوتهم فلا يكتب احد الينا الا ما يتعلق بمصالح دولتنا فقيل له ان العامة تفسد بذلك ويعظم شرها فقال نحن ندعو الله فى ان يصلحهم ومنها انه لما ولى الخلافة وصل صاحب الديوان من واسط وكان قد سار اليها ايام الناصر لتحصيل الاموال فاصعد ومعه من المال ما يزيد على مائة الف دينار وكتب مطالعة تتضمن ذكر ما معه ويستخرج الامر فى حمله فاعاد الجواب بان يعاد الى اربابه فلا حاجة

وله مرتب واسع وكان الباشا يحبه ويثق به ويقول لولا الائمة اللائقة الدفتردار زيته

(وفى سابعه) حضر الى مصر حاكمها المعروف بمحمد بك ابو ثبوت معزولا عن ولايته فارسل الى الباشا يستأذنه فى الحضور الى مصر فاطلق له الاذن فحضر فانزله بقصر العينى وصحبته نحو الخمسمائة مملوك واجناد واتباع واجتمع بالباشا واجله وسلم عليه واقام معه حصة من الليل ورتب له مرتبا عظيما وعين له ما يقوم بكفايته وكفاية اتباعه فمن جملة ما رتب له ثلاثة آلاف تذكرة كل تذكرة بالفين وستمائة نصف فضة فى كل شهر وذلك خلاف العين واللوازم من السمن والخبز والسكر والعسل والحطب والارز والفحم والشمع والصابون فمن الارز خاصة فى كل يوم اردبان والعليق خمسة وعشرون اردبا فى كل يوم (وفى يوم السبت ثالث عشره) سافر كهوجى باشا عائدا الى اسلامبول واحتفل به الباشا احتفالا زائدا وقدم له وقدم له وارباب الدولة من الاموال والهدايا والخيول والبن والارز والسكر والشربات وتعابى الاقمشة الهندية وغير ذلك شيئا كثيرا وكذلك قدم له اكابر الدولة هدايا كثيرة ولا تعلم حضر الى مصر قدم لهم هدايا فقابلوه باضعافها وعند ما سافر

احضر الباشا وامر كل من كان ملازم ديوانه بالانصراف والغيبة فتكبر منهم من تأخر فى داره ومنهم فى القصور

او نحو من اربعة بنصبات باشا وعمل بك السلانكلي ويحيى باشا وحسن اغا الوجاقلي كذلك وخليل افندي حاكم رشيد وشريف بك

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٤)

(فيه) حضر محمد بك الدفتردار من الجهة القبلية فاقام اياما وعاد الى قبلي وفي اواخره رجع الكثير من فلاحي الاقاليم الى بلادهم من الاشرقية وهم الذين اتموا ما لزمهم من العمل والحفر ومات الكثير من الفلاحين من البرد ومقاساة التعب (وفي هذا الشهر) حصل بعض موت بالطاعون فداخل الناس وهم بسبب ما حدث في اكابر الدولة والنصارى من الرعب وعمل الكورنتينات وهي التباعد من الملامسة وتبخير الاوراق والمجالس ونحو ذلك

(واستهل شهر رجب بيوم الاثنين سنة ١٢٣٤)

(في خامسه) مات عبود النصراني كاتب الخزينة وكان مشكور السيرة في صناعته وعنده مشاركة ودعوى عريضة ودعوى علم ويتكلم بالمناسبات والآيات القرآنية ويضمن انشاءه آية ومراسلاته آيات وامثال وحكايات واخذ دار الفيسري بدرب الجنينة وما حولها وانشأها دارا عظيمة وزخرفها وجعل بها بستانا ومجالس مفروشة بالرخام الملون وفساقي وشاذروانات وزجاج بلور وكل ذلك على طرف الميري

المقتدر ثم ولى بعده القائم القادر بالله وهو من اجداد الناصر لدين الله ثم ولى بعده المستظهر بالله ثم ولى بعده ابنه المسترشد بالله ابو منصور وولى بعد المسترشد بالله ابنه الراشد ابو جعفر فالمسترشد اخو المقتفي والراشد ابن اخيه فجميع من ولى الخلافة عن ابيه في سياق نسب الناصر تسعة عشر خليفة وكانت ام الناصر ام ولد تركية اسمها زمرد وكانت خلافته تقارب سبعا واربعين سنة وعشرة اشهر وثمانية وعشرين يوما وكان عمره نحو سبعين سنة تقريبا ولم يل الخلافة اطول مدة منه الا ما قيل عن المستنصر بالله العلوي صاحب مصر فانه ولى ستين سنة ولا اعتبار به فانه ولى وله سبع سنين فلا تصح ولايته وبقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلا عن الحركة بالكلية وقد ذهبت احدى عينيه والاخرى يبصر بها ابصارا ضعيفا وفي آخر الامر اصابه دوسنطاريا عشرين يوما ومات ووزر له عدة وزراء وقد تقدم ذكرهم ولم يطلق في طول مرضه شيئا كان احدثه من الرسوم الجائرة وكان قبيح السيرة في رعيته ظالما فخرب في ايامه العراق وتفرق اهله في البلاد واخذ املاكهم واموالهم وكان يفعل الشئ وضده فمن ذلك انه عمل دور الضيافة ببغداد ليفطر الناس عليها في رمضان فبقيت مدة ثم قطع ذلك ثم عمل دور الضيافة للحجاج فبقيت مدة ثم ابطلها واطلق بعض المكوس التي جددها ببغداد خاصة ثم اعادها وجعل جل همه في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة فبطل الفتوة في البلاد جميعها الا من يلبس منه سراويل يدعى اليه ولبس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة وكذلك ايضا منع الطيور المناسيب لغيره الا ما يؤخذ من طيوره ومنع الرمي بالبندق الا من ينتمي اليه فاجابه الناس بالعراق وغيره الى ذلك الا انسانا واحدا يقال له ابن السفت من بغداد فانه هرب من العراق ولحق بالشام فارسل اليه يرغبه في المال الجزيل ليرمي عنه وينسب في الرمي اليه فلم يفعل فبلغني ان بعض اصدقائه انكر عليه الامتناع من اخذ المال فقال يكفيني فخرا انه ليس في الدنيا احد الا يرمي للخليفة الا انا فكان غرام الخليفة بهذه الاشياء من اعجب الامور وكان سبب ما ينسبه العجم اليه صحيحا من انه هو الذي اطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم

(ذكر خلافة الظاهر بامر الله)

فلما كانت سنة خمس وثمانين وخمسمائة خطب للامير ابي نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله بولاية العهد في العراق وغيره من البلاد ثم بعد ذلك خلعه الخليفة من ولاية العهد وارسل الى البلاد في قطع الخطبة له وانما فعل ذلك لانه كان يميل الى ولده الصغير علي فاتفق ان الولد الصغير توفي سنة اثنتي عشرة وستمائة ولم يكن للخليفة ولد غير ولي العهد فاضطر الى اعادته الا انه تحت الاحتياط والحجر لا يتصرف في شئ فلما توفي ابوه ولي الخلافة واحضر الناس لاخذ البيعة وتلقب بالظاهر بامر الله وحكى ان اباه وجميع اصحابه ارادوا صرف الامر عنه فظهر وولي الخلافة بامر الله لا بسعي من احد ولما ولي الخلافة اظهر من العدل والاحسان ما اعاد به سنة العمرين فلو قيل انه لم يل الخلافة

بعد

الى أول ذي القعدة فأرسلوا يذعنون بالطاعة ويطلبون العوض عنها ليسلموها فاستقرت القواعد على العوض من قلعة يحتمون فيها و اقطاع ومال وغير ذلك فأجابهم بدر الدين الى ما طلبوا وحضر نوابهم ليحلفوا بدر الدين فبينما هو يريد ان يحلف لهم وقد احضر من يشهد اليمين اذ قد وصل طائر من العمادية وعلى جناحه رقعة من امين الدين لؤلؤ يخبر انه قد ملك العمادية قهرا وعنوة وأسر بني خواجه الذين كانوا تغلبوا عليها فامتنع بدر الدين من اليمين واما سبب غلبة امين الدين عليها فانه كان قد ولاه بدر الدين عليها لما عاد اهلها الى طاعته فبقي فيها مدة فأحسن اليهم واحسن السيرة فيهم واستمال جماعة منهم ليتقوى بهم على الحزب الذين عصوا اولا فنمى الخبر اليهم فاساؤا مجاورته واساؤا الادب ولا ينفع فيهم ففارقهم الى الموصل وكان اولئك الذين استمالهم يكاتبونه ويراسلونه فلما حصرهم كانوا ايضا يكاتبونه في النشاب يخبرونه بكل ما يفعله اولاد خواجه من انفاذ رسول وغير ذلك وبما عندهم من الذخائر الا انهم لم يكونوا الى الكثرة التي انهم يقهرون اولئك فلما كان الآن واستقرت القواعد من التسليم لم يذكر اولاد خواجه احدا من جند القلعة في نسخة اليمين ولا غيره من امان واقطاع فسخطوا هذه الحال وقالوا لهم قد حلفتم لانفسكم بالحصون والقرى والمال ونحن قد خربت بيوتنا لاجلكم فلم تذكرونا فاهانوهم ولم يلتفتوا اليهم فحضر عند امين الدين رجلان منهم ليلا وطلبوا منه ان يرسل اليهم جندا يصعدونهم الى القلعة ويثبون باولئك ويأخذونهم فامتنع وقال اخاف ان لا يتم هذا الامر فيفسد علينا كل ما فعلناه فقالوا نحن نقبض عليهم غدا بكرة وتكونون انتم والعسكر على ظهر فاذا سمعتم النداء باسم بدر الدين وشعاره تصعدون الينا فأجابهم الى ذلك وركب بكرة هو والعسكر على العادة واما اولئك فانهم اجتمعوا وقبضوا على اولاد خواجه ومن معهم ونادوا باسم بدر الدين فبينما العسكر قيام اذ الصوت من القلعة باسم بدر الدين فصعدوا اليها وملكوها وتسلم امين الدين اولاد خواجه فحبسهم وكتب الرقعة على جناح الطائر بالحال وملكوا القلعة صفوا عفوا بغير عوض وكان يريد ان يغرم مالا جليلا واقطاعا كثيرة وحصنا منيعا فتوفر الجميع عليه واخذ منهم كل ما احتقبوه وادخروه واذا اراد الله امرا فلا مرد له

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ليلة الاحد والعشرين من صفر زلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة والعراق وغيرها زلزلة متوسطة وفيها اشتد الغلاء بالموصل وديار الجزيرة جميعها فأكل الناس الميتة والكلاب والسنانير فقل الكلاب والسنانير بعد ان كانت كثيرا ولقد دخلت يوما الى داري فرأيت الجواري يقطعن اللحم ليطبخوه فرأيت سنانير استكثرتها فعددتها فكانت اثني عشر سنورا ورأيت اللحم في هذا الغلاء في الدار وليس عنده من يحفظه من السنانير لعدمها وليس بين المرتين كثير وغلا مع الطعام كل شيء فبيع الرطل الشيرج بقيراطين بعد ان كان بنصف قيراط قبل الغلاء واما قبل ذلك فكان كل

(في رابع عشره) الموافق لآخر يوم من شهر أبيب نودي بوفاء النيل وكان الباشا سافر الى جهة الاسكندرية بسبب ترعة الاشرفية وأمر حكام الجهات بالارياف بجمع الفلاحين للعمل فاحتشدوا في جموع فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال وينزلون بهم المراكب وتعطلوا عن زرع الدراوي الذي هو قوتهم وقاسوا شدة بعد رجوعهم من المرة الاولى بعدما قاسوا ما قاسوه ومات الكثير منهم من البرد والتعب وكل من سقط أهالوا عليه من تراب الحفر ولو فيه الروح ولما رجعوا الى بلادهم للحصيدة طولبوا بالمال وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من التبن وكيلة قمح وكيلة فول واخذ ما يبيعونه من الغلة بالثمن الدون والكيل الوافر فما استتموا الا والطلب للعود الى الشغل في الترعة ونزح المياه التي لا ينقطع نبعها من الارض وهي في غاية الملوحة والمرة الاولى كانت في شدة البرد وهذه المرة في شدة الحر وقلة المياه العذبة فيحملونها بالروايا على الجمال مع بعد المسافة وما جرى الاسكندرية (وفي سابع عشرينه) ارتحل ركب الحجاج من البركة وامير الحاج عابدين بك اخو حسن باشا

(واستهل شهر ذي القعدة سنة ١٢٣٤) والعمل في الترعة مستمر

(واستهل شهر ذي الحجة سنة ١٢٣٤) في منتصفه سافر الباشا الى الصعيد وسافر صحبته حسن

وسافر مع قهوجي باشا سليمان اغا ٤٠٠ م السلحدار وشربتجي باشا وآخرون لتشييعه الى الاسكندرية (وفي يوم الخميس ثامن عشره) حضر بواقي الوهابية بحريمهم واولادهم وهم نحو الاربعمائة نسمة واسكنوا بالقشلة التي بالازبكية وابن عبد الله بن مسعود بدار عند جامع مسكة هو وخواصه من غير حرج عليهم وطفقوا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الاسواق ويشترون البضائع والاحتياجات

(واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٤)

(وفيه) وصل جماعة هجانة من جهة الحجاز وصحبتهم ابن مسعود امير بن الحجاز وذلك انه لما مات ابوه تأمر عوضه وأظهر الطاعة وعدم المخالفة للدولة فلما توجه خليل باشا الى اليمن أخلى له البلاد واعتزل في حصن له ولم يخرج لدفعه ومحاربته كما فعل أبوه وترددت بينهما المراسلات والمخادعات حتى نزل من حصنه وحضر عند خليل باشا فقبض عليه وأرسله مع الهجانة الى مصر (وفيه) صرفوا الفلاحين عن العمل في الترعة لاجل حصاد الزرع ووجهوا عليهم طلب المال

(واستهل شهر رمضان سنة ١٢٣٤)

والباشا كرتن بشبرا ولم يطلع الى القلعة كعادته في شهر رمضان (وفي ثامن عشرينه) طلع الى القلعة وعيد بها (واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٣٤)

لما اليه فأعيد عليهم ومنها انه أخرج كل من كان في السجون وأمر باعادة ما اخذ منهم وأرسل الى القاضي عشرة آلاف دينار ليعطيها عن كل من هو محبوس في حبس الشرع وليس له مال ومن حسن نيته للناس ان الاسعار في الموصل وديار الجزيرة كانت غالية فرخصت الاسعار واطلق حمل الاطعمة اليها وان يبيع كل من أراد البيع لغلة فحمل منها الكثير الذي لا يحصى فقيل له ان السعر خفض لاشئنا والغلة منع حمله فقال اولئك مسلمون وهؤلاء مسلمون وكما يجب علينا النظر في أمر هؤلاء كذلك يجب علينا النظر في اولئك وأمران يباع من الاهراء التي له طعام ارخص مما يبيع غيره ففعلوا ذلك فرخصت الاسعار عندهم ايضا كثر مما كانت ولو كان السعر في الموصل لما ولي كل مكوكين بدينار وثلثي قيراط فصار كل اربعة مكاكيك بدينار في أيام قليلة وكذلك باقي الاشياء من التمر والدبس والارز والسمسم وغيرها فالله تعالى يؤيده وينصره ويبقيه فانه غريب في هذا الزمان الفاسد ولقد سمعت عنه كلمة اعجبتني جدا وهي انه قيل له في الذي يخرج وما يطلقه من الاموال التي لا تسمح نفس ببعضها فقال لهم انا قعدت الدكان بعد العصر فاتركوني افعل الخير فكم اعيش وتصدق ليلة عيد الفطر من هذه السنة وفرق في العلماء واهل الدين مائة ألف دينار

(ذكر ملك بدر الدين قلعتي العمادية وهرور)

في هذه السنة ملك بدر الدين قلعة العمادية من اعمال الموصل وقد تقدم ذكر عصيان أهلها عليه سنة خمس عشرة وستمائة وتسليمها الى عماد الدين زنكي ثم عودهم الى طاعة بدر الدين وخلافهم على عماد الدين فلما عادوا الى بدر الدين أحسن اليهم وأعطاهم الاقطاع الكثير وملكهم القرى ووصلهم بالاموال الجزيلة والخلع السنية فبقوا كذلك مدة يسيرة ثم شرعوا يراسلون عماد الدين زنكي ومظفر الدين صاحب اربل وشهاب الدين غازي بن العادل لما كان بخلاط ويعدون كلا منهم بالانحياز اليه والطاعة له وأظهروا من المخالفة لبدر الدين ما كانوا يبطنونه فكانوا لا يمكنون ان يقيم عندهم من اصحاب بدر الدين الامن يريدونه ويمنعون من يكرهونه فطال الامر وهو يحتمل فعلهم ويداريهم وهم لا يزدادون الا طمعا وخروجا عن الطاعة وكانوا جماعة فاختلفوا فقوي بعضهم وهم اولاد خواجه ابراهيم واخوه ومن معهم على الباقين فاخرجوهم من القلعة وغلبوا عليها واصروا على ما كانوا عليه من النفاق فلما كان هذه السنة سار بدر الدين اليهم في عساكره فاتاهم بغتة فحصرهم وضيق عليهم وقطع الميرة عنهم وأقام بنفسه عليهم وجعل طائفة من الجيش على قلعة هرور يحصرونها وهي من امنع الحصون واحصنها لا يوجد مثلها وكان أهلها ايضا قد سلكوا طريق أهل العمادية من عصيان وطاعة ومخادعة فاتاهم العسكر وحصروهم وهم في قلة من الذخيرة فحصروها اياما فقني ما في القلعة فاضطر أهلها الى التسليم فسلموها ونزلوا منها وعاد العسكر الى العمادية فاقاموا عليها مع بدر الدين فبقي بدر الدين بعد اخذ هرور يسيرا وعاد الى الموصل وترك العسكر بحاله مقيما عليهم مع نائبه امين الدين لؤلؤ فبقي الحصار

ثلاث وعشرين وستمائة ان شاء الله وفيها ثالث شباط جمد الماء ببغداد ثلج وبرد الماء بردا شديدا وقوي البرد حتى مات به جماعة من الفقراء وفيها في ربيع الاول زادت دجلة زيادة عظيمة واشتغل الناس باصلاح سكر القورج وخافوا ثم بلغت الزيادة قريبا من الزيادة الاولى ثم نقص الماء واستبشر الناس

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة)

٥(ذكر ملك جلال الدين تفليس)٥

في هذه السنة ثامن ربيع الاول فتح جلال الدين بن خوارزمشاه مدينة تفليس من الكرج وسبب ذلك انا قد ذكرنا سنة اثنتين وعشرين وستمائة الحرب بينه وبينهم وانهزامهم منه وعوده الى تبريز بسبب الخلف الواقع بها فلما استقر الامر في اذربيجان عاد الى بلد الكرج في ذي الحجة من السنة وخرجت سنة اثنتين وعشرين وستمائة ودخلت هذه السنة فقصد بلادهم وقد عادوا وحشدوا وجمعوا من الامم المجاورة لهم اللان واللكز وقفجاق وغيرهم فاجتمعوا في جمع كثير لا يحصى فطمعوا بذلك ومنتهم انفسهم الاباطيل ووعدهم الشيطان الظفر وما يعدهم الشيطان الا غرورا فلقيهم وجعل لهم الكمين في عدة مواضع والتقوا واقتتلوا فولى الكرج منهزمين لا يلوي الاخ على اخيه ولا الوالد على ولده وكل منهم قد اهمته نفسه واخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب فلم ينج منهم الا اليسير الشاذ الذي لا يعبأ به وامر جلال الدين عسكره ان لا يبقوا على احد وان يقتلوا من وجدوا فتبعوا المنهزمين يقتلونهم واشار عليه اصحابه بقصد تفليس دار ملكهم فقال لا حاجة لنا الى ان نقتل رجالنا تحت الاسوار انما اذا افنيت الكرج اخذت البلاد صفوا عفوا ولم تزل العساكر تتبعهم وتستقصي في طلبهم الى ان كادوا يفنونهم فحينئذ قصد تفليس ونزل بالقرب منها وسار في بعض الايام في طائفة من العسكر وقصدها لينظر اليها ويبصر مواضع النزول عليها وكيف يقاتلها فلما قاربها كمن اكثر العسكر الذي معه في عدة مواضع ثم تقدم اليها في نحو ثلاثة آلاف فارس فلما رآه من بها من الكرج طمعوا فيه لقلة من معه ولم يعلموا بمن معهم فظهروا اليه فقاتلوه فتأخر عنهم فقوي طمعهم وظنوه منهزما فتبعوه فلما توسطوا العساكر خرجوا عليهم ووضعوا السيف فيهم فقتل اكثرهم وانهزم الباقون الى المدينة فدخلوها وتبعهم المسلمون فلما وصلوا اليها نادى المسلمون من اهلها بشعار الاسلام وباسم جلال الدين فالقى الكرج بايديهم واستسلموا لانهم كانوا قد قتل رجالهم في الوقعات المذكورة فقل عددهم وملئت قلوبهم خوفا ورعبا فملك المسلمون البلد عنوة وقهرا بغير امان وقتل كل من فيه من الكرج ولم يبق على كبير ولا صغير الا من اذعن بالاسلام واقر بكلمتي الشهادة فانه ابقى عليهم وامرهم فختنوا وتركهم ونهب المسلمون الاموال وسبوا النساء واسترقوا الاولاد ووصل الى المسلمين الذين بها بعض الاذى من قتل ونهب وغيره وهذه تفليس من احصن البلاد وامنعها وهي على جانبي نهر الكر وهو نهر

وصل في مرمته الى الشلال وكان الناس تقولوا على ذهابه الى قبلي اقاويل منها انه يريد التجريد على بواقي المصريين المنقطعين بدنقلة فانهم استفحل امرهم واستكثروا من شراء العبيد وصنعوا البارود والمدافع وغير ذلك ومنها انه يريد التجريد ايضا واخذ بلاد دارفور والنوبة ويمهد طريق الوصول اليها ومنها انهم قالوا انه ظهر بتلك البلاد معادن الذهب والفضة والرصاص والزمرد وان ذهابه للكشف على ذلك وامتحانه وهل معدله ومقدار ما يصرف عليه حتى يستخرج صافيه و بطل كل ما توهموه وخمنوه برجوعه واما قولهم عن هذه المعادن فالذي تلخص من ذلك انه ظهر بارض احجار خضر تشبه الزمرد وليست اياه وبمكان آخر شيء اسود كرتش مثل خرء الحديد يخرج منه بعد العلاج والتصفية رصاص قليل فقد اخبرني اخونا الشيخ عمر الناوي المعروف بالقاضي انه اخذ منه قطعة وذهب بها الى الصائغ ودقها ووضعها في بوط كبير وساق عليها بنار السبك واشكر البوط فنقلها الى بوط آخر ولم يزل بها كذلك بطول النهار واحرق عليها نحو نصف القنطار من الفحم (وفيه) حضر ايضا جماعة من الوهابية وانزلوا بدار بجوار قناطر عابدين

٥(واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠)٥

في غرته سافر محمد اغا المعروف بابو مرق الشامي الى دار السلطنة باستدعاء من الدولة وذلك انه لما حضر الى مصر

ستين رطلا بدينار ومن الهيبان الساقى والجزر والسلجم يبيع كل خمسة ارطال بدرهم ويبيع البنفسج كل ستة ارطال بدرهم ويبيع في بعض الاوقات كل سبعة ارطال بدرهم وهذا ما لم يسمع بمثله ولقد راينا ما لم نر ولا سمعنا بمثله فان الدنيا ما زالت قديما وحديثا اذا غلت الاسعار متى جاء المطر رخصت الا هذه السنة فان الامطار ما زالت متتابعة من اول الشتاء الى آخر الربيع وكلما جاء المطر غلت الاسعار وهذا ما لم يسمع بمثله فبلغت الحنطة مكوك وثلث بدينار وقيراط يكون وزنه خمسة عشر رطلا دقيقا بالبغدادي وكان الملح مكوك بدرهم فصار المكوك بعشرة دراهم وكان الارز مكوك باثني عشر درهما فصار المكوك بخمسين درهما وكان التمر كل اربعة ارطال وخمسة ارطال بقيراط فصار كل رطلين بقيراط ومن عجيب ما يحكى ان السكر النادر الاحمر كان كل رطل بدرهم وكان السكر الابلوج المصري النقي كل رطل بدرهمين فصار السكر الاحمر كل رطل بثلاثة دراهم ونصف والسكر الابلوج كل رطل بثلاثة دراهم وسببه ان الامراض لما كثرت واشتد الوباء قال النساء هذه الامراض باردة والسكر الاحمر حار فينفع منها والابلوج بارد ويتبعون الاطباء استمالة القلوب ويجهلون فغلا الاحمر بهذا السبب وهذا من الجهل المفرط وما زالت الاشياء هكذا الى اول الصيف واشتد الوباء وكثر الموت والمرض في الناس فكان يحمل على النعش الواحد عدة من الموتى فممن مات شيخنا عبد المحسن بن عبد الله الخطيب الطوسي خطيب الموصل وكان من صالحي المسلمين وعمره ثلاث وثمانون سنة وشهور وفيها انخسف القمر ليلة الثلاثاء خامس عشر صفر وفيها هرب امير حاج العراق وهو حسام الدين ابو فراس الحلي الكردي الورامي وهو ابن اخي الشيخ ورام كان جده من صالحي المسلمين وخيارهم من اهل الحلة السيفية فارق الحاج بين مكة والمدينة وسار الى مصر حكى لي بعض اصدقائه انه انما حمله على الهرب كثرة الخرج في الطريق وقلة المعونة من الخليفة ولما فارق الحاج خافوا خوفا شديدا من العرب فامن الله خوفهم ولم يرعهم ذاعر في جميع الطريق ووصلوا آمنين الا ان كثيرا من الجمال هلك واصابهم شدة عظيمة لم يسلم الا القليل وفيها في آب جاءت امطار شديدة ورعد وبرق ودام حتى جرت الاودية وامتلأت الطرق بالوحل ثم جاء الخبر من العراق والشام والجزيرة وديار بكر انه كان عندهم مثله ولم يصل الينا احد الا واخبر ان المطر كان عندهم في ذلك التاريخ وفيها كان في الشتاء ثلج كثير ونزل بالعراق فسمعت انه نزل في جميع العراق حتى في البصرة اما الى واسط فلا شك فيه واما البصرة فان الخبر لم يكثر عندنا بنزوله فيها وفيها خربت قلعة الزعفران من اعمال الموصل وهي حصن مشهور يعرف قديما بدير الزعفران وهو على جبل عال قريب من فرشابور وفيها ايضا خربت القلعة الجديدة من بلد الهكارية من اعمال الموصل ايضا واضيف عملها وقراها الى العمادية وفيها في ذي الحجة سار جلال الدين بن خوارزمشاه من تبريز الى بلد الكرج قاصدا الاخذ بالادهم واستئصالهم وخرجت السنة ولم يبلغنا انه فعل بهم شيئا ونحن نذكر ما فعله بهم سنة

باشا طاهر ومحمد اغا الاغا المنفصل من الكتخدائية وحسن اغا ازرجانلي وغيرهم من اعيان الدولة (وفيه) وصل الخبر بموت سليمان باشا حاكم عكا وهو من مماليك احمد باشا الجزار (وفي اواخره) وصل ابن ابراهيم باشا وصحبته حريم ابيه فضربوا لوصولهم مدافع وعملوا لهم شنكا ودخل من باب النصر وشق من وسط المدينة (وانقضت) السنة وما تجدد بها من الحوادث التي منها ان ماء النيل الزيادة المفرطة كما ذكر من العام الماضي وهذا من النوادر وهو الغرق في عامين متتابعين واستمر ايضا في هذه السنة الى منتصف هاتور حتى فات اوان الزراعة وربما نقص قليلا ثم يرجع في ثاني يوم اكثر ما نقص

(ودخلت سنة خمس وثلاثين
ومائتين والف)

فكان اول المحرم بالهلال يوم الخميس وفيه وما قبله بايام حصل بالارياف بل وبداخل المدينة انزعاجات بسبب تواتر سرقات واشاعة سرقة مناسر وحرامية وحجز الناس ابواب الدور والدروب وحصل منع الناس من المسير والمشي بالازقة من بعد الغروب وصار كتخدا بك واغات التبديل والوالي يطوفون ليلا بالمدينة وكل من صادفوه قبضوا عليه وحبسوه ولو كان لا تهمة فيه واستمر هذا الحال الى آخر الشهر (وفي سابع عشر منه) حضر الباشا من الصعيد بعسكر

ثلاث

الذي تولى في منصبه وهو بالروضة بشاطئ النيل تجاه الجيزة وعند وصول المذكور عملوا جسرا من الروضة الى ساحل مصر القديمة على مراكب من البر الى البر ومدوه بالاتربة من فوق الاخشاب ٢٠٩ (وفي ذلك اليوم) وصل قابجي من دار السلطنة بالبشارة بمولود ولد بحضرة السلطان وطلع الى القلعة في موكب (وفي يوم الخميس حادي عشر يسه) عند وصول ابراهيم باشا نودي بزينة المدينة سبعة ايام بلياليها فشرع الناس في تزيين الحوانيت والدور والخانات على امكنتهم وقدروا عليهم من الملونات والمقصبات واما جهات النصارى وحاراتهم وخاناتهم فانهم ابدعوا في عمل تصاوير مجسمات وتماثيل واشكال غريبة وشكا الناس من عدم وجود الزيت والشيرج فرسموا بحملة قناطير شيرج تعطى للزياتين لتباع على الناس بقصد ذلك فياخذونها ويبيعونها باغلى ثمن بعد الانكار والكتمان (ولما اصبح) يوم الجمعة وقد عدى ابراهيم باشا الى بر مصر ركب ابراهيم باشا الى بر مصر ودخل من باب النصر وشق المدينة وعلى راسه الطلخان السلمي من شعار الوزارة وقدامه الخيالة والجماعة وحضر والده الى جامع الغورية بقصد الفرجة على موكب ابنه وطلع بالموكب الى القلعة ثم رجع سابر بالهيئة الكاملة الى جهة مصر القديمة ومر على الجسر وذهب الى قصره ٢٧ ج مل ١٣ المذكور بالروضة واستمرت الزينة والوقود والسهر بالليل وعمل الحراقات وضرب المدافع في كل وقت من القلعة ومغاني وملاعب في مجامع الناس سبعة ايام بلياليها في مصر الجديدة والقديمة وبولاق وجميع

اصحاب ذكره واستقرت القواعد بينهم على ذلك فبادر مظفر الدين الى الموصل واما جلال الدين فانه سار من تفليس يريد خلاط فاتاه الخبران نائبه ببلاد كرمان واسمه بلاق حاجب قد عصى عليه على ما نذكره فلما اتاه الخبر بذلك ترك خلاط ولم يقصدها الآن عسكره نهب بعض بلادها ونهبوا كثيرا منه وسار مجدا الى كرمان فانفسخ جميع ما كانوا عزموا عليه الآن مظفر الدين سار من اربل ونزل على جانب الزاب ولم يمكنه العبور الى بلد الموصل وكان بدر الدين قد ارسل من الموصل الى الاشرف وهو بالرقة يستنجده وطلب منه ان يحضر بنفسه الموصل ليدفعوا مظفر الدين فسار منها الى حران ومن حران الى دنيسر فخرب بلد ماردين واهلكه بخرابها واما المعظم صاحب دمشق فانه قصد بلد حمص وحماة وارسل الى اخيه الاشرف يقول ان رحلت من ماردين وحلب رحلنا عن حمص وحماة وارسلت الى مظفر الدين ليرجع عن بلادنا ووصل فرحل الاشرف عن ماردين وعاد كل منهم الى بلده وخربت اعمال الموصل واعمال ماردين بهذه الحركة فانهما كانت قد اجحف بها تتابع الغلاء وطول مدته وجلاء اكثر اهلها فاتم هذه الحادثة فازدادت خرابا

(ذكر عصيان كرمان على جلال الدين ومسيره اليها)

في هذه السنة في جمادى الآخرة وصل الخبر الى جلال الدين ان نائبه بكرمان وهو امير كبير اسمه بلاق حاجب قد عصى عليه وطمع في البلاد ان يتملكها ويستبد بها لبعد جلال الدين عنها واشتغاله بما ذكرناه من الكرج وغيرهم وانه ارسل الى التتر يعرفهم قوة جلال الدين وملكه كثيرا من البلاد وان اخذ الباقي عظمت مملكته وكثرت عساكره وسار اليكم واخذ ما بايديكم من البلاد فلما سمع جلال الدين ذلك وكان قد سار يريد خلاط ترکها وسار الى كرمان يطوي المراحل ارسل بين يديه رسولا الى صاحب كرمان ومعه الخلع ليطمئن ويأمنه وهو يريد خلاط ولا يستعد للامتناع منه فلما وصل الرسول علم ان ذلك مكيدة عليه لما يعرفه من عادته فاخذ ما يعز عليه وصعد الى قلعة منيعة فتحصن بها وجعل من يثق اليه من اصحابه في الحصون يمتنعون بها وارسل الى جلال الدين يقول انني انا العبد والمملوك ولما سمعت بمسيرك الى هذه البلاد اخليتها لك لانها بلادك ولو علمت انك تبقى على حضرتك بابك ولكني اخاف هذا جميعه والرسول يحلف له ان جلال الدين بتفليس وهو لا يلتفت الى قوله فعاد الرسول مع جلال الدين انه لا يمكنه اخذ ما بيده من الحصون لانه يحتاج ان يحصرها مدة طويلة فوقف بالقرب من اصفهان وارسل اليه الخلع واقره على ولايته فبينما الرسل تتردد اذ وصل رسول من وزير جلال الدين اليمن بتفليس يعرفه ان عسكر الملك الاشرف الذي بخلاط قد هزموا بعض عسكره وقتلوا منهم ويحثه على العود الى تفليس فعاد اليها مسرعا

كبير والله يجل هذا الفتح وعظيم موقعه في بلاد الاسلام وعند المسلمين فان الكرج كانوا قد استطالوا عليهم وفعلوا بهم ما ارادوا فكانوا يقصدون اي بلاد اذربيجان ارادوا فلا يمنعهم عنها مانع ولا يدفعهم عنها دافع وهكذا ارزن الروم حتى ان صاحبها الذي خطب ملكة الكرج ودخل على رأسه على ما قدمناه في اعلاء صليب وتنصر ولده رغبة في نكاح ملكة الكرج وخوفا منهم ليدفع الشر عنه وقد تقدمت القصة وهكذا دربند شروان وعظم امرهم الى حد ان ركن الدين بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وملطية وسائر بلاد الروم التي للمسلمين جمع عساكره وحشد معها غيرها فاستكثر وقصد ارزن الروم وهي لاخيه طغرلشاه بن قلج ارسلان فاتاه الكرج وهزموه وفعلوا بعسكره كل عظيم وكان اهل دربند شروان معهم في الضنك والشدة واما ارمينية فان الكرج دخلوا مدينة ارجيش وملكوا القرس وغيرها وحصروا خلاط فلولا ان الله سبحانه من على المسلمين باسر ايواني مقدم عساكر الكرج لملكوها فاضطر اهلها الى ان بذلوا المهيمنة في القلعة يضرب فيها الناقوس فرحلوا عنهم وقد تقدم تفصيل هذه الجملة ولم يزل هذا الثغر من اعظم الثغور ضررا على المجاورين من الفرس قبل الاسلام وعلى المسلمين بعدهم من اول الاسلام الى الآن ولم يقدم احد عليهم هذا الاقدام ولا فعل بهم هذه الافاعيل فان الكرج ملكوا تفليس سنة خمس عشرة وخمسمائة والسلطان حينئذ محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وهو من اعظم السلاطين منزلة واوسعهم مملكة واكثرهم عساكر فلم يقدر على منعهم عنها هذا مع سعة بلاده فانه كان له الري واعمالها وبلد الجبل واصفهان وفارس وخوزستان والعراق واذربيجان واران وارمينية وديار بكر والجزيرة والموصل والشام وغير ذلك وعمه السلطان سنجر له خراسان وما وراء النهر فكان اكثر بلاد الاسلام بايديهم ومع هذا فانه جمع عساكره سنة تسع عشرة وخمسمائة وسار اليهم بعد ان ملكوها فلم يقدر عليهم ثم ملك بعده اخوه السلطان مسعود فكذلك وملك ايلدكز بلد الجبل والري واذربيجان واران واطاعه صاحب خلاط وصاحب فارس وصاحب خوزستان وجمع وحشد لهم وكان قصاراه ان يتخلص منهم ثم ابنه البهلوان بعده وكانت البلاد في ايام اولئك كثيرة الاموال والرجال فلم يحدثوا انفسهم بالظفر بهؤلاء حتى جاء هذا السلطان والبلاد خراب قد اضعفها الكرج اولا ثم استأصلتها التتر اعانهم الله على ما ذكرناه فعل بهم هذه الافاعيل فسبحان من اذا اراد امرا قال له كن فيكون

(ذكر مسير مظفر الدين صاحب اربل الى الموصل وعوده عنها)

في هذه السنة في جمادى الآخرة سار مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل الى اعمال الموصل قاصدا اليها وكان السبب في ذلك انه استقرت القاعدة بينه وبين جلال الدين ابن خوارزمشاه وبين الملك المعظم صاحب دمشق وبين صاحب آمد وبين ناصر الدين صاحب ماردين ليقصدوا البلاد التي بيد الاشرف ويتغلبوا عليها ويكون لكل منهم

نصيب

ونزل برحاب الباشا كما تقدم وكاتب الباشا في شأنه الى الدولة فحضر الامر بطلبه واوكد بالاكرام فعند ذلك هيأ له الباشا ما يحتاج اليه من هدية وغيرها وعين للسفر صحبته خمسة وثلاثون شخصا ارسل اليهم الباشا كساوي وفراوي وترك باقي اتباعه بمصر انزلهم في دار بسويقة اللالا وهم يزيدون عن المائتين وصرف لهم الرواتب في كل يوم والشهرية (وفيه) وصل جماعة من عسكر المغاربة والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز وصحبتهم اسرى من الوهابية نساء وبنات وغلمانا نزلوا عند المدابغ وطفقوا يبيعونهم على من يشتريهم مع انهم مسلمون واحرار (وفي منتصفه) مات مصطفى اغا وكيل دار السعادة سابقا ومات ايضا الشيخ عبد الرحمن العريشي الحنفي (وفي سابع عشره) وصل الحجاج المصري ومات الكثير من الناس فيه بالحمى وكذلك كثرت الحمى بارض مصر وكأنها تناقلت من ارض الحجاز (وفي حادي عشرينه) وصل ابراهيم باشا ابن الباشا من ناحية القصير وكان قبل وروده بايام وصل خبر وصوله الى القصير وضربوا لذلك الخبر مدافع من القلعة وغيرها وركب المبشرون لاخذ البقاشيش من الاعيان واجتمعت نساء اكابرهم عند والدته ونساء ابيه للتهنئة ونظموا له القصر الذي كان انشأه لي خوجه وعمه شريف بك

يبق من الشغل الا القليل ثم نقص والماشر ما خلاف في هذا المعمول خوفا من غلبة الجوبة زى فيها الماء واختلط بالمياه المالحة
التي تبعث من أرضها وعلا الماء منها على بعض المواطن المستغرقة بها ٢١١ روية عظيمة وساح على الارض وابس
هناك جسور عنع وصادف
أيضا وقوع نوة واهوية
علا فيها البحر المالح على
الجسر الكبير ووصل الى
الترعة فاشيع في الناس ان
الترعة فسد امرها ولم تصح
وان المياه المالحة التي منها
ومن البحر غرقت الاسكندرية
وخرج أهلها منها الى ان تحقق
الخبر بالواقع وهو دون
ذلك ورجع المهندسون
والفلاحون الى بلادهم بعد
ما هلك معظمهم

(واستهل شهر ربيع الثاني سنة ١٢٣٥)

في اوله عزل الباشا محمد بك
الدفتردار عن امارة الصعيد
وقلدوها احمد باشا ابن
طاهر باشا وسافر في خامسه
(وفي سابعه) سافر الباشا الى
الاسكندرية للكشف على
الترعة وسافر صحبته ابنه
ابراهيم باشا ومحمد بك الدفتردار
والكتخدا القديم ودبوس
اوغلي (وفي ثالث عشره)
حضر الباشا ومن معه من
غيبتهم وقد انشرح خاطره
لتمام الترعة وسلوك المراكب
وسفرها فيها وكذلك
سافرت فيها مراكب رشيد
والتجار بالبضائع واستراحوا
من وعر البغاز والسفر
في المالح الى الاسكندرية والنقل والتحويل بها وانتظار الريح المناسب لاقتحام البغاز والبحر الكبير ولم يبق في شغل الترعة الا
الامر اليسير واصلاح بعض جسورها واتفق وقوع حادثة في هذا الشهر وهو ان شخصا من الافرنج الانكليز ورد من

أن علم الله سبحانه مدة ولي الخلافة اشفاق عليه قصر المدة لخبث الزمان وفساد اهله
واقول لكثير من اصدقائنا وما اخوفني ان تقصر مدة خلافته لان زماننا واهله
لا يستحقون خلافته فكان كذلك

(ذكر خلافة ابنه المستنصر بالله)

لما توفي الظاهر بامر الله بويع بالخلافة ابنه الامير ابو جعفر المنصور ولقب المستنصر
بالله وسلك في الخير والاحسان الى الناس سيرة ابيه رضي الله عنه وامر فنودي ببغداد
باقامة العدل وان من كان له حاجة او ظلامة يطالع بها تقضى حاجته وتكشف
ظلامته فلما كان اول جمعة اتت على خلافته اراد ان يصلي الجمعة في المقصورة التي
كان يصلي فيها الخلفاء فقيل له ان المطبق الذي يسلك فيه اليها خراب لا يمكن سلوكه
فركب فرسا وسار الى الجامع جامع القصر ظاهرا يراه الناس بقميص ابيض وعمامة
بيضاء بسكاكين حرير ولم يترك احدا يمشي معه من اصحابه الصلاة الى الموضع الذي كان
يصلي فيه وسار هو ومعه خادمان وركابدار لا غير فصلى وعاد وكذلك الجمعة الثانية
حتى اصلح له المطبق وكان السعر قد تحرك بعد وفاة الظاهر بامر الله رضي الله عنه
فبلغت الكارة ثمانية عشر قيراطا فامر ان تباع الغلات التي له كل كارة بثلاثة عشر
قيراطا فرخصت الاسعار واستقامت الامور

(ذكر الحرب بين كيقباذ وصاحب آمد)

في هذه السنة في شعبان سار علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان ملك بلاد
الروم الى بلاد الملك المسعود صاحب آمد وملك عدة من حصونه وسبب ذلك ما ذكرناه
من اتفاق صاحب آمد مع جلال الدين خوارزمشاه والملك المعظم صاحب دمشق
وغيرهما على خلاف الاشرف فلما رأى الاشرف ذلك ارسل الى كيقباذ ملك الروم
وكانا متفقين يطلب منه أن يقصد بلد صاحب آمد ويحاربه وكان الاشرف حينئذ
على ماردين فسار ملك الروم الى ملطية وهي له فنزل عندها وسير العساكر الى ولاية
صاحب آمد ففتحوا حصن منصور وحصن شمكاراد وغيرهما فلما رأى صاحب آمد ذلك
راسل الاشرف وعاد الى موافقته فارسل الاشرف الى كيقباذ يعرفه ذلك ويقول له
ليعيد الى صاحب آمد ما اخذ منه فلم يفعل وقال لم اكن نائبا للاشرف يأمرني وينهاني
فاتفق ان الاشرف سار الى دمشق ليصلح اخاه الملك المعظم وامر العساكر التي له بديار
الجزيرة بمساعدة صاحب آمد ان اصر ملك الروم على قصده فسارت عساكر الاشرف
الى صاحب آمد فجمع عسكره ومن ببلاده ممن يصلح للحرب وسار الى عسكر ملك الروم
وهم يحاصرون قلعة الكختا فالتقوا هناك في شوال فانهزم صاحب آمد ومن معه من
العساكر هزيمة قبيحة وجرح كثير واسر كثير وملك عسكر كيقباذ قلعة الكختا بعد

الاختلاط ورجع ابراهيم باشا من هذه الغيبة متعاظماً في نفسه بما داخله من الغرور وما لا مزيد عليه حتى ان المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه والتهنئة بالقدوم ٢١٠ فلما اقبلوا عليه وهو جالس في ديوانه لم يقم لهم ولم يرد عليهم السلام فجلسوا و جعلوا يهنئونه بالسلامة فلم يجبهم ولا بالاشارة بل جعل يحادث شخصاً مسخرة عنده وقاموا على مثل ذلك منصرفين و منكسفين ومنكسري الخاطر

(واستهل شهر ربيع الاول يوم الاحد سنة ١٢٣٠)

في ثامنه مات ابن ابراهيم باشا وهو الذي تقدم في اخبار اتى الى مصر وعملوا له الموكب وعمره نحو ست سنوات وكان موته في اول الليل من ليلة الاحد فارسلوا التنابيه لاعيان الدولة والمشايخ فخرج البعض منهم في ثلث الليل الاخير الى مصر القديمة حيث المعادي لانه مات بقصر الجيزة فما طلع النهار حتى ازدحموا بمصر القديمة وماحضروا به الا قرب الزوال واحضروا بالمشهد الى مدفنهم بالقرب من الامام الشافعي وعملوا له مأتماً وفرقوا دراهم على الناس والفقهاء وغير ذلك ثم حكى المخبرون عن كيفية موته انه كان ناقهاً من جدري وانه جاء يقصد افتضاض جارية بيضاء ورفسته برجلها فاصابت انثييه فاضطرب ووصل الخبر الى ابيه فدخل اليهم وقبض على الجوارى الحاضرات وحبسهن في مكان بالقصر وقال ان مات ولدي قتلتكن عن آخركن فمات من ليلته فخنق الجميع ازل والقاهن في البحر مع اثنين من الدادات قيل اثنين خمسة وقيل ستة والله اعلم (وفي اواخره) انقضى امر الجسر بترعة الاسكندرية ولم

(ذكر الحرب بين عسكر الاشرف وعسكر جلال الدين)

لما سار جلال الدين الى كرمان ترك بمدينة تفليس عسكراً مع وزيره شرف الملك فضاقت عليهم الميرة فساروا الى اعمال ارزن الروم فوصلوا اليها ونهبوها وسبوا النساء واخذوا من الغنائم شيئاً كثيراً لا يحصى وعادوا فكان طريقهم على اطراف ولاية خلاط فسمع النائب عن الاشرف بخلاط وهو الحاجب حسام الدين علي الموصلي فجمع العسكر وسار اليهم فاوقع بهم واستنقذ ما معهم من الغنائم وغنم كثيراً مما معهم وعاد هو وعسكره سالمين فلما فعل ذلك خاف وزير جلال الدين منهم فارسل الى صاحبه بكرمان يعرفه الحال ويحثه على الوصول اليه ويحذره عاقبة التواني والاهمال فرجع فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة الخليفة الظاهر بامر الله)

في هذه السنة في الرابع عشر من رجب توفي الامام الظاهر بامر الله امير المؤمنين ابو نصر محمد بن الناصر لدين الله ابي العباس احمد بن المستضيء بامر الله وقد تقدم نسبه عند وفاة ابيه رضي الله عنهما فكانت خلافته تسعة اشهر واربعة عشر يوماً وكان نعم الخليفة جمع الخشوع مع الخضوع لربه والعدل والاحسان الى رعيته وقد تقدم عند ذكر ولايته الخلافة من افعاله ما فيه كفاية ولم يزل كل يوم يزداد من الخير والاحسان الى الرعية فرضي الله عنه وارضاه واحسن منقلبه ومثواه فلقد جدد من العدل ما كان دارساً واذكر من الاحسان ما كان منسياً وكان قبل وفاته اخرج توقيعاً الى الوزير بخطه على ارباب الدولة وقال الرسول امير المؤمنين يقول ليس غرضنا ان يقال برز مرسوم او نفذ مثال ثم لا يبين له اثر بل انتم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال تعرفوه فاذا في اوله بعد البسملة اعلموا انه ليس امهالنا اهمالاً ولا اغضاؤنا اغفالاً ولكن لنبلوكم ايكم احسن عملا وقد عفونا لكم ما سلف من اخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح الشريعة واظهار الباطل الجلي في صورة الحق الخفي حيلة ومكيدة وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاء واستدراكاً لاغراض انتهزتم فرصها مختلسة من براثن ليث باسل وانياب اسد مهيب تتفقون بالفاظ مختلفة على معنى وانتم امناؤه وثقاته فتميلون رأيه الى هواكم وتمزجون باطلكم بحقه فيطيعكم وانتم له عاصون ويوافقكم وانتم له مخالفون والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم امناً وبفقركم غنى وبباطلكم حقاً ورزقكم سلطاناً يقيل العثرة ولا يؤاخذ الا من اصر ولا ينتقم الا ممن استمر يامركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم يخاف الله تعالى فيخوفكم مكره ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته فان سلكتم مسالك نواب خلفاء الله في ارضه وامنائه على خلقه والا هلكتم والسلام ولما توفي وجد في بيت في داره الوف رقاع كلها مختومة لم يفتحها فقيل له ليفتحها فقال لا حاجة لنا فيها كلها سعايات ولم

عليها الى ان اشتد البرد ونزل شئ من الثلج فرحل عنها يوم الثلاثاء السابع بقين من ذى الحجة من السنة وكان سبب رحيلهم خوف الثلج ما بلغه عن التركمان الايوانية من الفساد بالبلاد

❁(ذكر ايقاع جلال الدين بالتركمان الايوانية)❁

كان التركمان الايوانية قد تغلبوا على مدينة اشنو وارمية من نواحى اذربيجان واخذوا الخراج من اهل خوى ليكفوا عنهم واغتروا باشتغال جلال الدين بالكرج وبعدهم بخلاط وازداد طمعهم وانبسطوا باذربيجان ينهبون ويقطعون الطريق والاخبار تاتى الى خوارزمشاه جلال الدين وهو يتغافل عنهم لاشتغاله بما هو أهم عنده وبلغ من طمعهم انهم قطعوا الطريق بالقرب من تبريز واخذوا من تجار اهلها شيئا كثيرا ومن جملة ذلك انهم اشتروا غنما من ارزن الروم وقصدوا بها تبريز فلقيهم الايوانية قبل وصولهم الى تبريز فاخذوا جميع ما معهم ومن جملته عشرون الف رأس غنم فلما اشتد ذلك على الناس وعظم الشر ارسلت زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل وتواب في البلاد اليه يستغيثون ويعرفونه ان البلاد قد خربها الايوانية وان لم يتلافها والا هلكت بالمرة فاتفق هذا الى خوف الثلج فرحل عن خلاط وجد السير الى الايوانية وهم آمنون مطمئنون لعلمهم ان خوارزمشاه على خلاط وظنوا انه لا يفارقها فلولا هذا الاعتقاد لصعدوا الى جبال لهم منيعة شاهقة لا يرتقى اليها الا بمشقة وعناء فانهم كانوا اذا خافوا صعدوا اليها وامتنعوا بها فلم يرعهم الا والعساكر الجلالية قد احاطت بهم واخذهم السيف من كل جانب فاكثروا القتل فيهم والنهب والسبي واسترقوا الحريم والاولاد واخذوا من عندهم ما لا يدخل تحت الحصر فراوا كثيرا من الامتعة التى اخذوها من التجار بحالها فى الشدوات لم تحول عن حالها وهى ما كانوا اخذوه ووصلوه فلما فرغ عاد الى تبريز

❁(ذكر الصلح بين المعظم والاشرف)❁

قد ذكرنا سبب الاختلاف فنقول لما توفى الملك العادل ابو بكر بن ايوب اتفق اولاده الملوك بعده اتفاقا حسنا وهم الملك الكامل محمد صاحب مصر والملك المعظم عيسى صاحب دمشق والبيت المقدس وما يجاورهما من البلاد والملك الاشرف موسى وهو صاحب ديار الجزيرة وخلاط واجتمعت كلمتهم على دفع الفرنج عن الديار المصرية ولما رحل الكامل عن دمياط لما كان الفرنج بمصر ونهبها ساعده اخوه المعظم من الندو وقوى نفسه وثبت قدمه ولولا ذلك لكان الامر عظيما وقد ذكرنا ذلك مفصلا ثم انه عاد من مصر وسار الى اخيه الاشرف ببلاد الجزيرة مرتين يستنجده على الفرنج ويحثه على مساعدة اخيه الكامل ولم يزل به حتى انجده وسار الى مصر وازالوا الفرنج

ايضا استخبل بالباشا وخلافه ووجه الكثير من اللوازم الى الجهة القبلية وعمل البقسماط والذخيرة ببلاد قبلى والشرقية واهتم اهتماما عظيما وارسل ايضا باحضار مشايخ العربان والقبائل (وفيه) خرج الباشا الى ناحية القليوبية حيث الخيول بالربيع وخرج محمد بك الضبا قتشه بقلقشندة واخرج خياما وحمالا كثيرة محملة بالفرش والنحاس وآلات المطبخ والارز والسمن والعسل والزيت والحطب والسكر وغير ذلك واضافه ثلاثة ايام وكذلك نادر كاشف الناحية وغيره وكذلك احضر له ضيافة ابن شديد شيخ الحويطات وابن الشواربى كبير قليوب وابن عمر وكان صحبة الباشا ولداه ابراهيم باشا واسمعيل باشا وحسن باشا (وفى اثناء ذلك) ورد الخبر بموت عابدين بك اخو حسن باشا بالديار الحجازية وكذلك الكثير من اتباعه بالحمى فتكدر خاطرهم وبطلت الضيافات وحضر الباشا ومن معه فى اواخره لعمل العزاء والميتم واخبر الواردون بكثرة الحمى بالديار الحجازية حتى بالوا انه لم يبق من طائفة عابدين بك الا القليل جدا

❁(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٠)❁

فى عشرينه وردت هدية من والى الشام فيها من الخيول الخاص عشرة بعضها ملبس والباقى من غير سروج واشياء اخر لا نعلمها (وفى اواخره) ورد الخبر بان حسن بك الشماشرجى استولى على سيوة (وفيه) ورد الخبر بانه وقع باسلامبول حريق كبير (وفيه) ورد الخبر ايضا من حلب بان احمد باشا المعروف بخورشيد الذى كان سابقا والى مصر استولى على حلب

الاسكندرية وطلع الى بلدة تسمى كفر حشاد فغشي بالغيط ليصطاد الطير فضرب طيرا ببندقيته فاصابت بعض الفلاحين في رجله وصادف هناك شخصان من الارنؤد بيده هراوة او مسوقة فجاء الى ذلك الافرنجي وقال له اما تختشي ان تاتي الى بعض الفلاحين و يضر بك على راسك هكذا واشار بما في يده على راس الافرنجي ليكونه لا يفهم لغته فاغتاظ من ذلك الافرنجي وضربه ببندقيته فسقط ميتا فاجتمع عليه الفلاحون وقبضوا على الافرنجي ورفعوا الارنؤدي المقتول وحضروا الى مصر وطلعوا بمجلس كتخدا بك واجتمع الكثير من الارنؤد وقالوا لابد من قتل الافرنجي فاستعظم الكتخدا ذلك لانهم يراعون جانب الافرنج الى الغاية فقال حتى نرسل الى القناصل ونحضرهم ليروا حكمهم في ذلك وارسل باحضارهم وقد تكاثر الارنؤد واخذتهم الحمية وقالوا لاى شئ نؤخر قتله الى مشورة القناصل وان لم يقتل هنا في الوقت نزلنا الى حارة الافرنج ونهبناها وقتلنا كل من بها من الافرنج فلم يسع الكتخدا الا ان امر بقتله فنزلوا به الى الرميلة وقطعوا راسه وطلع ايضا القناصل في كبكبتهم وقد نفذ الامر وكان ذلك في غيبة الباشا

(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٥)

فيه جرد الباشا حسن بك الشماشرجي حاكم الجيزة على سيوة من الجهة القبلية فتوجه اليها من البحر بجنده ومعه طائفة من العرب عليها

(وفيه) قوي عزم الباشا على الاغارة على نواحي السودان فمن قائل انه متوجه الى سنار ومن قائل الى دارفور ورؤساء العسكر

الهزيمة وهي من أمنع الحصون والمعاقل فلم املكوه وعادوا الى صاحبهم

(ذكر حصر جلال الدين مدينتي آني وقرس)

في هذه السنة في رمضان عاد جلال الدين من كرمان كما ذكرناه الى تفليس وسار منها الى مدينة آني وهي للكرج وبها ايواني مقدم عساكر الكرج فيمن بقي معه من اعيان الكرج فحصره وسير طائفة من العسكر الى مدينة قرس وهي للكرج أيضا وكلاهما من احصن البلاد وامنعها فنازلهما وحصرهما وقاتل من بهما ونصب عليهما المجانيق وجد في القتال عليهما وحفظهما الكرج وبالغوا في الحفظ والاحتياط لخوفهم منه ان يفعل بهم ما فعل باشياعهم من قبل بمدينة تفليس واقام عليهما الى ان مضى بعض شوال ثم ترك العسكر عليهما يحصرونهما وعاد الى تفليس وسار من تفليس مجدا الى بلاد ابخاز وبقايا الكرج فاوقع بمن فيها فنهب وقتل وسبى وخرب البلاد واحرقها وغنم عساكره ما فيها وعاد منها الى تفليس

(ذكر حصر جلال الدين خلاط)

قد ذكرنا ان جلال الدين عاد من مدينة آني الى تفليس ودخل بلاد ابخاز وكان رحيله مكيدة لانه بلغه ان النائب عن الملك الاشرف وهو الحاجب حسام الدين علي بمدينة خلاط قد احتاط واهتم بالامر وحفظ البلد لقربه منه فعاد الى تفليس ليطمئن أهل خلاط ويتركوا الاحتياط والاستظهار ثم يقصدهم بغتة فكانت غيبته ببلاد ابخاز عشرة أيام وعاد وسار مجدا على عادته فلو لم يكن عنده من يراسل نواب الاشرف بالاخبار لجاءهم على حين غفلة منهم انما كان عنده بعض ثقاته يعرفهم أخباره وكتب اليهم يحذرهم فوصل الخبر اليهم قبل وصوله بيومين ووصل جلال الدين فنازل مدينة ملازكرد يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة ثم رحل عنها فنازل مدينة خلاط يوم الاثنين خامس عشره فلم ينزل حتى زحف اليها وقاتل أهلها قتالا شديدا فوصل عسكره سور البلد وقتل بينهم قتلى كثيرة ثم زحف اليها مرة ثانية وقاتل أهل البلد قتالا عظيما فعظمت نكاية العسكر في أهل خلاط ووصلوا الى سور البلد ودخلوا الربض الذي له ومدوا أيديهم في النهب وسبي الحريم فلما رأى أهل خلاط ذلك تذامروا وحرض بعضهم بعضا فعادوا الى العسكر فقاتلوهم فاخرجوهم من البلد وقتل بينهم خلق كثير وأسر العسكر الخوارزمي من امراء خلاط جماعة وقتل منهم كثير وترجل الحاجب علي ووقف في نحر العدو وابلى بلاء عظيما ثم ان جلال الدين استراح عدة أيام وعاود الزحف مثل اول يوم فعجزت تلك المرة حتى ابعدوا عسكره عن البلد وكان أهل خلاط مجدين في القتال مصممين على المنع عن انفسهم لما رأوا من سوء سيرة الخوارزميين ونهبهم البلاد وما فيهم من الفساد فهم يقاتلون قتال من يمنع عن نفسه وحريمه وماله ثم أقام

ناحية الوادي لينظر ما يحدثونه من العمائر والمزارع والسواقي وقد صار هذا الوادي اقليما على حدته وعمر به قرى
وما كان من زراعة (واستهل شهر شعبان بيوم الاحد سنة ١٢٣٠) فيه سافر ابراهيم باشا الى القليوبية
ثم الى المنوفية والغربية
لقبض الخراج عن سنة تاريخه
والطلب بالبواقي التي
انكسرت على الفقراء وكان
الباشا سامح في ذلك وتلك
بواقي سبع سنين فكان
يطلب مجموع ما على القرية
من المال والبواقي في ظرف
ثلاثة ايام ففزعت الفلاحون
ومشايخ البلاد وتركوا
غلالهم في الاجران وهربوا
في النواحي بنسائهم واولادهم
وكان يحبس من يجده من
النساء ويضربهن فكان
مجموع المال المطلوب تحصيله
على ما اخبرني به بعض
الكتاب مائة الف كيس
(وفي منتصفه) حضر الباشا
من ناحية الوادي (وفي اواخره)
وقع حريق ببولاق في مخازن
الخشب التي خلف جامع
مرزه واقام الحريق يومين
حتى طفي واحترق فيه
الكثير من الخشب المعد
للعمائر المعروف بالكرستة
والزفت وحطب الاشراق وغيره
(واستهل شهر رمضان
بيوم الاثنين سنة ١٢٣٠)
والاهتمام حاصل وكل قليل
يخرج عساكر ومغاربة
مسافرين الى بلاد السودان ومن
جملة الطلب ثلاثة انفار من
طلبة العلم يتعينون بصحبة التجريدة فوقع الاختيار على محمد افندي الاسيوطي قاضي اسيوط والسيد احمد البقلي الشافعيين
والشيخ احمد السلاوي المغربي المالكي واقبضوا احمد افندي المذكور عشرين كيسا وكسوة ولكل واحد من الاثنين خمسة

وهما اجرة الفرنج فقالوا ان ملك رومية نهانا عن ذلك الا انه اطاعه غيرهم فدخل اطراف بلاد الارمن وهي مضايق وجبال وعرة فلم يتمكن من فعل ما يريد واما كيقباذ فانه قصد بلاد الارمن من جهته وهي اسهل مدخلا من جهة الشام فدخلها سنة اثنتين وعشرين وستمائة فنهب اولها وحصر عدة حصون ففتح اربعة حصون وادركه الشتاء فعاد عنها فلما سمع بابا ملك الفرنج برومية ارسل الى الفرنج بالشام يعلمهم انه قد حرم البرنس فكان الداوية والاسبتارية وكثير من الفرنج لا يحضرون معه ولا يسمعون قوله وكان اهل بلاده وهي انطاكية وطرابلس اذا جاءهم عيد يخرج من عندهم فاذا فرغوا من عيدهم دخل البلد ثم انه ارسل الى ملك رومية يشكو من الارمن وانهم لم يطلقوا ولده فارسل الى الارمن يأمرهم باطلاق ابنه واعادته الى الملك فان فعلوا والا فقد اذن له في قصد بلادهم فلما بلغتهم الرسالة لم يطلقوا ولده فجمع البرنس وقصد بلاد الارمن فارسل الارمن الى الاتابك شهاب الدين بحلب يستنجدونه ويخوفونه من البرنس ان استولى على بلادهم لانها تجاور اعمال حلب فامدهم بجند وسلاح فلما سمع البرنس ذلك صمم العزم على قصد بلادهم فسار اليهم وعاد عنهم فلم يحصل على غرض فعاد عنهم حدثني بهذا رجل من عقلاء النصارى ممن دخل تلك البلاد وعرف حالها وما التغير وتعرف البعض وانكر البعض

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة انخسف القمر مرتين اولاهما ليلة رابع عشر صفر وفيها كانت الحروبة بالقرب من الموصل حامة تعرف بعين القيارة شديدة الحرارة يقصدها الناس من عيون ويخرج مع الماء قليل من القار فكان الناس يسبحون فيها دائما في الربيع والخريف لانها تنفع من الامراض الباردة كالفالج وغيره نفعا عظيما فكان من يسبح فيها يجد الكرب الشديد من حرارة الماء ففي هذه السنة برد الماء فيها حتى كان السابح فيها يجد البرد فتركوها وانتقلوا الى غيرها وفيها كثرت الذئاب والخنازير والحيات فقتل كثير من الخلق بلغني ان ذئبا دخل الموصل فقتل فيها (وحدثني) صديق لنا له بستان بظاهر الموصل انه قتل فيه في سنة اثنتين وعشرين وستمائة جميع الصيف حيتين وقتل هذه السنة الى اول حزيران سبع حيات لكثرتها وفيها انقطع المطر بالموصل واكثر البلاد الجزرية من خامس شباط الى ثاني عشر نيسان ولم يجئ شئ يعتد به لكنه سقط اليسير منه في بعض القرى فغلت الغلات قليلا ثم خرج الجراد الكثير فازدادت الناس اذى وكانت الاسعار قد صلحت شيئا فعادت لكثرة الجراد غلت ونزل ايضا في كثير من القرى برد كثير اهلك زروع اهلها وافسدها واختلفت اقاويل الناس في كبره كان وزن بردة منها نحو درهم وقيل رطل وقيل غير ذلك الا انه اهلك كثيرا من الحيوان وانقضت هذه السنة

وقتل من اهلها وغيابهم اناسا كثيرة وذلك انه كان متوليا على الغفصه منها اوجب قيام اهل البلدة عليه وعزلوه واخرجوه وذلك من مدة سابقة فلما اخرجوه ٢٤٤ اقام خارجها وكاتب الدولة في شانهم وقال ما قال في حقهم فبعثوا اوامر ومراسيم لولاة تلك النواحي بان يتوجهوا بالمعونة على اهل حلب فاحتاطوا بالبلدة وحاربوها اشهرا حتى ملكوها وتحكموا في اهلها وضربوا عليهم ضرائب عظيمة وهم على ذلك (وفي اواخره) ايضا تقلد اغاوية مستحفظان مصطفى اغا كرد عوضا عن حسن اغا الذي توفي في الحج فاخذ يعسف كعادته في مبادي توليته الحسبة وجعل يطوف ليلا ونهارا ويحجر على الناس بالليل بادنى سبب فيضرب من يصادفه راجعا من سهر ونحوه او يقطع من اذنه او انفه

(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٢٠)

في ثانيه تقلد نظر الحسبة شخص يسمى حسين اغا المورلي وهو تخنوقجي بسا تين الباشا (وفيه) رجع حسن بك الشماشرجي من ناحية بحيرة بعد ان استولى عليها وقبض من اهاليها بلغا من المال والشعير وقررها عليها قدرا يقومون به في كل عام الى الخزينة (وفي عشرينه) سافر محمد اغا لاظ وهو المنفصل عن الكتخدائية الى قبلي يعني انه في معنى مقاتل تجريدة يتقدمها الى الشلال (وفي اواخره) وصل الخبر بموت خليل باشا بالديار الحجازية فخلع الباشا على اخيه احمد بك وهو ثالث اخوته وهو اوسطهم وقلده في منصب اخيه عوضا عنه ثم واعطى البيرق والاوازم (وفي اواخره) توجه الباشا الى

من الديار المصرية كما ذكرناه قبل فمكان اتفاقهم سببا لحفظ بلاد الاسلام وسر الناس اجمعون بذلك فلما فارق الفرنج مصر وعاد كل من الملوك اولاد العادل الى بلده بقوا كذلك يسيرا ثم سار الاشرف الى اخيه الكامل بمصر فاجتاز باخيه المعظم بدمشق فلم يستصحبه وأطال المقام بمصر فلاشك ان المعظم سار الى مدينة حماة وحصرها فارسل اليه اخواه من مصر ورحلاه عنها كارها فازداد نفورا وقيل انه نقل اليه عنهما انهما اتفقا عليه والله اعلم بذلك ثم انضاف الى ذلك ان الخليفة الناصر لدين الله رضي الله عنه كان قد استوحش من الكامل لما فعله ولده صاحب اليمن بمكة من الاستهانة بامير الحاج العراقي فاعرض عنه وعن اخيه الاشرف لاتفاقهما ووافقهما وراسل مظفر الدين كوكبري بن زين الدين على صاحب اربل لعلمه بانحرافه عن الاشرف واستماله واتفقا على مراسلة المعظم وتعظيم الامر عليه فمال اليهما وانحرف عن اخويه ثم اتفق ظهور جلال الدين وكثرة ملكه فاشتد الامر على الاشرف لمجاورة جلال الدين خوارزم شاه ولاية خلاط ولان المعظم بدمشق يمنع عنه عساكر مصر ان تصل اليه وكذلك عساكر حلب وغيرها من الشام فراى الاشرف ان يسير الى اخيه المعظم بدمشق فسار اليه في شوال واستماله واصلحه فلما سمع الكامل بذلك عظم عليه وظن ان اتفاقهما عليه فتمم ارسالا واعلما بنزول جلال الدين على خلاط وعظما الامر عليه واعلماه ان هذه الحال تقتضي الاتفاق لعمارة البيت العادلي وانقضت السنة والاشرف بدمشق والناس على مواضعهم ينتظرون خروج الشتاء وما يكون من الخوارزميين وسنذكر ما يكون سنة اربع وعشرين وستمائة ان شاء الله تعالى

(ذكر الفتنة بين الفرنج والارمن)

في هذه السنة جمع البرنس الفرنجي صاحب انطاكية جموعا كثيرة وقصد الارمن الذين في الدروب من بلاد ابن ليون فكان بينهم حرب شديدة وسبب ذلك ان ابن ليون الارمني صاحب الدروب توفي قبل ولم يخلف ولدا ذكرا انما خلف بنتا فملكها الارمن عليهم ثم علموا ان الملك لا يقوم بامراة فزوجوها من ولد البرنس فتزوجها وانتقل الى بلادهم واستقر في الملك نحو سنة ثم ندموا على ذلك وخافوا ان يستولي الفرنج على بلادهم فثاروا بابن البرنس فقبضوا عليه وسجنوه فارسل ابوه يطلب ان يطلق ويعاد في الملك فلم يفعلوا فارسل الى بابا ملك الفرنج برومية الكبرى يستاذنه في قصد بلادهم وهذا ملك رومية امره عند الفرنج لا يخالف فمنعه وقال انهم اهل ملتنا ولا يجوز قصد بلادهم فخالفه وارسل الى علاء الدين كيقباد ملك قونية وملطية وما بينهما من بلاد المسلمين وصالحه واتفقا على قصد بلاد ابن ليون والاتفاق على قصدها فاتفقا على ذلك وجمع البرنس عساكره ليسير الى بلاد الارمن فخالف عليه الداوية والاسبتار

وطبلاتهم وتمخطرت الناس واصبحوا لعيدباردا (وفي خامسه) سافر الباشا الى ثغر اسكندرية كعادته واقام ولده ابراهيم باشا للنظر في الاحكام والشكاوى والدعاوى وكانت اقامته بقصره الذي انشاه بشاطئ النيل تجاه مضرب النشاب ويهاتلم في نفسه مجدا ولما رجع ابراهيم باشا من سرحته غر عراقي عجل ٢١٧ منهم مختان عباس باشا ابن اخيه يطهرون باشا وهو غلام في السادسة عشر عوافق ذلك في تاسع عشره ونصبوا اخياما كثيرة تحت القصر وحضرت ارباب الملاعيب والحواة والمغز الكون والبهلوانيون وطبخت الاطعمة والحلواء والاسمطة واوقدت الوقدات بالليل من المشاعل والقناديل والشموع بداخل القصر وتعاليق الصفات البلور وغير ذلك ورسموا باحضار غلمان اولاد الفقرا فحضر الكثير منهم واحضروا المزينين فختنوا في اثناء ايام الفرح نحو الاربعمائة غلام ويفرشون لكل غلام طراحة وكانا يرقدعليها حتى يبرأ جرحه ثم يعطى لكل غلام كسوة والف نصف فضة وفي كل ليلة يعمل شنك وحراقات ونفوط ومدافع بطول الليل ودعوا في اثناء ذلك كبار الاشياخ والقاضي والشيخ السادات والبكري وهو نقيب الاشراف ايضا والمفتي وصار كل من دخل منهم يجلسونه من سكوت ولم يقم لواحد منهم ولم يرد على من يسلم ولا بالاشارة السلام ولم يكلمهم بكلمة يؤانسهم بها واحضرت المائدة فتعاطوا الذي تعاطوه حتى انقضى المجلس وقاموا وانصرفوا من سكوت (وفي يوم الاربعاء) ثالث عشرينه خرجوا بالمحمل الى الحصوة وامير الحاج شخص من الفلاحين لم اعرف اسمه (وفي يوم الخميس) عملوا الزفة لعباس باشا ونزلوا به من القلعة على الدرب الاحمر على باب الخرق

في هذه السنة قتل الاسماعيلية اميرا كبيرا من امراء جلال الدين وكان قد اقطعه جلال الدين مدينة كنجة واعمالها وكان نعم الامير كثير الخير حسن السيرة ينكر على جلال الدين ما يفعله عسكره من النهب وغيره من الشر فلما قتل ذلك الامير عظم قتله على جلال الدين واشتد عليه فسار في عساكره الى بلاد الاسماعيلية من حدود الموت الى كردكوه بخراسان فخرب الجميع وقتل اهلها ونهب الاموال وسبى الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وعمل بهم الاعمال العظيمة وانتقم منهم وكانوا قد عظم شرهم وازداد ضررهم وطمعهم مذ خرج التتر الى بلاد الاسلام الى الآن فكف عاديتهم وقمعهم ولقاهم الله ما عملوا بالمسلمين

● (ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر) ●

لما فرغ جلال الدين من الاسماعيلية بلغه الخبر ان طائفة من التتر عظيمة قد بلغوا الى دامغان بالقرب من الري عازمين على بلاد الاسلام فسار اليهم وحاربهم واشتد القتال بينهم فانهزموا منه فاوسعهم قتلا وتبع المنهزمين عدة ايام يقتل ويأسر فبينما هو كذلك قد اقام بنواحي الري خوفا من جمع آخر للتتر اذ اتاه الخبر بان كثيرا منهم واصلون اليه فاقام ينتظرهم وسنذكر خبرهم سنة خمس وعشرين وستمائة

● (ذكر دخول العساكر الاشرفية الى اذربيجان وملك بعضها) ●

في هذه السنة في شعبان سار الحاجب علي حسام الدين وهو النائب عن الملك الاشرف بخلاط والمقدم على عساكرها الى بلاد اذربيجان فيمن عنده من العساكر وسبب ذلك ان سيرة جلال الدين كانت جائرة وعساكره طامعة في الرعايا وكانت زوجته ابنة السلطان طغرل السلجوقي وهي التي كانت زوجة اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان فتزوجها جلال الدين كما ذكرناه قبل وكانت مع اوزبك تحكم في البلاد جميعها ليس له ولا لغيره معها حكم فلما تزوجها جلال الدين اهملها ولم يلتفت اليها فخافته مع ما حرمته من الحكم والامر والنهي فارسلت هي واهل خوي الى حسام الدين الحاجب يستدعونه ليسلموا البلاد اليه فسار ودخل البلاد بلاد اذربيجان فملك مدينة خوي وما يجاورها من الحصون التي بيد امرأة جلال الدين وملك مرند وكاتبه اهل مدينة نقجوان فخضى اليهم فسلموها اليه وقويت شوكتهم بتلك البلاد ولو داموا لملكوها جميعها انما عادوا الى خلاط واستصحبوا معهم زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل الى خلاط وسنذكر باقي خبرهم سنة خمس وعشرين ان شاء الله تعالى

عشر كيسا وكسوة وزيت والصدقات في كل سنة (وفي رابعه) وقع حريق في سرايا القلعة فطلع الاغاوات والوالي واغات التبديل
واهتموا بطفء النار وطلبوا السقائين من كل ٢ ١٦ ناحية حتى شح الماء ولا يكاد يوجد وكان ذلك في شدة الحر وتوافق
شهر بؤنه ورمضان واقاموا في طفء النار يومين واحترق ناحية ديوان كتخدا بك ومجلس شريف بك وتلفت اشياء وامتعة وذخائر حرقا ونهبا وذلك ان ابنية القلعة كانت من بناء الملوك المصرية بالاحجار والصخور والعقود وليس بها الا القليل من الاخشاب فهدموا ذلك جميعه وبنوا مكانه الابنية الرقيقة واكثرها من الخشب والاخشاب على طريق بناء اسلامبول والافرنج وزخرفوها وطلوها بالبياض الزنيق والادهان والنقوش وكلفهم سرع الاشتغال حتى ان الباشا لما بلغه هذا الحريق وكان مقيما بشبرا تذكر بناء القلعة القديم وما كان فيه من المتانة ويلوم على تغيير الوضع السابق ويقول انا كنت غائبا بالحجاز والمهندسون وضعوا هذا البناء وقد تلف في هذا الحريق ما ينيف عن خمسة وعشرين الف كيس حرقا ونهبا ولما حصل هذا الحريق انتقلت الدواوين الى بيت طاهر باشا بالازبكية وانقضى شهر رمضان

(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠)

وقع في تلك الليلة اضطراب في ثبوت الهلال لكونه كان عسر الرؤية بعدا وشهد اثنان برؤيته ورد الواحد ثم حضر في
آخر ولم يزالوا كذلك الى آخر الليل ثم حكم به عند الفجر بعد ان صليت التراويح واوقدت المنارات وطاف المسحرون

والثلاثمائة واشتد بالموصل وفيها اصطاد صديق لنا ارنبا فرآه وله انثيان وذكر وفرج انثى فلما شقوا بطنه رأوا فيها خرنقين سمعت هذا منه ومن جماعة كانوا معه وقالوا ما زلنا نسمع ان الارنب يكون سنة ذكرا وسنة انثى ولا نصدق بذلك فلما رأينا هذا علمنا انه قد حمل وهو انثى وانقضت السنة فصار ذكرا فان كان كذلك فيكون في الارانب كالخنثى من بني آدم يكون لاحدهم فرج الرجل وفرج الانثى فاني كنت بالجزيرة ولنا جار وله بنت اسمها صفية فبقيت كذلك نحو خمس عشرة سنة واذ قد طلع لها ذكر رجل ونبتت لحيتها فكان لها فرج امرأة وذكر رجل وفيها ذبح انسان عند داره راس غنم فوجد لحمه مرا شديد المرارة حتى رأسه واكارعه ومعلاقه وجميع اجزائه وهذا ما لم يسمع بمثله وفيها يوم الاربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة نصف النهار زلزلت الارض بالموصل وكثير من البلاد العربية والعجمية وكان اكثرها بشهرزور فانها خرب اكثرها لا سيما القلعة فانها اخربتها وخرب من تلك الناحية ست قلاع وبقيت الزلزلة تتردد فيها نيفا وثلاثين يوما ثم كشفها الله عنهم واما القرى بتلك الناحية فخرب اكثرها وفيها في رجب توفي القاضي حجة الدين ابو منصور المظفر بن عبد القاهر بن الحسن بن علي بن القاسم الشهرزوري قاضي الموصل بها وكان قد اضر قبل وفاته بنحو سنتين وكان عالما بالقضاء عفيفا نزها ذا رياسة كبيرة وله صلات دارة للمقيم والوارد رحمه الله فلقد كان من محاسن الدنيا ولم يخلف غير بنت توفيت بعده بثلاثة اشهر

(ثم دخلت سنة اربع وعشرين وستمائة)

(ذكر دخول الكرج مدينة تفليس واحراقها)

في هذه السنة في ربيع الاول وصل الكرج مدينة تفليس ولم يكن بها من العسكر الاسلامي من يقوم بحمايتها وسبب ذلك ان جلال الدين لما عاد من خلاط كما ذكرنا قبل واوقع بالايوائية فرق عساكره الى المواضع الحارة الكثيرة المرعى ليشتوا بها وكان عسكره قد اساؤوا السيرة في رعية تفليس وهم مسلمون وصفوهم فكاتبوا الكرج يستدعونهم اليهم ليملكوهم البلد فاغتنم الكرج ذلك لميل اهل البلد اليهم وخلوه من العسكر فاجتمعوا وكانوا قد بقوا في قرس وآني وغيرهما من الحصون وساروا الى تفليس وكانت خالية كما ذكرناه ولان جلال الدين استضعفه الكرج لكثرة من قتل منهم ولم يظن ان بهم حركة فملكوا البلد ووضعوا السيف فيمن بقي من اهله وعلموا انهم لا يقدرون على حفظ البلد من جلال الدين فاحرقوها جميعها واما جلال الدين فانه لما بلغه الخبر سار فيمن عنده من العساكر ليدركهم فلم ير منهم احدا كانوا قد فارقوا تفليس لما احرقوها

(ذكر نهب جلال الدين بلد الاسماعيلية)

رخيصا وكان النجم كل سنة فى هذا الفصل يكون شعره كل ستة أرطال وسبعة بقيراط صار هذه السنة الرطل بحبتين وفيها عاشر اذار وهو العشر ونحو من ربيع الأول سقط الثلج مرتين وهذا غريب جدا لم يسمع بمثله فاهلك الازهار التى خرجت كزهر اللوز والمشمش والاجاص والسفرجل وغيرها ووصلت الاخبار من العراق بجميعه مثل ذلك فهلكت به ازهار الثمار ايضا وهذا أعجب من حال ديار الجزيرة والشام فانه أشد حرا من جميعها وفيها ظفر جمع من التركمان كانوا باطراف اعمال حلب بفارس مشهور من الفرنج الداوية بانطاكية فقتلوه فعظم الداوية ذلك فساروا وكبسوا التركمان فقتلوا منهم واسروا وغنموا من اموالهم فبلغ الى أتابك شهاب الدين المتولى لامور حلب فراسل الفرنج وتهددهم بقصد بلادهم والحق ان عسكر حلب قتلوا فارسين كبيرين من الداوية ايضا فاذعنوا بالصلح وردوا الى التركمان كثيرا من اموالهم وحريمهم واسراهم وفيها فى رجب اجتمع طائفة كثيرة من ديار بكر وأرادوا الاغارة على جزيرة ابن عمر وكان صاحب الجزيرة قد قتل فلما قصدوا بلد الجزيرة اجتمع اهل قرية كبيرة من بلد الجزيرة اسمها سلكون ولقوهم من ضحوة النهار الى العصر وطال القتال بينهم ثم حمل اهل القرية على الاكراد فهزموهم وقتلوا فيهم ونهبوا ما معهم وعادوا سالمين

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة﴾

﴿ذكر الخلف بين جلال الدين وأخيه﴾

فى هذه السنة فارق غياث الدين بن خوارزمشاه وهو اخو جلال الدين من أبيه أخاه وخاف منه جماعة من الامراء واستشعروا منه وأرادوا الخلاص منه فلم يتمكنوا من ذلك الى ان خرجت التتر واشتغل بهم جلال الدين فهرب غياث الدين ومن معه وقصدوا خوزستان وهى من بلاد الخليفة فلم يمكنهم النائب بها من الدخول الى البلد خوفا ان تكون هذه مكيدة فبقى هناك فلما طال عليه الامر فارق خوزستان وقصد بلاد الاسماعيلية فوصل اليهم واحتمى بهم واستجار بهم وكان جلال الدين قد فرغ من امر التتر وعاد الى تبريز فاتاه الخبر وهو بالميدان يلعب بالكرة ان اخاه قد قصد اصفهان فالقى الجوكان من يده وسار مجدا فسمع ان اخاه قد قصد الاسماعيلية ملتجئا اليهم ولم يقصد اصفهان فعاد الى بلاد الاسماعيلية ليخرب بلادهم ان لم يسلموا اليه اخاه وارسل يطالبهم من مقدم الاسماعيلية فاعاد الجواب يقول ان اخاك قد قصدنا وهو سلطان ابن سلطان ولا يجوز لنا ان نسلمه لكن نحن نتركه عندنا ولا نمكنه ان يقصد شيئا من بلادك ونسألك ان تشفعنا فيه والضمان علينا بما قلناه ومتى كان منه ما تكرهه فى بلادك فبلادنا بين يديك تفعل فيها ما تختار فاجابهم الى ذلك واستحلفهم على

الثوبة كل ذلك والباشا الكبير على حاله بالاسكندرية ﴿واستهل شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٠﴾ فيه توجه ابراهيم باشا الى ابيه بالاسكندرية فاقام هناك اياما وعاد فى آخر الشهر فاقام بمصر اياما قليلة وسافر الى ناحية قبلى ليجمع ما يوجد عند الناس من القمح والفول والعدس الثلاثة اصناف واخذوا كل سفينة غصبا وساقوا الجميع الى قبلى لحمل الغلال وجمعها فى الشون البحرية لتباع على الافرنج والروم بالاثمان الغالية وانقضت السنة (ومن حوادثها) زيادة النيل الزيادة المفرطة وخصوصا بعد الصليب وقد كان حصل الاعتناء الزائد بامر الجسور بسبب ما حصل فى العامين السابقين من التلف فلما حصلت هذه الزيادة بعد الصليب وطفح الماء على اعلى الجسور وغرق مزارع الذرة والنيلة والقصب والارز والقطن واشجار البساتين وغالب اشجار الليمون والبرتقان بما عليها من الثمار وصار الماء ينبع من الارض المنزرعة نبعا ولا عاصم من امر الله وطال مكث الماء على الارض حتى فات أوان الزراعة ولم نسمع ولم نر فى حوالى السنين تتابع الغرقات بل كان الغرق نادر الحصول وعلا ماء الخليج حتى سد غالب فتحات القناطر ونبع الماء من الاراضى الواطية القريبة من الخليج مثل غيط العدة وجامع الامير حسين ونحو ذلك (ومنها) ان ترعة الاسكندرية الحديثة لما تم حفرها وسموها بالمحمودية على اسم السلطان محمود فتحوا الماء فيها المعدة لذلك وامتلات بالماء فلما بدات الزيادة فزادت وطفح الماء فى المواضع الواطية وغرقت الاراضى فسدوا تلك الثغر وابقوا من داخلها فيها مراكب صغار يعدونها على البر فكانوا ينقلون منها الى مراكب البحر ومن البحر الى مراكبها

الى القصر وختنوه في ذلك اليوم وامتلأ منشت المزين الذي ختنه بالدنانير من نقوط الاكابر والاعيان وخلعوا عليه فروة وشال كشميري وانعموا على باقي المزينين بثلاثين كيسا وانقضى ذلك (وفي يوم الثلاثاء) تاسع عشرينه الموافق لثالث مسرى القبطي اوفى النيل اذرعه ٢١٨ وكسر السد في صبحها يوم الاربعاء وجرى الماء في الخليج وذلك بحضرة كتخدا بك والقاضي (وفي هذا الشهر) حضر طائفة من بواقي الامراء المصرية من دنقلة الى بر الجيزة وهم نحو الخمسة وعشرين شخصا وطلبوا الامان بعض لاجر فاقاموا في خيمة ينتظرون الاذن وقد تقدم منهم الارسال بطلب الامان عندما بلغهم خروج التجاريد وحضر ابن علي بك ايوب وطلب امانا لابيه فاجيبوا الى ذلك وارسل لهم امانا لا جميعهم ما عدا عبد الرحمن بك والذي يقال له المنفوخ فليس يعطيهما امانا ولما حضرت مراسلة الامان الى علي بك ايوب وتاهب للرحيل حقدوا عليه وقتلوه ووصل خبر موته فعملوا عزاءه في بيته مكان زوجته الكائن بشمس الدولة واكثروا من الندب والصراخ عدة ايام (وفي هذا الشهر ايضا) حضر اشخاص من بلاد العجم وصحبتهم هدية الى الباشا وفيها خيول فانزلوهم ببيت حسين بك الشماشرجي بناحية سويقة العزى

(واستهل شهر ذي القعدة بيوم الخميس سنة ١٢٣٠)

في رابعه يوم الاحد وصل قابجي وعلى يده مرسوم تقرير للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة وتقرير آخر لولده ابراهيم باشا بولاية جده وركب القابجي المذكور في موكب من بولاق الى القلعة وقرئت المراسيم بحضرة كتخدا بك وابراهيم باشا واعيانهم وضربوا المدافع (وفيه) سافر اسمعيل باشا الى جهة قبلي وهو امير العسكر المعينة لبلاد

(ذكر وفاة المعظم صاحب دمشق وملك ولده)

في هذه السنة توفي الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب صاحب دمشق يوم الجمعة مستهل ذي القعدة وكان مرضه دوسنطاريا وكان ملكه لمدينة دمشق من حين وفاة والده الملك العادل عشر سنين وخمسة اشهر وثلاثة وعشرين يوما وكان عالما بعدة علوم فاضلا فيها منها الفقه على مذهب ابي حنيفة فانه كان قد اشتغل به كثيرا وصار من المتميزين فيه ومنها علم النحو فانه اشتغل به ايضا اشتغالا زائدا وصار فيه فاضلا وكذلك اللغة وغيرها وكان قد امر ان يجمع له كتاب في اللغة جامع كبير فيه كتاب الصحاح للجوهري ويضاف اليه ما فات الصحاح من التهذيب للازهري والجمهرة لابن دريد وغيرهما وكذلك ايضا امر بان يرتب مسند احمد بن حنبل على الابواب ويرد كل حديث الى الباب الذي يقتضيه معناه مثاله ان يجمع احاديث الطهارة وكذلك يفعل في الصلاة وغيرها من الرقائق والتفسير والغزوات فيكون كتابا جامعا وكان قد سمع المسند من بعض اصحاب ابن الحصين ونفق العلم في سوقه وقصده العلماء من الآفاق فاكرمهم واجرى عليهم الجرايات الوافرة وقربهم وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره لم يسمع احد منه كلمة سوء وكان حسن الاعتقاد يقول كثيرا ان اعتقادي في الاصول ما سطره ابو جعفر الطحاوي ووصى عند موته بان يكفن في البياض ولا يجعل في اكفانه ثوب فيه ذهب وان يدفن في لحد ولا يبنى عليه بناء بل يكون قبره في الصحراء تحت السماء وقال في مرضه لي عند الله تعالى في امر دمياط ما ارجو ان يرحمني به ولما توفي ولي بعده ابنه داود ويلقب الملك الناصر وكان عمره قد قارب عشرين سنة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة دام الغلاء في ديار الجزيرة ودامت الامطار بها قليلا وتنقص قليلا وانقطع المطر جميع شباط وعشرة ايام من اذار فازداد الغلاء فبلغت الحنطة كل مكوكين بالموصل بدينار وقيراطين بالموصلي والشعير كل ثلاثة مكاكيك بالموصل بدينار وقيراطين ايضا وكل شيء بهذه النسبة في الغلاء وفيها في الربيع قل لحم الغنم بالموصل وغلا سعره حتى بيع كل رطل لحم بالبغدادي بحبتين بالصنجة وربما زاد في بعض الايام على هذا الثمن وحكي لي من يتولى بيع الغنم بالموصل انهم باعوا راس واحدا لا غير في بعضها الخمسة اروس وفي بعضها ستة واقل وا كثر وهذا ما لم يسمع بمثله ولا رايناه في جميع اعمارنا ولا حكى لنا من شاهده لان الربيع مظنة رخص اللحم لان التركمان والاكراد والعرب كانوا ينقلون من الامكنة التي يشتون بها الى الزوزان فيبيعون الغنم

بالأسواق الا اياماً قليلة وهو شئ ردئ موسر ليس بجيد وطلبه بخشية انصاف وفي ثمن العشرة ارطال في السابق وكذلك
العنب لم يظهر منه الا القليل وهو الفيومي والشرقاوي وقد التزم بعض من بمصر شراباً كاس كثيرة مثل غيره من الأصناف
وغير ذلك جزئيات لم يصل الينا خبرها ومنها ما وصل الينا علمها واهملنا ذكرها (ومنها) ان حسن باشا سافر الى
الجهة القبلية وصحبته بعض
الافرنج الذين كان وخصهم
البلاد السياحة والغوص
باراضي الصعيد والفحص وحفر
الاراضي والكهوف والبرابي
واستخراج الآثار القديمة
والاحجار الفصوص التماثيل
والتصاوير ونقبوا وبسوا الحرق
وقطع الصخور بالبارود واشاعوا
انه ظهر لهم شئ مخرج يشبه
خام الرصاص او الحديد وبه
بعض بريق ذكروا انه معدن
اذا انصهر خرج منه فضة وذهب
واخبرني بعض من اثق بخبره
انه اخذ منه قطعة تزيد في
الوزن على رطلين وذهب بها
عند رجل صائغ فاوقد عليها
نحو قنطار من الفحم بطول
النهار فخرج منها في آخر الامر
وهو ينقلها من بوط الى آخر
بعد كسره قطعة مثل الصامغ
قدر الاوقية وذكروا ايضاً انه
بالجبل احجار اسود اذا توقد في
النار مثل الفحم وذلك لانهم
اتوا بقليل ذلك من بلاد الافرنج
واوقدوها بالفرن فله كريهة
الرائحة مثل الكبريت ولا
تصير رماداً بل تبقى على
حجريتها مع تغير اللون ويحتاج
الى نقلها الى المعامل وقالوا
ان بداخل جبال الصعيد كذلك فصار حسن باشا بصدد استخراج هذه الاشياء وامثالها فاقام بنحو ثلاثة اشهر وذلك بامر
الباشا الكبير وهم يكسرون الجبل بالبارود فظهر بالجبل بجس يسيل منه دهن اسود بزرقة ورائحته زفرة كبريتية يشبه
النفط وليس هو ولم اتوا بشئ منه الى مصر واوقدوا منه في السرج فذكروا انه سريع الاحتراق واقتطع واشيع في الناس قبل

والشروع على امر الحرب لاجل ان ملكهم الذي هو الآن مقدم عليهم هو ملك الالمان ولقبه
انبرور قيل معناه ملك الامراء ولان المعظم كان حياً وكان شهماً شجاعاً مقداماً فلما توفي
المعظم كما ذكرناه وولي بعده ابنه وهو ملك دمشق طمع الفرنج وظهروا من عكا وصور
وبيروت الى مدينة صيدا وكانت مناصفة بينهم وبين المسلمين وسورها خراب فعمروها
واستولوا عليها وازالوا عنها حكم المسلمين وانما تم لهم ذلك بسبب تخريب الحصون
القريبة منها تبنين وهونين وغيرهما وقد تقدم ذكر ذلك قبل مستقصى فعظمت شوكة
الفرنج وقوي طمعهم واستولى في طريقه على جزيرة قبرص وملكها وسار منها الى
عكا فارتاع المسلمون لذلك والله تعالى يخذله وينصر المسلمين بمحمد وآله ثم ان ملكهم
انبرور وصل الى الشام

(ذكر ملك كيقباذ ارزنكان)

وفي هذه السنة ملك علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان وهو صاحب قونية
واقصرا وملطية وغيرها من بلاد الروم ارزنكان وسبب ملكه اياها ان صاحبها
بهرامشاه وكان قد طال ملكه لها وجاوز ستين سنة توفي ولم يزل في طاعة قلج ارسلان
واولاده بعده فلما توفي ملك بعده ولده علاء الدين داودشاه فارسل اليه كيقباذ يطلب
منه عسكراً ليسير معه الى مدينة ارزن الروم ليحصرها ويكون هو مع العسكر ففعل
ذلك وسار في عسكره اليه فلما وصل قبض عليه واخذ مدينة ارزنكان منه وله حصن
من امنع الحصون اسمه كماخ وفيه مستحفظ له اودشاه فارسل اليه ملك الروم يحصره
فلم يقدر العسكر على القرب منه لعلوه وارتفاعه وامتناعه فتهدد داودشاه ان لم يسلم كماخ
فارسل الى نائبه فيه فتسلم القلعة الى كيقباذ واراد كيقباذ المسير الى ارزن الروم
ليأخذها من صاحبها ابن عمه طغرل شاه بن قلج ارسلان فلما سمع صاحبها بذلك
ارسل الى الامير حسام الدين علي النائب عن الملك الاشرف بخلاط يستنجده واظهر
طاعة الاشرف فسار حسام الدين فيمن عنده من العساكر وكان قد جمعها من الشام
وديار الجزيرة تخوفاً من ملك الروم خافوا انه اذا ملك ارزن الروم يتعدى او يقصد خلاط
فسار الحاجب حسام الدين الى ارزن الروم ومنع عنها ولما سمع كيقباذ وصول العساكر
اليها لم يقدم على قصدها فسار من ارزنكان الى بلاده وكان قد اتاه الخبر ان الروم
الكفار المجاورين لبلاده قد ملكوا منه حصناً يسمى صنوب وهو من احصن القلاع
مطل على البحر بحر الخزر فلما وصل الى بلاده سير العسكر اليه وحصروه براً وبحراً
فاستعاده من الروم وسار الى اقصرا ليشتي بها على عادته

(ذكر خروج الملك الكامل)

في هذه السنة في شوال سار الملك الكامل محمد ابن الملك العادل صاحب مصر الى الشام

وبقى ما نهبها الجماعة مستمرا وارتحل اهل الثغر وعدمت قلة الماء العذب وبلغ ثمن الراوية خمسين (ومنها) انه لما وقع القياس فى اراضى القرى قرر واستعوضوا لمشايخ البلاد فى نظير مضايفهم خمسة افدنة من كل مائة فدان وفى هذا العام يدفع مال المسموح سنتين وذلك عقب

مطالبتهم بالخراج قبل اوانه وما صدقوا انهم عتقوا وبيع غلالهم بالتبقية والاستدانة وبيع المواشى والامتعة ومصاغ النساء وكانوا ايضا طولبوا بالبواقى فى السنين الخوالى التى كانوا عجزوا عنها ولم يزل ارى الغلال فى هذه السنة وكذلك الفول وتمر النخيل والفواكه ولما طولب مشايخ البلاد بمال المسموح ازداد كربهم فانهم عاينوا حصول الوبال واذلوا كثيرا وقد قاسوا الشدائد فى غلاق الخراج الخارج عن الحد وعدم زكاء الزرع وغرق مزارع النيلة والارز والقطن والقصب والكتان ونحو ذلك (وفى اثر ذلك) فرضوا على الجواميس كل رأس عشرون قرشا وعلى الجمل ستون قرشا وعلى الشاة قرش والراس من الحمير سبعة وعشرون نصفا وثلث والبقرة خمسة عشر والفرس كذلك (ومنها) احتكار الصابون وحجز جميع الوارد على ذمة الباشا مع تجاره بشرط ان يكون جميع صابون الباشا وبتابعه ودار ثمنه من غير ثمن وهو شئ كثير ويستقر ثمنه على ستين نصفا بعد ان كان بخمسين بدراهم من غير نقد (ومنها) ما احدث على البلح بانواعه وما يجلب من الصعيد والابريمى والنبروع وانواع العجوة حتى جريد النخل والليف والخوص يؤخذ جميع ذلك بالثمن القليل ويباع ذلك للمتسببين بالثمن الزائد وعلى الناس بازيد من ذلك وفى هذه السنة لم يثمر النخل الا القليل جدا ولم يظهر البلح الاحمر فى ايامه وقرنه ولم يوجد

الوفا بعد ذلك وعادوا عنهم وقصدوا خلاط فاهلك على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر)

فى هذه السنة عاود التتر الخروج الى الرى وجرى بينهم وبين جلال الدين حروب كثيرة اختلف الناس علينا فى عددها كان اكثرها عليه وفى الاخير كان الظفر له وكانت فى اول حرب بينهم عجائب غريبة وكان هؤلاء التتر قد سخط ملكهم جنكزخان على مقدمهم وابعده عنه واخرجه من بلاده فقصد خراسان فرآها خرابا فقصد الرى ليتغلب على تلك النواحى والبلاد فلقيه بها جلال الدين فاقتتلوا اشد قتال ثم انهزم جلال الدين وعاود ثم انهزم وقصد اصفهان واقام بينها وبين الرى وجمع عساكره ومن فى طاعته فكان فيمن اتاه صاحب بلاد فارس وهو ابن اتابك سعد ملك بعد وفاة ابيه كما ذكرناه وعاد جلال الدين الى التتر فلقيهم فبينما هم مصطفون كل طائفة مقابل الاخرى انفرد غياث الدين اخو جلال الدين فيمن وافقه من الامراء فى مفارقة جلال الدين واعتزلوا وقصدوا جهة ساروا اليها فلما رآهم التتر قد فارقوا العسكر ظنوهم يريدون ان يأتوهم من وراء ظهورهم ويقاتلوهم من جهتين فانهزم التتر لهذا الظن وتبعهم صاحب بلاد فارس واما جلال الدين فانه لما رأى مفارقة اخيه اياه ومن معه من الامراء ظن ان التتر قد رجعوا خديعة ليستدرجوه فعاد منهزما ولم يجسر يدخل اصفهان لئلا يحصروه فمضى الى سميرم واما صاحب فارس فلما ابعد فى اثر التتر ولم ير جلال الدين ولا عسكره معه خاف التتر فعاد عنهم واما التتر فلما لم يروا فى آثارهم احدا يطلبهم وقفوا ثم عادوا الى اصفهان فلم يجدوا فى طريقهم من يمنعهم فوصلوا الى اصفهان فحصروها واهلها يظنون ان جلال الدين قد عدم فبينما هم كذلك والتتر يحصرونهم اذ وصل قاصد من جلال الدين اليهم يعرفهم سلامته ويقول انى متوقف اوجتمع الى من سلم من العسكر واقصدكم ونتفق انا وانتم على ازعاج التتر وترحيلهم عنكم فارسلوا اليه يستدعونه اليهم ويعدونه النصرة والخروج معه الى عدوه وفيهم شجاعة عظيمة فسار اليهم واجتمع بهم وخرج اهل اصفهان معه فقاتلوا التتر فانهزم التتر اقبح هزيمة وتبعهم جلال الدين الى الرى يقتل ويأسر فلما ابعدوا عن الرى اقام بها وارسل اليه ابن جنكزخان يقول ان هؤلاء ليسوا من اصحابنا انما نحن ابعدناهم عنا فلما امن جانب جنكزخان امن وعاد الى اذربيجان

(ذكر خروج الفرنج الى الشام وعمارة صيدا)

وفى هذه السنة خرج كثير من الفرنج من بلادهم التى هى فى الغرب من صقلية وما وراءها من البلاد الى بلادهم التى بالشام عكا وصور وغيرهما من ساحل الشام فكثر جمعهم وكان قد خرج قبل هؤلاء جمع آخر ايضا الا انهم لم يمكنهم الحركة

الذي هو الثلث لم يبق بالقطر إلا ما كان موجودا قبل وهو كثير يتداول بأيدي الناس وأهل القرى ويرد إلى الخزينة
ويصرف في المصارف والمشاهرات وعلائف العساكر وهم كذلك يشترون لوازمهم بذهب وتعود وهكذا الشور مع
الثلث كما ذكرنا ويصرف القرش بحسب الاحتياج الحاصر بسبعة من الثلث بنقص الثمن فباعتبار

والشعير حينئذ الآن الرخص لم يبلغ الأول الذي كان قبل الغلاء إنما صارت الحنطة
كل خمس مكاكيك بدينار وأما الشعير فكل سبعة عشر مكوكا بالموصلي بدينار

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة)

(ذكر تسليم البيت المقدس إلى الفرنج)

في هذه السنة أول ربيع الآخر تسلم الفرنج لعنهم الله البيت المقدس صلحا أعاده الله
إلى الإسلام سريعا وسبب ذلك ما ذكرناه سنة خمس وعشرين وستمائة من خروج
الأنبرور ملك الفرنج من بلاد الفرنج داخل البحر إلى ساحل الشام وكانت عساكره
قد سبقته ونزلوا بالساحل وأفسدوا فيما يجاورهم من بلاد المسلمين ومضى إليه من هو
بمدينة صور وطائفة من المسلمين يسكنون الجبال المجاورة لمدينة صور وأطاعوهم
وصاروا معهم وقوي طمع الفرنج بموت الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن
أيوب صاحب دمشق ولما وصل الأنبرور إلى الساحل نزل بمدينة عكا وكان الملك الكامل
صاحب مصر قد خرج من الديار المصرية يريد الشام بعد وفاة أخيه المعظم وهو نازل
بتل العجول يريد أخذ دمشق من صلاح الدين داود بن المعظم وهو صاحبها يومئذ
وكان داود لما سمع بقصد عمه الملك الكامل له قد أرسل إلى عمه الملك الأشرف صاحب
البلاد الجزرية يستنجده ويطلب منه المساعدة على دفع عمه عنه فسار إلى دمشق
وترددت الرسل بينه وبين أخيه الملك الكامل في الصلح فاصطلحا واتفقا وسار الملك
الأشرف إلى الملك الكامل واجتمع به فلما اجتمعا ترددت الرسل بينهما وبين الأنبرور
ملك الفرنج دفعات كثيرة فاستقرت القاعدة على أن يسلموا إليه البيت المقدس ومعه
مواضع يسيرة من بلاده ويكون باقي البلاد مثل الخليل ونابلس والغور وطبرية
وغير ذلك بيد المسلمين ولا يسلم إلى الفرنج إلا البيت المقدس والمواضع التي استقرت
معه وكان سور البيت المقدس خرابا قد خربه الملك المعظم وقد ذكرنا ذلك وتسلم الفرنج
البيت المقدس واستعظم المسلمون ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن
وصفه يسر الله فتحه وعوده إلى المسلمين بمنه وكرمه آمين

(ذكر ملك الملك الأشرف مدينة دمشق)

وفي هذه السنة يوم الاثنين ثاني شعبان ملك الملك الأشرف ابن الملك العادل مدينة
دمشق من ابن أخيه صلاح الدين داود بن المعظم وسبب ذلك ما ذكرناه أن صاحب
دمشق لما خاف من عمه الملك الكامل أرسل إلى عمه الأشرف يستنجده ويستعين به
على دفع الكامل فسار إليه من البلاد الجزرية ودخل دمشق وفرح به صاحبها وأهل

كونها في مقام النصف يكون
القرش بسبعة أنصاف لا غير
وباعتبار ذلك يكون الألف
فضة بمائة وخمسة وسبعين
فضة لأن الخمسة وعشرين
قرشا التي هي بدل الألف
إذا نقصت في المصارفة الثمن
تكون إحدى وعشرين وإذا
ضربنا السبعة في الخمسة
وعشرين كانت مائة وخمسة
وسبعين وقيمها من الفضة
الخالصة ستة دراهم لا غير
وأوزان هذه القطع مختلفة
لا تجد قطعة توزن نظيرتها وفي
ذلك غرط آخر والقليل في
الكثير كثير والذي أدركناه
في الزمن السابق أن هذه
القروش لم يكن لها وجود
بالقطر المصري البتة وأول من
أحدثها بمصر علي بك
الغزدغلي بعد الثمانين ومائة
وألف عندما استفحل أمره
وأكثر من العساكر والنفقات
وأظهر العصيان على الدولة
ولما استولى محمد بك المعروف
بأبي الذهب أبطلها وأمحاها من
الإقليم وخسر الناس بسبب
إبطالها حصة من أموالهم مع
فرحهم بإبطالها ولم يتأثروا
بتلك الخسارة لكثرة الخير
والمكاسب ولم يبق من أصناف المعاملة إلا أنواع الذهب الإسلامي والإفرنجي والقرانيص ونصفها وربعها والفضة الصغيرة
التي يقال لها نصف فضة مع رخاء الأسعار وكثرة المكاسب ويصرف هذا النصف بعدد من الأفلس النحاس التي يقال
لها الجدد إما ثمانية أو اثنا عشر إذا كانت مضروبة وحتومة أو عشرين إذا كانت صغيرة وبخلاف ذلك يقال

ثم وصل الى البيت المقدس حرسه الله تعالى وجعله دار الاسلام أبدا ثم سار عنه ونزل
بمدينة نابلس وشحن على تلك البلاد جميعها وكانت من اعمال دمشق وهي الى الملك
المعظم فخاف أن يقصده ويأخذ دمشق منه فارسل الى اخيه الملك الاشرف يستنجده
ويطلبه ليحضر عنده بدمشق فسار اليه جريدة فدخل دمشق فلما سمع الكامل بذلك
لم يتقدم اليه لان البلد منيع وقد صار به من يمنعه ويحميه وارسل اليه الملك الاشرف
يستعطفه ويعرفه انه ما جاء الى دمشق الا طاعة له وموافقة لاغراضه والاتفاق معه
على منع الفرنج عن البلاد فاعاد الكامل الجواب يقول انني ما جئت الى هذه البلاد الا
بسبب الفرنج فانهم لم يكن في البلاد من يمنعهم عما يريدونه وقد عمروا صيدا وبعض
قيسارية ولم يمنعوا وانت تعلم ان عمنا السلطان صلاح الدين فتح البيت المقدس فصار
لنا بذلك الذكر الجميل على تقضي الاعصار وممر الايام فان أخذه الفرنج حصل لنا من
سوء الذكر وقبح الاحدوثة ما يناقض ذلك الذكر الجميل الذي ادخره عمنا واي وجه
يبقى لنا عند الناس وعند الله تعالى ثم انهم ما يقنعون حينئذ بما اخذوه ويتعدون الى
غيره وحيث قد حضرت انت فانا اعود الى مصر واحفظ انت البلاد ولست بالذي يقال
عني اني قاتلت أخي او حصرته حاشى لله تعالى وتأخر عن نابلس نحو الديار المصرية
ونزل تل العجول فخاف الاشرف والناس قاطبة بالشام وعلموا انه ان عاد استولى الفرنج
على البيت المقدس وغيره مما يجاوره لا مانع دونه فترددت الرسل وسار الاشرف بنفسه
الى الكامل أخيه فحضر عنده وكان وصوله ليلة عيد الاضحى فمنعه من العود الى مصر
فاقاما بمكانهما

(ذكر نهب جلال الدين بلاد ارمينية)

في هذه السنة وصل جلال الدين خوارزمشاه الى بلاد خلاط وتعدى خلاط الى صحراء
موش وجبل جور ونهب الجميع وسبى الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وخرب
القرى وعاد الى بلاده ولما وصل الخبر الى البلاد الجزرية حران وسروج وغيرهما انه قد
جاز خلاط الى جور وانه قد قرب منهم خاف اهل البلاد ان يجيء اليهم لان الزمان
كان شتاء وظنوا انه يقصد الجزيرة ليشتي بها لان البرد بها ليس بالشديد وعزموا على
الانتقال من بلادهم الى الشام ووصل بعض اهل سروج الى منبج من ارض الشام
فاتاهم الخبر انه قد نهب البلاد وعاد فاقاموا وكان سبب عوده ان الثلج سقط ببلاد
خلاط كثيرا لم يعهد مثله فاسرع العود

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وقعت الامطار ببلاد الجزيرة جميعها وجاءت الغلات منهم من الحنطة

تحقق صورته بل لوصلت مكاتبات بانه خرج من الجبل عين تسيل بالزيت الطيب ولا يبعد طلوع برمانيتها يكفي مصر واقطاعها
بل والدنيا ايضا واخبرني بعض اتباعهم ان الذي صرف في هذه المرة نحو الالفي كيس (ومن حوادث هذه السنة) الخارجة
عن ارض مصر ان السلطان محمودا نفيه خاطره على علي باشا المعروف بتبه رلي حاكم بلاد الارنؤد وجرد عليه العساكر
ووقع لهم معه حروب ووقائع
واستولوا على اكثر البلاد التي
تحت حكمه وتحصن هو في
قلعة منيعة وعلي باشا هذا في
مملكة واسعة وجنود كثيرة
وله عدة أولاد متأمرين كذلك
وبلاده فيما بين بلاد الروملي
والنمسا ويقال ان بعض أولاده
دخل تحت الطاعة وكذلك
الكثير من عساكره وبقي الامر
على ذلك ودخل الشتاء
وانقضت السنة ولم يتحقق
عنه خبر (ومنها) أمر المعاملة
وما يقع فيها من التخليط والزيادة
حتى بلغ صرف الريال الفرانسه
اثني عشر قرشا ونصف وهي اربعمائة
وثمانون نصفا والبندقي ألف
فضة وكذلك المحبوب والفندقلي
الاسلامبولي سبعة عشر قرشا
والقرش الاسلامبولي يعني
المضروب هناك المنقول الى
مصر يعرف بقرشين وربع
يزيد عن المصري ستين نصفا
وكذلك الفندقلي الاسلامبولي
يصرف في بلاده بأحد عشر قرشا
وبمصر بسبعة عشر كما تقدم
فتكون زيادته ستة قروش
وكذلك الفرانسا في بلادها
تصرف بأربعة قروش
وباسلامبول بسبعة وبمصر
باثني عشر واما الانصاف العددية التي تذكر في المصارفات فلا وجود لها اصلا الا في النادر والشعير
جدا واستغنى الناس عنها بالفلوس النحاس في جميع المبيعات والمشتروات وصار البشلك الذي يقال له الخمسة وبداءة صرفه
خمسة انصاف هي بدل النصف لانه لما بطل ضرب الفضة بضربخانة مصر وعوض عنها انصاف القرش وربعه وثمنه

ذكر قصده بلاد جلال الدين والاستيلاء على بعضها ما يدل على همة عالية وشجاعة تامة وصار لصاحبه به منزلة عظيمة فإن الناس يقولون بعض غلمان الملك الأشرف يقاوم خوارزمشاه وكان رحمه الله كثير الخير والإحسان لا يمكن أحداً من ظلم وعمل كثيراً من أعمال البر من الخانات في الطرق والمساجد في البلاد وبنى بخلاط بيمارستاناً وجامعاً وعمل كثيراً من الطرق وأصلحها كان يشق سلوكها فلما وصل أيبك إلى خلاط قبض عليه ثم قتله غيلة لأنه كان عدوه ولما قتل ظهر أثر كفايته فإن جلال الدين حصر خلاط بعد قبضه وملكها على ما نذكره إن شاء الله ولم يمهل الله أيبك بل انتقم منه سريعاً فإن جلال الدين أخذ أيبك أسيراً لما ملك خلاط مع غيره من الأمراء فلما اصطلح الأشرف وجلال الدين أطلق الجميع وذكر أن أيبك قتل وكان سبب قتله أن مملوكاً للحاجب علي كان قد هرب إلى جلال الدين فلما أسر أيبك طلبه ذلك المملوك من جلال الدين ليقتله بصاحبه الحاجب علي فسلمه إليه فقتله وبلغني أن الملك الأشرف رأى في المنام كأن الحاجب علياً قد دخل إلى مجلس فيه أيبك فأخذ منديلاً وجعله في رقبة أيبك وأخذه وخرج فأصبح الملك الأشرف وقال قد مات أيبك فإني رأيت في المنام كذا وكذا

(ذكر ملك الكامل مدينة حماة)

وفي هذه السنة أواخر شهر رمضان ملك الملك الكامل مدينة حماة وسبب ذلك أن الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر وهو صاحب حماة توفي على ما ذكرناه ولما حضرته الوفاة حلف الجند وأكابر البلد لولده الأكبر ويلقب بالملك المظفر وكان قد سيره أبوه إلى الملك الكامل صاحب مصر لأنه كان قد تزوج بابنته وكان لمحمد ولد آخر اسمه قلج أرسلان ولقبه صلاح الدين وهو بدمشق فحضر إلى مدينة حماة فسلمت إليه واستولى على المدينة وعلى قلعتها فأرسل الملك الكامل يأمره أن يسلم البلد إلى أخيه الأكبر فإن أباه أوصى له به فلم يفعل وترددت الرسل في ذلك إلى الملك المعظم صاحب دمشق فلم تقع الإجابة فلما توفي المعظم وخرج الكامل إلى الشام وملك دمشق سير جيشاً إلى حماة فحصروها ثالث شهر رمضان وكان المقدم على هذا الجيش أسد الدين شيركوه صاحب حمص وأمير كبير من عسكره يقال له فخر الدين عثمان ومعهما ولد محمد تقي الدين الذي كان عند الكامل فبقي الحصار على البلد عدة أيام وكان الملك الكامل قد سار عن دمشق ونزل على سلمية يريد العبور إلى البلاد الجزرية حران وغيرها فلما نازلها قصده صاحب حماة صلاح الدين ونزل إليه من قلعته ولم يكن لذلك سبب إلا أمر الله تعالى فإن صلاح الدين قال لأصحابه أريد النزول إلى الملك الكامل فقالوا والله ليس بالشام أحصن

والحطب ونحو ذلك يكفيه في مصر وقت يومه العشرة أنصاف فضة من الخبز واللحم والخضار ونحو ذلك وأما اليوم فلا يقوم مقامها العشرة قروش وأزيد لغلو الأسعار في كل شيء بسبب الحوادث والاحتكارات السابقة والمتجددة كل وقت في جميع الأصناف ولا يخفى أن أسباب الخراب التي نص عليها المتقدمون اجتمعت وتضاعفت في هذه السنين وهي زيادة الخراج واختلال المعاملة أيضاً والمكوس وزاد على ذلك احتكار جميع الأصناف والاستيلاء على أرزاق الناس فلا تجد مرزوقاً إلا من كان في خدمة الدولة متولياً على نوع من أنواع المكوس أو مباشراً أو كاتباً أو صانعاً في الصنائع المحدثة ولا يخلو من ضرر يتم بها عليه فيحاسب مدة استقلاله فيجتمع عليه جملة من الأكياس فيلزم بدفعها أو ربما باع داره ومتاعه فلا يبقى [illegible] عليه فإما يهرب إن أمكنه الهرب وإما يبقى في الحبس هذا إن كان من أبناء العرب وأهالي البلدة وأما إن كان بخلاف ذلك فربما سومح أو تصدى له من يخفف عنه أو يدخله في منصب أو شركة فيترقع حاله ويرجع أحسن ما كان (ومما حدث) أيضاً في هذه السنة الاستيلاء على صناعة الخيش والقصب والتلي الذي يصنع من الفضة للطرازات والمقصبات والمناديل والمحارم ونحوها من الملابس وذلك بإغراء بعض صناعهم ومحاسديهم وأن مكسبها يزيد على ألف كيس في السنة لأن غالب

الحوادث بإغراء الناس على بعضهم البعض وكذلك الاستيلاء على وكالة الجلابة التي يباع فيها الرقيق من العبيد والجواري السود وغيرهم من البضائع التي تجلب من بلاد السودان كسن الفيل والتمر هندي والشمع وريش النعام وغير ذلك (ومنها) الحجر على الغلال وشونها بمعرفتهم جميعه [illegible]

لما الصاقة فكان غالب الحقرات يقضى بهذه الجدد بل وخلاف الحقرات وفى البيع والشراء وكان يجلب منها الكثير
مع الحجاج المغاربة فى الخوالى ويبيعونها على أهل الأسواق بوزن الأرطال ويربحون فيها فكان الفقير والأجير إذا
اكتسب نصفا وصرفه بفضة ٣٤ - ج الجدد كفاه لقوته يومه مع رخاء الأسعار ويشترى منها خبزا وإداما وإذا احتاج البائع
لوازم الطبخة فى التقلية أخذ
من البقال البصل والثوم
والسلق والكسبرة والبقدونس
والفجل والكرات والليمون
الصنف أو الصنفين أو الثلاثة
بالجديد الواحد وقد انعدمت
هذه الجدد بالكلية وإذا
وجدت فلا ينتفع بها أصلا
وصار النصف الفضة بمنزلة
الجديد النحاس ولا وجود له
أيضا وصارت الخمساوية بمنزلة
النصف بل وأحقر لأنه كان
يصرف بعدد كثير من الجدد
وهذه بخمسة فقط فإذا أخذ
الشخص شيئا من الحقرات
بنصف أو نصفين أو ثلاثة
ما كان يأخذه بجديد أو
جديدين لم يجد عند البائع بقية
الخمساوية فما يترك الباقى
لوقت احتياج آخر إن كان
يعرفه وإلا فعضلا وإذا كان
الإنسان بالسوق ولحقه
العطش فيشرب من السقاء
الطواف ويعطيه جديدا
أو يملأ صاحب الحانوت
إبريقه بجديد وفى هذه
الأيام إذا كان الشخص لم
يكن معه شىء يشربه
وإلا بقى عطشان حتى يشرب
من داره ولا يهون عليه أن
يدفع عن شربة فى شربته ماء وذلك لعدم وجود النصف وكذلك الصدقة على الفقراء وأمثالهم وقد كان الناس من ذوى
أرباب البيوت إذا زاد بعد عن الطعم والخضار نصف يسألون الخادم فى اليوم الثانى عنه ليكونه نصف المصروف ويحاسبونه
عليه وكان صاحب العيال وذوو البيوت الكثيرة على عدة أشخاص من عيال وجوار وخدم إذا اشترى الخلة والجبن والعسل

البلد وكانوا إذا احتاجوا وهم يتجهزون للحصار قد رماها ابنه المعظم لما عزموا عليه من
الاحتياط وحلف لصاحبها على المساعدة والحفظ له ولبلاده عليه وراسل الملك
الكامل واصطلحا وظن صاحب دمشق أنه معهما فى الصلح وسار الأشرف إلى أخيه
الكامل واجتمعا فى ذى الحجة من سنة خمس وعشرين يوم العيد وسار صاحب دمشق
إلى بيسان وأقام بها وعاد الملك الأشرف من عند أخيه واجتمع هو وصاحب دمشق ولم
يكن الأشرف فى كثرة من العسكر فبينما هما جالسان فى خيمة لهما إذ قد دخل
عز الدين أيبك مملوك المعظم الذى كان صاحب دمشق وهو أكبر أمير مع ولده
فقال لصاحبه داود قم اخرج وإلا قبضت الساعة فأخرجه ولم يمكن الأشرف منعه لأن
أيبك كان قد ركب العسكر الذى له جميعه وكانوا أكثر من الذين مع الأشرف فخرج
داود وسار هو وعسكره إلى دمشق وكان سبب ذلك أن أيبك قيل له إن الأشرف يريد
القبض على صاحبه وأخذ دمشق منه ففعل ذلك فلما عادوا وصلت العساكر من
الكامل إلى الأشرف وسار فنازل دمشق وحصرها وأقام محاصرها إلى أن وصل إليه
الملك الكامل فحينئذ اشتد الحصار وعظم الخطب على أهل البلد وبلغت القلوب
الحناجر وكان من أشد الأمور على صاحبها أن المال عنده قليل لأن أمواله بالكرك
ولو توقعه جميعه الأشرف لم يحضر منها شيئا فاحتاج إلى أن باع حلى نسائه وملبوسهم
وضاقت الأمور عليه فخرج إلى عمه الكامل وبذل له تسليم دمشق على أن يبقى عليه
الكرك وقلعة الشوبك والغور ونابلس وتلك الأعمال وأن يبقى على أيبك قلعة
صرخد وأعمالها وتسلم الكامل دمشق وجعل نائبه بالقلعة إلى أن سلم إليه أخوه
الأشرف حران والرها والرقة وسروج ورأس العين من الجزيرة فلما تسلم ذلك سلم قلعة
دمشق إلى أخيه الأشرف فدخلها وأقام بها وسار الكامل إلى الديار الجزرية فأقام بها
إلى أن استدعى أخاه الأشرف بسبب حصر جلال الدين خوارزمشاه مدينة خلاط فلما
حضر عنده بارز فعاد الكامل إلى ديار مصر وأما الأشرف فكان منه ما نذكره إن شاء
الله تعالى

(ذكر القبض على الحاجب على وقتله)

وفى هذه السنة أرسل الملك الأشرف مملوكه عز الدين أيبك وهو أمير كبير فى دولته إلى
مدينة خلاط وأمره بالقبض على الحاجب حسام الدين على بن حماد وهو المتولى لبلاد
خلاط والحاكم فيها من قبل الأشرف ولم نعلم شيئا يوجب القبض عليه لأنه كان مشفقا
عليه ناصحا له حافظا للبلاد حسن السيرة مع الرعية وهو الذى وقف هذه الوقفة الطويلة فى وجه
خوارزمشاه جلال الدين وحفظ خلاط حفظا يعجز غيره عنه وكان مهتما بحفظ بلاده

●(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة)●

●(ذكر انهزام جلال الدين من كيقباذ والاشرف)●

في هذه السنة يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان انهزم جلال الدين خوارزمشاه من علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم قونية واقصرا وسيواس وملطية وغيرها ومن الملك الاشرف صاحب دمشق وديار الجزيرة وخلاط وسبب ذلك ان جلال الدين كان قد اطاعه صاحب ارزن الروم وهو ابن عم علاء الدين ملك الروم وبينهما عداوة مستحكمة وحضر صاحب ارزن الروم عند جلال الدين على خلاط واعانه على حصرها فخافهما علاء الدين فارسل الى الملك الكامل وهو حينئذ بحران يطلب منه ان يحضر اخاه الاشرف من دمشق فانه كان مقيما بها بعد ان ملكها وتابع علاء الدين الرسل بذلك خوفا من جلال الدين فاحضر الملك الكامل اخاه الاشرف من دمشق فحضر عنده ووصل علاء الدين اليهما متتابعة يحث الاشرف على المجيء اليه والاجتماع به حتى قيل انه في يوم واحد وصل الى الكامل والاشرف من علاء الدين خمسة رسل و يطلب مع الجميع وصول الاشرف اليه ولو وحده فجمع عساكر الجزيرة والشام وسار الى علاء الدين فاجتمعا بسيواس وساروا نحو خلاط فسمع جلال الدين بهما فقصد اليهما مجدا في السير فوصل اليهما بمكان يعرف بياسى حار (٣) وهو من اعمال ارزنجان فالتقوا هناك وكان مع علاء الدين خلق كثير قيل كانوا عشرين الف فارس وكان مع الاشرف نحو خمسة آلاف الا انهم من العساكر الجيدة الشجعان لهم السلاح الكثير والدواب الفارهة من العربيات وكل منهم قد جرب الحرب وكان المتقدم عليهم امير من امراء عساكر حلب يقال له عز الدين عمر بن علي وهو من الاكراد الهكارية ومن الشجاعة في الدرجة العليا وله الاوصاف الجميلة والاخلاق الكريمة فلما التقوا بهت جلال الدين لما رأى من كثرة العساكر لا سيما لما رأى عسكر الشام فانه شاهد من تجملهم وسلاحهم ودوابهم ما ملأ صدره رعبا فانشب عز الدين بن علي القتال ومعه عسكر حلب فلم يقم لهم جلال الدين ولا صبر ومضى منهزما هو وعسكره لا يلوي الاخ على اخيه وتفرقت اصحابه وتمزقوا كل ممزق وعادوا الى خلاط فاستصحبوا معهم من فيها من اصحابهم وعادوا الى اذربيجان فنزلوا عند مدينة خوى ولم يكونوا قد استولوا على شيء من اعمال خلاط سوى خلاط ووصل الملك الاشرف الى خلاط فرآها خاوية على عروشها خالية من الاهل والسكان قد جرى عليهم ما ذكرناه قبل

خارج باب النصر وانشأ جهة بخان الخليلي وكالة وجعل بها حواصل وطباقا واسكنها النصارى الاروام والارمن باجرة زائدة اضعاف الاجر المعتادة وكذلك غيرهم ممن رغب في السكنى وفتح لها بابا يخرج منه الى وكالة الجلابة الشهيرة التي بالخراطين لانها خلف ظهرها وأجر الحوانيت كذلك باجرة زائدة فاجر الحانوت بثلاثين قرشا في الشهر وكانت الحانوت تؤجر بثلاثين نصفا في الشهر والعجب في اقدام الناس على ذلك واسراعهم في تأجرهم قبل فراغ بنائها مع ادعائهم قلة المكاسب ووقف الحال وتشكيهم ايضا يستخرجونها من لحم الزبون وعظمه ثم اخذ بناحية داخل باب النصر مكانا متسعا يسمى حوش عطى بضم العين وفتح الطاء وسكون الياء كان معطنا لمربان الثيران ونحوهم اذا وردوا بقرانهم بالفحم والقلى وغيره وكذلك اهالى شرقية بلبيس فانشأ في ذلك المكان ابنية عظيمة تحتوى على خانات متداخلة وحوانيت وقهاوى ومساكن وطباق وسكن غالبها ايضا الارمن وخلافهم بالاجر الزائدة ثم انتقل الى جهة خان الخليلي فاخذ الخان المعروف بخان القهوة وما حوله من البيوت والاماكن والحوانيت والجامع المجاور لذلك تصلى فيه الجمعة والخطبة فهدم ذلك جميعه وانشأه خانا كبيرا يحتوى على حواصل وطباق وحوانيت عدتها اربعون حانوتا اجرة كل حانوت ثلاثون قرشا في كل شهر وانشأ فوق السبيل و بعض الحوانيت زاوية لطيفة يصعد اليها بدرج عوضا عن الجامع ثم انتقل الى جهة الخرنفش بخط الاشناعية فاخذ اماكن ودورا وهدمها وهو الآن مجتهد في تعميرها كذلك فكان يطلب رب المكان ليعطيه الثمن فلا يجد بدا من الاجابة فيدفع له ما سمحت به نفسه ان كان عشر الثمن او اقل او ازيد بقليل

و يباع رطل الشمع بستة قروش والجبن الحالوم ثمانيا و يباع فيه وكان رطله قبل الخبر بثلاثة قروش واذا وردت مراكب الى الساحل نزل اليها المفتشون على الاشياء ومن جملتها الشمع فياخذون ما يجدونه ويحسب لهم بالبخس عن ثمن الحق شيئا وعشر واطلبه أخذوه بلا ثمن وتنكلوا بالخضر الذى يجدون معه الشمع وسموه حراميا او يرتدع غيره والمتولى على ذلك نصارى واعوانهم لا دين لهم وقد عاف النحل فى هذه السنة وامتنع وجود العسل وكذلك عز القصيل بل والغلال لم تزل فى هذه السنين مع كثرة الاسيال التى غرقت منها الاراضى بل وتعطل بسببها الزرع وزادت اثمانها وخصوصا الفول واما العدس فلا يوجد أيضا الا نادرا ۞ وكذلك التزم بالملاحة وتوابعها من زاد فى مالها وبلغ ثمن الكيلة قرشا وكانت قبل ذلك بثلاثين نصفا وفيما ادركنا بثلاثة انصاف واما اجر الاجراء والفعلة فهو المعسر بن قابلين النصف بالقرش وكذلك ثمن الخبز البلدى والابيض لان عمائر أهل الدولة مستدعية لا تنقضى أبدا ونقل الاتربة الى الكيمان على قطارات الجمال والحمير من شروق الشمس الى غروبها حتى ستر علوها الافق من كل ناحية واذا بنى أحدهم دارا فلا يكفيه فى ساحتها الكثير وباشد خراحو ... دور الناس بدون القيمة ليوسع بها داره ويأخذ ما يبقى فى تلك الخطة لخاصته واهل دائرته ثم يبنى اخرى كذلك لديوانه وجمعيته واخرى لعسكره وهكذا ولما ۞ ثم سليمان أغا السلحدار فهو الداهية العظمى والمصيبة الكبرى فانه تسلط على بقايا المساجد والمدارس والتكايا التى بالصحراء ونقل احجاره الى داخل باب البرقية المعروف بالغريب وكذا ما كان جهة باب النصر وجمعوا احجارها

من قلعتك وقد جمعت من الذخائر ما لا حد له فلا شئ تفتقر اليه ليس هذا برأى فاصر على القول وأصروا على منعه فاتفق فى آخر الامر ان كتب فى الرسول والا القيت نفسى من القلعة فحينئذ سكتوا عنه فنقل فى نفر يسير ووصل الى الكامل فأقطعه الى ان سلم مدينة حماة وقلعتها الى أخيه الاكبر الملك المظفر وبقى بيده قلعة بارين حسب فانها كانت له وكان هو كالباحث بظلفه على حتفه

۞(ذكر حصر جلال الدين خلاط وملكها)۞

وفى هذه السنة أوائل شوال حصر جلال الدين خوارزمشاه مدينة خلاط وهى للملك الاشرف وبها عسكره فامتنعوا بها واعانهم أهل البلد خوفا من جلال الدين لسوء سيرته وأسرفوا فى الشتم والسفه فأخذه اللجاج معهم واقام عليهم جميع الشتاء محاصرا وفرق كثيرا من عساكره فى القرى والبلاد القريبة من شدة البرد وكثرة الثلج فان خلاط من أشد البلاد بردا واكثرها ثلجا وابان جلال الدين عن عزم قوى وصبر تحار العقول منه ونصب عليها عدة منجنيقات ولم يزل يرميها بالحجارة حتى خرب بعض سورها فاعاده أهل البلد عمارته ولم يزل مصابرهم وملازمهم الى اواخر جمادى الاولى من سنة سبع وعشرين فزحف اليها زحفا متتابعا وملكها عنوة وقهرا يوم الاحد الثامن والعشرين من جمادى الاولى سلمها اليه بعض الامراء غدرا واما ملك البلد صعد من فيه من الامراء الى القلعة التى لها وامتنعوا بها وخرب منازلهم ووضع السيف فى اهل البلد وقتل من وجد بها منهم وكانوا اقد قلوا فان بعضهم فارقوه خوفا وبعضهم خرج منه من شدة الجوع وبعضهم مات من القلة وعدم القوت فان الناس فى خلاط أكلوا الغنم ثم البقر ثم الجواميس ثم الخيل ثم الحمير ثم البغال والكلاب والسنانير وسمعنا انهم كانوا يصطادون الفار ويأكلونه وصبروا صبرا لم يلحقهم فيه أحد ولم يكن عن بلاد خلاط غيرها وما سواها من البلاد لم يكونوا ملكوه وخربوا خلاط واكثروا القتل فيها ومن سلم هرب فى البلاد وسبوا الحريم واسترقوا الاولاد وباعوا الجميع فتمزقوا كل ممزق وتفرقوا فى البلاد ونهبوا الاموال وجرى على اهلها ما لم يسمع بمثله لا جرم لم يمهله الله تعالى وجرى عليه من الهزيمة بين المسلمين والتتر ما نذكره ان شاء الله تعالى

۞(ذكر عدة حوادث)۞

فى أواخر هذه السنة قصد الفرنج حصن بارين بالشام ونهبوا بلاده وأعماله وأسروا وسبوا ومن جملة من نهبوه طائفة من التركمان كانوا نازلين فى ولاية بارين فأخذوا الجميع ولم يسلم منهم الا النادر الشاذ والله أعلم

الكافرة فلما ضاقت بالناس المساكن وزادت قيمتها اضعاف الاضعاف وابدل لحظ الرجال الذي كان يذكر في قيم الاشياء بالكيس وكذلك الاجر والاجرة كل شيء في الازدياد والله لطيف بالعباد ولو اردنا استقصاء بعض الكليات فضلا عن الجزئيات لطال المقال وامتد الحال وعشنا ومتنا ما نرى غيره نرى

تشابهت الصعاو زادة تطاولها نسأل الله حسن اليقين وسلامة الدين

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين والف)

(استهل شهر المحرم بيوم الاثنين) وفي اواسطه حضر الباشا من الاسكندرية (وفيه) من الحوادث ان الشيخ ابراهيم الشهير بباشا المالكي بالاسكندرية قرر في درس الفقه ان ذبيحة اهل الكتاب في حكم الميتة لا يجوز اكلها وما ورد من اطلاق الآيات فانه قبل ان يغيروا ويبدلوا في كتبهم فلما سمع فقهاء الثغر ذلك انكروه واستغربوه ثم تكلموا مع الشيخ ابراهيم المذكور وعارضوه فقال انا لم اذكر ذلك بفهمي وعلمي وانما تلقيت ذلك من الشيخ علي الميلي المغربي وهو رجل عالم متورع موثوق بعلمه ثم انه ارسل الى شيخه المذكور بمصر يعلمه بالواقع فالف رسالة في خصوص ذلك واطنب فيها ذكر اقوال المشايخ والخلافات في المذاهب واعتمد قول الامام الطرطوشي في المنع وعدم الحل وبعث الرسالة بالخط على علماء الوقت وحكامه وهي نحو الثلاثة عشر كراسة وارسلها الى الشيخ ابراهيم فقرأها على اهل الثغر فكثر اللغط والانكار خصوصا واهل الوقت اكثرهم مخالفون للملة وانتهى الامر الى الباشا فكتب مرسوما الى كتخدا بك بمصر وتقدم اليه بان يجمع مشايخ الوقت لتحقيق المسئلة وارسل اليه صورة الرسالة ايضا المصنفة فاحضر كتخدا بك المشايخ وعرض عليهم الامر

وانقضى الصلاح الدين يوسف بن ايوب فقصده بكثر له الملك وبقيت ارزن بيده الى الآن فاخذت منه ولكل اول آخر فسبحان من لا اول له ولا آخر لملكه

(ذكر ملك صوبج ايواني قلعة روين دز)

وفي هذه السنة ظهر امير من امراء التركمان اسمه صوبج ولقبه شمس الدين واسم قبيلته ايواني وكثر جمعه وكان بين اذربيجان وهمذان وهو ومن معه يقطعون الطريق ويفسدون في الارض ثم انه تعدى الى قلعة منيعة اسمها سارو وهي لمظفر الدين وقتل عندها اميرا كبيرا من امراء مظفر الدين يعرف بعز الدين الحميدي فجمع مظفر الدين واراد استعادتها منه فلم يمكنه لحصانتها ولكثرة الجموع مع هذا الرجل فاصطلحا على ترك القلعة بيده وكان عسكر جلال الدين خوارزم شاه يحصرون قلعة روين دز وهي من قلاع اذربيجان من احصن القلاع وامنعها لا يوجد مثلها وقد طال الحصار على من بها فاذعنوا بالتسليم فارسل جلال الدين بعض خواص اصحابه وثقاته ليتسلمها وارسل معه الخلع والمال لمن بها فلما صعد ذلك القاصد الى القلعة وتسلمها اعطى بعض من بالقلعة ولم يعط البعض واستذلهم وطمع فيهم حيث استولى على الحصن فلما رأى من لم يأخذ شيئا من الخلع والمال ما فعل بهم ارسلوا الى صوبج يطلبونه ليسلموا اليه القلعة فسار اليهم في اصحابه فسلموها اليه فسبحان من اذا اراد امرا سهله هذه قلعة روين دز لم تزل تتقاصر عنها اقدار الملوك وعظمائهم من قديم الزمان وحديثه وتضرب الامثال بحصانتها لما اراد الله سبحانه وتعالى ان يملكها هذا الرجل الضعيف سهل له الامور فملكها بغير قتال ولا تعب وازال عنها اصحاب مثل جلال الدين الذي كل ملوك الارض تهابه وتخافه وكان اصحاب جلال الدين كما قيل رب ساع لقاعد فلما ملكها وقع طمعه في غيرها لاسيما مع اشتغال جلال الدين بما اصابه من الهزيمة ومجيء التتر فنزل من القلعة الى مراغة وهي قريب منها فحصرها فاتاه سهم غرب فقتله فلما قتل ملك روين دز اخوه ثم ان هذا الاخ الثاني نزل من القلعة وقصد اعمال تبريز ونهبها وعاد الى القلعة ليحمل ما فيها من الذهب والفضة وذخيرة خوفا من التتر وكانوا قد خرجوا فصادفته طائفة من التتر فقتلوه واخذوا ما معه من النهب ولما قتل ملك القلعة ابن اخت له وكان هذا جميعه في مدة يسيرة فان الدنيا لا تزال تعقب فرحة بترحة وكل حسنة بسيئة

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة)

(ذكر خروج التتر الى اذربيجان وما كان منهم)

ذكر ملك جلال الدين ارزن الروم

قد ذكرنا ان صاحب ارزن الروم كان مع جلال الدين على خلاط ولم يزل معه وشهد معه المصاف المذكور فلما انهزم جلال الدين اخذ صاحب ارزن الروم أسيرا فاحضر عند علاء الدين كيقباذ ابن عمه فاخذه وقصد ارزن الروم فسلمها صاحبها اليه هي وما يتبعها من القلاع والخزائن وغيرها فكان كما قيل خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا اذنين وهكذا هذا المسكين جاء الى جلال الدين يطلب الزيادة وقصده بشئ من بلاد علاء الدين فاخذ ماله وما بيده من البلاد وبقى أسيرا فسبحان من لا يزول ملكه

ذكر الصلح بين الاشرف وعلاء الدين وبين جلال الدين

لما عاد الاشرف الى خلاط ومضى جلال الدين منهزما الى خوى ترددت الرسل بينهما فاصطلحوا كل منهم على ما بيده واستقرت القواعد على ذلك وتحالفوا فلما استقر الصلح وجرت الايمان عاد الاشرف الى سنجار وما رمنها الى دمشق واقام جلال الدين ببلاده من اذربيجان الى ان خرج عليه التتر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

ذكر ملك شهاب الدين غازى مدينة ارزن

كان حسام الدين صاحب مدينة ارزن من ديار بكر لم يزل مصاحبا للملك الاشرف مناصحا له مشاهدا جميع حروبه وحوادثه وينفق امواله في طاعته ويبذل نفسه وعساكره في مساعدته فهو يعادى أعداءه ويوالى أولياءه ومن جملة موافقته انه كان في خلاط لما حصرها جلال الدين ولقى من الشدة والخوف ما لقيه بها وصبر الى ان ملكها جلال الدين فاسره جلال الدين وأراد ان ياخذ منه مدينة ارزن فقيل له ان هذا من بيت قديم عريق في الملك وانه ورث هذه ارزن من اسلافه وكان لهم سواها من البلاد فخرج الجميع من أيديهم فعطف عليه ورق له وأبقى عليه مدينته واخذ عليه العهود والمواثيق انه لا يقاتله فعاد الى بلده وأقام به فلما جاء الملك الاشرف وعلاء الدين فحاربوا جلال الدين سار شهاب الدين غازى ابن الملك العادل وهو اخو الاشرف وله مدينة ميافارقين ومدينة حانى وهو عند مدينة ارزن فحصرها بها ثم ملكها صلحا وعوضه عنها مدينة حانى من ديار بكر وحسام الدين هذا نعم الرجل حسن السيرة كريم جواد لا يخلو بابه من جماعة يردون اليه يستمحونه وسيرته جميلة في ولايته ورعيته وهو من بيت قديم يقال لهم بيت طقان ارسلان كان لهم معه ارزن بدليس ووسطان وغيرهما ويقال لهم بيت الاحدب وهذه البلاد معهم من ايام ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقى فاخذ بكتمر صاحب خلاط منهم بدليس أخذها من عم حسام الدين هذا لانه كان

مواقعا

ومن ذلك الشفاعة او واسطة ضم واذا قيل له انه وقف ولا مسوغ لاحد فيه الا لعدم تحريه امر دينه او يعلم الاثم باق بكشاف القاضى فيرا من انه لما فيقضى له وكان يشغل عليه لفظه موقف ويقول انثى يعني وقف واذا كان على المكان حكر لجهة وقف اصله لابد فيه ولا يلتفت لتلك اللفظة ايضا ويعم عمارة في امر عرف لمنفعة وقوم لا منفعة على ارباب الاشغال والموانة ولا يطلق لفعلة الرواح بل يحبسهم من صلى الدوام الى اكثر النهار ويوقظونهم من آخر الليل بالضرب ويبتدون في العمل من وقت صلاة الشافعى الى قبيل الغروب حتى في شدة الحر في رمضان واذا ضجوا من الحر والعطش ازعجهم شد العمائر ربما الشرب واحضر لهم السقاء ليسقيهم وظن اكثر الناس ان هذه العمائر انما هي غصوبة ولانه لا يسمع لشكوى المغصوبه واشتد في هذا النار مجامع المساكن بالمدينة وضاقت باهلها لحصول الخراب وكثرة الاضراب وخصوصا الخالقين لله فهم الآن اعيان الناس يتقلدون المناصب ويلبسون ثياب الاكابر ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات وامامهم وخلفهم العبيد والخدم وبايديهم العصى يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق ويشترون الجوارى بيضا وحبوشا ويسكنون الاماكن العالية الجليلة يشترونها باغلى الاثمان ومنهم من له دار بالمدينة ودار مطلة على البحر للنزاهة ومنهم من عمر له دارا وصرف عليها الوفا من الاكياس وكذلك أكابر الدولة لا سيما كل من كان في خطة على جميع دورها واخذها من اربابها باى وجه وتوصلوا بتقليدهم مناصب البدع الى اذلال المسلمين لانهم يحتاجون الى كتبة وخدم واعوان والتحكم في اهل الحرف بالضرب والشتم والحبس من غير انكار ويقف الشرع غضبا والعاصي بين يدي

حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية بعد ما طاف الفيوم ايضا واحضر معه جملة اشخاص قبض عليهم من المفسدين من العربان وهم فى الجنازير الى ان دخلوا بهم البلد ثم حبسوهم ﴿واستهل شهر ربيع الاول بيوم الخميس سنة ١٢٣٦﴾ (وفى اواخره) حضر نحو العشرة اشخاص من الامراء المصرية البواقى فى حالة رثة وضعف ٢٣١ وضيم واحتياج وكانوا ارسلوا وطلبوا الامان واجيبوا الى ذلك (وفيه) أشهروا العربان الذين أحضرهم ابراهيم باشا معه وقتلوهم وهم اربعة اثنان بالرميلة واثنان بباب زويلة ﴿واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٣٦﴾ (وفيه) أخرج الباشا عبد الله بك الدرنلى منفيا وكان عبد الله بك هذا يسكن بخطة الخرنفش وهو رجل فيه سكون قليل الاذى وملك بتلك الناحية دورا واماكن وله عز وتوسع كرماء واتباع وكان يجلس بحضرة الباشا وينادمه ويتوسع معه فى الكلام والمسامرة وسبب تغير خاطر الباشا عليه انه جرى ذكر على باشا تبدلان الارنؤدى وحروبه ومخالفته العساكر عليه فقال عبد الله المذكور ان العساكر بروية محاربة السلطان معصية او كلاما هذا معناه فتغير وجه الباشا من ذلك القول ويقال انه امر بقتله فتشفع فيه حسن باشا طاهر من القتل وان يخرج منفيا هكذا اشيع واستفيض وانضم الى ذلك انه قال لشريف بك امين الخزنة عندنا ثم علوفته خدمة تصرف فى احسن من خدمتكم مع المشاححة فبلغها الشريف بك للباشا ايضا واوغر صدره عليه ودقق له الباشا علوفته وعن ما حازه من الاماكن والاملاك ووصله ذلك على عدة جوال مختومة بالدراهم وسافر فى ثامنه على طريق البر واتبق حريمه واتباعه لياتوه على سفن البحر (وفى سادس

ذلك الخصى وانما كان يستصحبه معه ابن صار وهو يبكى فامتنع من الاكل والشرب وكان اذا قدم له طعام يقول احملوا من هذا الى قلج ولا يتجاسر احد يقول انه مات فانه قيل له مرة انه مات فقتل القائل له ذلك انما كانوا يحملون اليه الطعام ويعودون يقولون انه يقبل الارض ويقول انى الآن أصلح مما كنت فلحق امراءه من الغيظ والانفة من هذه الحالة ما حملهم على مفارقته اعتزموا الانحياز عنه مع وزيره فبقى حيران لا يدرى ما يصنع لاسيما لما خرج التتر فحينئذ دفن الغلام الخصى وراسل الوزير واستماله وخدعه الى ان حضر عنده فلما وصل اليه بقى اياما وقتله جلال الدين وهذه نادرة غريبة لم يسمع بمثلها

﴿ذكر ملك التتر مراغة﴾

وفى هذه السنة حصر التتر مراغة من اذربيجان فامتنع اهلها ثم اذعن اهلها بالتسليم على امان طلبوه فبذلوا لهم الامان وتسلموا البلد وقتلوا فيه الا انهم لم يكثروا القتل وجعلوا فى البلد شحنة وعظم حينئذ شان التتر واشتد خوف الناس منهم باذربيجان فالله تعالى ينصر الاسلام والمسلمين نصرا من عنده فما نرى فى ملوك الاسلام من له رغبة فى الجهاد ولا فى نصرة الدين بل كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته وهذا اخوف عندى من العدو وقال الله تعالى (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)

﴿ذكر وصول جلال الدين الى آمد وانهزامه عندها وما كان منه﴾

لما رأى جلال الدين ما يفعله التتر فى بلاد اذربيجان وانهم مقيمون بها يقتلون وينهبون ويخربون السواد ويجبون الاموال وهم عازمون على قصده ورأى ما هو عليه من الوهن والضعف فارق اذربيجان الى بلاد خلاط وارسل الى النائب بها عن الملك الاشرف يقول له ما جئنا للحرب ولا للاذى انما خوف هذا العدو حملنا على قصد بلادكم وكان عازما على ان يقصد ديار بكر والجزيرة ويقصد باب الخليفة يستنجده وجميع الملوك على التتر ويطلب منهم المساعدة على دفعهم ويحذرهم عاقبة اهمالهم فوصل الى خلاط فبلغه ان التتر يطلبونه وهم مجدون فى اثره فسار الى آمد وجعل اليزك فى عدة مواضع خوفا من البيات فجاءت طائفة من التتر يقصدون اثره فوصلوا اليه على غير الطريق الذى فيه اليزك فاوقعوا به ليلا وهو بظاهر مدينة آمد فمضى منهزما على وجهه وتفرق من معه من العسكر فى كل وجه فقصد طائفة من عسكره حران فاوقع بهم الامير صواب مقدم الملك الكامل بحران ومعه العسكر فاخذوا ما معهم

وتلطف الشيخ محمد العروسي العبارة وقال الشيخ على المبلى رجل من العلماء تلقى عن مشايخنا ومشايخهم لا ينكر علمه وفضله وهو شيخ نزل عن مخالطة الناس الا انه حاد المزاج وبعقله بعض خلل والاولى ان تجتمع به وتتذاكر في غير مجلسكم وتنهى بعد ذلك الامر اليكم فاجتمعوا في ثاني يوم ٢٣٠ وارسلوا الى الشيخ على يدعونه للمناظرة فابى من الحضور وارسل الجواب مع شخصين من مجاوري المغاربة يقولان انه لا يحضر مع الغوغا بل يكون في مجلس خاص يقتصر فيه مع الشيخ محمد ابن الامير بحضرة الشيخ حسن القويسني والشيخ حسن العطار فقط لان ابن الامير يناقشه ويشنع عليه ما افاده فلما قال ذلك القول تغير ابن الامير وارعد وابرق وتشاتم بعض من بالمجلس مع الرسل وعند ذلك امروا بحبسهما في بيت الاغا وامروا الاغا بالذهاب الى بيت الشيخ على واحضاره بالمجلس ولو قهرا عنه فركب الاغا وذهب الى بيت المذكور فوجده قد تغيب فاخرج زوجته ومن معها من البيت وسمر البيت فذهبت الى بيت بعض الجيران ثم كتبوا عرضا محضرا وذكروا فيه بان الشيخ عليا يقول بخلاف الحق وابى من حضور مجلس العلماء والمناظرة معهم في تحقيق المسئلة وهرب واختفى لكونه على خلاف الحق ولو كان على الحق ما اختفى ولا هرب والراي لحضرة الباشا فيه اذا ظهر وكذلك في الشيخ ابراهيم باشا السكندري وختموا العرض وامضوه بالختوم الكثيرة وارسلوه الى الباشا وبعد ايام اطلقوا الشخصين من حبس الاغا ورفعوا الختم من بيت الشيخ على ورجع اهله اليه وحضر الباشا الى مصر في اوائل الشهر ذلك ونسيم بنفي الشيخ ابراهيم باشا الى بنى غازى ولم يظهر الشيخ على من اختفائه

(واستهل شهر صفر بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٦) (وفي اوائله)

في اول هذه السنة وصل التتر من بلاد ما وراء النهر الى اذربيجان وقد ذكرنا قبل كيف ملكوا ما وراء النهر وما صنعوه بخراسان وغيرها من البلاد من النهب والتخريب والقتل واستقر ملكهم بما وراء النهر وعادت بلاد ما وراء النهر فعمرت وعمروا مدينة تقارب مدينة خوارزم عظيمة وبقيت مدن خراسان خرابا لا يجسر احد من المسلمين يسكنها واما التتر فكانوا يغيرون كل قليل طائفة منهم ينهبون ما يرونه بها فالبلاد خاوية على عروشها فلم يزالوا كذلك الى ان ظهر منهم طائفة سنة خمس وعشرين فكان بينهم وبين جلال الدين ما ذكرناه وبقوا كذلك فلما كان الآن وانهزم جلال الدين من علاء الدين كيقباذ ومن الاشرف كما ذكرناه سنة سبع وعشرين ارسل مقدم الاسماعيلية الملاحدة الى التتر يعرفهم ضعف جلال الدين بالهزيمة الكائنة عليه ويحثهم على قصده عقيب الضعف ويضمن لهم الظفر به للوهن الذي صاروا اليه وكان جلال الدين سيئ السيرة قبيح التدبير لملكه لم يترك احدا من الملوك المجاورين له الا عاداه ونازعه الملك واساء مجاورته فمن ذلك انه اول ما ظهر في اصفهان وجمع العساكر قصد خوزستان فحصر مدينة ششتر وهي للخليفة فحصرها وسار الى دقوقا فنهبها وقتل فيها فاكثر وهي للخليفة ايضا ثم ملك اذربيجان وهي لاوزبك فملكها وقصد الكرج وهزمهم وعاداهم ثم عادى الملك الاشرف صاحب خلاط ثم عادى علاء الدين صاحب بلاد الروم وعادى الاسماعيلية ونهب بلادهم وقتل فيهم فاكثر وقرر عليهم وظيفة من المال كل سنة وكذلك غيرهم فكل من الملوك تخلى عنه ولم ياخذ بيده فلما وصلت كتب مقدم الاسماعيلية الى التتر يستدعيهم الى قصد جلال الدين بادر طائفة منهم فدخلوا بلاده واستولوا على الري وهمذان وما بينهما من البلاد ثم قصدوا اذربيجان فخربوا ونهبوا وقتلوا من ظفروا به من اهلها وجلال الدين لا يقدم على ان يلقاهم ولا يقدر على منعهم عن البلاد قد ملئ رعبا وخوفا وانضاف الى ذلك ان عسكره اختلفوا عليه وخرج وزيره عن طاعته في طائفة كثيرة من العسكر وكان السبب غريبا اظهر من قلة عقل جلال الدين ما لم يسمع بمثله وذلك انه كان له خادم خصي وكان جلال الدين يهواه واسمه قلج فاتفق ان الخادم مات فاظهر من الهلع والجزع عليه ما لم يسمع بمثله ولا لمجنون ليلى وامر الجند والامراء ان يمشوا في جنازته رجالة وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدة فراسخ فمشى الناس رجالة ومشى بعض الطريق راجلا فالزمه امراؤه ووزيره بالركوب فلما وصل الى تبريز ارسل الى اهل البلد فامرهم بالخروج من البلد لتلقي تابوت الخادم ففعلوا فانكر عليهم حيث لم يبعدوا ولم يظهروا من الحزن والبكاء اكثر مما فعلوا واراد معاقبتهم على ذلك فشفع فيهم امراؤه فتركهم ثم لم يدفن

(واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة ١٢٣٦) (فيه) سافر عباس بك الباشا الى جهة اسيوط مثل العام الماضي ليرتبوا اعتماله حذرا وخوفا عليهم من حدوث الطاعون بمصر (وفي سابع عشره) ارتحل محمد بك الدفتردار وسافر الى دارفور ببلاد السودان بعدما تقدمه طوائف كثيرة عساكر اتراك ٢٣٣ ومغاربة (وفي خامس عشرينه) امر الباشا بنفي محمد المعروف بالدرويش كتخدا محمود بك الذي هو الآن كتخدا بك والسيد احمد الرشيدي كاتب الرزق وسليمان افندي ناظر المدابغ والجلود ثلاثتهم الى قلعة ابي قير لاقتضيات واهية في خدم مناصبهم ومحمد كتخدا كان ناظرا على الجلود في العام الماضي قبل سليمان افندي المذكور (وفي اواخره) حضر جماعة من المماليك المصرية الذين كانوا بدنقلة فيهم ثلاثة صناجق احدهم احمد بك الالفي وهو زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بك الكبير

(واستهل شهر شعبان بيوم الجمعة سنة ١٢٣٦)

(في ثامنه) يوم الجمعة عمل سليمان اغا السلحدار الجمعية بالجامع المعروف بالاحمر وكان قد خرب ولم يبق به الا الجدران فتصدى لعمارته سليمان اغا المذكور ووسعه ايضا باطلاق الخيل والتجريد والبوص واقام له عمدا من الحجارة وجدد منبره ومطاهره ومضاته ومراحيضه وفرشه بالحصر وعمل به الجمعية في ذلك اليوم واجتمع بمعالم كثيرون من الناس وخطب على منبره الشيخ محمد الامير وبعد انقضاء الصلاة قرا درسا واملى فيه حديث من بنى لله مسجدا وبعد انقضاء ذلك خلع عليه فروة وكذلك على الشيخ العروسي وعمل لهم شربات وسكر (وفي يوم السبت ثالث عشره) حضر ابراهيم باشا من ناحية شرق اطفيح (وفي يوم الثلاث

قتل انسان فيقول لا بالله فيقتلونه فلما فرغوا من القرية ونهبوا ما فيها وسبوا الحريم رايتهم وهم يلعبون على الخيل ويضحكون ويغنون بلغتهم ويقولون لا بالله ومضى طائفة منهم الى نصيبين الروم وهي على الفرات وهي من اعمال آمد فنهبوها وقتلوا فيها ثم عادوا الى آمد ثم الى بدليس فتحصن اهلها بالقلعة وبالجبال فقتلوا فيها يسيرا واحرقوا المدينة (وحكى) انسان من اهلها قال لو كان عندنا خمسمائة فارس لم يسلم من التتر احد لان الطريق ضيق بين الجبال والقليل يقدر على منع الكثير ثم ساروا من بدليس الى خلاط فحصروا مدينة من اعمال خلاط يقال لها باكري وهي من احصن البلاد فملكوها عنوة وقتلوا كل من بها وقصدوا مدينة ارجيش من اعمال خلاط وهي مدينة كبيرة عظيمة ففعلوا كذلك وكان هذا في ذي الحجة ولقد حكي لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي القاه الله سبحانه وتعالى في قلوب الناس منهم حتى قيل ان الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية او الدرب وبه جمع كثير من الناس فلا يزال يقتلهم واحدا بعد واحد لا يتجاسر احد يمد يده الى ذلك الفارس ولقد بلغني ان انسانا منهم اخذ رجلا ولم يكن مع التتري ما يقتله به فقال له ضع راسك على الارض ولا تبرح فوضع راسه على الارض ومضى التتري فاحضر سيفا فقتله به (وحكى) لي رجل قال كنت انا ومعي سبعة عشر رجلا في طريق فجاءنا فارس من التتر وقال لنا حتى يكتف بعضنا بعضا فشرع اصحابي يفعلون ما امرهم فقلت لهم هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب فقالوا نخاف فقلت هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله لعل الله يخلصنا فوالله ما جسر احد يفعل ذلك فاخذت سكينا وقتلته وهربنا فنجونا وامثال هذا كثير

(ذكر وصول طائفة من التتر الى اربل ودقوقا)

في هذه السنة في ذي الحجة وصل طائفة من التتر من اذربيجان الى اعمال اربل فقتلوا من على طريقهم من التركمان الايوائية والاكراد الجوزقان وغيرهم الى ان دخلوا بلد اربل فنهبوا القرى وقتلوا من ظفروا به من اهل تلك الاعمال وعملوا الاعمال الشنيعة التي لم يسمع بمثلها من غيرهم وبرز مظفر الدين صاحب اربل في عساكره واستمد عساكر الموصل فساروا اليه فلما اتصل به عود التتر الى اذربيجان اقام في بلاده ولم يتبعهم فوصلوا الى بلد الكرخيني وبلد دقوقا وغير ذلك وعادوا سالمين لم يذعرهم احد ولا وقف في وجوههم فارس وهذه مصائب وحوادث لم ير الناس من قديم الزمان وحديثه ما يقاربها فالله سبحانه وتعالى يلطف بالمسلمين ويرحمهم ويرد هذا العدو عنهم وخرجت هذه السنة ولم نقف لجلال الدين على خبر ولا نعلم هل قتل او اختفى لم يظهر نفسه خوفا

عشره) ان الباشا امر ان يقرأ صحيح البخاري بالجامع الازهر فاجتمعوا في يوم الاثنين سابع عشره وفرقوا الاجزاء على العلماء بحضرة الباشا واربعة ايام آخرها الخميس وفرقوا على اولاد المكاتب دراهم وكذلك على مجاوري الازهر في نظير قراءة البخاري ◉ (واستهل شهر جمادى الاولى بيوم الاحد سنة ١٢٣٦) ◉ (فيه) حضر ابراهيم باشا ونزل بقصره الجديد بل قصوره لانه انشاء عدة قصور متصلة وبساتين ومصانع متصلة متسعة مرفقة منها قصر لوالدته وقصر لحريمه وقصر لخصوص عباس باشا ابن اخيه وغير ذلك

◉ (واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٦)

(فيه) عزم ابراهيم باشا على اعادة قياس اراضي قرى مصر واحضر من بلاد الصعيد عدة كبيرة من القياسين نحو الستين شخصا (وفي يوم السبت خامسه) عدى الى الجيزة تجاه القصور وجمع القياسين والمهندسين وكذلك مهندسي الافرنج وقاس كل قياسه وكيفية عمله فعاند المعلم غالي واحب تأييد اهل حرفته من قياسي القبط وقال كل منهم على الصحيح وصمم ابراهيم باشا ان قياس المهندسين وارباب المساحة اصح ولكن فيه ابطاء فقال اريد الصحيح ولكن مع السرعة بحيث تعمل امثالا ومثالا في قطعة من الارض يظهر بها برهان الصحة والتفاوت وامسى الوقت فامرهم بالذهاب والرجوع يوم الخميس الآتي فحضروا كذلك واشتغلوا بهم بالعمل الى آخر النهار ثم اختار من مهندسي قبل الاقباط ما انتقى ومر في الاثنين وسافر في رابع عشره الى ناحية شرق اطفيح واخذ من المهندسخانة كبيرها وصحبته سبعة عشر نفسا وكذلك انتخب من الافرنج المهندسين وانتقص من النصبة في هذه الارض مقدار قصبة

من مال وسلاح ودواب وقصد طائفة منهم نصيبين والموصل وسنجار واربل وغير ذلك من البلاد فقطعهم الملوك والرعايا وطمع فيهم كل احد حتى الفلاح والكردي والبدوي وغيرهم وانتقموا منهم وجازاهم على سوء صنيعهم وقبح فعلهم في خلاط وغيرها وبما صنعوا في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين فازداد جلال الدين ضعفا الى ضعفه ووهنا الى وهنه بمن تفرق من عسكره وبما جرى عليهم فلما فعل التتر بهم ذلك ومضى منهزما منهم دخلوا ديار بكر في طلبه لانهم لم يعلموا اين قصد ولا اي طريق سلك فسبحان من بدل امنهم خوفا وعزهم ذلا وكثرتهم قلة فتبارك الله رب العالمين الفعال لما يشاء

◉ (ذكر دخول التتر ديار بكر والجزيرة وما فعلوه في البلاد من الفساد) ◉

لما انهزم جلال الدين من التتر على آمد نهب التتر سواد آمد وارزن وميافارقين وقصدوا مدينة اسعرد فقاتلهم اهلها فبذل لهم التتر الامان فوثقوا منهم واستسلموا فلما تمكن التتر منهم بذلوا فيهم السيف وقتلوهم حتى كادوا يأتون عليهم فلم يسلم منهم الا من اختفى وقليل ما هم (حكى) لي بعض التجار وكان قد وصل آمد انهم حزروا القتلى ما يزيد على خمسة عشر الف قتيل وكان مع هذا التاجر جارية من اسعرد فذكرت ان سيدها خرج ليقاتل وكان له ام فمنعته فلم يكن لها والسواد فلم يرجع الى قومها فخشيت منه فقتلا جميعا وورثها ابن اخ للام فباعها من هذا التاجر وذكرت من كثرة القتلى امرا عظيما وان مدة الحصار كانت خمسة ايام ثم ساروا منها الى مدينة طنزة ففعلوا فيها كذلك وساروا من طنزة الى واد بالقرب من طنزة يقال له وادي القريشية فيه طائفة من الاكراد يقال لهم القريشية وفيه مياه جارية وبساتين كثيرة والطريق اليه ضيق فقاتلهم القريشية فمنعوهم عنه وامتنعوا عليهم وقتل منهم كثير فعاد التتر ولم يبلغوا منهم غرضا وساروا في البلاد لا مانع يمنعهم ولا احد يقف بين ايديهم فوصلوا الى ماردين فنهبوا ما وجدوا من بلدها واحتمى صاحب ماردين واهل دنيسر بقلعة ماردين وغيرهم ممن جاور القلعة احتمى بها ايضا ثم وصلوا الى نصيبين الجزيرة فاقاموا عليها بعض نهار ونهبوا سوادها وقتلوا من ظفروا به وغلقت ابوابها فعادوا عنها ومضوا الى سنجار ووصلوا الى الجبال من اعمال سنجار فنهبوها ودخلوا الى الخابور فوصلوا الى عرابان فنهبوا وقتلوا وعادوا ومضى طائفة منهم على طريق الموصل فوصلوا الى قرية تسمى المؤنسة وهي على مرحلة من نصيبين بينها وبين الموصل فنهبوها واحتمى اهلها وغيرهم بخان فيها فقتلوا كل من فيه (وحكى) لي عن رجل منهم انه قال اختفيت منهم ببيت فيه تبن فلم يظفروا بي وكنت اراهم من نافذة في البيت فكانوا اذا ارادوا

ملك بوصيا كر تقوى عليهم وهم في الربيع يقصدونكم وما بقي عندكم مقام الا ان كان في بلد الغرب فان عزمهم على قصد البلاد جميعها فانظروا لانفسكم هذا مضمون الكتاب فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واما جلال الدين فالى آخر سنة ثمان وعشرين لم يظهر له خبر وكذلك الى سلخ صفر سنة تسع لم نقف له على حال والله المستعان

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة قلت الامطار بديار الجزيرة والشام لاسيما حلب واعمالها فانها كانت قليلة بالمرة وغلت الاسعار بالبلاد وكان اشدها غلاء حلب الا انه لم يكن بالشديد مثل ما تقدم في السنين الماضية فاخرج اتابك شهاب الدين وهو والى الامر بحلب والمرجع الى امره ونهيه وهو المدبر لدولة سلطانها الملك العزيز بن الملك الظاهر والمربي له من المال والغلات كثيرا وتصدق صدقة دارة وساس البلاد سياسة حسنة بحيث لم يظهر للغلاء اثر جزاه الله خيرا وفيها ابتنى اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة قلعة عند سلمية وسماها شميميس وكان الملك الكامل لما خرج من مصر الى الشام قد خدمه اسد الدين ونصح له ولم يتأخر عنه في طاعته والمقاتلة بين يديه فاقطعه مدينة سلمية فبنى هذه القلعة بالقرب من سلمية وهي على تل عال وفيها قصد الفرنج الذين بالشام مدينة جبلة وهي من جملة المدن المضافة الى حلب ودخلوا اليها واخذوا منها غنيمة واسرى فسير اتابك شهاب الدين اليهم العساكر مع امير كان اقطعها فقاتل الفرنج وقتل منهم كثيرا واسترد الاسرى والغنيمة وفيها توفي القاضي ابن غنائم بن العديم الحلبي الشيخ الصالح وكان من المجتهدين في العبادة والرياضة والعاملين بعلمهم ولو قال قائل انه لم يكن في زمانه اعبد منه لكان صادقا فرضي الله عنه وارضاه فانه من جلة شيوخنا سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برؤيته وكلامه وفيها ايضا في الثاني عشر من ربيع الاول توفي صديقنا ابو القاسم عبد المجيد بن العجمي الحلبي وهو واهل بيته مقدمو السنة بحلب وكان رجلا ذا مروءة غزيرة وخلق حسن وحلم وافر ورياسة كثيرة يحب اطعام الطعام واحب الناس اليه من يأكل طعامه ويقبل بره وكان يلقى اضيافه بوجه منبسط ولا يقعد عن ايصال راحة وقضاء حاجة فرحمه الله رحمة واسعة

•(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة)•

الى هنا وقف جواد براعته وحالت منيته بينه وبين امنيته
رحمه الله تعالى

من القلعة ليلا وهرب واما حسين بك فانه قيد الجماعة وارسلهم الى مصر في الشهر المذكور وهم الآن مقيمون بمصر بجهة الحنفي قريبا من بيت جماعتهم الذين اتوا قبل هذا الوقت • (واستهل شهر ذي القعدة بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٦) (فيه) حضر ابراهيم باشا من مرحلته بالشرقية بسبب قياس الاراضي والمساحة (وفي منتصفه) سافر الباشا الى الاسكندرية لدواعي حركة الاروام وعصيانهم وخروجهم عن الذمة ووقوفهم مراكب كثيرة العدد بالبحر واخذهم الطريق على المسافرين واستئصالهم بالذبح والقتل حتى انهم اخذوا المراكب الخارجة من اسلامبول وفيها القاضي المعزول المتولي قضاء مصر ومن بها ايضا من السفار والحجاج فقتلوهم عن آخرهم ومعهم القاضي وحريمه وبناته وجواريه وغير ذلك وشاع ذلك بالنواحي وانقطعت السبل فنزل الباشا الى الاسكندرية وشرع في تشهيل مراكب مساعدة للدولة السلطانية وسياتي تتمة هذه الحادثة وبعد سفر الباشا سافر ايضا ابراهيم باشا الى ناحية قبلي قاصدا بلاد النوبة

(واستهل شهر ذي الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢٣٦)• (فيه) خرجت عساكر كثيرة ومعهم رؤساؤهم وذخيرتهم بمراكب ومغاربة وآلات الحرب كالمدافع وجبخانات البارود والقومبة وجميع اللوازم قاصدين بلاد النوبة وما جاورها من بلاد السودان (وفيه) سافر ايضا محمد آغا لاظ المنفصل عن الكتخدائية الى اسنا ليتلقى القادمين ويشيع الذاهبين (وفيه) وصلت اخبار من جهة قبلي باستيلاء اسمعيل باشا على سنار من غير حرب ودخول اهلها تحت الطاعة فضربت لذلك الاخبار مدافع من القلعة (وانقضت هذه السنة) وما تجدد بها من الحوادث التي

سادس عشر يله) سافر من معه الى ناحية شرقية بلبيس ☼(واستهل شهر رمضان بيوم الاحد سنة ١٢٣٤)☼ وعملت
الرؤية فى تلك الليلة كالعادة وركب فيها المحتسب ومشايخ الحرف والمحتسب وانتظروا ثبوت الهلال تلك الليلة بعد مضى اربع ساعات
من الليل ولم يحصل شئ من الحوادث ٢٣٤ غير تعدى الاثمان وتغالى الباعة وقلة السوقة واتلافها ورداءة المأكولات
واختفاء بعضها وقد انقضى بخير

☼(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٤)☼

(فى ثالثه) حضرت هجانة من الاقطار النجدية وصحبتهم اشخاص من كبار الوهابية مقيدون على الجمال وهم عمر بن عبد العزيز واولاده وابناء عمه وذلك انهم لما رجعوا الى الدرعية بعد رحيل ابراهيم باشا وعساكره وكان معهم مشارى بن سعود وقد كانوا هربوا قبل الدرعية بعد ما ارتحل عنها ابراهيم باشا وتركى بن عبد الله ابن اخى عبد العزيز بن محمد عم سعود الا مشارى فانه هرب من العسكر الذين كانوا مع اولاد سعود وجماعتهم حين ارسلهم ابراهيم باشا الى مصر فى الجمراء وهى قرية بين الجعيدة وينبع البحر وذهب الى الدرعية واجتمع عليه من فر حين قدمت العساكر واخذوا فى تعميرها ورجع اكثر اهلها وقدموا عليهم مشارى ودعا الناس الى طاعته فاجابه الكثير منهم خشية ان تتسع دولته وتعظم شوكته فلما بلغ الباشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بك فلوثقوا مشارى وارسلوه الى مصر فمات فى الطريق واما عمر واولاده وبنو عمه فتحصنوا فى قلعة الرياض
المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة قريبا من الدرعية باربع ساعات للقادم فنزل عليهم حسين بك وحاربهم
ثلاثة ايام او اربعة وطلبوا الامان لما علموا انهم لا طاقة لهم به فاعطاهم الامان على انفسهم فخرجوا اليه الا تركى فانه خرج

من التتر وفارق البلاد الى غيرها والله اعلم

☼(ذكر طاعة اهل اذربيجان للتتر)☼

فى اول هذه السنة اطاع اهل بلاد اذربيجان جميعها للتتر وحملوا اليهم الاموال والثياب الخطائى والخوئى والعتابى وغير ذلك وسبب طاعتهم ان جلال الدين لما انهزم على آمد من التتر وتفرقت عساكره وتمزقوا كل ممزق وتخطفهم الناس وفعل التتر بديار بكر والجزيرة واربل وخلاط ما فعلوا ولم يمنعهم احد ولا وقف فى وجوههم فارس وملوك الاسلام منجحرون فى الاثقاب انضاف الى هذا انقطاع اخبار جلال الدين فانه لم يظهر له خبر ولا علموا له حالا سقط فى ايديهم واذعنوا للتتر بالطاعة وحملوا اليهم ما طلبوا منهم من الاموال والثياب من ذلك مدينة تبريز التى هى اصل بلاد اذربيجان ومرجع الجميع اليها والى من بها فان ملك التتر نزل فى عساكره بالقرب منها وارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته ويتهددهم ان امتنعوا عليه فارسلوا اليه المال الكثير والتحف من انواع الثياب الابريسم وغيرها وكل شئ حتى الخمر وبذلوا له الطاعة فاعاد الجواب يشكرهم وطلب منهم ان يحضر مقدموهم عنده فقصده قاضى البلد ورئيسه وجماعة من اعيان اهله وتخلف عنهم شمس الدين الطغرائى وهو الذى يرجع الجميع اليه الا انه لا يظهر شيئا من ذلك فلما حضروا عنده سألهم عن امتناع الطغرائى فقالوا انه رجل منقطع ماله بالملوك تعلق ونحن الاصل فسكت ثم طلب ان يحضروا عنده من صناع الثياب الخطائى وغيرها ليستعمل للملك الاعظم فان هذا هو من اتباع ذلك الملك فاحضروا الصناع فاستعملهم فى الذى ارادوا ووزن اهل تبريز الثمن وطلب منهم خركاه للملك ايضا فعملوا له خركاه لم يعمل مثلها وعملوا غشاءها من الاطلس الجيد الزركش وعملوا من داخلها السمور والقندر فجاءت عليهم بجملة كثيرة وقرر عليهم من المال كل سنة شيئا كثيرا ومن الثياب كذلك وترددت رسلهم الى ديوان الخلافة والى جماعة من الملوك يطلبون منهم انهم لا ينصرون خوارزمشاه ولقد وقفت على كتاب وصل من تاجر من اهل الرى كان قد انتقل الى الموصل واقام بها هو ورفقاؤه ثم سافر الى الرى فى العام الماضى قبل خروج التتر فلما وصل التتر الى الرى واطاعهم اهلها وساروا الى اذربيجان سار هو معهم الى تبريز فكتب الى اصحابه بالموصل يقول ان الكافر لعنه الله ما نقدر نصفه ولا نذكر جموعه حتى لا تنقطع قلوب المسلمين فان الامر عظيم ولا تظنون ان هذه الطائفة التى وصلت الى نصيبين والخابور والطائفة الاخرى التى وصلت الى اربل ودقوقا كان قصدهم النهب انما ارادوا ان يعلموا هل فى البلاد من يردهم ام لا فلما عادوا اخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من

قص فيه حوادث القرن الحادى عشر وبعض الثانى عشر محلياً طروسه بتراجم الاعيان
والفرد متضمناً قلائد ابدع منشآت حسان لبعض فضلاء ذلك الزمان تفوق حدائق
الازاهر ومطربات الاغانى والمزاهر فمن بين منثور يجلب الطرب والسرور ومنظوم
تلذ به الاسماع و يسحر بلطفه الافئدة والطباع وفكاهات أدبية أشهى من
فواكه جنية وشوارد حضرية ونوادر عجيبة هذا وكان طبعه الفائق ووضعه البهيج
الرائق بالمطبعة الازهرية المصرية التى هى معدن الطبع والتحرى حرية الكائنة
بمحروسة مصر القاهرة لا زالت آهلة زاهية ناضرة مشمولاً طبعه بملاحظة
صاحب الهمم العلية الشان حضرة الفاضل السيد محمد رمضان الحفنوى
اداوتها عيون الافاضل وخلاصة العلو وحلفاء الفضائل لا زالت دار
الطباعة المذكورة محط انظارهم سائغة الموارد يانعة ازهار المنافع
واثمار الفوائد سار باذكرها فى سائر الاقطار طالعاً كوكب
محاسنها طلوع الشمس فى رابعة النهار وقد تنفس صبح
طبعه فى أواسط شوال عام اثنين وثلثمائة
والف من هجرة من طبعه الله تعالى على
اشرف الخصال صلى الله وسلم
عليه وعلى آله واصحابه
الكرام ما تتابعت
الليالى والايام
آمين
تم

بعضها والبعض باق الى الآن (ومنها) توقف زيادة النيل وقت ابان العلم واستمر الى وقت الوفاء الى ثامن عشر مسرى القبطي حتى ضجر الناس وضج الفلاحون ٢٣٦ (ومنها) امر المعاملة التي زادت زيادة فاحشة حتى بلغ البندقي الفلوري ثمانمائة نصف والمجر والفندقلي عشرين قرشا منها ثمانمائة نصف وبلغ صرف الريال الفرانسه أربعة عشر قرشا منها خمسمائة نصف وستون نصفا وقس على ذلك باقي الاصناف (ومنها) غلو الاثمان في جميع المبيعات من ملبوسات وما كولات والغلال حتى وصل الاردب الى ألف وخمسمائة نصف والرطل اللحم الى خمسين نصفا والى ستين نصفا وقس على ذلك (وأما حادثة الاروام) التي هي باقية الى الآن وما وقع منهم من الافساد وقطع الطريق على المسافرين واحتيالاتهم على كل ما صادفوه من مراكب المسلمين وخروجهم عن الذمة وعصيانهم وما وقع معهم من الوقائع وما ينتهي حالهم اليه فسنتلي عليك ان شاء الله تعالى بكماله في الجزء الآتي بعد ذلك والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

(وجدنا في آخر بعض النسخ ما نصه)

الى هنا انتهى ما نقل من خط العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ حسن الجبرتي مؤرخ هذه المدة وما قبلها بغاية هذا التاريخ في سنة ١٢٣٦ وهذا آخر الجزء الرابع وبعده توفي الشيخ ولم يكتب شيئا

(يقول المتوسل بالرسول الخاتم الفقير الى الله تعالى محمد قاسم)

نحمدك يا من أودعت تاريخ الاواخر والاوائل آيات بينات على انك المنفرد بالعز والملك الكامل ونشكرك يا من جعلت في تتابع القرون وتقلب الاحوال وتغير الشؤون عظة لمن تدبر واعتبارا لمن تفكر وتذكر ونصلي ونسلم على رسولك المخصوص بالشرف الاعم والاخص المنزل عليه نحن نقص عليك أحسن القصص سيدنا محمد الآتي باصدق الاخبار وابلغ الحكم وأبهر الآثار وعلى آله ذوي المناقب الجليلة وصحابته اولي المآثر الحميدة الجميلة (أما بعد) فقد تم طبع التاريخ المسمى الكامل لنادرة دهره المجتهد الفاضل العلامة النحرير ابي الحسن علي المشهور بابن الاثير أفاض الله تعالى عليه هوامع احسانه وأسكنه بفضله مستقر رحمته ورضوانه وناهيك به من تاريخ تعقد عليه الخناصر لما أبرزه من عجيبات الغرائب ومخبآت الذخائر ابتداء مؤلفه رحمه الله من ابتداء الدنيا الى ان انتقل الى دار مولاه لقد جاد واجاد وبسط في فدافد سيره عنان الجواد ان سئل اجاب واتى بالعجب العجاب يجنب مطالعه الخلال العاطلة ويكسبه الخصال الشريفة الفاضلة ويمرن النفوس ويؤدبها ويزكي الطباع ويهذبها جدير بذوي الآداب والاطائف وعصابة الالباب والمعارف ان يسرحوا انظارهم في حدائقه ويشنفوا اسماعهم بجواهر رقائقه ويقتبسوا من مصباحه المنير ويلتمسوا من قاموسه الخضم الغزير فكم فيه لذوي الكياسة وقائع تفصح بها معالم السياسة وكم فيه للملوك والوزراء ما فيه حسن اعتبار واقتداء فهو نديم نفيس وجليس أنيس وسمير كل أمير بل أمير كل سمير ثم لا يخفى على ذي ذوق سليم وطبع ذكي قويم ان فن التاريخ عظيم النفع بالذات اذ عليه المرجع في اثبات الشرائع والاحكام اليه فلولاه ما استبانت للامم محجة ولا استقامت لاحد دولة ولا حجة ولا وصلت الينا سير الرسل والانبياء ولا وقائع الملوك والوزراء والامراء فلاجرم كان ذلك مطالع القرون الماضية ومصدر الاطلاع على عجائب المخلوقات في العصور الخالية فكأنما المتحلي به عمر دهر الدهر طويلا وشاهد جميع الاجيال جيلا فجيلا وهذا التاريخ من ابدع ما الف في هذا الفن مع براعة عبارة وتهذيب حسن وبديع صياغة وجودة تحرير وانيق صناعة تروق المهذب النحرير وروضة يانعة الازهار متدفقة الجداول والانهار وقد طرزت هوامشه بالتاريخ الفائق سبائك النضار الموسوم بعجائب الآثار في التراجم والاخبار لمحرز قصب السبق في مضمار العلوم وفائق الاقران في اقتعاد صهوة الفهوم العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي امطره الله تعالى بغيوث احسانه ورحمه الخفي ولعمري انه لتاريخ انتظمت عقود فرائده ووشيت مطارف فوائده اما انه اقنع واقاض الاطلاع مع جزالة عباراته ولدقة اشارته وحسن نادرته وجميل مسامرته

نص